

الأخْبَرُ الْمُؤَقِّياتُ فِي الحِوَارِثِ وَالسَّيرِ المَاضِياتِ

وَفِيهِ ذِكْرٌ لِمَوْقَعَتِي الجَمَلِ وَصَفِيينِ

وَبَلِيغِهِ

جَزَعٌ مِنَ المَفقُودِ لِلْمُؤَقِّياتِ

تَأليفَ

الإمام أبي عبد الله الزبير بن بكار القرشي

المتوفى ٢٥٢ هـ

تحقيقه وتصحيحه وتعليقه

دكتور فرط الزبيدي



BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشرُون | Beirut - لبنان

الأخبار الموقيات
في الحوادث و السير الماضيات
AL-`AĤBĀR AL-MUWAFFAQIYYĀT
FĪ AL-HAWĀDĪṬ WAL-SIYAR AL-MĀḌĪYĀT

المؤلف – Author

الزبير بن بكار

Imām al-zubayr ben Bakkār

المحقق – Editor

أحمد فريد المزدي

Aĥmad Farīd al-Mizyadī

التصنيف – Classification

تاريخ

History

القياس، عدد الصفحات – Pages, Size

320 p. ؛ 17*24 سم

سنة الطباعة – Year

2011 A.D. _1432 H.

بلد الطباعة – Printed in

لبنان – Lebanon

الطبعة – Edition

الأولى – First

ISBN : 978-2-7451-6314-1

All Rights Reserved



BOOKS - PUBLISHER

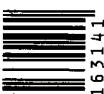
Beirut-Lebanon | كتاب - ناشر | بيروت - لبنان

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Houf Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel: +961 71 289 277-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Solah
E-mail: books.publisher@hotmail.com

Exclusive rights by © BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon No part of this publication may be
translated, reproduced, distributed in any form or by any
means, or stored in a data base or retrieval system, without
the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © BOOKS - PUBLISHER
Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation
préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à
des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لحقوق الناشر
بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب
كاملًا أو مجزأً أو تسجيله على أي وسيلة كانت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أي أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.



ISBN 978-2-7451-6314-1

ISBN 2-7451-6314-0

9 782745 163141

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين. وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد... فهذا كتاب «الموفقيات» للعلامة المحدث الثقة الزبير بن بكار، جمع فيه من الأخبار والقصص التاريخية، ونوادير التاريخ المتقدمة في عهد السلف الصالح. وقد انفرد في جمعه، وتميز في نوعه، فليس هناك كتاب يشبهه في نمطه وسرده، فقد اهتم بروايات أخبار الخلفاء ورجال البلاط، خاصة أخبار العراق والحجاز والجزيرة والشام.

وقد ألفه الزبير بن بكار للموفق ابن المتوكل العباسي، وكان يؤدبه في صغره، حيث صلته الوثيقة بالمتوكل وابنه الموفق، وعُرف عنه ميله الواضح إلى العلويين، مع الاحتفاظ باتجاهه مع آل الزبير قومه وعشيرته.

وقد امتاز هذا الكتاب بذكر المصنف أحداث ووقائع شاهدها بنفسه، وأخبار وقعت له، فبالطبع لم يسندها، حيث هو راويها ومشاهدها.

هذا وإن الموجود من أصل الكتاب الخطي أربعة أجزاء ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩، عن نسخة المكتبة العباسية، ونسخة جونتجن بألمانيا. وعليه النسخة المطبوعة قديمًا التي استفدنا منها واعتمدنا عليها جزئياً الله العلامة الكبير محققها خير الجزاء وجعل جهده هذا في ميزان حسناته وذخراً له عند رب العالمين.. آمين.

وقد ألحق بالكتاب جزء فيه ما هو متناثر من مرويات الموفقيات في بعض الكتب، وذلك ما يجعل الفائدة تعم بالمعرفة والجمع قدر ما في الوسع، والله من وراء القصد والسبيل لكل عمل فيه الخير رجاء رضا الجليل ومحبة العلم وأهله.

هذا وقد قمت بضبط الشكل، والتحقيق، والتخريج والعزو والتوثيق، وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وحصول بركة الأعتاب، وطمعًا في ورثة أولي الألباب.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

كتبه/أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزدي



ترجمة المصنف

هو الإمام المحدث النسابة المؤرخ الأديب قاضي مكة:

الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام أبو بكر وقيل: أبو عبد الله القرشي الأسدي الزبيري المدني.

سمع سفيان بن عيينة وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد وأبا ضمرة أنس بن عياض وأبا غزية محمد بن موسى والنضر بن شميل وأبا الحسن المدائني وعبد الله بن نافع الصائغ وإسماعيل بن أبي أويس وإبراهيم بن المنذر ومحمد بن الحسن بن زباله وعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون وأمثالهم

روى عنه ابن ماجه وابن أبي الدنيا، وعبد الله بن شبيب الربيعي وأحمد بن يحيى ثعلب ومحمد بن احمد بن البراء وأبو القاسم البغوي ويحيى بن صاعد وأحمد بن سعيد الدمشقي وأحمد بن سليمان الطوسي وهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات وأحمد بن محمد بن أبي شيبة ومحمد بن أبي الأزهر وإسماعيل بن العباس الوراق والقاضي المحاملي ويوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول وغيرهم.

وكان ثقة ثبًا عالمًا بالنسب عارفًا بأخبار المتقدمين وسائر الماضيين.

قال الدارقطني: ثقة.

وله الكتاب المصنف في نسب قريش وأخبارهم، ولي القضاء بمكة، وورد بغداد وحدث بها.

ولقي الزبير إسحاق بن إبراهيم الموصللي فقال: يا أبا عبد الله، عملت كتابًا سميته كتاب «النسب» وهو كتاب الأخبار. فقال: وأنت يا أبا محمد عملت كتابًا سميته كتاب «الأغاني» وهو كتاب المعاني.

وكان ثقة عالمًا بالنسب وأخبار المتقدمين.

من تصانيفه:

- أخبار العرب، وأيامها.

- نسب قريش وأخبارها. (جمهرة نسب قريش).

- الأوس والخزرج.

- وفود النعمان على كسرى.

- أخبار ابن ميادة.

- أخبار حسان.

- أخبار عمر بن أبي ربيعة.

- أخبار جميل.

- أخبار نصيب.

- أخبار كثير.

- أخبار ابن الدمينة.

- أخبار المجنون.

- أخبار توبة ولىلى.

- أخبار الأحوص.

- أخبار الأشعث.

- أخبار نُصيب.

- هدبة وزيادة.

وقع من فوق سطحه وأقام يومين لا يتكلم، ومات سنة ست وخمسين ومائتين.

وعاد المتوكل من الجوسق إلى المحمدية فقال له: يا زبير، من أفضل الناس

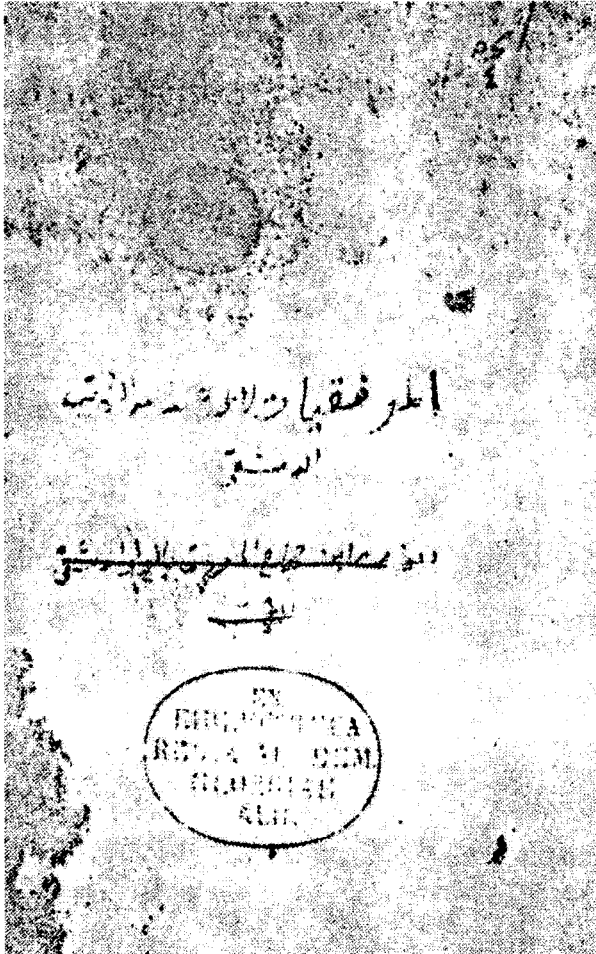
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فورد علي شيء عظيم خفت أن أقول علي

فيقول تقدمه على أبي بكر وأن أقول أبو بكر فيقول: فضلت على آل رسول الله صلى

الله عليه وسلم غيرهم.

تاريخ بغداد (٤٦٧/٨)، الوافي بالوفيات (٤٧٥/٤)، الأعلام للزركلي (٤٢/٣).

نماذج من صور المخطوط

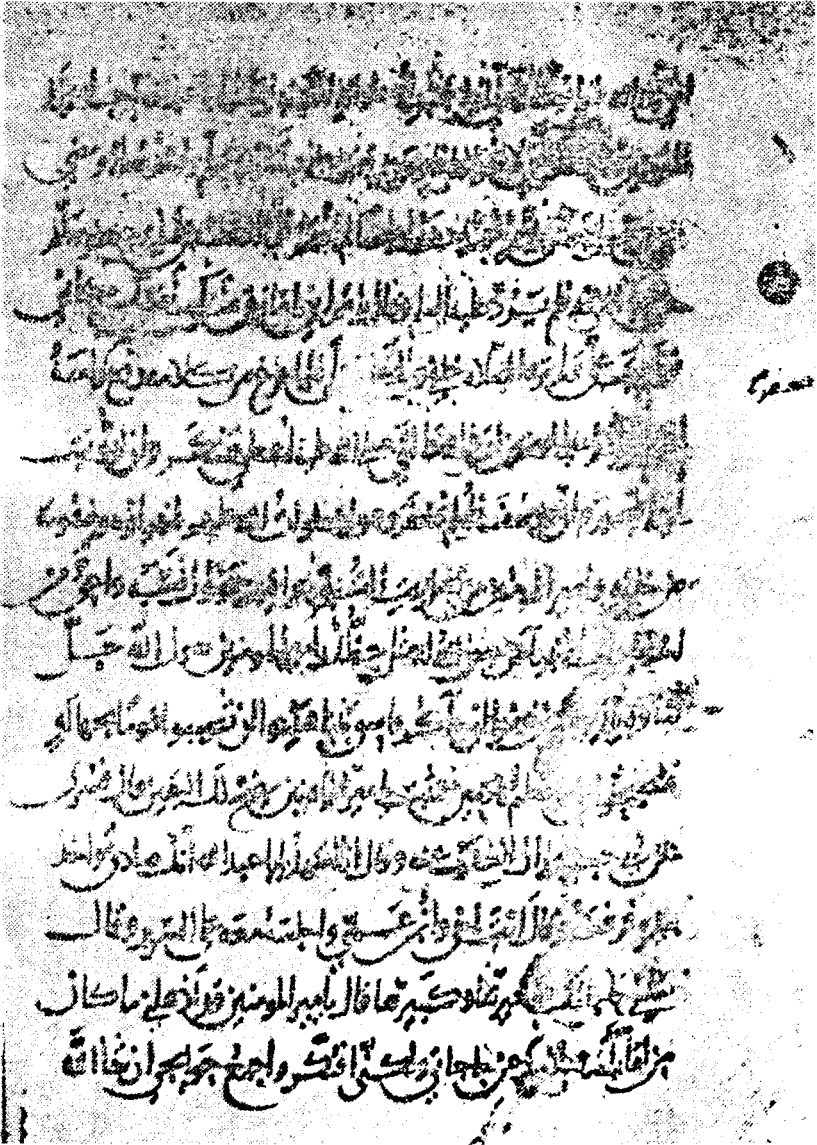


صورة غلاف المخطوط

(٢٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 عَلَى مَنْ خَلَقَهُ مُحَمَّدٌ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ أَكْرَامُ أَطَابِقُهُ
 فَهَذِهِ إِحْضَانٌ مَعَ فِقَاتِ الرَّبِّينِ الَّذِينَ
 يَتَمَلَّوْنَ بِهَا نَيْفَهُمْ بِمَا يَتَمَلَّوْنَ وَيَتَأَدَّبُ
 عَلَى حَسَنِ انْقِلَابِ فِيهَا وَهِيَ بِمَجْدٍ عَدَسٍ
 لَطَائِفُ وَأَخْبَارُ وَأَشْطَاتُ وَنَكَمَاتُ
 مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ بِأَسَانِيدِهَا
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ
 فَقَدْ مَدَدَ مِنَ النَّبِيِّ قَالَهُ حَدَّثَنِي
 النَّبِيُّ قَالَهُ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ الْحَسَنِ
 عَنْ سَالِمِ بْنِ زَيْيَادٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ

صورة الصفحة الأولى من المخطوط



صورة من المخطوط

فقال ارموا ابصاركم بحزم صارح اهل المعصية واجلوا سلفهم من
 غير منكم عظيمة ولا تكونوا اغفالا من حسن الاعتبار فتزل لكم حيا
 السطون وتنجوس حالكم بوادى المنزه ونظار قلوبكم بتقلباتها
 فتجعلكم ههنا قالوا وتثقل عليكم بطون الارض امواتنا اياي من قول
 قائل وسفه جاهل فاما بيدي وبسبكم ان اسع الغرم واصم ضمير محسب
 المطرور وواصل صيال الخنوق الموقرة انما هي المصالحه والمكافحه
 بطنيات لسيوف واصل الخنوق لموتور واسنة اليا سورا المعاد
 لكم بسوه الصباح فتاب خاب واليوب مقبور
 الاحكام مذول المزايير فانظر ولا تفكر واقلوا
 على حظوظكم وليكن اهل الطاعة من سفها بكم
 واستدبوا النعم التي ابتدأكم برغد فانكم
 من ذلك بين فضيلتين عاجل الخضر والدمه وواجل الخمر والموت
 عصمكم الله من الشيطان وقتلته وزقه وايدكم بحسن معونه وحفظه
 انهن صوارحك الله لغتض اعطيا نكر غير مقطوعه عنكم ولا مكذبه
 انشاء الله قال فخرج القوم برعد كلامه بخاق ان يكون
 السطون به حديثي الزبير ... د العزم العتيق عن
 قال جلس الوليد بن يزيد بن عبد الملك ... زمان هشام

صياح

مقدمة المصنف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد بدر
التمام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام.

أما بعد.. فهذه أخبار موفقيات للسير الذي يتأمل بها فيفهم معانيها، ويتأدب
على حُسن أظرافها، وهي مجموعة من لطائف وأخبار وأشعار ونكات من كلام الزبير
بأسانيدها- رضوان الله عليهم أجمعين - فقد ورد عن الزبير بن بكار بسنده قال:

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ
زِيَادٍ، عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ نَنْتَظِرُ الْإِذْنَ فِيهِ عَلَى الْمَنْصُورِ، فَتَدَاكُرْنَا
الْحَجَّاجُ، فَمِنَّا مَنْ حَمَدَهُ، وَمِنَّا مَنْ ذَمَّهُ، فَكَانَ مِمَّنْ حَمَدَهُ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ، وَمِمَّنْ ذَمَّهُ
الْحَسَنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَذِنَ لَنَا فَدَخَلْنَا عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ،
فَابْتَدَأَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كُنْتُ أَحْسِبُنِي أَبْقَى حَتَّى يُذَكَّرَ
الْحَجَّاجُ فِي دَارِكَ وَعَلَى بِسَاطِكُ، فَيُنْتَهَى عَلَيْهِ. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَمَا تُنَكِّرُ مِنْ ذَلِكَ؟ رَجُلٌ
اسْتَكْفَاهُ قَوْمُهُ فَكَفَاهُمْ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي وَجَدْتُ مِثْلَ الْحَجَّاجِ حَتَّى اسْتَكْفَيْهِ أَمْرِي،
وَأُنزِلُهُ الْحَرَمِينَ حَتَّى يَأْتِيَنِي أَجْلِي، قَالَ: فَقَالَ لَهُ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لَكَ
مِثْلَ الْحَجَّاجِ عَدَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ لَوْ اسْتَكْفَيْتَهُمْ كَفَوْكَ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ كَأَنَّكَ تُرِيدُ
نَفْسَكَ. قَالَ: وَإِنْ أَرَدْتَهَا فَمَهْ؟ قَالَ: كَلَّا لَسْتَ هُنَاكَ، إِنَّ الْحَجَّاجَ اسْتَمَنَهُ الْقَوْمُ فَأَدَى إِلَيْهِمُ
الْأَمَانَةَ، وَاسْتَمَنَّاكَ فَخُتِنْنَا^(١).

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَدِمَ عَلِيٌّ مِزِيدٌ مُخَنَّثٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقَالَ
لَهُ: يَا أَبِي وَأُمِّي، ذُلُّنِي عَلَى بَعْضِ مُخَنَّثِي الْمَدِينَةَ أَنْخَثْتُ مَعَهُ. فَأَتَى بِهِ دَارَ خُثَيْمٍ، وَهُوَ
شُرْطُ الْمَدِينَةِ، قَالَ: دُونَكَ صَاحِبَ هَذَا الدَّارِ، فَدَخَلَ وَخُثَيْمٌ يُصَلِّي، فَقَامَ فِي وَجْهِهِ،
فَقَالَ لَهُ خُثَيْمٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقَالَ: سَبَّحْتَ بِأَمِّ الزَّنَا فِي جَامِعَةٍ قَمَلَةٍ، انصَرِفِي، الْجَامِعَةُ:
الْقَيْدُ، وَالْقَمَلُ: أَنْ يَطُولَ حَبْسُهُ فَيَقْمَلَ قَدُهُ، حَتَّى أَتَحَدَّثَ مَعَكَ سَاعَةً، فَلَمَّا أَطَالَ خُثَيْمٌ،

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٦٩/٨).

قَالَ: تَتَسَكَّنُ زِيَادَةَ، فَأَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَقَالَ: مَا شَأْنُكَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ، وَوَصَفَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَعَرَفَ أَنَّهُ مَزِيدٌ، فَطَلَبَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ.

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: كَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقِيلٍ عَامِلًا لِلْحَجَّاجِ عَلَى الْكُوفَةِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ أَبَا صَفِيَّةَ، وَيَغْضَبُ مِنْهَا، فَاسْتَعَدَّتْ امْرَأَةٌ عَلَى زَوْجِهَا، فَأَتَاهُ صَاحِبُ الدَّعْوَى عِنْدَ الْمَسَاءِ. قَالَ: نَعَمْ أَغْدُو مَعَكَ، فَبَاتَ الرَّجُلُ يَقُولُ لَامْرَأَتِهِ: لَوْ قَدْ أَتَيْتُ الْأَمِيرَ لَقُلْتُ: يَا أَبَا صَفِيَّةَ، إِنَّهَا تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، فَيَأْمُرُ بِكَ مَنْ يُوجِعُكَ ضَرْبًا، وَجَعَلَ يُكْرِزُ عَلَيْهَا: يَا أَبَا صَفِيَّةَ، فَحَفَظَتِ الْمَرْأَةُ الْكُنْيَةَ، وَظَنَّتْ أَنَّهَا كُنْيَةُ الْأَمِيرِ، فَلَمَّا تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَضْلَحَكَ اللَّهُ يَا أَبَا صَفِيَّةَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَافَاكَ اللَّهُ، فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ: فَأَعَادَتْ، فَقَالَ لِرُؤُوسِهَا: خُذْ بِيَدَيْهَا فَإِنِّي أَظْنُهَا ظَالِمَةً.

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: قَالَ سَلْمُ بْنُ زِيَادٍ لَطَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ: أُرِيدُ أَنْ أَصِلَ رَجُلًا لَهُ حَقٌّ عَلَيَّ وَضُحْبَةٌ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَمَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنْ تَجْعَلَ هَذِهِ الْعَشْرَةَ، قَالَ: فَأَصِلُهُ بِخَمْسِ مِائَةِ أَلْفِ، قَالَ: كَثِيرٌ. فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ، قَالَ: أَفَتَرَى مِائَةَ أَلْفٍ يُفْضَى بِهَا دِمَامُ رَجُلٍ لَهُ انْقِطَاعٌ وَضُحْبَةٌ وَمَوَدَّةٌ وَحَقٌّ وَاجِبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هِيَ لَكَ وَمَا أَرَدْتُ غَيْرَكَ. قَالَ: أَقْلِنِي، قَالَ: لَا أَفْعَلُ وَاللَّهِ.

حَدَّثَنِي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الْجَعْدِيُّ بَصِيصٌ جَارِيَةٌ نَفِيسٌ، صَاحِبِ قَصْرِ نَفِيسٍ بِالْمَدِينَةِ. فَبَلَغَهُ عَنْهَا شَيْءٌ أَنْكَرَهُ، فَعَابَ عَنْهَا زَمَانًا، ثُمَّ أَتَاهَا، فَقَالَ لَهَا: تُعْنِينَ:

وَكُنْتُ أَحِبُّكُمْ فَسَلَوْتُ عَنْكُمْ عَلَيْكُمْ فِي دِيَارِكُمُ السَّلَامُ
فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَأَعْنِي:

تَحَمَّلْ أَهْلَهَا عَنْهَا فَبَاتُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ

قَالَ: فَازْدَادَ بِهَا شَغْفًا وَكَلْفًا، وَأَقَامَ مَلِيًّا يَدِيمَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: تُعْنِينَ:
وَأَحْضَعُ لِلْعَبْئِيِّ إِذَا كُنْتُ ظَالِمًا وَإِنْ ظَلِمْتُ كُنْتُ الَّذِي أُنْتَصَلُ

قَالَتْ: نَعَمْ، وَأَعْنِي:
فَإِنْ تَقَبَّلُوا تَقَبَّلْ عَلَيْكُمْ بِوَدَّتَا وَتُنزِلُكُمْ مِنَّا بِرَحْبِ الْمَنَازِلِ

قَالَ: فَتَقَاتَعَا فِي بَيْتَيْنِ، وَتَوَاصَلَا فِي بَيْتَيْنِ، وَلَمْ يَفْطِنَ مِنَ الْقَوْمِ غَيْرِي.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: قَالَ بَسِيلُ التُّرْجُمَانُ: كُنْتُ مَعَ الرَّشِيدِ فِي بِلَادِ الرُّومِ، فَلَمَّا افْتَتَحَ أَنْقَرَةَ فَإِذَا بِحَجَرٍ عَظِيمٍ مَنْصُوبٍ عَلَى بَابِ الْحِصْنِ فِيهِ كِتَابٌ بِالْيُونَانِيَّةِ، وَهِيَ الرُّومِيَّةُ الْقَدِيمَةُ، وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ وَلَدِ يُونَانَ بْنِ يُونَانَ، فَجَعَلْتُ أَقْرَأُهُ وَأَنْقَلُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَالرَّشِيدُ يَنْظُرُ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، يَا ابْنَ آدَمَ غَافِصِ الْفُرْصَةِ عِنْدَ امْتِكَانِهَا، وَكُلِّ الْأُمُورِ إِلَيَّ وَالْيَهَاءِ، وَلَا يَحْمِلُكَ إِفْرَاطِ السُّرُورِ عَلَى مَاتَمٍ، وَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ هَمَّ يَوْمٍ لَمْ يَأْتِكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِكَ يَا تَيْكَ اللَّهُ فِيهِ بَرَزُوكَ، لَا تَكُنْ أَسْوَأَ الْمَغْرُورِينَ فِي جَمْعِ الْمَالِ، فَكَمْ رَأَيْنَا مِنْ جَامِعٍ جَمَعَ مَالًا لِبَعْلِ حَلِيلَتِهِ عَلَى أَنْ تَقْتِيرَ الْمَرْءَ عَلَى نَفْسِهِ تَوْفِيرٌ مِنْهُ عَلَى خِرَانَةٍ غَيْرِهِ يَنْبَغِي لِحُكَمَاءِ الْيُونَانِ أَنْ يَنْظُرُوا فِي هَذَا الْكِتَابِ كُلِّ يَوْمٍ، قَالَ: فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا تَأْرِيخُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي سَنَةٍ^(١).

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ قَدْ قَلَّ الْمَالُ عِنْدَهُ حَتَّى ضَاقَ، وَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ الْمُعْتَصِمِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَأَنَّكَ بِالْمَالِ وَقَدْ وَافَاكَ بَعْدَ جُمُعَةٍ، قَالَ: وَكَانَ قَدْ حَمَلَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مِنْ خَرَجٍ مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ أَبُو إِسْحَاقَ لَهُ. فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَالُ، قَالَ الْمَأْمُونُ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ: اخْرُجْ بِنَا نَنْظُرْ هَذَا الْمَالِ، فَخَرَجَا حَتَّى أَصْحَرَا وَوَقَفَا يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ هُبِيَ بِأَحْسَنِ هَيْئَةٍ، وَحَلِيَتْ أَبَاعِرُهُ، وَوَأَلْبَسَتْ الْأَخْلَاسَ الْمَوْشَاةَ، وَالْجِلَالَ الْمَضْبُوعَةَ، وَقَلَدَتْ الْعِهْنَ، وَجَعَلَتْ الْبِدُورُ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَحْمَرِ وَالْأَخْضَرِ وَالْأَضْفَرِ، وَأُبْدَيْتْ رُؤُوسَهَا، قَالَ: فَتَنْظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى شَيْءٍ حَسَنٍ، وَاسْتَكْتَرَّ ذَلِكَ الْمَالُ، وَعَظُمَ فِي عَيْنِهِ، وَاسْتَشْرَفَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ، قَالَ: فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِيَحْيَى: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، يَنْصَرِفُ أَصْحَابُنَا هَوْلًا الَّذِينَ تَرَاهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ خَائِبِينَ وَتَنْصَرِفُ نَحْنُ بِهَذِهِ الْأَمْوَالِ قَدْ مَلَكْنَاهَا دُونَهُمْ! إِنَّا إِذَا لِلنَّامِ، ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزْدَادَ، فَقَالَ: وَقَعَ لِفُلَانٍ بِأَلْفِ أَلْفٍ، وَلِفُلَانٍ بِمِثْلِهَا، وَلِفُلَانٍ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ، وَلِفُلَانٍ بِمِثْلِهَا. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنْ زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى فَوْقَ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَرِجْلُهُ فِي رِكَابِهِ. ثُمَّ قَالَ: ادْفَعِ الْبَاقِي إِلَى الْمُعَلَّى لِعَطَاءِ جُنْدِنَا، قَالَ: فَقَالَ الْعَيْشِيُّ: فَجِئْتُ حَتَّى قُمْتُ نُضَبَ عَيْنَيْهِ فَلَمْ أَرُدُّ طَرْفِي عَنْهُ، فَجَعَلَ لَا

(١) أخرجه الطبري (٦٩/٩).

يَلْحَظُنِي إِلَّا رَأَيْتُكَ الْحَالِ. فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، وَقَعَ لِهَذَا بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مِنْ السِّتَّةِ الْأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ لَا يَخْتَلِسُ نَاطِرِي. قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ عَلَيَّ لَيْلَتَانِ حَتَّى أَخَذْتُ الْمَالَ^(١).

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: قَالَ: لَمَّا سَارَ الْمَأْمُونُ إِلَى دِمَشْقَ ذَكَرُوا لَهُ أَبَا مُسَهِّرَ الدِّمَشْقِيِّ وَوَصَفُوهُ بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، فَوَجَّهَ مِنْ جَاءِ بِهِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] قَالَ: أَمْخَلُوقٌ، أَمْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قَالَ: مَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ. قَالَ: بِخَبَرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ عَنِ الصَّحَابَةِ، أَوْ عَنِ التَّابِعِينَ، أَوْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ؟ قَالَ: بِالنَّظَرِ، وَاحْتِجَّ عَلَيْهِ قَالَ: يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ مَعَ الْجُمْهُورِ الْأَعْظَمِ، أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. قَالَ: يَا شَيْخُ، أَخْبِرْنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَكَانَ يُشْهَدُ إِذَا تَزَوَّجَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. قَالَ: أَخْرُجْ، قَبَّحَكَ اللَّهُ، وَقَبَّحَ مَنْ قَلَّدَكَ دِينَهُ وَجَعَلَكَ قُدُورَةً.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْأَنْمَاطِيِّ، وَكَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْعَشْرَةِ، قَالَ: تَعَدَّنَا فِي يَوْمٍ عِيدٍ مَعَ الْمَأْمُونِ، فَأَطَّئُهُ قَدْ وَضَعَ عَلَى الْمَائِدَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ لَوْنٍ. قَالَ: فَكَلَّمَا وَضَعَ لَوْنٌ، نَظَرَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: هَذَا نَافِعٌ لِكَذَا ضَارٌّ مِنْ كَذَا، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ صَاحِبٌ صَفْرَاءَ فَلْيَأْكُلْ مِنْ هَذَا، وَمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَلَا يَغْرِضْ لِهَذَا، وَمَنْ أَحَبَّ الزِّيَادَةَ فِي لَحْمِهِ فَلْيَأْكُلْ مِنْ هَذَا، وَمَنْ قَصَدَهُ قَلَّةُ الْغِنَاءِ فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنْ تِلْكَ حَالُهُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ يُقَدِّمُ، حَتَّى زُفِعَتِ الْمَوَائِدُ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ حُضُنَا فِي الطَّبِّ كُنْتَ جَالِيئُوسَ فِي مَعْرِفَتِهِ، أَوْ فِي الشُّجُومِ كُنْتَ هَرَمِسَ فِي حِسَابِهِ، أَوْ فِي الْفِقْهِ كُنْتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عِلْمِهِ، أَوْ فِي السَّخَاءِ فَأَنْتَ حَاتِمُ طَيْبِي فِي جُودِهِ، أَوْ صِدْقِ الْحَدِيثِ فَأَنْتَ أَبُو دَرٍّ فِي صِدْقِ لَهْجَتِهِ، أَوْ الْكَرَمِ، فَأَنْتَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ فِي إِبَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ. قَالَ: فَسَرَّ بِذَلِكَ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا فَضِّلَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْهَوَامِّ بِفِعْلِهِ وَعَقْلِهِ وَتَمَيُّزِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ

(١) أخرجه وكيع في أخبار القضاة (١٦٠/٢).

يَكُنْ لَحْمٌ أَطِيبٌ مِنْ لَحْمٍ وَلَا دَمٌ أَطِيبٌ مِنْ دَمٍ^(١).

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، كَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ هَمَّ بِلِغْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَفُتَاهُ عَنْ ذَلِكَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْعَامَةَ لَا تَحْتَمَلُ هَذَا، وَسَيِّمًا أَهْلُ خُرَاسَانَ، وَلَا تَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ نَفْرَةً، وَإِذَا كَانَتْ لَمْ تَدْرِ مَا عَاقِبَتُهَا، وَالرَّأْيُ أَنْ تَدَعَ النَّاسَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَا تَظْهَرِ لَهُمْ أَنَّكَ تَمِيلُ إِلَى فِرْقَةٍ مِنَ الْفِرْقِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَصْلَحُ فِي السِّيَاسَةِ، وَأَخْرَى فِي التَّدْبِيرِ، قَالَ: فَزَكَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى قَوْلِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَامَةُ، قَالَ: يَا ثُمَامَةُ، قَدْ عَلِمْتُ مَا كُنَّا دَبَّرْنَاهُ فِي مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ عَارَضْنَا رَأْيَ أَصْلَحُ فِي تَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ، وَأَبْقَى ذِكْرًا فِي الْعَامَةِ. ثُمَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ خَوْفُهُ إِيَّاهَا، وَأَخْبَرَهُ بِنُفُورِهِ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ، فَقَالَ ثُمَامَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْعَامَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهَا يَحْيَى، وَاللَّهُ لَوْ وَجَّهَتْ إِنْسَانًا عَلَى عَاتِقِهِ سَوَادًا لَسَاقَ إِلَيْكَ بِعِصَاهِ عَشْرَةَ آلَافٍ مِنْهَا. وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا رَضِيَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَنْ سَوَّاهَا بِالْإِنْعَامِ حَتَّى جَعَلَهُمْ أَصْلًا مِنْهَا سَبِيلًا. وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ مَرَزْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ فِي شَارِعِ الْخُلْدِ وَأَنَا أُرِيدُ الدَّارَ، فَإِذَا إِنْسَانٌ قَدْ بَسَطَ كِسَاءَهُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ أَدْوِيَةً، وَهُوَ قَائِمٌ يُنَادِي عَلَيْهَا: هَذَا الدَّوَاءُ لِبَيَاضِ الْعَيْنِ وَالْغِشَاوَةِ، وَضَعْفِ الْبَصْرِ وَإِنْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ لَمَطْمُوسَةٌ، وَالْأُخْرَى لَمُوشِكَةٌ. وَالنَّاسُ قَدْ انْتَالُوا عَلَيْهِ، وَأَجْفَلُوا إِلَيْهِ يَسْتَوْصِفُونَهُ فَتَرَلْتُ عَنْ ذَاتِي، وَدَخَلْتُ فِي غِمَارِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ، فَقُلْتُ: يَا هَذَا، عَيْنَاكَ أَحْوَجُ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيُنِ إِلَى الْعِلَاجِ، وَأَنْتَ تَصِفُ هَذَا الدَّوَاءَ، وَتُخْبِرُ أَنَّهُ شِفَاءٌ لَوْجِعِ الْأَعْيُنِ، فَلِمَ لَا تَسْتَعْمِلُهُ؟ فَقَالَ: أَنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً، مَا مَرَّ بِي شَيْخٌ أَجْهَلُ مِنْكَ. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَا جَاهِلُ، أَتَدْرِي أَيْنَ اشْتَكَّتْ عَيْنِي؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: بِمِضْرٍ، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ الْجَمَاعَةَ، فَقَالُوا: صَدَقَ الرَّجُلُ، أَنْتَ جَاهِلٌ، وَهَمُّوا بِي، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ عَيْنَهُ اشْتَكَّتْ بِمِضْرٍ. قَالَ: فَمَا تَحَلَّضْتُ مِنْهُمْ إِلَّا بِهَذِهِ الْحُجَّةِ، قَالَ: فَصَحَّكَ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: مَاذَا لَقَيْتَ الْعَامَةَ مِنْكَ؟ قُلْتُ: الَّذِي لَقَيْتُ مِنَ اللَّهِ مِنْ سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَبْحِ الذِّكْرِ أَكْثَرَ، قَالَ: أَجَلْ.

حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنِ السَّرِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩١/٣٣).

السُّعْبِي، قَالَ: قَالَ لِي شُرَيْحُ الْقَاضِي: مَا غَلَبَنِي فِي الْجَوَابِ أَحَدٌ قَطُّ كَرَجُلٍ أَتَانِي يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ حِينَ صَلَّيْتُ الْغَدَاةَ وَمَعَهُ خِصْمٌ لَهُ، وَعَلَى الْفَتَى جُمَةٌ لَهُ كَأَنَّهَا قَتَادَةٌ قَدِرٌ رَطَلُهَا، فَتَكَادُ تَقْطُرُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ غَاظَنِي، فَقُلْتُ لَهُ: أَمَا كَانَ لَكَ هِمَّةٌ مُنْذُ أَصْبَحْتَ إِلَّا شَعْرَكَ هَذَا تُرْطِلُهُ، فَقَالَ لِي الْفَتَى: لَيْسَ لِهَذَا جَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، إِنَّمَا جَلَسْنَا نَتَخَاصَمُ إِلَيْكَ، فَأَمَا أَنْ تَكُونَ مُحْتَسِبًا عَلَى الشَّعْرِ فَلَا، فَأَغْضَيْتَنِي. فَقُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْتَ مُعْجَبًا بِنَفْسِكَ؟ قَالَ: أَنَا إِذَا زَهَدْتُ فِي نَفْسِي، فَمَنْ يُعْجَبُ فِيهَا؟ قَالَ شُرَيْحٌ: فَقُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْتَ تَكْثُرُ الْكَلَامُ! فَقَالَ الْفَتَى: فَمَنْ يُعْتَبِرُ حُجَّتِي إِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ؟ قَالَ شُرَيْحٌ: قُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَرَأَيْتَ ظَالِمًا. قَالَ الْفَتَى: لَيْسَ عَلَى ظَنِّكَ تَقْضِي بَيْنَنَا، إِنَّمَا يَتَّبِعِي أَنْ تَقْضِيَ بِالْحَقِّ الْوَاضِحِ، وَتَدَعِ الظَّنَّ.

قَالَ شُرَيْحٌ: فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ أَمَارِحَهُ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْسُرُكَ أَنْكَ فِي مَجْلِسِي هَذَا عَلَى الْقَضَاءِ؟ فَقَالَ: أَمَا وَأَنَا آخِذٌ عَلَيْهِ الْكِرَاءِ مِثْلَكَ فَلَا، وَلَكِنْ مُحْتَسِبًا لِلْمُسْلِمِينَ. قَالَ شُرَيْحٌ: فَأَحْجَلَنِي وَاللَّهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعَرَبِي أَنْتَ مُرَوِّجُهَا؟ فَقَالَ: اطْلُبْ. قَالَ: مِنْ مِظَانِهِ، يَعْنِي مِنْ قَبِيلِ النِّسَاءِ. قَالَ شُرَيْحٌ: فَتَرَكْتُ مَجْلِسِي ذَلِكَ وَقُمْتُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِمْ، فَتَادَيْتُ فَحَرَجْتُ إِلَيَّ الْجَارِيَةُ، فَكَلَّمْتَنِي مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا شُرَيْحٌ. فَقَالَتْ: الْقَاضِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَتْ: حَيَّاكَ اللَّهُ يَا أَبَا أُمِيَّةَ، حَاجَتُكَ؟ قُلْتُ: أَرَدْتُ فُلَانَةَ، أَعْنِي أُمَّهَا. قَالَتْ: هِيَ غَائِبَةٌ، وَأَنَا خَلِيفَتُهَا فِي الْمَنْزِلِ. قُلْتُ: أَتَيْتُهَا خَاطِبًا فُلَانَةَ ابْنَتَهَا، فَاسْتَحَيْتُ مِنِّي وَتَسَوَّرَتْ مِنِّي، فَبَعَثْتُ إِلَيْ أُمِّهَا وَأَهْلِهَا فَجَمَعْتُهُمْ وَتَرَوَّجْتُهَا، وَبَعَثْتُ الْمَالَ، وَنَقَدْتُهُمْ مِنْ سَاعَتِي. وَقُلْتُ لَهُمْ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكُمْ إِنْ بَاتَتْ إِلَّا عِنْدِي. فَقَالُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ، أَنْصَعُهَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَسْبِي مَا رَأَيْتُ، فَهَيَّئُوهَا ثُمَّ زَفُوهَا إِلَيَّ مِنْ لَيْلَتِهِمْ، فَأَقْبَلْتُ تَهْدِيهَا النِّسَاءَ، فَلَمَّا وَقَفْتُ بِبَابِ الْحُجْرَةِ سَلَّمْتُ فَاسْتَجَفَى ذَلِكَ النِّسَاءُ مِنْهَا. ثُمَّ دَخَلَتِ الْبَيْتَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَقُلْتُ: أَتَيْتُهَا الْمَرْأَةُ، إِنَّ السُّنَّةَ إِذَا دَخَلَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجِهَا قَامَ فَصَلَّى وَتُصَلِّيَ خَلْفَهُ، وَيَسْأَلَانِ اللَّهَ خَيْرَ لَيْلَتِهِمَا، وَيَعْعُودَانِ بِاللَّهِ مِنْ سَرِّهَا. قَالَ: فَتَقَدَّمْتُ لِلصَّلَاةِ، فَإِذَا هِيَ خَلْفِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا انْفَلَتُ إِذَا هِيَ قَاعِدَةٌ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأَخَذْتُ بِنَاصِيَتِهَا فَدَعَوْتُ وَبَرَّكْتُ، ثُمَّ مَدَدْتُ يَدِي، فَقَالَتْ: عَلَى رِسْلِكَ، فَقُلْتُ: إِحْدَى الدَّوَاهِي مُنِيَتْ بِهَا وَاللَّهِ، فَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي امْرَأَةٌ غَرِيبَةٌ، لَا وَاللَّهِ، مَا

سَزْتُ مَسِيرًا قَطُّ هُوَ أَشَقُّ عَلَيَّ مِنْ مَسِيرِي إِلَيْكَ، وَأَنْتَ رَجُلٌ لَا أَعْرِفُ أَخْلَاقَكَ، فَحَدِّثْنِي بِمَا تُحِبُّ فَآتِيَهُ، وَمَا تَكْرَهُ فَأَنْزِجْ عَنْهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. قَالَ: فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، أَمَا بَعْدُ: فَقَدِمْتُ خَيْرَ مَقْدَمٍ عَلَى أَهْلِ زَوْجِكَ، سَيِّدِ رَجَالِهِمْ، وَأَنْتِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ. أَحِبُّ كَذَا، وَأَكْرَهُ كَذَا. قَالَتْ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَحْتَانِكَ، أَتُحِبُّ أَنْ يَزُوروكَ؟ فَقُلْتُ: إِنِّي رَجُلٌ قَاضٍ، وَأَكْرَهُ أَنْ يَمْلُونِي. قَالَ: فَبِتُّ بِأَعْيَشِ لَيْلَةٍ، ثُمَّ أَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، فَلَبِثْتُ فِيهِ حَوْلًا لَا أَرَى فِيهِ يَوْمًا إِلَّا وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ رَأْسِ السَّنَةِ انْصَرَفْتُ مِنْ مَجْلِسِ الْقَضَاءِ إِلَى مَنْزِلِي، فَإِذَا عَجُوزٌ تَأْمُرُ وَتَنْهَى، فَقَالَتْ: كَيْفَ أَنْتِ يَا أَبَا أُمَيَّةَ؟ قُلْتُ: يَا زَيْنَبُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: خَتْنَتُكَ فُلَانَةُ، تَغْنِي أُمَّهَا. قُلْتُ: حَيَّاكَ اللَّهُ بِالسَّلَامِ، كَيْفَ أَنْتِ يَزَحْمُكَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: كَيْفَ رَأَيْتِ صَاحِبَتِكَ؟ قُلْتُ: كَخَيْرِ امْرَأَةٍ. قَالَتْ: إِنْ الْمَرْأَةُ لَا تَكُونُ فِي حَالٍ أَشْوَأَ خُلُقًا مِنْهَا فِي حَالَيْنِ: إِذَا حَظِيَتْ عِنْدَ زَوْجِهَا، وَإِذَا وَلَدَتْ غُلَامًا، فَإِذَا رَأَيْتِ مِنْ أَهْلِكَ شَيْءًا فَالسُّوْطُ، فَإِنَّ الرَّجَالَ، وَاللَّهُ، مَا حَازَتْ إِلَى بُيُوتِهَا شَيْئًا سَرًّا مِنَ الزُّوْهَاءِ الْحَمَقَاءِ الْمُدَلَّلَةِ. قُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّهَا ابْنَتُكَ، قَدْ كَفَيْتَنَا الرِّيَاضَةَ، وَأَحْسَنْتِ الْأَدَبَ. قَالَ: وَكَانَتْ تَأْتِي فِي كُلِّ سَنَةٍ تُوصِينِي بِهِذِهِ الْوَصِيَّةِ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ حَيْثُ أَقُولُ^(١):

إِذَا زَيْنَبُ زَارَهَا أَهْلَهَا حَشَدْتُ وَأَكْرَمْتُ زُورَهَا
وَإِنْ هِيَ زَارَتْهُمْ زُرَّتْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي هَوَى دَارَهَا

قَالَ: فَأَقَامَتْ عِنْدِي عَشْرِينَ سَنَةً، فَمَا غَضِبْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا، وَلَا لَيْلَةً إِلَّا يَوْمًا كُنْتُ لَهَا ظَالِمًا، كُنْتُ إِمَامَ قَوْمِي، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتِي الْفَجْرِ، فَأَبْصَرْتُ عَقْرَبًا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي رَكَعْتُ فِيهِ، وَأَقَامَ الْمَوْدِنُ فَعَجِلْتُ عَنْ قَتْلِهَا، فَأَكْفَأْتُ عَلَيْهَا إِنَاءً، فَلَمَّا كُنْتُ عِنْدَ الْبَابِ، قُلْتُ: يَا زَيْنَبُ، إِيَّاكَ وَالْإِنَاءَ حَتَّى أَرْجِعَ. فَعَجِلْتُ فَحَرَكَتُهُ، فَجِئْتُ وَقَدْ ضَرَبَتْهَا الْعَقْرَبُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَمْرُسُ إِصْبَعَهَا، وَأَقْرَأُ عَلَيْهَا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَالْمَعْوَدَتَيْنِ. وَكَانَ لِي جَارٌ مِنْ كِنْدَةَ، يُقَالُ لَهُ: مَيْسَرَةٌ، لَا يَزَالُ يَقْرَعُ امْرَأَتَهُ، فَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ:

(١) ذكره أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» (١٦/٢١٤).

رَأَيْتُ رَجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ زَيْنَبَا
 أَضْرِبُهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ أَتَتْ بِهِ إِلَيَّ فَمَا غَدَرِي إِذَا كُنْتُ مُذْنِبَا
 فَتَاةٌ تَزِينُ الْحَلِيَّ إِنَّ هِيَ زَيْنَتْ كَأَنَّ فِيهَا الْمِسْكَ خَالِطَ مَحَلْبَا
 فَلَوْ كُنْتُ يَا شِعْبِي صَادَفْتَ مِثْلَهَا لَعِشْتَ زَمَانًا نَاعِمَ الْبَالِ مُحْصَبَا

وَكَانَتْ أَقَامَتْ مَعِي يَا شِعْبِي عِشْرِينَ سَنَةً لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْهَا، فَأَفْسَدَتْ عَلَيَّ
 النِّسَاءَ، لَمْ أَتَزَوَّجْ بَعْدَهَا، وَوَدِدْتُ يَا شِعْبِي أَيَّ تَبِعْتَهَا، فَقَدْ أَبْغَضْتُ الْعَيْشَ بَعْدَهَا،
 فَعَلَيْكَ يَا شِعْبِي بِنِسَاءِ بَنِي تَمِيمٍ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ: أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ جَمَعَ بَيْنِهِ
 ذَاتَ يَوْمٍ: الْوَلِيدَ، وَسُلَيْمَانَ، وَمَسْلَمَةَ، فَاسْتَفْرَأَهُمْ فَقَرَّوْا، وَاسْتَشَدَّهُمْ فَأَنْشَدُوا لِكَلِّ
 شَاعِرٍ غَيْرِ الْأَعْشَى، فَقَالَ لَهُمْ: قَرَأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ، وَأَنْشَدْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ لِكَلِّ شَاعِرٍ غَيْرِ
 الْأَعْشَى، فَمَا لَكُمْ تَهْجُرُونَهُ؟ فَقَدْ أَحَدَ فِي كَلِّ فَنِّ فَأَحْسَنَ، وَمَا امْتَدَحَ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا
 جَعَلَهُ مَذْكُورًا. هَذَا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ، وَهُمَا مِنْ بَيْتِ وَاحِدٍ، هَجَا
 عَلَقَمَةَ فَأَخَمَلَهُ، وَكَانَ شَرِيفًا مَذْكُورًا، وَمَدَحَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَرَفَعَهُ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ:
 لِيُنْشِدْنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَرْقَى بَيْتِ قَالَتَهُ الْعَرَبُ، وَلَا يَفْحِشُ وَلَا يَسْتَحِينُ مِنْ إِنْشَادِ،
 هَاتِ يَا وَلِيدُ، فَقَالَ الْوَلِيدُ:

مَا مَرَكَبٌ وَرَكُوبُ الْحَيْلِ يُعْجِبُنِي كَمَرَكَبٍ بَيْنَ دُمُلُوجٍ وَخَلْخَالِ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَهَلْ يَكُونُ فِي الشَّعْرِ أَرْقَى مِنْ هَذَا؟ هَاتِ يَا سُلَيْمَانُ، فَقَالَ:

حَبْدًا رَجَعَهَا إِلَيْهَا يَدَيْهَا فِي ذُرَا دَرَعَهَا تَحُلُّ الْإِزَارَا

قَالَ: لَمْ تُصِبْ، هَاتِ يَا مَسْلَمَةُ. قَالَ مَسْلَمَةُ:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمِيكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ

قَالَ: كَذَتْ وَلَمْ تُصِبْ إِذَا ذَرَفَتْ عَيْنَاهَا بِالْوُجْدِ فَمَا بَقِيَ إِلَّا اللَّقَاءُ، إِنَّمَا يَنْبَغِي
 لِلْعَاشِقِ أَنْ يَقْتَضِي مِنْهَا الْجَفَاءَ وَيَكْسُوهَا الْمَوَدَّةَ، أَنَا مُؤَجِّلُكُمْ فِي هَذَا الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،
 عَلَى أَنْ لَا تَسْأَلُوا عَنْهُ أَحَدًا، فَمَنْ أَتَانِي بِهِ فَلَهُ حِكْمَةٌ. فَهَضُّوْا وَخَرَّجُوا عَنْهُ، فَبَيْنَا
 سُلَيْمَانُ فِي مَوْكِبٍ لَهُ إِذَا هُوَ بِأَعْرَابِيٍّ يَسُوقُ إِبِلًا وَهُوَ يَقُولُ:

لَوْ حُزُّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لَمَالَ يَهْوِي سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأْسِي

فَقَالَ سُلَيْمَانُ: عَلَيَّ بِالْأَعْرَابِيِّ، فَأْتِي بِهِ، فَوَكَّلَ بِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا وَرَاءَكَ يَا سُلَيْمَانُ؟ قَالَ: قَدْ أَجْبَنْتُكَ إِلَى مَا سَأَلْتَ عَنْهُ، وَجِئْتُكَ بِالْبَيْتِ. قَالَ: هَاتِهِ، فَأَنْشَدَهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَحَسَنْتَ، أُنَى لَكَ هَذَا؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: حَاجَتُكَ وَلَا تَنْسَ حَظَّ صَاحِبِكَ؟ قَالَ: حَاجَتِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَهْدَ الْعَهْدِ لَيْسَ بِمَقْرُوبٍ أَجَلًا، وَلَا تَزُكَّةٌ بِمُبَاعِدٍ حَتْفًا، وَقَدْ عَهَدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْوَلِيدِ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيَّ بَعْدَهُ فَعَلَ. قَالَ: نَعَمْ، فَأَقَامَ الْحُجَّ لِلنَّاسِ بِمَكَّةَ وَوَصَلَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَجَعَلَهَا لِلْأَعْرَابِيِّ، وَهِيَ سَنَةٌ إِحْدَى وَثَمَانِينَ.

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: بَيْنَمَا الْمَأْمُونُ فِي بَعْضِ مَعَاذِرِهِ يَسِيرُ مُتَفَرِّدًا عَنْ أَصْحَابِهِ وَمَعَهُ عُجَيْفُ بْنُ عُنْبَسَةَ، إِذْ طَلَعَ رَجُلٌ مُتَخَبِطٌ مُتَكَفِّنٌ، فَلَمَّا عَايَنَهُ الْمَأْمُونُ وَقَفَ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى عُجَيْفٍ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، أَمَا تَرَى صَاحِبَ الْكَفْنِ مُقْبِلًا يُرِيدُنِي؟ قَالَ عُجَيْفٌ: أَعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا كَذَّبَ الرَّجُلُ أَنْ وَقَفَ عَلَى الْمَأْمُونِ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا صَاحِبَ الْكَفْنِ، مَنْ أَنْتَ؟ وَإِلَى مَنْ قَصَدْتَ؟ قَالَ: إِيَّاكَ أَرَدْتُ، قَالَ: وَعَرَفْتَنِي؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَعْرِفْكَ مَا قَصَدْتُكَ، قَالَ: أَفَلَا سَلَّمْتَ عَلَيَّ؟ قَالَ: لَا أَرَى السَّلَامَ عَلَيْكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِإِفْسَادِكَ الْعِزَّةَ عَلَيْنَا. قَالَ عُجَيْفٌ: وَأَنَا أَلَيْنُ مَثْنُ سَيْفِي لِثَلَا يُبْطِئُ ضَرْبَ رَقَبَتِي، إِذْ التَفَّتْ الْمَأْمُونُ، فَقَالَ: يَا عُجَيْفُ، إِنِّي جَائِعٌ وَلَا رَأْيَ لِلجَائِعِ، فَحُدُّهُ إِلَيْكَ حَتَّى أَتَعَدَّى وَأَدْعُو بِهِ. فَتَنَاوَلَهُ عُجَيْفٌ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا صَارَ الْمَأْمُونُ إِلَى رَحْلِهِ دَعَا بِالطَّعَامِ، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَمَرَ بِرَفْعِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُسِيعُهُ حَتَّى أَنَاظِرَ خَضْمِي، يَا عُجَيْفُ عَلَيَّ بِصَاحِبِ الْكَفْنِ. قَالَ: فَلَمَّا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: هِيه يَا صَاحِبَ الْكَفْنِ، مَاذَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَرَى السَّلَامَ عَلَيْكَ لِإِفْسَادِكَ الْعِزَّةَ عَلَيْنَا. قَالَ: بِمَاذَا أَفْسَدْتُهَا؟ قَالَ: بِإِطْلَاقِكَ الْحَمْرَ يُبَاعُ فِي عَسْكَرِكَ، وَقَدْ حَرَّمَهَا اللَّهُ، فَابْدَأْ بِعَسْكَرِكَ فَنُظِّفْهُ، ثُمَّ أَقْصِدِ الْعِزَّةَ، وَبِمَ اسْتَحَلَلْتَ أَنْ تُبَيِّحَ شَيْئًا حَرَّمَهُ اللَّهُ كَهَيْئَةِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ؟ [قَالَ]: أَوْ قَدْ عَرَفْتَ الْحَمْرَ أَنَّهَا تُبَاعُ ظَاهِرًا وَرَأَيْتَهَا؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَرَهَا وَتَصَحَّ عِنْدِي مَا وَقَفْتُ هَذَا الْمَوْقِفَ. قَالَ: فَشَيْءٌ سِوَى الْحَمْرِ أَنْكَرْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِظْهَارِكَ الْجَوَارِي الْعَمَارِيَّاتِ، وَكَشْفَهُنَّ الشُّعُورَ مِنْهُنَّ بَيْنَ أَيْدِينَا كَأَنَّهُنَّ الْأَقْمَارُ. يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِمَّا يُرِيدُ أَنْ يُهْرَاقَ دَمُهُ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَعْقِرَ جَوَادَهُ، قَاصِدًا أَعْدَاءَ اللَّهِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِنَّ أَفْسَدَنَ قَلْبَهُ وَرَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنْصَاعَ إِلَيْهَا، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ الْمَأْمُونُ: نَعَمْ، صَدَقْتَ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، وَسَأَخْبِرُكَ بِالْعُذْرِ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا، وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَى رَأْيِكَ، فَشَيْءٌ سِوَى هَذَا أَنْكَرْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، شَيْءٌ أَمْرٌ وَأَحْتُ عَلَيْهِ، حَرَجَ نَاهِيكَ يَنْهَانَا عَنْهُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتَ أَنْ تَنْهَى عَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ؟ قَالَ: أَمَا الَّذِي يَدْخُلُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ فِي الْمُنْكَرِ، فَإِنِّي أَنْهَاهُ وَقَدْ نَهَيْتُهُ، وَأَمَا الَّذِي يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ بِالْمَعْرِفَةِ، فَإِنِّي أَحْتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَأَخْذُوهُ عَلَيْهِ، فَشَيْءٌ سِوَى هَذِهِ الثَّلَاثِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: يَا صَاحِبَ الْكَفَنِ، أَمَا الْحَمْرُ لِعَمْرِي لَقَدْ حَرَمَهَا اللَّهُ، وَلَكِنْ لَا تُعْرِفُ إِلَّا بِثَلَاثِ جَوَارِحَ: بِالنَّظَرِ وَالشَّمِّ وَالشُّرْبِ، أَفَتَشْتَرِيهَا أَنْتَ؟ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُنْكَرَ مَا أَشْرَبْتُ. قَالَ: فَيُمْكِنُ فِي وَفْتِكَ هَذَا أَنْ تُوقِفَنَا عَلَى بَيْعِهَا حَتَّى نُوَجِّهَ مَعَكَ مَنْ يَشْتَرِي مِنْهَا؟ قَالَ: وَمَنْ يُظْهِرُهَا وَيَبِيعُهَا، وَعَلَيَّ هَذَا الْكَفَنُ؟ قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا عَرَفْتَهَا بِهَاتَيْنِ الْجَارِحَتَيْنِ. يَا عُجَيْفُ، عَلَيَّ بِقَوَارِيرَ فِيهَا شَرَابٌ. فَانْطَلَقَ عُجَيْفٌ فَاتَاهُ بَعْشَرِينَ قَارُورَةً، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ عَشْرِينَ وَصِيفًا. ثُمَّ قَالَ: يَا صَاحِبَ الْكَفَنِ، نُفَيْتُ مِنْ آبَائِي الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيَيْنِ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَمْرُ فِيهَا. فَأَيُّهَا الْحَمْرُ؟ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْرَ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا يَجُوزُ لِي أَنْ أَحُدَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِعَلَامَةٍ أَوْ شَاهِدِي عَدْلٍ أَوْ إِقْرَارٍ. فَنَظَرَ صَاحِبُ الْكَفَنِ إِلَى الْقَوَارِيرِ، وَقَالَ عُجَيْفٌ: أَيُّهَا الرَّجُلُ وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ حَمْرًا مَا عَرَفْتَ مَوْضِعَ الْحَمْرِ بِعَيْنَيْهَا مِنْ هَذِهِ الْقَوَارِيرِ. فَوَضَعَ نَظْرَهُ عَلَى قَارُورَةٍ، فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ الْحَمْرُ. فَدَعَا الْمَأْمُونُ بِالْقَارُورَةِ، فَأَتَى بِهَا، فَذَاقَهَا فَقَطَّبَ، ثُمَّ التَّمَّتْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا صَاحِبَ الْكَفَنِ، انْظُرْ هَذِهِ الْحَمْرُ. قَالَ: فَتَنَاوَلَ الرَّجُلُ الْقَارُورَةَ فَذَاقَهَا، فَإِذَا حَلٌّ ذَابِحٌ. قَالَ: قَدْ خَرَجَتْ هَذِهِ مِنْ حَدِّ الْحَمْرِ. قَالَ الْمَأْمُونُ: صَدَقْتَ، إِنَّ الْحَلَّ الْمَصْنُوعَ مِنَ الْحَمْرِ لَا يَكُونُ خَلًّا حَتَّى يَكُونَ حَمْرًا أَوْلَا، وَاللَّهُ مَا كَانَتْ هَذِهِ حَمْرًا قَطُّ، وَمَا هُوَ إِلَّا مَاءٌ زَمَانٍ حَامِضٌ يُعَصِّرُ لِي فَأَصْطَبُحُ بِهِ. سَاعَتَهُ قَدْ سَقَطَتْ جَارِحَتَانِ وَبَقِيَ الشَّمُّ، يَا عُجَيْفُ صَبِّرْهَا فِي رِصَاصِيَّاتٍ وَائْتِ بِهَا. قَالَ: فَفَعَلَ، فَعُرِضَتْ عَلَى صَاحِبِ الْكَفَنِ، فَشَمَّهَا، فَوَقَعَ مَسْمُومًا عَلَى قَارُورَةٍ مُبْحَتَجٍ، فَقَالَ: هَذِهِ، فَأَخَذَهَا الْمَأْمُونُ فَصَبَّهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، قَدْ عَقَدْتَهَا النَّارُ كَأَنَّهَا طَلَاءُ الْإِبِلِ يُقَطَّعُ بِالسِّكِّينِ. وَقَدْ سَقَطَتْ إِحْدَى الثَّلَاثِ الَّتِي أَنْكَرْتَ يَا صَاحِبَ الْكَفَنِ. ثُمَّ رَفَعَ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ

بَنَيْهِ هَذَا وَنَظَرَايِهِ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ فِي أَعْظَمِ الْمُنْكَرِ، سَنَعْتَ عَلَى قَوْمٍ بَاعُوا مِنْ هَذَا
الْحُمْرِ وَمِنْ هَذَا الْمُبْتَحَجِ الَّتِي سَمَمْتَ، فَبِمَ تَسْلَمُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ؟ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ ذَنْبَكَ
هَذَا الْعَظِيمِ، وَتُبَّ إِلَيْهِ. مَا الثَّانِي الَّذِي أَنْكَرْتَهُ؟ قَالَ: الْجَوَارِي. قَالَ: صَدَقْتَ، أَخْرَجْتَهُنَّ
إِبْقَاءَ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ كَرَاهَةً أَنْ يَرَاهُنَّ الْعَدُوُّ وَالْغِيُوثُ وَالْجَوَاسِيسُ فِي الْعَمَارِيَّاتِ
وَالْقَبَابِ، وَالسُّجُوفِ عَلَيْهِنَّ، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُنَّ بَنَاتٌ وَأَحْوَاتٌ فَيَجِدُوا فِي قِتَالِنَا، وَيَحْرِضُوا
عَلَى الطَّلِبَةِ عَلَى مَا فِي أَيْدِينَا إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُنَّ إِمَاءٌ نَقِيَّ بَهَنٍ حَوَافِرِ دَوَائِبِنَا، لَا قَدْرَ
لَهُنَّ عِنْدَنَا، هَذَا تَدْبِيرٌ دَبَّرْتَهُ لِي وَلِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَيَعُزُّ عَلَيَّ أَنْ تَرَى لِي حُرْمَةً، فَدَعُ
فَلَيْسَ هُوَ شَأْنُكَ وَقَدْ صَحَّ عِنْدَكَ أَنِّي مُصِيبٌ فِي هَذَا، وَأَنْتَ أَنْكَرْتَ بَاطِلًا. أَيُّ شَيْءٍ
الثَّالِثَةُ؟ مَا الَّتِي أَنْكَرْتَ؟ قَالَ: الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ. قَالَ: هَذَا إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ
فَدَخَلْتَ فِي عَمَلِ الْمُنْكَرِ، فَدَعُ دِينَكَ هَذَا، وَنَسَأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، إِنْ أَجَبْتَ فِيهَا عَفَوْنَا
عَنْكَ. تَبْصُرُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَبْصُرُهُ. قَالَ: رَأَيْتُكَ لَوْ أَنَّكَ أَصَبْتَ فَتَاءَ مَعَ فَتَى
فِي هَذَا الْفَجِّ، قَدْ خَضَعَا عَلَى حَدِيثِ لُهُمَا، مَا كُنْتَ صَانِعًا لَهُمَا؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُمَا:
مَنْ أَنْتُمَا؟ قَالَ: كُنْتُ تَسْأَلُ الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: امْرَأَتِي، وَتَسْأَلُ الْمَرْأَةَ: فَتَقُولُ زَوْجِي، مَا
كُنْتَ صَانِعًا بِهِمَا؟ قَالَ: كُنْتُ أَحُولُ بَيْنَهُمَا وَأَحْسِبُهُمَا. قَالَ: حَتَّى يَكُونَ مَاذَا؟ قَالَ: حَتَّى
أَسْأَلَ عَنْهُمَا. قَالَ: وَمَنْ تَسْأَلُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُمَا مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَ: أَحْسَنْتَ، سَأَلْتُ
الرَّجُلَ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَسْبِيجَابِ، وَسَأَلْتُ الْمَرْأَةَ، قَالَتْ: مِنْ أَسْبِيجَابِ، ابْنُ
عَمِّي تَزَوَّجْنَا وَجِئْنَا. أَكُنْتُ حَابِسًا الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ بِسُوءِ ظَنِّكَ الرَّدِيِّ وَتَوَهْمِكَ الْكَاذِبِ،
إِلَى أَنْ يَرْجِعَ الرَّسُولُ مِنْ أَسْبِيجَابِ، مَاتَ الرَّسُولُ، أَوْ مَاتَا إِلَى أَنْ يَغُودَ رَسُولُكَ؟ قَالَ:
كُنْتُ أَسْأَلُ فِي عَسْكَرِكَ؟ قَالَ: فَلَعَلَّكَ لَا تُضَادِفُ فِي عَسْكَرِي مِنْ أَهْلِ أَسْبِيجَابِ إِلَّا
رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ، فَيَقُولَانِ لَكَ: لَا نَعْرِفُ، عَلَى هَذَا لَيْسَتْ الْكَفَنُ يَا صَاحِبَ الْكَفَنِ؟ مَا
أَحْسَبُكَ إِلَّا أَحَدَ رَجَالٍ: إِمَّا رَجُلٌ مَدْيُونٌ، وَإِمَّا رَجُلٌ مَطْلُومٌ، وَإِمَّا رَجُلٌ تَأَوَّلَتْ فِي
حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ فِي خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَرَوَى لَهُ الْحَدِيثُ عَنْ هُشَيْمِ
وغيره، وَنَحْنُ نَسْمَعُ الْخُطْبَةَ إِلَى مُغِيرِبَانَ الشَّمْسِ، إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ: «أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ
الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(١). فَجَعَلْتَنِي جَائِرًا وَأَنْتَ الْجَائِرُ، وَجَعَلْتَ نَفْسَكَ

(١) حديث أبي سعيد: أخرجه أبو داود (١٢٤/٤، رقم ٤٣٤٤)، وابن ماجه (١٣٢٩/٢، رقم ٤٠١١).

تَقُومُ مَقَامَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ رَكِبْتَ مِنَ الْمُنْكَرِ مَا هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْكَ، لَا وَاللَّهِ ضَرَبْتُكَ سَوَاطِئًا، وَلَا زِدْتُ عَلَى تَخْرِيقِ كَفْنِكَ، وَنَفَيْتُ مِنْ آبَائِي الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ لِيَنْ قَامَ أَحَدٌ مَقَامَكَ، لَا يَقُومُ فِيهِ بِالْحُجَّةِ، لَا نَقَضْتُهُ مِنْ أَلْفِ سَوَاطِئٍ، وَأَمَرْتُ بِصَلْبِهِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ، قَالَ: فَتَنَظَرْتُ إِلَى عُجَيْفٍ يَحْرِقُ كَفْنَ الرَّجُلِ وَيُلْقِي عَلَيْهِ ثِيَابًا بَيْضًا.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ الْمَأْمُونِ وَالشُّعْرَاءِ عِنْدَهُ وَالنَّاسُ إِذْ ذَاكَ يَأْتُونَهُ فَيَكْثُرُونَ، فَأَنْشَدُوهُ وَقَامَ رَجُلٌ بَعْدَمَا فَرَعُوا، مُشَوِّهُ الْحَلْقِ، مَخْضُوبِ اللَّحْيَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا قُلْتُمْ وَلَا بَلَعْتُمْ الَّذِي الْمَأْمُونُ أَهْلُهُ، وَلَكِنِّي قُلْتُ: مَا بَلَغَ الْمَدَاحُ مَا فِيكَ كُلُّهُ وَلَا الْعُشْرَ مِنْ عَشْرِ الْعَشِيرِ الْمُعَشَّرِ ثُمَّ التَّفَّتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْحَاسِبِ، فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ احْسِبْ هَذَا، فَانظُرْ كَمْ هُوَ، ثُمَّ انْعَمَسَ فِي النَّاسِ فَذَهَبَ.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَقِيَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ طَاهِرَ بَنِ الْحُسَيْنِ، فَتَنَى عِنَانَهُ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: يَا أَبَا الطَّيِّبِ، مَا نَبَيْتُ عِنَانِي مَعَ أَحَدٍ قَطُّ إِلَّا مَعَ خَلِيفَةٍ، وَلِي حَاجَةٌ. قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: تُكَلِّمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الرِّضَا عَمِّي، وَتُعَجَّلُ ذَلِكَ. فَمَضَى أَبُو الطَّيِّبِ مِنْ قُورِهِ ذَلِكَ، فَكَلَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ، فَأَمَرَهُ بِإِدْخَالِ الْفَضْلِ عَلَيْهِ، وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: أَدْخَلْتُ الْفَضْلَ عَلَى الْمَأْمُونِ حَاسِرًا لَا سَيْفَ عَلَيْهِ وَلَا طَيْلَسَانَ وَلَا قَلْنَسَوَةَ. فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ وَتَبَّ عَلَى فَرْشِهِ، فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ التَّفَّتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَتَدْرِي لِمَ صَلَّيْتُ يَا فَضْلُ؟ قَالَ: لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: شُكْرًا لِلَّهِ إِذْ

وأخرجه أيضاً: الديلمي (٣٥٨/١)، رقم (١٤٤٨).

حديث أبي أمامة: أخرجه أحمد (٢٥١/٥)، رقم (٢٢٢١٢)، وابن ماجه (١٣٣٠/٢)، رقم (٤٠١٢). قال البوصيري (١٨٤/٤): هذا إسناد فيه مقال، أبو غالب مختلف فيه ضعفه ابن سعد وأبو حاتم والنسائي ووثقه الدارقطني وقال ابن عدي: لا بأس به وراشد بن سعيد قال فيه أبو حاتم صدوق وباقي رجال الإسناد ثقات. والطبراني (٢٨٢/٨)، رقم (٨٠٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٩٣، رقم ٧٥٨١). وأخرجه أيضاً: البغوي في الجعديات (٤٨٠/١)، رقم (٣٣٢٦).

حديث سمرة: أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٠٩/٤) رقم (٣٣١٣). قال الهيثمي (٢٧٢/٧): فيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف.

حديث طارق بن شهاب: أخرجه أحمد (٣١٤/٤)، رقم (١٨٨٤٨)، والنسائي (١٦١/٧)، رقم (٤٢٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٣/٦)، رقم (٧٥٨٢) وقال: هذا مرسل جيد. والضياء (٨/١١٠، رقم ١٢٢).

رَزَقَنِي الْعَفْوُ عَنكَ، قَدْ كَلَّمَنِي أَبُو الطَّيِّبِ فِيكَ، وَقَدْ عَفَوْتُ عَنكَ. فَقَالَ الْفَضْلُ: لِي حَاجَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: تَجْعَلْ لِي مَرْتَبَةً فِي الدَّارِ، قَالَ: عَجِلْتَ يَا فَضْلُ اخْرُجْ، فَخَرَجَ.

حَدَّثَنِي عَجِي مَضَعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قِيلَ لِلْمَأْمُونِ: إِنَّ بَنِي عَلِيٍّ بْنِ صَالِحٍ، صَاحِبِ الْمُضَلَّى مُجَانٌ سُفَهَاءُ، وَقَدْ نَفَسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى خَاتَمِهِ مَا يُدَلُّ عَلَى مَجَانَةٍ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا عَلِيُّ أَحْضِرْنِي أَوْلَادَكَ الْأَكَابِرَ وَالْأَصَاغِرَ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُرِيَهُمْ وَأُرَشِّحَهُمْ لِلْأَمْرِ الَّذِي يَضْلُحُونَ لَهُ. فَأَنْصَرَفَ فَأَخْبَرَ بَيْنَهُ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ لِلرُّكُوبِ إِلَى الدَّارِ. فَاسْتَعَدُّوا لِذَلِكَ بِأَحْسَنِ هَيْئَةٍ وَأَتَمِّ أَمْرٍ، وَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا قِيَامًا. وَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِأَخِذِ خَوَاتِيمِهِمْ. فَأَخَذَتْ جَمِيعًا، فَإِذَا فِي بَعْضِهَا: أَلْسُ مَكْنَسَةِ السَّه. وَعَلَى الْآخَرِ: أَبِي يَغْلِبُ أَبُوكُمْ بِسَيْفِهِ وَرِمَاحِهِ. وَعَلَى الْآخَرِ: تَعَسَّ الْهَنْ وَانْتَكَسَ، دَخَلَ الْهَيْئَةَ وَاحْتَبَسَ. وَعَلَى الْآخَرِ: ... مِنْ قِيَامٍ يُضَعْفُ الرُّكْبَتَيْنِ، فَلَا تَسْتَعْمِلُهُ فِي الصَّيْفِ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا سُفَهَاءُ، يَا مُجَانٌ، قَبِّحْكُمْ اللَّهُ صِغَارًا وَكِبَارًا، تَرَكْتُمْ الْأَدَبَ، وَطَرَحْتُمُوهُ وَأَثَرْتُمْ الْمُجُونَ وَالسُّفَهَاءَ، هَذَا أَبُوكُمْ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، يُسْتَضَاءُ بِرَأْيِهِ وَيُحْمَدُ هَدْيُهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: أَمَا عَلِيُّ ذَاكَ، فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا لَكَ إِذْ أَهْمَلْتَهُمْ فِي الْمُجُونَ، وَتَرَكُوا مَا كَانَ أَوْلَى بِكَ وَبِهِمْ أَنْ تَأْخُذَهُمْ بِهِ، فَقَالَ: أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا وَاللَّهِ إِنَّ لِي بِهِمْ قُوَّةٌ وَلَا يَدٌ، سَيِّمًا هَذَا الْأَكْبُرُ فَإِنَّهُ الَّذِي أَفْسَدَهُمْ وَهَتَكَهُمْ، وَزَيَّنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ. فَأَطْرَقَ الْأَكْبُرُ مَا يَتَرَفَزَمُ. فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: تَكَلَّمْ. فَقَالَ: يَا سَيِّدِي بِلِسَانِي كُلِّهِ؟ أَوْ كَمَا يَتَكَلَّمُ الْعَبْدُ الدَّلِيلُ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ، حَتَّى يَتْرَكَ حُجَّتَهُ وَيَسْكُتَ عَنِ إِضْحَاحِ جَوَابِهِ مَهَابَةً لِمَوْلَاهُ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْ بِمَا عِنْدَكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، هَلْ أَحْمَدْتِ رَأْيَ أَبِيْنَا إِذْ حَمَدْتَ فِقْهَهُ وَعِلْمَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَاعْتِقْ مَا يَمْلِكُ، وَطَلِّقْ مَا يَطْلُقُ الطَّلَاقَ الْحَرَجَ، وَصَدِّقْ بِمَا يَخْوِي، وَعَلَيْهِ ثَلَاثُونَ حِجَّةً مَعَ ثَلَاثِينَ نَذْرًا، يَبْلُغُ بِهَا الْكَعْبَةَ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَبَوْهُ عَلَى طَلَبِ سُكَّرِ طَبْرَزْدَ، فَلَمْ يُوْجَدْ فِي خَزَائِنِهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَمْ يَكُنْ وَقْتًا يُوْجَدُ فِيهِ السُّكَّرُ وَلَا يَبَاعُ. فَقَالَ لَهُ قِيَمُ الْخِزَانَةِ: مَا عِنْدَنَا سُكَّرٌ. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا أَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَإِنْ كَانَتِ الْمُصِيبَةُ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ فِي الْأَنْفُسِ، وَلَكِنْ أَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَإِنَّهُ حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ:

الْحَامِدُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحَازِنِ، فَقَالَ: ادْعُ لِي الْوَكِيلَ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ فَنِي السُّكْرُ أَنْ تَشْتَرِي سُكْرًا؟ فَقَالَ: لَمْ يُعَلِّمْنِي الْحَازِنُ. فَقَالَ لِلْحَازِنِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعَلِّمَهُ؟ قَالَ: كُنْتُ عَلَى إِعْلَامِهِ. فَقَالَ: مَا هُنَا شَيْءٌ أَبْلُغُ مِنْ عَقُوبَتِكُمَا مِنْ أَنْ أَقُومَ عَلَى إِحْدَى قَدَمَيَّ فَلَا أَضَعُ الْأُخْرَى، وَلَا أُرَاوِحُ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُحْضِرَانِي أَلْفًا مِنْ سُكْرٍ طَبْرَزْدَ، لَيْسَ بِمُضْرَسٍ وَلَا وَسَخٍ وَلَا لَيْنٍ الْكَسْرِ، وَلَا مُعُوجِ الْقَالِبِ. ثُمَّ وَتَبَ، فَقَالَ: ﴿يُوفُونَ بِالْئَدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وَاللَّهُ مُؤَكَّدَةٌ لَا أَزَالُ قَائِمًا حَتَّى أَفِي بِنْدَرِي، فَتَبَادَرَ غِلْمَانُهُ وَمَوَالِيهِ وَبِعْضُ وَلَدِهِ وَعَجَائِزُهُ نَحْوَ الشُّوقِ، فَوَاحِدٌ يُنْبِتُهُ حَارِسًا، وَآخَرُ يَفْتَحُ دَرْبًا، وَآخَرُ يَحُلُّ شَرِيحَةً، وَآخَرُ يُوَقِّظُ نَائِمًا، وَآخَرُ يَدْعُو بَاتِعًا، وَآخَرُ يَزِيْمِي كَلْبًا، وَالْغِلْمَانُ وَالْجَوَارِي وَالْجَيْرَانُ وَالْحُرَّاسُ وَالشُّوقَةُ وَالْبَاعَةُ فِي مِثْلِ صِيحَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ قَالَ: يَا قَوْمِي أَمَا لِي مِنْ أَهْلِي مُسَاعِدٌ؟ أَيْنَ الْبَنَاتُ الْعَوَاتِقُ الْأَبْكَارُ، اللَّوَاتِي كُنْتُ أَعْدُوهُنَّ بَلَيْنِ الطَّعَامِ وَلَيْنِ اللَّبَاسِ، وَيَسْرَحْنَ فِيمَا أَرَعْنَ مِنْ خَفِضِ الْعَيْشِ وَعَضَارَةِ الدَّهْرِ، أَيْنَ أُمَّهَاتُ الْأَوْلَادِ اللَّوَاتِي اعْتَقَدْنَ الْعَقْدَ النَّفِيسَةَ، وَمَلَكَنَ الرَّغَائِبَ بَعْدَ الْحَالِ الْخَسِيسَةِ؟ أَيْنَ الْأَوْلَادُ الذُّكُورُ الَّذِينَ لَهُمْ نَسْعُدُ وَنَحْفُدُ، وَنَقُومُ وَنَقْعُدُ، وَلَهُمْ نَزُوحٌ وَنَعْدُو؟ فَبَادَرَ إِلَيْهِ بَنُوهُ وَبَنَاتُهُ وَأُمَّهَاتُ أَوْلَادِهِ. قَالَ: فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى فَرْدٍ رَجُلٍ. فَقَالَ: أَحْسَنْتُمْ وَاللَّهِ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَجَزَاكُمْ خَيْرًا، لِمِثْلِهَا كُنْتُ أَحْسَبُ الْحُسْنَى. قَالَ: وَلَا حَظَّ الْكُبْرَى مِنْ بَنَاتِهِ، وَآخَرَ مِنْ بَيْنِهِ، وَهُمَا يُرَاوِحَانِ بَيْنَ قَدَمَيْهِمَا، فَقَالَ: يَا فَلَانُ تَرَاوِحُ وَلَا أَرَاوِحُ، يَا فَلَانَةُ تَرَاوِحِينَ وَلَا أَرَاوِحُ، صَدَقَ اللَّهُ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ حِينَ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، حَذَارِ حَذَارِ مِنْكَ حَذَارِ. ثُمَّ قَالَ: عَلِيٌّ بُنُ صَالِحٍ لَيْسَ فِي حِزَانَتِهِ سُكْرٌ طَبْرَزْدَ، وَجَائِزَتُهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ، أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَلَهُ ضَيْعَةٌ بِالنَّهْرَوَانِ، تُغْلُ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ إِذَا كَانَ السَّعْرُ بَيْنَ الْعَالِيِ وَالرَّخِيسِ، وَضَيْعَةٌ بِالزَّابِ تُغْلُ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفِ، وَضَيْعَةٌ بِالْكُوفَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَنْبَلِ ضَيْعَةٌ مَلَكَهَا أَحَدٌ، وَضَيْعَةٌ بِطَسُوجِ الدَّسْكَرَةِ، وَلَوْ لَا أَنَّ سَعِيدًا السَّعْدِيَّ، أَرَاخَ اللَّهُ مِنْهُ، قَطَعَ شِرْبَهَا وَعَوَّرَ مَجْرَى مِيَاهِهَا حَتَّى انْدَفَنَتْ أَتْهَارَهَا، وَقَلَّتْ عِمَارَتُهَا إِضْرَارًا بِنَا، وَتَعَدَّيَا عَلَيْنَا مَا كَانَ لِأَحَدٍ مِثْلِهَا، وَعَلَى أَنْ أَكْرَتَهَا وَمُزَارِعَهَا مِنْ أَحَابِثِ خَلْقِ اللَّهِ، وَلَوْ أَمَكْنَهُمْ أَنْ يَقْطَعُوا

الْحَاصِلَ وَحَاصِلَ الْحَاصِلِ مَا أَعْطُوا شَيْئًا. وَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ الضَّيْعَةَ لِرَبِّ الضَّيْعَةِ فَقُلْ لَهُ: كَذَبْتَ لَا أُمَّ لَكَ، الضَّيْعَةُ ثَلَاثُ أَثْلَاثٍ: فُتْلُكَ لِلسُّلْطَانِ، وَتُتْلُكَ لِلوَكِيلِ، وَتُتْلُكَ لِلأَكْأَارِ، وَإِنَّمَا يَأْتِي رَبُّ الضَّيْعَةِ مِنْ ضَيَعَتِهِ ضَبَابَةٌ كَضَبَابَةِ الإِنَاءِ، وَمُحَّةٌ كَمُحَّةِ عَرْقُوبٍ، يَجِيءُ الأَكْأَارُ وَقَتَ الدِّيَاسِ فَيَمُرُّ بِهِمْ الأَبْرُتُدُ، فَهَذَا يَذْبَحُ لَهُ، وَهَذَا يَحْبِرُ لَهُ، وَهَذَا يَسْقِيهِ، وَمَا نَبِيذُهُمْ إِلَّا العَكْرُ الأَسْوَدُ، وَوَضْرُ الدِّبْسِ، وَمَاءُ الأَكْشُوثِ، فَبِحَ اللّهِ ذَلِكَ شَرَابًا، مَا أَثْقَلَهُ لِلجَوْفِ، وَأَصْرُهُ بِالأَعْلَاقِ النَّفِيسَةِ، ثُمَّ يَأْتِي وَقْتُ الكَيْلِ، فَمِنْ بَيْنَ رَقَامٍ، رَقَمَ اللّهُ جَلْبَابَهُ بِالمَذَلَّةِ وَالهَوَانِ، وَمِنْ بَيْنَ كَيْالٍ، جَعَلَ اللّهُ لَهُ الوَيْلَ، لِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] مَا يُتَالِي أَحَدَهُمْ عَلَى مَاذَا يُقَدِّمُ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ أميرَ المُؤْمِنِينَ وَهُوَ يُسْأَلُ قُضَاتِهِ، وَكُلُّهُمْ بِالحَضْرَةِ، هَلْ عَدَلْتُمْ كَيْالًا قَطُّ؟ فَكُلُّهُمْ قَالَ: لَا. فَإِنِ أُطْعِمُوا الجِدَاءَ الرُّضْعَ وَنَقِي الخُبْزِ مِنْ دَسْمَيْسَانَ وَوَهَبْتَ لَهُمُ الدَّرَاهِمَ، ظَفَرَ المُكَيْلِ بِحَاجَتِهِ. وَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِقَبَةِ السُّلْطَانِ مِمَّا يُحْمَلُ إِلَيْهَا مِنَ القَسْبِ وَالقَصْرِ، وَيُحْشَى مِنَ التَّيْنِ وَالدَّوْسِرِ. ثُمَّ قَالَ: يَا قَوْمُ، لِمَ أَسْهَبْتُ فِي ذِكْرِ هؤُلَاءِ، وَمَا الَّذِي هَاجَ هَذَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ حَتَّى خُضْتُ فِيهِ؟ أَمَا كَفَانِي أَنِّي قَائِمٌ عَلَى إِحْدَى رِجْلَيْ. فَقَالُوا: هَذَا مِنْ أَجْلِ السُّكْرِ الَّذِي لَمْ يُوَجَدْ فِي خِزَانَتِكَ. قَالَ: أَجَلٌ، وَاللّهِ إِذَا كَانَ وَكَيْلِي يَتَشَاغَلُ بِرَوْجَتِهِ وَبَنَاتِهِ، وَمَصَالِحِ حَالِهِمْ، مَتَى يُفْرَغُ النَّظَرُ إِلَى مَصَالِحِ خِزَانَتِي؟ وَاللّهِ لَقَدْ حَدِثْتُ أَنَّهُ حَلَى بَنَاتِهِ بِأَلُوفِ الدَّنَانِيرِ، وَأَنَّهُ قَالَ لِرَوْجَتِهِ: أَخْرِجِي الأَعْيَادَ، وَأَدْخِلِي الأَعْرَاسَ، وَسَلِي عَنِ الرِّجَالِ المَذْكُورِينَ، وَاطْلُبِي المَرَاضِعَ المَعْرُوفَةَ بِالأَنْسَابِ الرُّضِيَّةِ، وَالأَخْلَاقَ الجَمِيلَةَ لِبَنَاتِكَ، وَأَخْرِجِيهِنَّ فِي الجُمُعَاتِ يَتَفَحَّضْنَ مَجَالِسَ العُزَابِ وَيَخْتَرْنَ أُولِي الأَنْسَابِ، أَلَمْ يُرَوْ عَنِ الثِّقَاتِ أَنَّهُمْ كَرَهُوا خُرُوجَ الأَبْكَارِ فِي الجُمُعَاتِ الَّتِي فَرَضَ اللّهُ فِيهِنَّ السَّعْيَ إِلَى ذِكْرِهِ؟ فَتَبَعَ قَوْمٌ مِنَ البِدْعِيَّةِ، خَارِجَةٌ خَرَجَتْ، وَمَارِقَةٌ مَرَقَتْ، وَرَافِضَةٌ رَفَضَتْ الدِّينَ وَأَهْلَ الدِّينِ، فَتَرَكُوا فَرَضَ اللّهِ فَاتْلَهُمُ اللّهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وَقَدْ رُوِينَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ وَلَا اثْنَيْنِ أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «إِنَّ اللّهُ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا، فِي يَوْمِي هَذَا مِنْ عَامِي هَذَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا وَجُحُودًا لَهَا فَلَا جَمَعَ اللّهُ شَمْلَهُ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَهْلِهِ، وَلَا حَجَّ لَهُ، وَلَا جِهَادَ حَتَّى يُتُوبَ، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللّهُ

عَلَيْهِ»^(١). ثُمَّ قَالَ: يَا قَوْمُ، مَا الَّذِي حَرَكَنَا عَلَى هَذِهِ الْعِصَابَةِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ؟ قَالُوا: الشُّكْرُ الطَّبْرَزْدُ. قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ مَا أَحْضَرْتُمُونِي أَلْفًا مِنْ سُكَّرٍ إِلَى هَذِهِ الْعَايَةِ، أَيَا صُبْحُ، أَيَا فَتْحُ، أَيَا نَضْرُ، أَيَا نُجْحُ، بَادِرُوا إِلَيَّ مَوْلَاكُمْ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَبَ وَنَصِبَ وَلَغَبَ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ الثَّرِيًّا مُقَابِلَةً سَمَتَ رَأْسِي، ذَهَبَ وَاللَّهِ اللَّيْلُ وَجَاءَ الْوَيْلُ، وَيَلُكُمُ أَدْرِكُونِي فَإِنِّي أُرِيغُ نَوْمَةً وَلَا بُدَّ مِنَ الْبُكُورِ نَحْوِ الدَّارِ. قَالَ: فَبَادَرَ خَصْمُهُ الْخَاصَّةَ، فَفَتَحُوا أَبْوَابَ دَكَائِينَ الْبَاعَةِ، وَتَبَهُوا السُّوقَةَ، وَأَخَذُوا مَا عِنْدَهُمْ عَلَى غَيْرِ سَوْمٍ وَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: مَا أَمَرْتَ بِهِ. قَالَ: هَلْ أَخَذْتُمُوهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ وَرَثْتُمُوهُ عَلَى الْبَاعَةِ، وَاسْتَوْجِبْتُمُوهُ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، أَرَدْتُمْ أَنْ تُوتِعُوا دِينِي، لَا وَاللَّهِ مَا طَمَعُ مِنِّي مَضْمَضَةً، وَاللَّهِ لَا تَرَأَلْ هَذِهِ حَالِي حَتَّى تَأْخُذُوهُ بَيْعًا صَحِيحًا، لَا شَرْطَ فِيهِ وَلَا خِيَارَ، وَلَا مَثْنَوِيَّةَ وَلَا حَدَّ التَّلْجِيَّةِ. هَيْهَاتَ يَأْبَى اللَّهُ ذَاكَ. فَرَجَعُوا فَسَاوَمُوا بِهِ الْبَاعَةَ، وَقَطَعُوا ثَمَنَهُ وَأَخْبِرُوهُ. فَقَالَ: يُوزَنُ بَحَضْرَتِي، فَجَاءُوا بِالْقَبَّانِ، فَقَالَ: مَنْ فِيكُمْ يَزَنُ؟ قَالُوا: مَنْ أَمَرْتَهُ، قَالَ: زِنِ أَنْتَ يَا نَصْحُ، فَقَدْ دَنَا الصُّبْحُ، زِنِ فَأَرْجِحُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَصَحْبَهُ اشْتَرَى يَوْمًا، فَقَالَ لِلْوَازِنِ: «زِنِ فَأَرْجِحُ»^(٢) وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّجْحَانِ إِلَّا تَحْلَةَ الْقَسَمِ كَانَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْعُو الْعُلَمَاءَ بِاللَّهِ، الْفُقَهَاءَ فِي دِينِ اللَّهِ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ. قَالَ: فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَزِنُهُ، وَيَقُولُ: وَتِلْكَ عَجَلُ فِدَاكَ أَهْلُكَ، وَقَدْ دَنَا الصُّبْحُ، وَذَهَبَتْ نَفْسِي أَوْ كَادَتْ. فَلَمَّا اسْتَوْفَى الْوَزْنَ خَرَّ مَعْشِيًّا عَلَيْهِ، لَا يَدْرِي أَرْضًا تَوَسَّدَ أَمُ وَسَادًا، وَكَذَلِكَ حَالَ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِ مِنْ وَلَدِهِ وَعِيَالِهِ. فَمَا انْتَبَهَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِفَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ إِلَّا بَحَرَ الشَّمْسِ. فَهَذِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) أخرجه عبد بن حميد (١١٣٦) وابن ماجه (١٠٨١).

(٢) حديث سويد: أخرجه الطيالسي (ص ١٦٥، رقم ١١٩٢)، وأحمد (٣٥٢/٤، رقم ١٩١٢١)، والدارمي (٣٣٨/٢، رقم ٢٥٨٥)، وأبو داود (٢٤٥/٣، رقم ٣٣٣٦)، والترمذي (٥٩٨/٣، رقم ١٣٠٥) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٢٨٤/٧، رقم ٤٥٩٢)، وابن ماجه (٧٤٨/٢، رقم ٢٢٢٠)، وابن حبان (٥٤٧/١١، رقم ٥١٤٧)، والطبراني (٨٩/٧، رقم ٦٤٦٦)، والحاكم (٤/٢١٣، رقم ٧٤٠٧) وقال: صحيح الإسناد. وعبد الرزاق (٦٨/٨، رقم ١٤٣٤١)، وابن الجارود (ص ١٤٥، رقم ٥٥٩).

حديث مخرفة: أخرجه الطبراني (٣٢١/٢٠، رقم ٧٦١).

حَالٍ مَنْ أَحْمَدَتْ فِقْهَهُ وَعَدْلَهُ وَرَأْيَهُ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: قَاتَلَكَ اللَّهُ، مَا أَعْجَبَ حَالِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ كَذَبْتُ عَلَى أَبِيكَ فِي مَقَامِكَ هَذَا فَمَا لَكَ فِي الْأَرْضِ نَظِيرًا، وَلَا فِي الدُّنْيَا شَبِيهًا، وَلَئِنْ كُنْتُ حَكَيْتَ عَنْهُ عَيَانًا أَوْ كَفَافًا فَلَقَدْ أَجَدْتَ الْحِكَايَةَ وَأَحْسَنْتَ الْعِبَارَةَ، وَمَا لِأَبِيكَ شَبِيهًا، وَإِنَّكَ لَتَعْمُرُ مَسَاوِيكَ بِمَحَاسِنِكَ، فَلَا تَذْكُرَنَّ شَيْئًا بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ، فَإِنَّ عَيْبَهُ فِينَا أَفْدَحُ مِنْهُ فِي أَبِيكَ. قَالَ: فَذَهَبَ عَلَيَّ لِيَتَكَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَعْصُ عَلَى لِسَانِكَ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: سَأَلْتُ عَمِّي مُضْعَبًا: هَلْ كُنْتُ حَاضِرًا لِهَذَا الْمَجْلِسِ، فَإِنَّ الصُّنْعَةَ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي مَنْ كَانَ حَاضِرًا بَعْدَ مَوْتِ الْمَأْمُونِ بِسِتِّينِ.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: إِنَّ مَلِكَ الرُّومِ بَعَثَ رَسُولًا ذَاهِيَةً مُنْكَرًا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي جَعْفَرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ، وَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ وَالطَّافِ وَطَرَائِفَ، فَأَمَرَ عُمَارَةَ بْنَ حُمَزَةَ أَنْ يَرْكَبَ مَعَهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ بِالرُّصَافَةِ، فَخَرَجَ، حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى الْجِسْرِ نَظَرَ الرُّومِيَّ إِلَى زَمْنِي عَلَى الْجِسْرِ يَتَّصِدُّقُونَ، فَقَالَ لِرَجُلَانِهِ: قُلْ لِهَذَا، يَعْنِي عِمَارَةَ: الَّذِي عِنْدَكُمْ زَمْنِي يَتَّصِدُّقُونَ، وَكَانَ يَتَّبِعِي لِصَاحِبِكَ أَنْ يَزْحَمَ هَوْلَاءَ مِنْ زَمَانِهِمْ، وَيَكْفِيهِمْ مَثُونَةَ أَنْفُسِهِمْ وَعِيَالَتِهِمْ، وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِمُ الْفَقْرَ وَالْحَاجَةَ مَعَ الزَّمَانَةِ. فَقَالَ عِمَارَةُ: قُلْ لَهُ: إِنَّ الْأَمْوَالَ لَا تَسْعُهُمْ. وَمَضَى إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الرُّومِيَّ، وَرَدَّهُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: كَذَبْتَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ، الْأَمْوَالَ وَاسِعَةٌ لَهُمْ، وَلَكِنْ عُذْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَا وَصَفْتَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرُّومِيِّ، فَقَالَ: قَدْ بَلَغَنِي مَقَالَتُكَ لِرَسُولِي، وَرَدُّهُ عَلَيْكَ، وَكَذَبَ، الْأَمْوَالَ وَاسِعَةٌ تَسْعُهُمْ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ وَأَهْلِ سُلْطَانِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَضْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَحَبُّ أَنْ يُشْرِكُوهُ فِي أَجُورِ الزَّمْنَى وَالْمَسَاكِينِ، وَأَنْ يُبْلُوهُمْ مِنْ ذَاتِ أَيْدِيهِمْ وَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ نَجَاةً لَهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ، وَسَعَةً عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَمَحِيصًا لِدُنُوبِهِمْ. فَقَالَ الرُّومِيَّ بِيَدِهِ، وَعَقَدَ ثَلَاثِينَ، وَطَاطَأَ رَأْسَهُ، قَالَ: وَإِنَّ هَذَا، أَيُّ: جَيْدٌ، هَذَا هُوَ الْحَقُّ^(١).

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَلَوِيُّ، صَلَّى عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ، وَكُنْتُ قَرِيبًا مِنْهُ، وَدَخَلَ قَبْرَهُ، وَعَلَيْهِ سَيْفُهُ وَقَلْنَسُوْتُهُ وَطَيْلَسَانُهُ، وَأَخَذَ

(١) ذكره الجهشيارى في الوزراء والكتاب (ص ١٣٣).

بِرَأْسِهِ، فَأَعَانُوهُ حَتَّى وَضَعَهُ فِي لَحْدِهِ، وَرَأَيْتُ ذُمُوعَهُ تَسِيلُ عَلَى خَدِّهِ، وَكَانَ مَعَهُ فِي الْقَبْرِ دَاوُدُ بْنُ أَبِي الْكِرَامِ الْجَعْفِيُّ، فَكَلَّمَهُ لَمَّا رَأَى مِنْ رِقِيهِ، وَدَكَرَ حَاجَتَهُمْ، فَغَضِبَ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: هَذَا مَوْضِعُ ذَا! وَانْقَطَعَ بُكَاءُوهُ، فَقَالَ: هَا هُنَا وُلِدَ الرَّشِيدُ وَوُلِدَ الْهَادِي وَوُلِدَ الْمَهْدِيُّ وَوُلِدَ الْمَنْصُورُ، فَإِذَا نَظَرْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَأَصْلَحْتُ شَأْنَهُمْ فَأَنْتَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ أَوْلَى بِهِذَا مِنْكَ.

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُتْبِيُّ، قَالَ: جَاءَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الصُّنْعَةِ، فَقَالَ: اذْكُرْنِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي يَوْمٍ وَبَعْضِ يَوْمٍ آخَرَ. فَقُلْتُ: يَا هَذَا، أَرِحْ نَفْسَكَ الْعَنَاءَ، وَاجْلِسْ فِي بَيْتِكَ، وَلَا تَعَزَّزْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ، قَالَ: فَالْحِلُّ عَلَيْهِ حَرَامٌ، يَعْنِي بِهِ الطَّلَاقُ، وَمَالُهُ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ صَدَقَةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ حُرٌّ إِنْ كَانَ كَذَبَكَ فِيمَا قَالَ لَكَ، وَاللَّهُ مَا أَخَذَ مِنْكُمْ شَيْئًا عَاجِلًا، وَقَدْ ادَّعَيْتُ أَمْرًا فَاْمْتَحِنُونِي فِيهِ، فَإِنْ جَاءَ كَمَا ادَّعَيْتُ، كَانَ الْأَمْرُ فِي لَكُمْ، وَإِنْ وَقَعَ بِخِلَافِ ذَلِكَ انصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَأَخْبَرْتُ الْمَأْمُونَ بِمَا قَالَ: فَتَمَثَّلَ بَيْتِ الْفَرَزْدَقِ^(١):

وَقَبْلُكَ مَا أَعْيَيْتُ كَاسِرَ عَيْنِهِ زِيَادًا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبَالُهُ

ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّ هَذَا أَرَادَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا فَاِحْتَالَ بِهِدِهِ، وَلَيْسَ الرَّأْيِيُّ أَنْ يَعْزِضَ عَلَيْنَا أَحَدٌ عِلْمًا فَتَنْظِهِرُ الزُّهْدِ فِيهِ، فَأَحْضَرَهُ. قَالَ: فَجِئْتُ بِالرَّجُلِ، وَقَعَدَ لَهُ الْمَأْمُونُ، فَأَحْضَرْتُ أَدَاةَ الْعَمَلِ، فَإِذَا هُوَ بِحِلِّ الطَّلَاقِ أَجْهَلُ مِنِّي بِمَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. فَتَنَظَّرَ إِلَيَّ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: أَنْزَعُمُ أَنَّهُ حَلَفَ بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ وَصَدَقَهُ مَا كَانَ يَمْلِكُ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ حَنَتْ. فَقُلْتُ لِلرَّجُلِ، وَالْمَأْمُونُ يَسْمَعُ: أَلَمْ تَحْلِفْ بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ وَصَدَقَهُ مَا تَمْلِكُ؟ قَالَ: بَلَى، فَقَدْ حَنَتْ، قَالَ: لَيْسَتْ لِي امْرَأَةٌ. قُلْتُ: فَالْعِتَاقُ؟ قَالَ: مَا أَمْلِكُ خَيْطًا وَلَا مَخِيطًا. قُلْتُ: كَذَبٌ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ غُلَامٌ وَدَابَّةٌ. قَالَ: هُمَا، وَحَقِّي رَأْسُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَارِيَةٌ. قَالَ: فَتَبَسَّمَ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ بِحِلِّ الدَّرَاهِمِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِحِلِّ الطَّلَاقِ. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُعْطَى لَهُ خَمْسَةُ آلَافٍ دِرْهَمًا. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِلْعُتْبِيِّ: رُدَّهُ، فَرَدَّهُ، قَالَ: زِيدُوهُ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي كِلِّ وَقْتٍ مَنْ يُمَحَرِّقُ عَلَيْهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدِي بَابٌ مِنَ الْجِمْلَانِ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُهُ. قَالَ: احْمِلْهُ عَلَى هَذِهِ الدَّرَاهِمِ، فَإِنْ كُنْتُ

(١) البيت في ديوانه (ص ٨٧).

صَادِقًا صِرَتْ مَلِكًا فِي أَقَلِّ مِنْ شَهْرٍ.

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَأَلَ الْمَأْمُونُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ عَنِ اخْتِلافِ أَبِي عَبَّادٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَيِّفِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَأَنْزَقُ مِنْ مَعْجُونِ الْبَكَرَاتِ. قَالَ: مَا أَتَيْتُ ذَلِكَ فِيهِ. قَالَ: لِمَوْضِعِ الْخِلافةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنْ حَرَكْتَهُ تَحَوَّكَ، فَأَرَادَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَمْتَحِنَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَعَرَضَ مَا مَعَهُ مِنَ الْحَوَائِجِ، فَأَمَرَ أَنْ يُوقَعَ فِيهَا، ثُمَّ خَرَجَ، فَلَمَّا صَارَ بِالْبَابِ، قَالَ: رُدُّوهُ، فَرَجَعَ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: افْعَلْ فِي أَمْرِ الْأَهْوَاذِ بِحَسَبِ مَا قُلْتَ لَكَ، وَلَا تَعْرِضْ بِهِ مُؤَامَرَةً. قَالَ: نَعَمْ. ثُمَّ خَرَجَ، فَلَمَّا صَارَ بِالْبَابِ، قَالَ: رُدُّوهُ، فَرَجَعَ، فَقَالَ: قُلْ لِعَمْرٍو بْنِ مَسْعَدَةَ: أَخِزْ أَمْرَ أَبِي دُلْفِ حَتَّى آمُرَكَ فِيهِ بِمَا أُرِيدُ، قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ خَرَجَ، فَلَمَّا صَارَ بِالْبَابِ، قَالَ: رُدُّوهُ، فَجَاءَ الرَّسُولُ، فَقَالَ: ارْجِعْ، فَتَنَاولَ الدَّوَاةَ مِنْ غَلَامِهِ، وَقَالَ: السَّاعَةَ أَضْرِبُ وَجْهَكَ الْقَبِيحَ يَا ابْنَ الْحَبِيئَةِ، فَقَالَ الْغَلَامُ: وَمَا ذَنْبِي أَبْغَاكَ اللهُ؟ قَالَ: ذَاكَ يَنْبَغِي أَنْ تَقُولَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى النَّارِ. فَرَجَعَ، فَقَالَ: ارْزُقْ غَدًا رُفْعَةَ الْهَاشِمِيِّينَ، قَالَ: نَعَمْ، وَضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ بَعْدَهَا حَتَّى أَسْتَطِيرَ. قَالَ: امْضِ رَاشِدًا، وَلَهُ يَقُولُ دَعْبَلُ:

أَوْلَى الْأُمُورِ بِضَيْعَةٍ وَفَسَادِ
أَمْرٍ يُدْبِرُهُ أَبُو عَبَّادِ
حَرِيقٌ عَلَى جُلْسَانِهِ بِدَوَاتِهِ
فَمُرْمَلٌ وَمَحْضَبٌ بِمِدَادِ
وَكَائِهِ مِنْ دِيرِ هِرْزَقَلٍ مَفْلِتِ
حَرْدٍ يَجْرُ سَلَسِلَ الْأَقْيَادِ
فَاشْدُدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَثَاقَهُ
فَأَصْحُ مِنْهُ بَغِيَّةَ الْحَدَّادِ

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُسْتَيْي، قَالَ: حَجَجْنَا سَنَةَ فَتَرَلْنَا صَرِيَّةً فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَسَأَلْنَا عَنِ الْوَالِي، فَقِيلَ لَنَا: أَعْرَابِيٌّ عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ. فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ خَرَجَ عَلَيْنَا وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ كَأَنَّهَا رُحَا، مُتَنَكِّبًا قَوْسًا عَرَبِيَّةً، فَصَعَدَ عَلَيَّ كَثِيبٌ لَهُ مِنْ رَمْلِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَنَا بِوَجْهِهِ، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ، فَخُذُوا لِمَقَرِّكُمْ مِنْ مَمَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَبِئْسَ الدُّنْيَا حَيْثُمْ، وَلِلْآخِرَةِ خَلِيقْتُمْ، وَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِمَثَرَةِ الشَّمِّ النَّاقِعِ، يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ،

وَالْمَدْعُو لَهُ الْحَلِيفَةُ، ثُمَّ الْأَمِيرُ جَعَفَرُ، فُومُوا لِصَلَاتِكُمْ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ^(١).

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَرِيبٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ، وَكَانَ فِيهِ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ الْأَصَمِّ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ
الصَّحَابَةِ، فَضَعَطَنِي الْبَوْلُ، فَلَمْ أَذْرِ كَيْفَ أَضْنَعُ. فَالْتَفَتُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَصَمِّ فَأَخْبَرْتُهُ،
فَقَالَ لِي: بِي مِثْلَ الَّذِي بَكَ، قَالَ: فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ بَصَرَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: يَا
أَصْمَعِي، قَالَ: قُلْتُ: لَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: أَبِكَ بَوْلٌ؟ قُلْتُ: أَيُّ هَاءِ اللَّهِ. قَالَ: يَا
رَجُلُ، فَمَ مَعَهُ حَتَّى يَبُولَ، فَقُمْتُ فَبُلْتُ وَرَجَعْتُ، فَلَمَّا رَأَيْتِي، قَالَ: يَا أَصْمَعِي هَاتِ بَيْتًا
أَنْظُرُ فِي مَعْنَاهُ، فَقُلْتُ:

فَلَا غَرَوْ إِلَّا جَارَتِي وَسَوَّالَهَا أَلَا هَلْ لَنَا أَهْلٌ سئِلْتُ كَذَلِكَ

فَجَعَلَ يُفَكِّرُ فِيهِ، وَهَمَّ أَنْ يَقُولَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعِدْ نَظْرًا، فَقَالَ:
وَكَيْفَ عَلِمْتُ. قُلْتُ: رَأَيْتُ نَاطِرِيكَ يَجُولَانِ، وَقَدِ اسْتَقَرَّا، كَانَ أَوْضَحَ لِصَابِتِكَ،
فَضَحِكَ حَتَّى انْتَنَى ثُمَّ قَالَ: فَأَصَابَ. فَقُلْتُ: أَصَبْتَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَحْسَنْتَ.
قَالَ: فَسُرَّ بِإِصَابَتِهِ وَازْتَاخَ لَهَا، وَأَمَرَ لِي بِصَلَةٍ، ثُمَّ قَالَ: فَمَ يَا أَصْمَعِي نَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ
لِشَهْرِ رَمَضَانَ، فَأَحْذِ بِيَدِي، وَصَعِدْ بَابَ دَرَجِهِ، فَجَعَلْتُ أَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي الْخَادِمُ:
أَتَكَبَّرُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَصَعِدْنَا فَرَأَيْنَاهُ.

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ، يَقُولُ: إِنَّ أَبَا جَعْفَرَ الْمَنْصُورَ لَمَّا
بُوِعَ بِالْخِلَافَةِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ بَيْتِهِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْقَوَادِ فَهَنَّتُوهُ، فَحَمِدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَرْغَبِ النَّاسِ فِيهَا، وَلَا أَحْرَضَهُمْ عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ
لَا يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سِتْرٌ، وَأَنْ أَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَبِتَّ سُنَّةَ
رَسُولِهِ ﷺ، رَاجِيًا الْعَدْلَ وَإِمَانَةَ الْجُورِ، وَالْأَخْذَ لِفَيْئِكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي مَوَاضِعِهِ
الَّتِي جَرَتْ بِهَا السُّنَّةُ، وَنَزَلَ بِهَا الْكِتَابُ، وَمَنْعَهُ مِنْ بَاطِلِهِ، لِيُقَرَّبَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ، وَيَزِيدَنِي
فَضْلَهُ لَدَيْهِ، وَكَرَامَةً عِنْدَهُ مَعَ قَرَابَتِي مِنْ نَبِيِّهِ ﷺ، وَرَبُّنَا الْمُسْتَعَانَ عَلَى مَا تَصِفُونَ، وَأَعُوذُ
بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ خَالَفَ قَوْلَهُ فَعَلَهُ، وَعَظَّمَهُ وَعَمَلَهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأُمُّ عَلِيٍّ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ أُمُّ

(١) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (١/٢٢٩)، وابن الجوزي في المنتظم (٥/٥).

جَعْفَرِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الرَّبِيعِيُّ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شُبْرَمَةَ دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو حَنِيْفَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، فَسَلَّمْتُ، وَكُنْتُ لَهُ صَدِيقًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى جَعْفَرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَمَتَعَ اللَّهُ بِكَ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، لَهُ فِقْهٌ وَعِلْمٌ. فَقَالَ لِي جَعْفَرٌ: لَعَلَّهُ الَّذِي يَقِيْسُ الدِّينَ بِرَأْيِهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: هُوَ التُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ؟ قَالَ: وَلَمْ أَعْرِفِ اسْمَهُ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ: نَعَمْ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقِيْسِ الدِّينَ بِرَأْيِكَ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسَ، إِذْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، فَقَالَ: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] ثُمَّ قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: هَلْ تُحْسِنُ أَنْ تَقِيْسَ رَأْسَكَ مِنْ جَسَدِكَ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْمُلُوحَةِ فِي الْعَيْنَيْنِ، وَعَنِ الْمَرَارَةِ فِي الْأُذُنَيْنِ، وَعَنِ الْمَاءِ فِي الْمُنْخَرَيْنِ، وَعَنِ الْعُدُوبَةِ فِي الشَّفَتَيْنِ لِأَيِّ شَيْءٍ جُعِلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْعَيْنَيْنِ فَجَعَلَهُمَا شَحْمَتَيْنِ، وَجَعَلَ الْمُلُوحَةَ فِيهِمَا مَنًّا مِنْهُ عَلَى ابْنِ آدَمَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَدَابَّتَا فَذَهَبَتَا، وَجَعَلَ الْمَرَارَةَ فِي الْأُذُنَيْنِ مَنًّا مِنْهُ عَلَيْهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَجَمَتِ الدَّوَابُّ فَأَكَلَتْ دِمَاعَهُ. وَجَعَلَ الْمَاءَ فِي الْمُنْخَرَيْنِ لِيُبْعَدَ مِنْهُ النَّفْسُ وَيَنْزِلَ، وَيَجِدَ مِنْهُ الرِّيحَ الطَّيِّبَةَ مِنَ الرِّيحِ الرَّدِيئَةِ. وَجَعَلَ الْعُدُوبَةَ فِي الشَّفَتَيْنِ لِيَجِدَ ابْنُ آدَمَ لَذَّةَ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ. ثُمَّ قَالَ لِأَبِي حَنِيْفَةَ: أَخْبِرْنِي عَنْ كَلِمَةٍ أَوْلَهَا شُرْكٌ وَآخِرُهَا إِيمَانٌ مَا هِيَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. قَالَ: قَوْلُ الرَّجُلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ، ثُمَّ أَمْسَكَ كَانَ مُشْرِكًا، فَهَذِهِ كَلِمَةٌ أَوْلَهَا شُرْكٌ وَآخِرُهَا إِيمَانٌ. ثُمَّ قَالَ: وَيَحْكُ أَيُّمَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ أَمَ الزِّنَا؟ قَالَ: لَا بَلْ قَتْلُ النَّفْسِ. قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ قَدْ رَضِيَ وَقَبِلَ فِي قَتْلِ النَّفْسِ بِشَاهِدَيْنِ، وَلَمْ يَقْبَلْ فِي الزِّنَا إِلَّا أَرْبَعَةً، فَكَيْفَ يَقُومُ لَكَ قِيَاسٌ؟ ثُمَّ قَالَ: أَيُّمَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ، الصَّوْمُ أَمْ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: لَا بَلِ الصَّلَاةُ. قَالَ: فَمَا بَالُ الْمَرْأَةِ إِذَا حَاضَتْ تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ اتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَا تَقْسُ، نَقَفَ نَحْنُ عَدَاً وَأَنْتَ وَمَنْ خَالَفَنَا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقُولُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ: سَمِعْنَا وَرَأَيْنَا، فَيَعْمَلُ بِنَا وَبِكُمْ مَا يَشَاءُ^(١).

(١) ذكره التقي الغزي في الطبقات السنية في تراجم الحنفية (٤٠/١).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ: خَرَجَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَوْمًا يَتَصَيَّدُ وَهُوَ أَمِيرُ الْعِرَاقِ، فَقَدْ تَفَرَّدَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَإِذَا هُوَ بِأَعْرَابِيٍّ عَلَى أَتَانٍ لَهُ هَزِيلٌ وَمَعَهُ عَجُوزٌ لَهُ. فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْمَأْتِرِ وَالْحَسَبِ، قَالَ: أَفَأَنْتَ إِذَا مِنْ مُضَرٍّ، فَمِنْ أَيِّهَا أَنْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْمُطَاعِينِ عَلَى الْخُيُولِ، الْمُعَانِقِينَ عِنْدَ التُّرُولِ. قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا مِنْ عَامِرٍ، فَمِنْ أَيِّهَا أَنْتَ؟ قَالَ: مِنَ الطَّالِبِينَ الثَّارِ، وَالْمَانِعِينَ الْجَارِ. قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا مِنْ كِلَابٍ، فَمِنْ أَيِّهَا أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْوَفَادَةِ وَالرِّيَاسَةِ. قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا مِنْ جَعْفَرٍ، فَمِنْ أَيِّهَا أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ بَدْرِهَا وَسُمْسِهَا، وَلِيُوثِهَا وَحَيْسِهَا. قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا مِنَ الْحَوْصِ، فَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ؟ قَالَ: تَتَابِعُ السِّنِينَ وَقَلَّةُ رِفْدِ الرَّافِدِ. قَالَ: فَمَنْ أَرَدْتَ بِهَا؟ قَالَ: أَمِيرَكُمُ الَّذِي رَفَعْتَهُ إِمْرَتُهُ، وَحَطَّطَهُ أُسْرَتُهُ. قَالَ: فَمَا أَرَدْتَ مِنْهُ؟ قَالَ: كَثْرَةَ دَرَاهِمِهِ لَا كَرَمَ آبَائِهِ. قَالَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا قُلْتَ فِيهِ شِعْرًا. قَالَ: فَقَالَ: لَامْرَأَتِهِ: أَنْشِدِيهِ. قَالَتْ: كَمْ تَجَسَّمْنَا مَدَحَ اللَّيْمِ مُنْذُ الْيَوْمِ، إِنَّ مَدَحَ اللَّيْمِ ذُلٌّ. قَالَ: فَأَنْشِدِيهِ، فَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

إِلَيْكَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْحَمْدِ أَرْقَلْتُ بِنَا الْبَيْدِ عَيْسٌ كَالْقِسِيِّ سَوَاهِمُ
عَلَيْهَا كِرَامٌ مِنْ ذُؤَابَةِ عَامِرٍ أَضْرَّ بِهِمْ جَدْبُ السِّنِينَ الْعَوَارِمُ
يُرِدْنَ امْرَأَةً يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَهَائَتْ عَلَيْهِ فِي الشَّاءِ الدَّرَاهِمُ
فَإِنْ تُعْطِ مَا نَهَوَى فَهَذَا فَنَاوْنَا وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَمَا لَامَ لَانِمُ

فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا أَعْجَبَكَ وَشِعْرَكَ، جِئْتَ عَلَيَّ عَلَى أَتَانٍ هَزِيلٍ وَتَزْعُمُ أَنَّكَ جِئْتَ عَلَيَّ عَيْسٍ، وَقَدْ ذَكَرْتَ الرَّجُلَ فِي شِعْرِكَ بِخِلَافِ مَا ذَكَرْتَهُ فِي كَلَامِكَ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، مَا تَجَسَّمْنَا مِنْ مَدَحِ اللَّيْمِ كَانَ أَشَدَّ مِنَ الْكَلْبِ فِي شِعْرِنَا. فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: أَتَعْرِفُ خَالِدًا؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ خَالِدٌ: أَنَا خَالِدٌ وَأَنَا مُعْطِيكَ وَعَيْرُ مُكَافِيكَ. فَقَالَ: يَا أُمَّ جَحِشٍ، اضْرِفِي وَجْهَ أَتَانِكَ، وَمَضَى. فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: لَا تَفْعَلْ، وَقُمْ فَإِنِّي مُحْسِنٌ إِلَيْكَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا رَزَأَتْ لَأَمْرِي دِرْهَمًا أَسْمَعْتَهُ، وَضَرَبَ وَجْهَ أَتَانِهِ وَمَضَى. فَقَالَ خَالِدٌ: يَمَثُلُ هَذَا الصَّبْرُ نَالَ هَذَا وَأَبُوهُ مِنَ الشَّرَفِ مَا نَالُوهُ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ حَفْصِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ حَزْبِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: انْصَرَفَ أَعْرَابِيٌّ عَنِ الْمَوْسِمِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَسَقَطَ بَعِيرُهُ فِي

الطَّرِيقَ، فَأَقْبَلَ بِرَحْلِهِ يَحْمِلُهُ حَتَّى أَتَى بَابَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ فَحَرَمَهُ، فَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ، فَقَالَ لِأَدِينِهِ: إِنَّ مَعِيَ هَدِيَّةً فَأَعْلَمُهُ. فَدَخَلَ إِلَى ابْنِ جَعْفَرٍ فَأَعْلَمَهُ، فَقَالَ قُلْ لَهُ: أَنْتَ تَحْمِلُ هَدِيَّتِكَ أَمْ يَحْمِلُهَا غَيْرُكَ؟ قَالَ: بَلْ أَحْمِلُهَا أَنَا، قَالَ: أَدْخِلْهُ، فَلَمَّا دَخَلَ، قَالَ: هَاتِ، فَأَتَشَدَّهُ:

أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نُبُوَّةٍ صَالَتْهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ طَهْرُ
أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجِيَادَ تَوَاكَلَتْ فَأَذْرَكَهَا عِنْدَ الْحِضَارِ فَتُورُ
أَبَا جَعْفَرٍ يَا ابْنَ الشَّهِيدِ الَّذِي لَهُ جَنَاحَانِ فِي أَعْلَى الْجِنَانِ يَطِيرُ
أَبَا جَعْفَرٍ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ أَمِيرُ
أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْحَجِيجَ تَرَجَّلُوا وَلَيْسَ لِرَحْلِي فَأَعْلَمَنَّ بَعِيرُ

فَقَالَ لَهُ: انْطَلِقْ إِلَى إِبِلِي فَاخْتَرِ أَفْضَلَ نَاقَةً فِيهَا أَوْ جَمَلٍ فَخُذْهُ. فَمَضَى الْأَعْرَابِيُّ إِلَى الْإِبِلِ، وَكَانَ بِهَا بَصِيرًا، فَأَخَذَ نَاقَةً لِابْنِ جَعْفَرٍ تَعْدِلُ رَحْلَهُ، فَأَبَى غُلامُ ابْنِ جَعْفَرٍ أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَيْهِ، فَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى ابْنِ جَعْفَرٍ فَأَعْلَمَهُ. فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَسُولًا، وَقَالَ لَهُ: أَعْطِهِ الَّذِي طَلَبَ، وَالْعَبْدُ الَّذِي مَنَعَهُ فَأَعْطِهِ إِثَاءً أَيْضًا. فَدَفَعَهُمَا إِلَيْهِ، وَأَخَذَهُمَا الْأَعْرَابِيُّ، وَرَجَعَ إِلَى ابْنِ جَعْفَرٍ يَتَشَكَّرُ لَهُ، فَقَالَ الْعَبْدُ لِابْنِ جَعْفَرٍ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، صُحْبَتِي؟ فَقَالَ: لِلأَعْرَابِيِّ: أَتَبِعُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِكُمْ؟ قَالَ: بَثَلَاثِمَائَةِ دِينَارٍ، قَالَ: هِيَ لَكَ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِمَائَةَ دِينَارٍ، وَأَعْطَاهُ سِنْفًا، وَقَالَ: لَا تَخْدَعَنَّ عَنْهُ، فَإِنِّي أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعِمَائَةِ دِينَارٍ، وَقَالَ لِلْعَبْدِ: إِنَّ لَكَ حَقًّا وَإِنَّكَ لَطَوِيلُ الصُّحْبَةِ، فَأَعْتَقَهُ وَأَهْلَهُ وَوَلَدَهُ. فَأَنْشَأَ الْأَعْرَابِيُّ، يَقُولُ:

سَأْتِنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي يَا ابْنَ جَعْفَرٍ وَمَا شَاكِرٌ عُرْفًا كَمَنْ هُوَ كَافِرُهُ
فَيَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ نَفْسًا وَوَلَدًا وَأَكْرَمَهُمْ لِلْجَارِحِينَ يُجَاوِرُهُ

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: أَشَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمَهْدِيِّ أَنْ يَنْزِلَ الرَّافِقَةَ، وَأَرَادَ أَنْ يُعْبِدَهُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، فَكَتَبَ أَبُو ذُلَامَةَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ: إِنَّ الْخَلِيفَةَ وَالْمَهْدِيَّ إِنَّ قُرْبًا فَتَحْنُ فِي حِنْثٍ، لَا مَاءَ، وَلَا شَجَرًا، وَلَا نَهَارًا، وَلَا لَيْلًا يَطِيبُ لَنَا، وَلَا يَطِيبُ لَنَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، اللَّهُ يَعْلَمُ أَتَيْ نَاصِحٌ لَكُمْ فِيمَا أَقُولُ، وَإِنِّي حَيَّةٌ ذَكَرْتُ أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعَانِ بِهِ مِنَ الْحُسُودِ، وَفِي فِي الْحَاسِدِ الْحَجَرِ. فَرَدَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَهْدِيَّ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَأْذُنْ

لَهُ فِي نُزُولِ الرَّافِقَةِ، وَلَمْ يُبَاعِدْهُ عَنْهُ.

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَوَافَى طَاوُسًا بِمَكَّةَ، فَقِيلَ لَطَاوُسٍ: حَدَّثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ طَاوُسٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَشْرَكَهُ اللَّهُ فِي سُلْطَانِهِ فَجَارَ فِي حُكْمِهِ»^(١). قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: فَرَأَيْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ.

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ عَوَانَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِعَمْرٍو بْنِ حُرَيْثٍ: إِنِّي أَرَاكَ ظَاهِرَ اللَّوْنِ لَيْنِ الْبُشْرَةِ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا طَعَامُكَ؟ قَالَ: لُبَابُ الْحِنْطَةِ، وَصِغَارُ الْمَاعِزِ، وَأَدْهْنُ بِحَامِ الْبَنْفَسَجِ، وَالْبُسُّ الْكَثَّانُ.

حَدَّثَنِي عَيِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: جَاءَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بُرَيْهَةَ إِلَى عَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ يَشْكُو إِلَيْهِ غَلْبَةَ الدِّينِ، وَضِيقَ الْحَالِ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرْفَعَهُ لَهُ رُفْعَةً إِلَى الْمَأْمُونِ فِي إِذْرَارِ أَرْزَاقِهِ وَقَضَاءِ دِينِهِ. فَقَالَ: وَكَمْ دَيْنُكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. قَالَ: هَاتِ رُفْعَتَكَ. فَأَخْرَجَهَا مِنْ حُقِّهِ وَذَهَبَ لِيَقُومَ. فَقَالَ: مَكَانَكَ، ثُمَّ دَعَا بِالْغَدَاءِ، وَدَعَا بِوَكِيلِهِ، فَقَالَ: اذْنُ مَتِّي، فَسَارَهُ، وَقَالَ: أَحْمِلِ السَّاعَةَ إِلَى مَنْزِلِ بُرَيْهَةَ مِائَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، فَحُمِلَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَغَدَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ وَجَدَهَا فِي مَنْزِلِهِ، وَرَكِبَ عَسَّانُ مِنَ الْغَدِ، فَكَلَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِهِ وَعَرَضَ رُفْعَتَهُ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: قَدْ بَلَغَنِي مَا فَعَلْتَ أَمْسَ، فَوَصَلَكَ اللَّهُ بِصِلَتِكَ، فَأَنْتَ وَاللَّهِ مِمَّنْ إِذَا تَكَلَّمَ نَفَعَ كَلَامُهُ، وَإِذَا سَكَتَ حَسَنَ سُكُوتُهُ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةٌ، قَدْ أَمَرْنَا بِقَضَاءِ دِينِهِ وَالزِّيَادَةِ فِي أَرْزَاقِهِ، وَأَدْرَزْنَاهَا عَلَيْهِ. فَدَعَا لَهُ عَسَّانُ وَانْصَرَفَ، فَلَمَّا وَلَّى أَتْبَعَهُ بَصْرَهُ. فَقَالَ: لَا تَزَالُ الْخِلَافَةُ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا حَضَرَ مَجْلِسَنَا مِثْلَ هَذَا، مَا اغْتَابَ عِنْدِي أَحَدًا قَطُّ، وَلَا اعْتَرَضَ فِي كَلَامِهِ، وَلَا سَأَلَ حَاجَةً لِنَفْسِهِ، وَلَا جَرَّبْنَا عَلَيْهِ كَذِبًا وَلَا خِيَانَةً، وَلَا سَبَقَهُ لِسَانُهُ بِلَفْظَةٍ اعْتَدَرَ مِنْهَا. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ تَوْقِيعِ بَعْدَ هَذَا خَرَجَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِعَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ النَّازِلِ مَا لَا يَغْنِيهِ.

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الْمَطِيرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ يَوْمًا لِابْنِ حُرَيْمٍ، وَكَانَ آتِسًا بِهِ: إِنِّي وَاثِقٌ بِعِنَايَتِكَ، وَحِفْظِكَ وَأَمَانَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ لِأَمَانَتِكَ، وَلَيْسَ كُلُّ ذِي عَقْلٍ نَاصِحٍ يَجْتَمِعُ هَذَا فِيهِ، فَأَحْبِرْني عَمَّا يَعِيبُ النَّاسُ مِنْ أَمْرِي،

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (١٢٤/٢) بنحوه.

وَيَكْرَهُونَ مِنْ سِيرَتِي. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَصْبَحَ النَّاسُ يُنْكِرُونَ مِنْ سِيرَتِكَ مُنْكَرًا، وَلَا يَسْتَبْطُونَ خَيْرًا، إِلَّا أَنْ أَهْلَ النَّصِيحَةِ لَكَ وَالْإِنْقَاءِ عَلَيْكَ قَدْ غَاطَهُمْ مُبَاشَرَتُكَ أُمُورَكَ، وَتَوَلَّيْتَ النَّظَرَ فِيمَا لَوْ وَكَلْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ كِفَاكُهُ، وَشَغَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الصَّغِيرِ مِنَ الْأُمْرِ، حَتَّى انْحَلَّ جِسْمُكَ مِنَ التَّهْنِي بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَلَوْ بَاشَرْتَ جَلَائِلَ الْأُمُورِ، وَوَكَلْتَ حَسَاتِسَهَا إِلَى أَعْوَانِكَ انْتَضَمَتِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَا إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَلَةَ أَعْوَانِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ تَكْتُبَ سَبْعِينَ عَهْدًا وَتَتْرَكَ مَوَاضِعَ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ لِيُعَلِّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُمْ فَيَسَمِّيَهُمْ فِيهَا. قَالَ الْمَنْصُورُ: هَذَا مُوسَى ذَلَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَوْحَى اللَّهُ فِيهِمْ، وَأَخْبَارُ السَّمَاءِ لَيْسَ يَعْلَمُهَا إِلَّا مَلِكٌ مَقْرَّبٌ وَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَأَنَا مَنْ يُخْبِرُنِي وَالنَّاسُ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ فِي مَسَاوِيهِمْ وَخُبْتِ نِيَّاتِهِمْ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ الرَّبِّيعِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ؟ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ مِثْلَهُمَا، وَكَانَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا حَسَنًا، فَأَخْبَيْتُ أَنْ يَعْلَمَا كَلَامِي إِثَاءً. وَكَانَا خَلْفَ الْفُسْطَاطِ، فَرَأَى ظِلَّهُمَا، فَقَالَ الْفَاسِقَيْنِ الْمُخْتَبَيْنِ، لَيْسَا لِذَلِكَ بِأَهْلٍ، وَإِنْ كَانَا يَسْمَعَانِ قَوْلِي الْآنَ، ثُمَّ أَضْعَى إِلَيَّ فَقَالَ: مَعَ أَنْهُمَا قَدْ ضَعَطَهُمَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ صَلَحَا، وَعَبْدُ الْمَلِكِ أَمِينٌ مُجَزٍ، وَالرَّبِّيعُ ظَرِيفٌ نَاصِحٌ. قَالَ ابْنُ خُرَيْمٍ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ دَعَاهُمَا، فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلَامِ ابْنِ خُرَيْمٍ أَوْ قَوْلِهِ، وَأَوْقَعَ عَلَى قَلْبِي مَعَ النَّصِيحَةِ وَشِدَّةِ الرَّأْيِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ أَنَا وَالرَّبِّيعُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: تَتَقَارِضَانِ الثَّنَاءَ عِنْدِي كَذِبْتُمَا، وَكَذِبَ فِيكُمَا، أَخْرَجَا عَنِّي.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَرِيبٍ، قَالَ: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْبَادِيَةِ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ إِلَى جَانِبِ قَبْرِ، وَهِيَ تَسْتُرُ جِيدَهَا، فَقُلْتُ: يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ تُتَدَّبُ أَوْ تَرْثِي، فَدَنَوْتُ مِنْهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي، حَتَّى قُرْبْتُ مِنْهَا، فَإِذَا هِيَ تَقُولُ^(١):

هَلْ خَبَرَ الْقَبْرُ سَائِلِيهِ أَمْ قَرَّ عَيْنًا بِزَائِرِيهِ
أَمْ هَلْ تَرَاهُ أَحَاطَ عِلْمًا بِالْجَسَدِ الْمُسْتَكِنِ فِيهِ
لَوْ يَعْلَمُ الْقَبْرُ مَنْ يَوَارِي نَاهَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَلِيهِ

(١) الأبيات في الحماسة (ص ١٠٦).

يَا مَوْتُ لَوْ تَقَبَلُ افْتِدَاءً كُنْتُ بِنَفْسِي سَأَفْتَدِيهِ
 أَنْعَى يَزِيدًا لِمُجْتَدِيهِ أَنْعَى يَزِيدًا لِمُعْتَفِيهِ
 أَنْعَى يَزِيدًا إِلَى حُرُوبٍ بَوْصَفِهِ نَدَبٌ نَادِيهِ
 يَا جَبَلًا كَانَ ذَا امْتِنَاعٍ وَرُكْنًا عِزًّا لَأَمَلِيهِ
 يَا نَحْلَةً طَلَعَهَا نَضِيدٌ يَقْرُبُ مِنْ كَفِّ مُجْتَنِيهِ
 تَحَلُّو نَعْمَ عِنْدَهُ سَمَاحًا وَلَمْ يَقْلُ قَطُّ لَا بِفِيهِ
 أَيَا صَبُورًا عَلَيَّ بَلَاءٍ كَانَ بِهِ اللهُ يَتَلِيهِ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَرِيبٍ: فَحَفِظْتُ مَا قَالَتْ، ثُمَّ دَنَوْتُ إِلَيْهَا، فَقُلْتُ لَهَا: أَعْيَدِي لَفُظِكَ رَحِمَكَ اللهُ. قَالَتْ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُنِي مَا قُلْتُ شَيْئًا مِنْهَا. قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: فَاسْمَعِي مِنِّي مَا قُلْتُ: قَالَتْ: قُلْ. فَأَنْشَدْتُهَا مَا قَالَتْ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهِ. قَالَتْ: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ أَحَدًا لَهُ مِثْلُ حِفْظِكَ، فَإِنْ كَانَ فِي بِلَادِ الْأَضْمَعِيِّ فَأَنْتَ هُوَ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ أُنِيقَ بِهِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ نَدَتْ، فَوَرَدَ مِنْهَا مِنْ مَنَاهِلِ الْعَرَبِ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةٍ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ، لَهَا لِسَانٌ وَبَيَانٌ، فَدَنَا مِنْهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، فَوَدَّتِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ فَانْتَسَبَ لَهَا. فَقَالَتْ لَهُ: مَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: خَرَجْتُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لِي نَدَتْ عَنِّي، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهَا، فَهَلْ أَحْسَسْتِ مِنْهَا شَيْئًا؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَذُكُّ عَلَى مَنْ يَزِدُّهَا عَلَيْكَ. قَالَ: افْعَلِي. قَالَتْ: سَلِ الَّذِي أَعْطَاكَهَا، بِبَيْتَةِ صَادِقَةٍ، أَنْ يَزِدَّهَا عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ مَالِكٌ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ: مِمَّنِ الْمَرْأَةُ؟ قَالَتْ: مِنْ بَنِي عَامِرٍ. قَالَ: أَلَكِ زَوْجٌ، وَتَأْمِينٌ بَوَائِقَهُ؟ فَتَرَفَّرَتْ عَيْنَاهَا، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

كُنَّا كَفُصْنَيْنِ فِي أَصْلِ غِذَاؤُهُمَا مَاءُ الْجَدُولِ فِي رَوْضَاتِ جَنَاتِ
 فَاجْتُثُّ خَيْرُهُمَا عَنْ أَصْلِ صَاحِبِهِ دَهْرٌ يَكْرُبُ بَعُولَاتٍ وَتَرْحَاتِ
 وَكَانَ عَاهَدِنِي إِنْ رَامَنِي زَمَنٌ أَنْ لَا يُضَاجِعَ أُنْتَى بَعْدَ مَثْوَاتِي
 وَكُنْتُ عَاهَدْتُهُ أَيُّضًا فَعَادَرَهُ رَيْبُ الزَّمَانِ قَرِيبًا مُدَّ سُنِّيَاتِ

فَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَمَّنْ لَيْسَ يَرُدُّعُهُ عَنِ الْوَفَاءِ حَلَابٌ بِالتَّحِيَّاتِ (١)

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ مَيْسَرَةَ بْنِ شُرَيْحِ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُعَاوِيَةَ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ مَيْسَرَةَ، عَنْ شُرَيْحٍ، قَالَ: تَقَدَّمْتُ إِلَيَّ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْقَاضِي، إِنِّي جِئْتُكَ مُخَاصِمَةً. قَالَ: وَأَيْنَ خَضَمُكَ؟ قَالَتْ: أَنْتَ أَيُّهَا الْقَاضِي. فَأَخْلَى الْمَجْلِسَ، وَقَالَ لَهَا: تَكَلِّمِي. قَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ وَلِي إِحْلِيلٌ، وَلِي فَرْجٌ. فَقَالَ لَهَا: قَدْ كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ قَضِيَّةٌ وَرَثَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ الْبَوْلُ. فَقَالَتْ: إِنَّهُ يَجِيءُ مِنْهُمَا. فَقَالَ لَهَا: فَمِنْ أَيَّنَ سَابَقَ الْبَوْلُ؟ قَالَتْ: لَيْسَ مِنْهُمَا، يَسْتَوْجِبَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَيَنْفُطِعَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. فَقَالَ لَهَا: إِنَّكَ لَتُخْبِرِينِي بِعَجَبٍ. قَالَتْ: وَأَخْبِرْكَ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا، تَزَوَّجَنِي ابْنُ عَمِّ لِي، وَأَخْدَمَنِي خَادِمَةٌ، فَوَطَّئْتَهَا فَأَوْلَدْتُهَا، وَإِنَّمَا جِئْتُكَ لَمَّا وُلِدَ لِي لِتُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي، فَقَامَ مِنْ مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ، فَأَدْخَلْتُ، فَقَالَ: أَحَقُّ مَا يَقُولُ الْقَاضِي؟ قَالَتْ: هُوَ كَمَا قَالَ. قَالَ: فَدَعَا بِرُؤُوسِهَا، فَقَالَ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ وَابْنَةُ عَمِّكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَعَلِمْتُ مَا كَانَ، قَالَ: نَعَمْ، أَخْدَمْتَهَا خَادِمَةً فَوَطَّئْتَهَا فَأَوْلَدْتُهَا، ثُمَّ وَطَّئْتَهَا أَنْتَ بَعْدُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَأَنْتَ أَحْسَنُ مِنْ خَاصِي أَسَدٍ، عَلَيَّ بِدِينَارِ الْخَادِمِ وَامْرَأَتَيْنِ، فَجِيءَ بِهِمْ، فَقَالَ: خُذُوا هَذِهِ الْمَرْأَةَ، إِنْ كَانَتْ امْرَأَةً، فَأَدْخِلُوهَا بَيْتًا وَأَلْبِسُوهَا ثِيَابًا، وَعَدُّوا أَضْلَاعَ جَنِينِهَا، فَفَعَلُوا، فَقَالَ: عَدَّدُ الْأَيْمَنَ أَحَدَ عَشَرَ وَعَدَّدُ الْأَيْسَرَ اثْنَا عَشَرَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: اللَّهُ أَكْبَرُ. فَأَمَرَ لَهَا بِرَدَائِ وَحِذَائِ وَالْحَقَقِهَا بِالرِّجَالِ. فَقَالَ زَوْجُهَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، زَوْجَتِي وَابْنَةُ عَمِّي، فَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، فَأَلْحَقْتَهَا بِالرِّجَالِ، عَمَّنْ أَخَذْتَ هَذِهِ الْقِصَّةَ؟ قَالَ: إِنِّي أَخَذْتُهَا عَنْ أَبِي آدَمَ ﷺ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَ حَوَاءَ، ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِ آدَمَ، فَأَضْلَاعُ الرِّجَالِ أَقْلٌ مِنْ أَضْلَاعِ النِّسَاءِ بِضِلْعٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَأَخْرَجُوا. وَمِنْ عِنْدِنَا اثْنَتانِ، فَزِدُوا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ يُضِدُّرُوهُ كَمَا أوردَهُ. قَالَ ثُمَّ رَجَعَ وَاللَّهُ إِلَى خُطْبَتِهِ كَأَنَّمَا يَقْرُؤُهَا مِنْ كَفِّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (٢).

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: كَانَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: اتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ،

(١) انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة (١/٣٨٣)، ومصارع العشاق (ص ٢٠٠).

(٢) انظر: أخبار القضاة (١٩٧/٢).

فَكَمْ مُؤْمِلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَطَاعِمٍ مَا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٍ عَمَّا سَوْفَ يَثْرُكُهُ، وَلَعْلَهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمَنْ حَقَّ مَنَعُهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا، وَأَوْرَثَهُ عَدُوًّا، فَاحْتَمَلَ إِضْرَهُ، وَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رِيهِ، أَسْفًا لَاهِفًا، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: لَمَّا اسْتَدَّتْ شَوْكَةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَطَالَ تَوَثُّبُهُمْ بِالْوَلَاةِ، يَخْصِبُونَهُمْ وَيَقْصِرُونَ بِهِمْ، أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُنَادِيًا، فَنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْعِرَاقَ قَدْ عَلَا لَهَاظِمًا، وَسَطَعَ وَمِيضُهَا، وَعَظَّمَ الْخَطْبُ. فَجَمَرُهَا ذَكِيًّا، وَشَهَاظِمًا وَرِيًّا، فَهَلْ مِنْ رَجُلٍ يَتَنَدَّبُ لَهُمْ، ذِي سِلَاحٍ عَتِيدٍ، وَقَلْبٍ شَدِيدٍ، فَيُحْمَدُ نِيرَانَهَا، وَيَبِيدُ شُبَّانَهَا؟ فَسَكَتَ النَّاسُ جَمِيعًا، وَوَثِبَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ، فَقَالَ: أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَظِيمِ الْقَرَبَاتِينَ. قَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَلَسْتُ هُنَاكَ. ثُمَّ سَأَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَنْ لِلْعِرَاقِ؟ فَسَكَتَ النَّاسُ، وَوَثِبَ الْحَجَّاجُ. فَقَالَ: أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ. قَالَ: أَنَا مِنْ قَوْمٍ رَغِبْتُ فِي مَنَاكَحَتِهِمْ قُرَيْشٌ وَلَمْ يَنَاسُوا مِنْهُمْ، وَإِعَادَةُ الْكَلَامِ مِمَّا يَنْسِبُ صَاحِبَهُ إِلَى الْعِيِّ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَعَدْتُ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: اجْلِسْ فَلَسْتُ هُنَاكَ، ثُمَّ أَطْرَقَ عَبْدُ الْمَلِكِ مَلِيًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: مَنْ لِلْعِرَاقِ؟ فَسَكَتَ النَّاسُ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا لِي أَرَى اللَّيْثَ قَدْ أَطْرَقَتْ، وَلَا أَرَى أَسَدًا يَزَارُ نَحْوَ فَرَيْسَتِهِ؟ فَسَكَتَ النَّاسُ، وَوَثِبَ الْحَجَّاجُ، وَقَالَ: أَنَا لِلْعِرَاقِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَمَا الَّذِي أَعَدَدْتَ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: أَلْبَسُ جِلْدَ الثَّمَرِ، ثُمَّ أَخُوْضُ الْغَمْرَاتِ، وَاتَّبِعُ الْهَلَكَاتِ، فَمَنْ نَارَ عَنِي طَلَبْتُهُ، وَمَنْ لَحِقْتُهُ قَتَلْتُهُ بِسَدَّةٍ، وَعَجَلِ وَرَيْثٍ، وَتَبَّرَ وَازْوَرَارٍ، وَطَلَاقَةَ وَكَفْهَرَارٍ، وَرَفِقَ وَجَفَاءٍ، وَصِلَةَ وَحِرْمَانٍ، فَإِنْ اسْتَقَامُوا كُنْتُ لَهُمْ وَالِيًا حَفِيًّا، وَإِنْ خَالَفُوا لَمْ أَبْقِ مِنْهُمْ طَوِيًّا، فَهَذَا مَا أَعَدَدْتُ لَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تُجَرِّبَنِي، فَإِنْ كُنْتُ لِلطَّلِي قَطَاعًا، وَلِلْأَزْوَاحِ نَزَاعًا، وَلِلْأَمْوَالِ جَمَاعًا، وَإِلَّا فَاسْتَبَدَلْ بِي، فَإِنَّ الرِّجَالَ كَثِيرٌ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَنْتَ لَهَا. ثُمَّ التَفَتَ إِلَى كَاتِبِهِ، فَقَالَ: اكْتُبْ عَهْدَهُ وَلَا تُؤَخِّرْهُ، وَأَعْطِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالْكَرَاعِ وَالْأَمْوَالِ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمِيرٍ: فَبَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ إِذْ أَنَا آتٍ، فَقَالَ: هَذَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ قَدْ قَدِمَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ، فَاشْرَأَبَ النَّاسُ نَحْوَهُ، ثُمَّ أَفْرَاجُوا إِفْرَاجَةً عَنْ صَحْنِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا نَحْنُ بِهِ يَتَبَهَّنُسُ فِي مَشِيَّتِهِ،

عَلَيْهِ عِمَامَةٌ حَمْرَاءُ مُتَلَثِّمًا، بِهَا مُنْتَكِبًا قَوْسًا عَرَبِيَّةً، يُؤْمُ الْمُنْبَرِ، فَمَا زِلْتُ أَرْمُقُهُ بِبَصْرِي حَتَّى صَعِدَ الْمُنْبَرِ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ مَا يَخْدِرُ اللَّثَامَ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يَوْمئِذٍ لَهُمْ حَالٌ حَسَنٌ، وَهَيْئَةٌ جَمِيلَةٌ وَعِزٌّ وَمَنْعَةٌ وَيَسَارٌ، يَدْخُلُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ الْمَسْجِدَ وَمَعَهُ عَشْرَةٌ أَوْ عِشْرُونَ رَجُلًا مِنْ مَوَالِيهِ وَأَتْبَاعِهِ، عَلَيْهِمُ الْخُزُونُ وَالْقُوْهِيَّةُ، وَفِي الْمَسْجِدِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبَرْجُمِيُّ. فَقَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَطَارِدِ التَّمِيمِيِّ: هَلْ لَكَ أَنْ أَحْصِبَهُ لَكَ؟ قَالَ: لَا، حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَهُ. فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةَ حَيْثُ يَسْتَعْمِلُونَ عَلَيْنَا مِثْلَ هَذَا، وَلَقَدْ ضَبَعَ اللَّهُ الْعِرَاقَ حَيْثُ يَكُونُ عَلَيْهَا مِثْلُ هَذَا أَمِيرًا، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا كُلُّهُ كَلَامًا لَمْ يَكُنْ شَيْئًا. وَالْحَجَّاجُ سَاكِتٌ يَنْظُرُ يَمَنَةً وَيُسْرَةً، حَتَّى غَضَّ الْمَسْجِدَ بِأَهْلِهِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، إِنِّي لِأَعْرِفُ قَدْرَ اجْتِمَاعِكُمْ. اجْتَمَعْتُمْ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: قَدْ اجْتَمَعْنَا أَضْلَحَكَ اللَّهُ، فَسَكَتَ هُنَيْهَةً لَا يَتَكَلَّمُ. فَقَالُوا: مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْعِيَّ وَالْحَضْرُ. فَقَامَ الْحَجَّاجُ، فَحَدَرَ لِثَامَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، أَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَزْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ.

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاغِ الثَّنَائِيَا
صَلِيبُ الْعُودِ مِنْ سَلْفِي تُرَانَ
وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي
أَحُو حَمْسِينَ مُجْتَمِعًا أَشْدِي
وَإِنِّي لَا أَعُودُ إِلَى مُرَبِّي

وَاللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنِّي لِأَرَى رُءُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا، وَإِنِّي لِصَاحِبُهَا،
وَاللَّهُ إِنِّي لِأَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعَمَائِمِ وَاللِّحَى.

هَذَا أَوْ أَنَّ الشَّدَّ فَاشْتَدِّي زَيْمٌ
لَيْسَ بَرَاعِي إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ
لَا بَجَزَارٍ عَلَيَّ ظَهْرٍ وَضَمٌ^(١)
ثُمَّ قَالَ:

(١) القائل: رويشد بن رميض كما في الأغاني (٤٥/١٤).

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بَعَصَلِيٍّ وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقِ شَمْرِي
أَرْوَعَ حَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ
ثُمَّ قَالَ:

مَا عَلَيَّ وَأَنَا شَيْخٌ إِدُ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عَرْدُ
مِثْلُ ذِرَاعِ الْبُكْرِ أَوْ أَشَدُّ

والله يا أهل العراق، لا يُعْمَرُ جَانِبِي كِتْعَمَارِ التَّيْنِ، وَلَا يُقَعِّعُ لِي بِالسَّنَانِ. وَلَقَدْ فَرَرْتُ عَنْ ذُكَاةٍ، وَفُتِّشْتُ عَنْ تَجْرِبَةٍ، وَأَجْرَيْتُ عَنِ الْعَايَةِ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفَرَ كِنَانَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَجِمَ عِيدَانُهَا فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا سَهْمًا، وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ وَرَمَاكُمْ بِي. يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ وَمَسَاوِيِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّكُمْ طَالَمَا اضْطَجَعْتُمْ فِي مَنَامِ الضَّلَالِ، وَأَوْضَعْتُمْ فِي أَوْدِيَةِ الْفِتْنَةِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْعِيِّ. وَإِنَّمَا اللَّهُ لِأَلْحُونِكُمْ لَحْوُ الْعُودِ، وَلَأَفْرَعَتِكُمْ فَرَعُ الْمَرْوَةِ، وَلَأَعْصَبَتِكُمْ عَصَبُ السَّلْمَةِ، وَلَأَضْرِبَتِكُمْ ضَرْبَ غَرِيبَةِ الْإِبِلِ. فَيَأْتِي وَهَذِهِ الزَّرَافَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَقَالَ وَمَا يَقُولُ، وَكَانَ وَمَا يَكُونُ، مَا أَنْتُمْ وَذَلِكَ؟ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، إِنَّمَا أَنْتُمْ لِكَأْهِلِ «قَرْيَةٍ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ» [النحل: ١١٢] فَاسْتَوْسِقُوا وَاعْتَدِلُوا وَلَا تَمِيلُوا، وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا، وَشَايِعُوا وَبَايِعُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي الْإِكْتَارُ وَلَا الْإِهْدَارُ، وَلَا مَعَ ذَلِكَ الْفِرَارُ وَالنِّفَارُ، إِنَّمَا هُوَ انْتِصَائِي هَذَا السَّيْفِ، ثُمَّ لَا يُعْمَدُ الشِّتَاءُ وَلَا الصَّيْفُ، حَتَّى يَظْهَرَ أَمْرُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُذَلَّ صَعْبِكُمْ، وَيُقِيمَ مِنْ أَوْدِكُمْ وَصَعْرِكُمْ. ثُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ الصِّدْقَ مَعَ الْبِرِّ وَوَجَدْتُ الْبِرَّ فِي الْجَنَّةِ، وَوَجَدْتُ الْكُذِبَ مَعَ الْفُجُورِ، وَوَجَدْتُ الْفُجُورَ فِي النَّارِ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَنِي بِأَعْطِيَاتِكُمْ وَإِشْحَاصِكُمْ لِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّكُمْ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ، وَأَجَلْتُكُمْ ثَلَاثًا، وَأَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا يَأْخُذُنِي بِهِ، وَيَسْتَوْفِيهِ مِنِّي، لَيْسَ يُخَلِّفُ أَحَدٌ مِنْكُمْ بَعْدَ قَبْضِ عَطَائِهِ يَوْمًا وَاحِدًا لِأَضْرِبَنَّ عُقُقَهُ، وَلَا هَبْنَنَّ مَالَهُ. يَا غُلَامَ اقْرَأْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْكَاتِبُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى مَنْ بِالْعِرَاقِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. فَلَمْ يَزِدْ أَحَدًا السَّلَامَ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْمُنْبَرِ: اسْكُتْ يَا غُلَامُ. يَا أَهْلَ الْفُرْقَةِ،

سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ تَرُدُّوا عَلَيْهِ، أَمَا وَاللَّهِ لئن بَقَيْتُمْ لَكُمْ لَأَوْدَيْنَكُمْ أَدْبًا سِوَى
أَدْبِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، أَوْ لَتَسْتَقِيمَنَّ لِي، وَلَأَجْعَلَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي نَفْسِهِ. يَا غُلَامُ:
اقْرَأْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْكَاتِبُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَمَّا بَلَغَ السَّلَامَ، قَالَ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ: وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ. ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ، فَحُجِبَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ أُذِنَ
لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ، فِيمَنْ دَخَلَ، فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنِّي
شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ خَرَجَ اسْمِي فِي هَذَا الْبُعْثِ، وَلِي ابْنٌ، هُوَ عَلَى الْحَزْبِ وَالْأَسْفَارِ أَقْوَى
مِنِّي، وَأَشْجَعُ عِنْدَ اللَّقَاءِ، فَإِن رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَجْعَلَهُ مَكَانِي فَعَلْ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَيُّهَا
الشَّيْخُ، رَاشِدًا، وَابْعَثْ ابْنَكَ بَدِيلًا. فَلَمَّا وُلِّيَ، قَالَ لَهُ عَبْسَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: أَيُّهَا
الْأَمِيرُ، أَتَعْرِفُ هَذَا؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: هَذَا عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ، الَّذِي أَرَادَ أَبُوهُ أَنْ يَفْتِكَ
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، وَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا فِي حَبْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَصَابَتْهُ الدَّبِيلَةُ،
ثُمَّ جَاءَ هَذَا فَوَطِئَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ مَقْتُولٌ، وَكَسَرَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، وَأَبُوهُ الَّذِي
يَقُولُ:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ وَكَانَ الْمُعَوْلَاتُ حَلَالَهُ

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: رُدُّوا عَلَيَّ الشَّيْخَ. فَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَيْهِ، قَالَ: أَمَا يَوْمَ الدَّارِ فَتَشْهَدُ
بِنَفْسِكَ، وَأَمَا فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ فَتُبْعَثُ بَدِيلًا، أَمَا وَاللَّهِ أَيُّهَا الشَّيْخُ إِنَّ فِي قَتْلِكَ لَصَلَاحٌ
لِلْأَهْلِ الْمِضْرَبِينَ بِأَحْسَنِ شَيْءٍ. اضْرِبْنَا عُنُقَهُ. وَسَمِعَ الْحَجَّاجُ صَوْتًا، فَقَالُوا: هَذِهِ الْبِرَاجِمُ،
تَنْتَظِرُ عُمَيْرًا، قَالَ: ارْمُوا إِلَيْهِمْ بِرَأْسِهِ، فَرَمِيَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَوَلَّوْا هَارِبِينَ. قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عَمِّ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيِّ قَدْ سَأَلَ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ لِيَتَخَلَّفَ عَنِ الْجَيْشِ. فَلَمَّا
قُتِلَ عُمَيْرٌ بَادَرَ بِالْخُرُوجِ، وَلَمْ يَنْتَظِرِ الْإِذْنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ:

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ يَوْمَ لَقِيْتُهُ أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُفْضَعًا مُتْصَعِبًا

تَجَهَّزْ فَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ عَمِيرًا وَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلَّبَا

هُمَا خِطَّتَا سَوْءَ نَجَاؤِكَ مِنْهُمَا رُكُوبَكَ حَوْلِيَا مِنَ التَّلَجِ أَشْهَبَا

وَالْإِمَامُ الْحَجَّاجُ مُغْمِدُ سَيْفِهِ يَدِ الدَّهْرِ حَتَّى يَتْرُكَ الطِّفْلَ أَشْيَبَا
فَأَضْحَى وَلَوْ كَأَنَّ خُرَّاسَانَ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبًا^(١)

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَجَّاجِ كَلِمَاتٍ وَقَدْتَنِي،
فَقِيلَ: يَا أَبَا يَحْيَى، إِنَّ كَلَامَ الْحَجَّاجِ لَيَقْدُوكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ، يَقُولُ:
إِنَّ امْرَأَةً ذَهَبَتْ سَاعَةً مِنْ عُمْرِهِ عَلَى غَيْرِ مَا خَلِقَ لَهُ لِحَرِّي أَنْ تَطُولَ حَسْرَتُهُ. وَسَمِعْتُهُ
يَقُولُ: امْرُؤٌ زَوَّرَ نَفْسَهُ، امْرُؤٌ لَمْ يَأْتِمِنْ نَفْسَهُ عَلَى نَفْسِهِ، امْرُؤٌ حَاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ
الْمُحَاسَبَةُ إِلَى غَيْرِهِ، امْرُؤٌ جَعَلَ لِنَفْسِهِ زِمَامًا وَلِجَامًا، فَقَادَهَا بِالزِّمَامِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ،
وَكَبَحَهَا بِاللِّجَامِ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَإِذَا
الْحَجَّاجُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، وَيَا أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ
وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، يَا عِبِيدَ الْعَصَا، وَالْأَمَّ الْبَشْرِ، كَالْفَقْعِ بِالْقَرْقَرِ. أَلَسْتُمْ أَصْحَابَ دُمَشْقَا،
يَا ذُووِ أَصْحَابِ الزَّوَايَةِ، وَمَسْكَنِ وَدِيرِ الْجَمَاجِمِ حِينَ حَاكَمْنَاكُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَضَى لَنَا
عَلَيْكُمْ. تَزْعُمُونَ أَنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَنَائُوهُ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ
عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]. وَتَزْعُمُونَ أَنِّي سَاحِرٌ، فَبَسَّ الدِّينُ دِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِ
السِّحْرُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]. وَتَزْعُمُونَ أَنِّي
بَقِيَّةُ ثُمُودَ، فَوَاللَّهِ مَا نَجَا مَعَ صَالِحٍ إِلَّا خَيَّرْتُهُمْ، وَهَلَكَ الْآخِرُونَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿وَتُمُودٌ فَمَا أَبْقَى﴾ [النجم: ٥١]. ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ شُوَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ:

رُبُّ مَنْ أَلْضَجْتُ غَيْظًا صَدْرَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ
وَيَرَانِي كَالشُّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِرًا مَخْرَجُهُ لَا يَنْتَزِعُ
وَيُحْيِينِي إِذَا لَا قَيْسُتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَنَعُ
كَيْفَ تَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا شَمَلَ الرَّأْسَ مَشِيبٌ وَصَلَعُ

(١) انظر: مروج الذهب (٤٠٤/١)، العقد الفريد (٣٣/٢)، المستطرف (ص ١١٧)، جمهرة خطب العرب (٢٨٨/٢).

وَأَبَاءٌ لِلدَّيْنِيَّاتِ إِذَا ضَغَطَ الْمَكْرُوبَ ضَمِيمَ فَقَعٍ
وَبَنَاءً لِلْمَعَالِيِ الْإِمَا يَرْفَعُ اللَّهُ وَمَنْ شَاءَ وَضَعُ^(١)

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ، قَالَ:
خَطَبَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَخَرَجَ بِالْهَاجِرَةِ، فَمَا زَالَ يَفْتَنُ مَرَّةً فِي أَهْلِ الشَّامِ،
وَمَرَّةً فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ، يَقُولُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، أَنْتُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيعَةُ الدُّبَيَانِيُّ^(٢):

هُمْ دِرْعِي التِّي اسْتَلَأْمَتْ فِيهَا إِلَى أَهْلِ النَّسَارِ وَهُمْ مِجْنِي
وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارِ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاطٍ إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتُهُمْ بِوُدِّ الصَّدْرِ مَنِّي

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: هَذِهِ الْمُدْرَةُ الْخَبِيثَةُ يَجْلِسُونَ عَلَى الْكِرَاسِي،
ثُمَّ يَقُولُونَ: مَا الْهَبْرُ مَا الْهَبْرُ. وَاللَّهِ لَئِنْ تَحَرَّكَ فِيهَا مَتَحَرَّكَ لِأَتْرَكْنَهَا كَأَمْسِ الدَّابِرِ، فَلَمْ
يَزَلْ يَفْتَنُ مَرَّةً فِي أَهْلِ الشَّامِ، وَمَرَّةً فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ حَتَّى لَا يُرَى مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا حُمْرَةٌ
عَلَى شَرْفِ الْمَسْجِدِ. ثُمَّ أَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَأَذَّنَ، فَصَلَّى بِنَا الْجُمُعَةَ، ثُمَّ أَدْنَى فَصَلَّى بِنَا الْمَغْرِبِ
فَجَمَعَ بَيْنَ الصَّلَوَاتِ يَوْمَئِذٍ^(٣).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَمَّا مَاتَ الْحَجَّاجُ، قَالَ الْحَسَنُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَمَتُهُ، فَاقْطَعْ عَنَّا
سُنَّتَهُ فَإِنَّهُ أَتَانَا أَحْنَفِيسَ أُعَيْمِشَ، يَمُدُّ بِيَدِ قَصِيرَةِ الْبَنَانِ، وَاللَّهِ مَا عَرِقَ فِيهِ عَنَانٌ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، يُرِجُلُ جُمَّتَهُ، وَيَخْطُو فِي مَشْيَتِهِ، وَيَضَعُدُ الْمُنْبِرَ فَيَهْدُرُ حَتَّى تَقُوتَهُ الصَّلَاةُ. لَا مِنَ اللَّهِ
يَتَّقِي، وَلَا مِنَ النَّاسِ يَسْتَحِي، فَوْقَهُ اللَّهُ، وَتَحْتَهُ مِائَةٌ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. أَلَا يَقُولُ لَهُ قَائِلٌ:
الصَّلَاةُ أَيُّهَا الرَّجُلُ، ثُمَّ يَقُولُ الْحَسَنُ: هَيْهَاتَ، وَاللَّهِ حَالَ دُونَ ذَلِكَ السَّيْفِ وَالسُّوْطِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَخَطَبَ الْحَجَّاجُ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْكَوْفَةِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ،
أَتَيْتُكُمْ وَأَنَا أَرْقُلُ فِي لِمْتِي، فَمَا زَالَ شِقَاقُكُمْ حَتَّى انْحَصَّ شَعْرِي، ثُمَّ كَشَفَ عَنِ رَأْسِ لَهُ
أَفْرَعٌ، ثُمَّ أَنْشَأَ، يَقُولُ:

(١) انظر: جمهرة خطب العرب (٢/٢٨٨)، والأغاني (١١/١٦٥).

(٢) في ديوانه (ص ١٢٣).

(٣) انظر: جمهرة خطب العرب (٢/٢٩٥).

مَنْ يَكُ ذَا لِمَةٍ يُكْفَفُهَا فَإِنِّي غَيْرُ ضَائِرِي زَعْرِي
 لَا يَمْنَعُ الْمَرْءَ أَنْ يَسُودَ وَأَنْ يَضْرِبَ بِالسَّيْفِ قَلَّةَ الشَّعْرِ
 حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ الْوَائِقِ بِالصَّالِحِيَّةِ، فَقُلْتُ:
 أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَضْرَنِي بَيْتَانَ، فَقَالَ: أَنْشِدْهُمَا: فَأَنْشَدْتُهُ:

طَرَبْتُ إِلَى الْأَصْبِيَّةِ الصَّعَارِ وَشَاقَكَ مِنْهُمْ قُرْبَ الْمَزَارِ
 وَكُلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ
 وَأَنْشَدَنِي فِي الْوَائِقِ:

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ بُعْدِي عَنْ خَلِيفَتِهِ وَمَا أَعَالَجُ مِنْ سُقْمٍ وَمِنْ كِبَرِ
 لَا أَسْتَطِيعُ رَحِيلًا إِنْ هَمَمْتُ بِهِ يَوْمًا إِلَيْهِ وَلَا أَقْوَى عَلَى السَّفْرِ
 أَنْبَوِي الرَّحِيلَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَمْنَعُنِي مَا أَحَدَثَ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ فِي بَصْرِي

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: مَرَضَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهْتَمِ، فَأَتَاهُ
 رَجُلَانِ مِنَ أَصْحَابِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ يُعَوِّدَانِهِ، فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا
 أَبَا مَعْمَرٍ؟ قَالَ: أَخَذَنِي وَاللَّهِ وَجَعٌ، وَمَا أَطْنُنِي، إِلَّا لِمَا بِي. وَلَكِنْ مَا تَقُولَانِ فِي مِائَةِ أَلْفِ
 دِرْهَمٍ فِي الصُّنْدُوقِ لَمْ تُؤَدِّ مِنْهَا زَكَاةً، وَلَمْ تُوَصِّلْ رَحِمًا؟ فَقَالَا لَهُ: تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ، لِمَنْ
 كُنْتَ تَجْمَعُهَا؟ قَالَ: كُنْتُ وَاللَّهِ أَجْمَعُهَا لِرُوعَةِ الزَّمَانِ، وَجَفْوَةِ السُّلْطَانِ، وَمُكَابَرَةِ
 الْعَشِيرَةِ. فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ فَأَتَانَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فَأَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ:
 الْبَائِسُ إِنَّمَا أَتَاهُ شَيْطَانُهُ فَذَكَرَهُ، رُوعَةَ زَمَانِهِ، وَجَفْوَةَ سُلْطَانِهِ، فَخَرَجَ وَاللَّهِ مِنْ مَالِهِ جَرِيئًا
 سَلِيلًا ذَمِيمًا مُلُومًا، فَلَمَّا أَنْ مَاتَ دَعَا ابْنَهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِلَيْهَا عَنكَ أَيُّهَا
 الْوَارِثُ لَا تُخَدِّعْ كَمَا خُدِعَ صُوَيْحِبُكَ أَمَامَكَ، فَقَدْ أَتَاكَ هَذَا الْمَالُ حَلَالًا، فَإِيَّاكَ أَنْ
 يَكُونَ عَلَيْكَ وَبَالًا، أَتَاكَ مِمَّنْ كَانَ لَهُ جُمُوعًا مَنُوعًا، يَدَأُبُ فِيهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيَقْطَعُ فِيهِ
 لُجَجَ الْبِحَارِ وَالْمَفَاوِزِ وَالْقَفَارِ، وَمِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، جَمَعَهُ فَأَوْعَاهُ، وَشَدَّهُ
 فَأَوْكَاهُ لَمْ يُؤَدِّ مِنْهُ زَكَاةً، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهُ رَحِمًا، إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَرَى
 الرَّجُلُ مَالَهُ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ، فَيَا لَهَا حَسْرَةً لَا تُقَالُ، وَتَوْبَةً لَا تُنَالُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ:

أَمَا بَعْدُ: فَقَدْ بَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ مِنْ غَيْرِ خُبْرَةٍ، ثُمَّ أَعَقَبْتَنِي جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، فَأَطْمَعَنِي أَوْلُكَ فِي إِخَائِكَ، وَأَيَّاسَنِي آخِرَكَ فِي وَفَائِكَ، فَلَا أَنَا فِي غَيْرِ الرَّجَاءِ مُزْمِعٌ لَكَ إِطْرَاحًا، وَلَا فِي غَدٍ وَانْتِظَارِهِ مِنْكَ عَلَى ثِقَةٍ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ يَشَاءُ كَشَفَ بِإِضْحَاحِ الرَّأْيِ عَنِ عَزِيمَةِ الشُّكِّ فِيكَ، فَأَقْمَنَا عَلَى اثْتِلَافٍ، وَافْتَرَقَنَا عَلَى اخْتِلَافٍ.

حَدَّثَنِي عَمِي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: مَنْ تَعَرَّضَ لِلتُّهْمَةِ فَلَا يُلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ، وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَفْشَاهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ، وَضَعُ أَمْرٍ أَحْيِكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيكَ فِيهِ مَا يَغْلِبُكَ، وَلَا تَنْظُنْ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحْيِكَ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا مِنَ الْخَيْرِ مَحْمَلًا، وَكُنْ فِي اكْتِسَابِ الْإِحْوَانِ عَلَى التَّقْوَى، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ.

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ، وَعَلَى الْآخِرَةِ الْبَقَاءَ، فَلَا فَنَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ، وَلَا بَقَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ، فَلَا يَعْزُبُكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ غَائِبِ الْآخِرَةِ، وَأَفْهَرُوا طُولَ الْأَمَلِ بِقَصْرِ الْأَجَلِ ^(١).

حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَا تَهْتِكُوا سِتْرًا فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ تَقُولُ: هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَ امْرَأَةٍ تَحُونُ زَوْجَهَا بِالْغَيْبِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا يَوْمًا سَمَكَةً، ثُمَّ قَامَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَتْ: هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَ امْرَأَةٍ تَحُونُ زَوْجَهَا بِالْغَيْبِ، فَفَهَّقَتِ السَّمَكَةَ وَأَضْطَرَبَتْ حَتَّى سَقَطَتْ مِنَ الْخِوَانِ فَأَعَادَهَا فِي الْقُضْعَةِ، ثُمَّ قَالَ: لَهَا أَعْيَدِي كَلَامَكَ فَأَعَادَتْ، فَفَهَّقَتِ السَّمَكَةَ حَتَّى سَقَطَتْ مِنَ الْقُضْعَةِ، فَعَلَتْ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ تُفَهِّقُهُ السَّمَكَةُ وَتَضْطَرِبُ حَتَّى تَسْقُطَ مِنَ الْخِوَانِ، فَأَتَى عَالِمٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: انْطَلِقْ فَاذْكُرْ رَبَّكَ، وَكُلْ طَعَامَكَ، وَاحْسِلْ الشَّيْطَانَ عَنْكَ. فَقَالَ لَهُ أَحِفَاءُ النَّاسِ: انْطَلِقْ إِلَى ابْنِهِ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُ، فَاَنْطَلَقَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِكُلِّ مَنْ فِي دَارِكَ مِمَّنْ لَمْ تَرَ عَوْرَتَهُ. فَأَتَاهُ بِهِمْ، فَنَظَرَ فِي وُجُوهِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: اكْشِفْ عَنِ هَذِهِ الْحَبَشِيَّةِ، قَالَ: فَكَشَفَ عَنْهَا فَإِذَا مَعَهَا ذِرَاعُ الْبُكْرِ، فَقَالَ: مِنْ هَذَا أَتَيْتُ، فَمَاتَ أَبُو الْفَتَى الْعَالِمِ، وَهَتَكَ بِهَتِكِهِ ذَلِكَ السِّتْرَ، وَاحْتِجَّ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَأَتَاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا:

(١) انظر: جمهرة خطب العرب (٢/٣٠٣).

وِيْحَكَ أَنْتَ كُنْتَ أَعْلَمْنَا وَأَمَلْنَا. فَلَمَّا كَثُرُوا عَلَيْهِ هَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى أَقْصَى مَوْضِعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ: الرُّبَّةُ، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ الْبُلْقَاءِ، فَأَتِيحَ لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ تَسْتَفْتِيهِ. فَقَالَ لَهَا: هَلْ لَكَ أَنْ تُمَكِّنِي مِنْ نَفْسِكَ، وَأَهَبَ لَكَ مَا تَنِي دِينَارًا؟ قَالَتْ: وَخَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَجِيءَ إِلَى أَهْلِي فَتَزَوِّجَنِي، وَأَكُونَ لَكَ حَلَالًا أَبَدًا. قَالَ: فَأَيْنَ مَنْزِلُكَ؟ فَوَصَفَتْهُ لَهُ، فَطَالَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِكَلْبَةٍ تَنبُحُ فِي بَطْنِهَا جِرَاؤَهَا، فَقَالَ: مَا أَعْجَبَ هَذَا! قِيلَ لَهُ: امضِ، لَا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبْرٌ هَذَا. فَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حِجَارَةً، كُلَّمَا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ زَادَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ تَحْمِلَ هَذَا، تَرِيدُ عَلَيْهِ! قِيلَ لَهُ: امضِ، لَا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبْرٌ هَذَا، فَمَضَى، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَسْتَفِي مِنْ بئرٍ، وَيَضْبُهُ فِي حَوْضٍ، إِلَى جَانِبِ الْبئرِ، وَفِي الْحَوْضِ نَقْبٌ، فَالْمَاءُ يَزْجَعُ فِي الْبئرِ، قَالَ لَهُ: لَوْ سَدَدْتَ الْجُحْرَ اسْتَمْسَكَ لَكَ الْمَاءُ. قِيلَ لَهُ: امضِ، لَا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبْرٌ هَذَا. فَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِظَبْيَةٍ، وَرَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَيْهَا، وَآخِرُ يَحْلِبُهَا، وَآخِرُ يُمْسِكُ بِقَرْنَيْهَا، وَآخِرُ يُمْسِكُ بِذَنْبِهَا، وَآخِرُونَ يُمْسِكُونَ بِقَوَائِمِهَا، قَالَ: مَا أَعْجَبَ هَذَا! قِيلَ لَهُ: امضِ، لَا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبْرٌ هَذَا، فَمَضَى، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَبْدُرُ بِذَارًا، فَلَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَثْبَتَ...، قَالَ: ثُمَّ مَضَى فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَعَهُ مِنْجَلٌ يَحْصِدُ مَا بَلَغَ وَمَا لَمْ يَبْلُغْ، قَالَ لَهُ: لَوْ حَصَدْتَ مَا قَدْ بَلَغَ وَتَرَكْتَ مَا لَمْ يَبْلُغْ، قَالَ لَهُ: امضِ، لَا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبْرٌ هَذَا، فَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِالْقَصْرِ الَّذِي وَعَدْتُهُ، وَإِذَا دُونَهُ نَهْرٌ، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ، وَقَدْ رَأَيْتَ فِي لَيْلَتِي أَعَاجِيبَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ كَلْبَةً تَنبُحُ فِي بَطْنِهَا جِرَاؤَهَا. قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَثِبُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْوَضِيعُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالسَّفِيهُ عَلَى الْحَلِيمِ. قَالَ: فَإِنِّي مَرَزْتُ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حِجَارَةً، فَإِذَا لَمْ يُطْفَأْ وَسَقَطَتْ مِنْهُ زَادَ عَلَيْهَا. قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ الْأَمَانَةُ فَلَا يَقْدِرُ يُؤَدِّيَهَا، فَيَزِيدُ عَلَيْهَا. قَالَ: فَإِنِّي مَرَزْتُ بِرَجُلٍ يَسْتَفِي مِنْ بئرٍ، وَيَضْبُهُ فِي حَوْضٍ إِلَى جَنْبِ الْبئرِ، وَفِي الْحَوْضِ جُحْرٌ، فَالْمَاءُ يَزْجَعُ إِلَى الْبئرِ. قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ لَا يَتَزَوَّجُهَا لِدِينٍ، وَلَا حَسَبٍ، وَلَا جَمَالٍ، إِنَّمَا يُرِيدُ مَالَهَا، وَتَكُونُ مِمَّنْ لَا تَلِدُ، فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا يَزْجَعُ فِيهَا. قَالَ: فَإِنِّي مَرَزْتُ بِظَبْيَةٍ، فَقَصَّ قِصَّتَهَا. فَقَالَ: أَمَّا الظَّبْيَةُ، فَالْدُنْيَا، وَأَمَّا الرَّاكِبُ عَلَيْهَا، فَالْمَلِكُ، وَأَمَّا الَّذِي يَحْلِبُهَا فَمَنْ أَطِيبَ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَمَّا الَّذِي

يُمْسِكُ بِقَرْنِهَا فَمِنْ أَبَاسِ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَمَّا الَّذِي يُمْسِكُ بِدَنْبِهَا، فَالَّذِي لَا يَأْتِيهِ رِزْقُهُ إِلَّا قُوْتًا، وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِقَوَائِمِهَا فَسَفَلَةُ النَّاسِ. قَالَ: فَإِنِّي مَرَرْتُ بِرَجُلٍ يَبْدُرُ بَدَارًا فَلَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَنْبُتَ. قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي مَتَى يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ، وَمَتَى يُوَلِّدُ الْمَوْلُودُ، وَمَتَى يَبْلُغُ. قَالَ: فَإِنِّي مَرَرْتُ بِرَجُلٍ يَحْصِدُ مَا قَدْ بَلَغَ وَمَا لَمْ يَبْلُغُ. قَالَ: ذَلِكَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَحْصِدُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَأَنَا هُوَ، بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَيْكَ لِأَقْبِضَ رَوْحَكَ عَلَى أَسْوَأِ أَحْوَالِكَ.

- حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ، رَجُلٍ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ، أَنَّ رَجُلًا اسْتَقْرَضَ مِنْ ابْنِهِ مَالًا فَحَبَسَهُ، فَأَطَالَ حَبْسَهُ، فَاسْتَعَدَى عَلَيْهِ الابْنُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، فَقَالَ:

هَذَا وَالْيَدِي حَقًّا وَمَا كُنْتُ بِهِ عَقًّا
 بَدَلْتُ الْمَالَ فِي رِفْقٍ وَمَا كُنْتُ بِهِ نَزَقًا
 فَلَمَّا خَفَ مِنْ مَالِي وَقَدْ وُلِّيْتُهُ رِفْقًا
 تَوَلَّى مُعْرِضًا عَنِّي وَلَمْ يُعْطِنِي حَقًّا

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلشَّيْخِ: قَدْ قَالَ ابْنُكَ فَمَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ:

قَالَ بُنْيَّ مَا تَرَى فَصَدَّقَهُ
 رَبِّيْتُهُ فِي صِغَرٍ أَفِيَقَهُ
 طَوْرًا أَفْدِيَهُ وَطَوْرًا أُوثِقَهُ
 حَتَّى إِذَا شَبَّ وَسَوَى مَفْرِقَهُ
 أَفْرَضَنِي مَالًا لَهُ لِأَنْفَقَهُ
 وَلَمْ أَكُنْ بِمَالِهِ لِأَسْبِقَهُ
 لَوْلَا الصَّبَا مِنَّا وَلَوْلَا رَهْقَهُ
 لَمْ يَخْشَنِي بِمَالِهِ أَنْ أَسْبِقَهُ
 فَأَقْضِ الْقَضَا وَاللَّهُ رَبِّي يَرْزُقُهُ

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَدْ سَمِعَ الْقَاضِي وَمَنْ رَبِّي فَمِمْ
 الْمَالُ لِلشَّيْخِ جَزَاءً بِالنَّعَمِ
 وَقَدْ تَسَلَّفْتُ بِتَفْضِيلِ الْقِدَمِ
 يَأْكُلُهُ بِرُغْمِ أَنْفِ مَنْ رَغِمَ
 مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ ذَا فَقَدْ ظَلَمَ
 وَجَارَ فِي الْحُكْمِ وَبِئْسَ مَا صَرَمَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْعِيُّ، قَالَ: سَتَمَ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ رَجُلًا مِنْ تَمِيمٍ،
 فَقَالَ: التَّمِيمِيُّ:

يَا لِمِ تَمِيمٍ دَعْوَةٌ غَيْرَ أَمَمٍ
 مِنْ بَاهِلِيٍّ سَبَّيْتُ ثُمَّتَ لِمِ
 يُقْتَلُ وَلِمِ يُحْصَرُ وَلِمِ يُحْضَبُ بِدَمِ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَإِلَى هَذَا تَذَهَبُ.

- حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
 فَقَالَ: إِنَّ لِي مَالًا، وَلِي عِيَالٌ، وَلَا بِي مَالٌ، وَيُرِيدُ أَبِي أَنْ يَأْخُذَ مَالِي. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
 «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم: ٢٢٨٤، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٦٧٢٨، وابن
 حبان في صحيحه حديث رقم: ٤١٥، وفي الثقات حديث رقم: ٥٥٩، وسعيد بن منصور في
 سننه حديث رقم: ٢١٣١، والشافعي في مسنده حديث رقم: ٩٠٩، والبخاري في البحر الزخار
 حديث رقم: ٣٠٥، وورقم: ٤٥٥، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٥٦٨٣، والطبراني في مسنده
 حديث رقم: ٢٧٢٦، وأبو حنيفة في مسنده حديث رقم: ٤٤٣، والأمير سنجر في مسند الإمام
 الشافعي حديث رقم: ٧٦٥، والبيهقي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٤٤٨٤، وفي معرفة
 السنن والآثار حديث رقم: ٤١٩٥، والعقيلي في الضعفاء الكبير حديث رقم: ٨٥٧، وابن عدي
 في الكامل في ضعفاء الرجال حديث رقم: ٨٠١٢، والسهمي في تاريخ جرجان حديث رقم:
 ٥٧٥، وأبو نعيم في أخبار أصبهان حديث رقم: ١٣١٩، والخطيب في تاريخ بغداد حديث رقم:
 ٣٩٩٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق حديث رقم: ٣٢٥٠، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى
 حديث رقم: ٢٩٠، وابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٢٦١٤، والبوصيري في إتحاف

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ اسْتَعْمَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمُخْزُومِيَّ عَلَى الصَّائِفَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بَعْهَدِي يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: أَتَّخِذُهُ إِمَامًا وَلَا أُعْصِيهِ. قَالَ: ازْدُدْ عَلَيَّ عَهْدِي. قَالَ: تَغْرِلْنِي بَعْدَ أَنْ اسْتَعْمَلْتَنِي عَنْ غَيْرِ حَدَثٍ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ إِنَّا بِمَكَّةَ عَلَى السَّوَاءِ لَانْتَصَفْتُ مِنْكَ. قَالَ: وَيْحَكَ لَوْ كُنَّا بِمَكَّةَ عَلَى السَّوَاءِ لَكُنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنَ حَزْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَلَكُنْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَلَكَانَ مَنْزِلِي بِالْأَبْطَحِ يَنْشُقُّ عَنْهُ الْوَادِي، وَكَانَ مَنْزِلُكَ أَجْيَادًا أَسْفَلَهُ عِدْرَةٌ وَأَعْلَاهُ مَدْرَةٌ. ثُمَّ قَالَ مُعَاوِيَةَ: عَلَيَّ بِسُفْيَانَ بْنَ عَوْفِ الْعَامِدِيِّ، فَكَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ ثُمَّ قَالَ: يَا سُفْيَانُ مَا تَصْنَعُ بَعْهَدِي؟ قَالَ: أَتَّخِذُهُ إِمَامًا مَا أُمُّ الْحَرَمِ، فَإِذَا خَالَفَهُ خَالَفْتُهُ. قَالَ مُعَاوِيَةَ: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا يَكْفُكُفُ عَنْ عَجَلَةٍ، وَلَا يُدْفَعُ فِي ظَهْرِهِ مِنْ بَطَاءٍ، وَلَا يُضْرَبُ عَلَى الْأُمُورِ ضَرْبَ الْجَمَلِ الثِّفَالِ، سِرٌّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسَارَ فَهَلَكَ بِأَرْضِ الرُّومِ. وَاسْتَعْمَلَ عَلَى النَّاسِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ الْفَزَارِيَّ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ ظَفْرًا عَظِيمًا وَعَنْمًا كَبِيرًا أَنْ يَرْجَعَ بِالْمُسْلِمِينَ لَمْ يُنْكَبُوا وَكَانَتْ أَوْلَ وَلايَةٍ وَلِيهَا ابْنُ مَسْعُودٍ. فَأَقْدَمَ بِالْمُسْلِمِينَ فُنْكَبُوا، فَقَالَ الشَّاعِرُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ:

أَقِمْ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ قَنَاةَ قَوْمِيَّةً كَمَا كَانَ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ يُقِيمُهَا
وَسِمِّ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ مَدَائِنَ قَيْصِرٍ كَمَا كَانَ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ يَسُومُهَا

فَلَمَّا دَخَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ:

أَقِمْ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ قَنَاةَ قَوْمِيَّةً

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الشَّاعِرَ ضَمَّنِي إِلَى رَجُلٍ لَا تُضْمُّ إِلَيْهِ الرِّجَالُ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وَاللَّهِ إِنْ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدِي مَعْرِفَتِكَ بِفَضْلِكَ^(١).

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ عِيسَى بْنِ مُوسَى، قَالَ: أُرْسِلَ إِلَيَّ الْمَنْصُورُ وَنَحْنُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ عَشِيَّةً مِنْ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُهُ وَالنَّاسُ يَسِيرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفِهِ، فَسَايَرْتُهُ سَاعَةً، وَحَادَثْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَذْكُرُ أُتَيْسَةَ بِنْتَ زِيَادٍ

الخيرة حديث رقم: ٢١١١.

(١) انظر: الإصابة للحافظ (١٧١/٢).

وَنَزُولُنَا بِهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَتَذْكُرُ يَوْمَ عَشْتِنَا بِلَبْنِ، فَقُلْتُ لَهَا: تُعَشِّينَا بِلَبْنٍ وَقَدْ دَبَحَتْ
الْيَوْمَ شَاةً؟ فَقَالَتْ: أَتَأْكُلُونَ اللَّحْمَ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ! قُلْتُ: نَعَمْ، أَذْكَرُ مَا تَقُولُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَإِنِّي ذَكَرْتُهَا وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى حَالِي، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِتُحْمِدَ اللَّهَ تَعَالَى
وَتَشْكُرَهُ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ. قَالَ: فَمَا زِلْنَا نَحْمِدُهُ وَنَدْعُوهُ عَشِيَّتَنَا.

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحَرَامِيُّ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْمَدَائِنِيِّ، قَالَ: عُرِضَتْ لِي
إِلَى سَلْمِ بْنِ قُتَيْبَةَ حَاجَةٌ، وَهُوَ وَالِي الْبَصْرَةِ، فَلَقِيتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَسَأَلْتُهُ الْقِيَامَ بِهَا
فَضَمِنَهَا، وَمَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى بَابِ سَلْمِ أَيَّامًا، وَالرَّجُلُ يُمِطُّ لِي وَيَذْكُرُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي
حَاجَتِي لَمْ يُمَكِّنْهُ بَعْدُ، فَبَيْنَا أَنَا فِي الْبَابِ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ خَرَجَ سَلْمٌ رَاكِبًا، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ
عَلَيَّ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ مُتَقَدِّمَةٌ فَدَعَانِي، فَقَالَ: أَتَطَالِبُ قَبْلَنَا شَيْئًا يَا أَبَا عَمْرٍو؟
قُلْتُ: نَعَمْ، حَاجَةٌ حَمَلْتَهَا فَلَنَا مُنْذُ أَيَّامٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ لِأَطْرُقُ يَا أَبَا عَمْرٍو أَنَّكَ أَحْرَمٌ
مِمَّا أَرَى، إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى رَجُلٍ حَاجَةٌ فَلَا تُحْمِلْنَهَا مِنْ لَهُ طَعْمَةٌ، فَإِنَّهُ لَنْ يُؤْثِرَكَ عَلَى
طَعْمَتِهِ، وَلَا تُحْمِلْنَهَا كَذَّابًا، فَإِنَّ الْكُذَّابَ يَقْرَبُ لَكَ الْبَعِيدَ، وَيَبْعُدُ لَكَ الْقَرِيبَ، وَلَا
تُحْمِلْنَهَا أَحْمَقَ فَإِنَّهُ يُجْهِدُ لَكَ نَفْسَهُ، ثُمَّ لَا يَصْنَعُ شَيْئًا. ثُمَّ أَمَرَ بِقَضَاءِ حَاجَتِي.

- حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ
مُحَمَّدِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: خَرَجْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
سَرْحٍ فِي غَزْوَةِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ جُرْجِيرِ مَلِكِ الْغَزْبِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ نَصْرَانِيٌّ،
وَكَانَ يُذَكِّرُ بِعَقْلِ، قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ: لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ مِنْ يُكَلِّمُهُ، فَبَعَثَنِي وَبَعَثَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبَّاسٍ: وَأَنَا أَسْنُ الْقَوْمِ، فَلَمَّا جِئْنَا وَضِعَتْ لَنَا وَسَائِدٌ وَإِذَا الصُّلْبُ حَوْلَهَا، فَجَاءَ الْقَوْمُ
وَلَيْسَ هُنَاكَ جُرْجِيرٌ، فَجَلَسُوا دُونَ الصُّلْبِ، وَأَبَوْا أَنْ يَجْلِسُوا وَهِيَ حَوْلَهُمْ، فَجِئْتُ
وَجَلَسْتُ عَلَى تِلْكَ الْوَسَائِدِ وَالصُّلْبِ حَوْلِي، وَجُرْجِيرٌ يَنْظُرُ إِلَيْنَا مِنْ مَنْظَرٍ لَا نَرَاهُ،
فَمَكُنْنَا سَاعَةً، ثُمَّ أَذِنَ لَنَا جَمَاعَةٌ، فَعَجَلُوا يُزَاحِمُونِي عَلَى الْمَدْخِلِ فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُمْ، حَتَّى
كُنْتُ وَرَاءَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَدَخَلْنَا، وَلِي جَمَالٌ لَيْسَ لَهُمْ، نَظَرَ إِلَيَّ فَرَمَانِي بِطَرْفِهِ
فَلَمْ يَبْرَحْ يَتَطَرَّحُ بِنَظَرِهِ إِلَيَّ حِينَ جَلَسْتُ دُونَهُمْ، وَهُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ، فَرَأَوْا نَظْرَهُ، فَزَابَهُمْ
بِذَلِكَ فِي أَمْرِهِ، فَانْتَحَى ابْنُ الزُّبَيْرِ فَبَدَأَ بِالْكَلَامِ، وَالتَّرْجُمَانُ وَجُرْجِيرٌ يَفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ
كَثِيرًا، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَيَرْمُقُنِي، فَلَمَّا فَرَّغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ تَكَلَّمَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ،

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ فَقَالَ: أَتَكَلَّمُ؟ فَقُلْتُ: تَكَلَّمْ مَا بَدَا لَكَ. فَتَكَلَّمْتُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ التَّرْجُمَانُ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ أَنْتَ يَا عَرَبِيٌّ؟ قُلْتُ: مَا أَقُولُ إِلَّا مَا قَالُوا، فليُجِبْ صَاحِبِكَ مَا بَدَا لَهُ، وَقَدْ دَعَوَهُ. فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي أَرَاهُ أَسَنُّكُمْ وَأَجْمَلُّكُمْ، وَأَرَاكُمْ تَقْدِمُونَهُ، أَمْوَالَكُمْ هُوَ؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ بَلْ هُوَ مِنَّا مِنْ أَنْفُسِنَا. قَالَ: فَضَعِيفٌ هُوَ فَلَا تَثِقُونَ بِعَقْلِهِ؟ فَلِمَ أَرْسَلَهُ مَلِكُكُمْ؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ بَلْ هُوَ عَاقِلٌ. قَالَ: فَمَا أَنْتُمْ بِحِلْمَاءٍ، هُوَ أَحَدُكُمْ، وَلَهُ عَقْلٌ مِثْلُ عُقُولِكُمْ، وَهُوَ أَجْمَلُكُمْ وَأَسَنُّكُمْ، وَمَلِكُكُمْ الَّذِي أَرْسَلَكُمْ أضعفُ مِنْكُمْ. وَهُوَ يَعْرِفُ هَذَا مِنْكُمْ. فَسَكَتُوا، فَقُلْتُ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لِصَاحِبِكَ أَجِنَّا بِمَا تُرِيدُ فَتَحْنُ أَغْلَمُ بِأَمْرِنَا، وَبِمَا نَضَعُ بَيْنَنَا. قَالَ: يَقُولُ الْمَلِكُ: حِلْمُكَ هَذَا يَزِيدُنِي بِصِيرَةً فِي حُمُقِ أَصْحَابِكَ. فَطَرَنَ الْمَلِكُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا التَّرْجُمَانُ، فَقَالَ: الْمَلِكُ يَقُولُ مَا يَمْنَعُنِي مِنْ جَوَابِكُمْ إِلَّا أَنَا لَا نَضَعُ جَوَابِنَا إِلَّا فِي مَوْضِعِهِ، أَخْبِرُونِي: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ بِالْمَلِكِ الْأَكْبَرِ؟ قَالُوا: هَذَا، لِمَرْوَانَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالُوا: هَذَا، لابن الزُّبَيْرِ. قَالَ: فَأَيُّكُمْ أَقْرَبُ بِنَبِيِّكُمْ وَأَسَنُّكُمْ وَأَجْمَلُّكُمْ؟ قَالُوا: هَذَا. قَالَ: يَقُولُ الْمَلِكُ: هُوَ أَقْرَبُكُمْ بِنَبِيِّكُمْ وَأَسَنُّكُمْ وَأَجْمَلُّكُمْ، وَجَلَسْتُمْ فَوْقَهُ، وَتَقَدَّمْتُمْ قَبْلَهُ! لَا تَلْبَثُونَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَتَفَرَّقَ أَمْرُكُمْ، لَا أُرَاجِعُكُمْ بِشَيْءٍ حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيَّ وَيَتَكَلَّمُ وَتَتَكَلَّمُونَ بَعْدَهُ. فَقَالَ لِي الْقَوْمُ: تَقَدَّمَ يَا ابْنَ الْعَبَّاسِ، وَتَكَلَّمْ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَرْجِعُ إِلَيْنَا وَيَقُولُ لَنَا. فَقُلْتُ لِلتَّرْجُمَانِ: أَجِبْ صَاحِبَكَ إِنِّي لَا أَقُومُ مِنْ مَجْلِسِي، وَلَا أَعِيهِ كَلَامِي، وَلَا أَبْتَدِي أَصْحَابِي. قَالَ: فَلَا أَكَلِمُكُمْ كَلِمَةً. قَدْ قُلْتُ: لَا أَفْعَلُ. فَهَلْ أَنْتَ يَا رَجُلٌ مُعْتَزِلِي حَتَّى أَلْقَاكُمْ، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَصِيْبِكَ. قَالَ: قُلْتُ: مَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَعْتَرِكَ. قَالَ: أَتَتَقَبَّلُ كِرَامَتِي مِنْ بَيْنِهِمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، إِلَّا أَنْ تُكْرِمَهُمْ مِثْلِي. قَالَ: هَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ بِنَبِيِّكَ مِنْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ وَقَالَ: مَنْ؟ قُلْتُ: أَبِي. قَالَ: وَحَيٌّ هُوَ أَبُوكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: مَا هُوَ مِنْ نَبِيِّكُمْ؟ قَالَ: عَمُّهُ. فَفَسَّرَ لَهُ التَّرْجُمَانُ كَيْفَ الْعَمُّ وَمَنْ ابْنُهُ. قَالَ: فَمَا شَأْنُ الْمَلِكِ غَيْرِهِ؟ قُلْتُ: كَانَ هَذَا الْمَلِكُ وَاللَّذَانِ قَبْلَهُ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ خَرَجَ مِنْ أَرْضِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ أَبِي، وَنَحْنُ نَرَى لِذَلِكَ فَضْلًا، وَتَقَدَّمَ مَنْ كَانَ ذَلِكَ. قَالَ: بِسْمَا صَنَعْتُمْ، وَلَا يَصْلُحُ أَمْرُكُمْ أَبَدًا، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيَّ أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فُومُوا وَلَا أُرَاجِعُكُمْ بِكَلِمَةٍ مِمَّا تُرِيدُونَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي مَا شَأْنُكَ، جَلَسْتُ بَيْنَ الصُّلْبِ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ وَأَنْتَ عَدُوٌّ لَهَا، وَاجْتَنَبَهَا أَصْحَابُكَ؟ قُلْتُ: لَمْ يُسَيِّئُوا بِمَا صَنَعُوا، وَلَمْ أَسِئْ أَيْضًا، أَمَا هُمْ فَتَأَذُّوا بِهَا، وَأَمَا أَنَا

فَعَلِمْتُ مَجْلِسِي لَا يَضُرُّ دِينِي، وَلَسْتُ مِنْهَا، وَلَيْسَتْ مِنِّي. قَالَ: مَا يَتَّبِعِي إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَبْرَ الْعَرَبِ. فَسَمِّيَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحَبْرَ^(١).

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُسَيْبَ بْنَ زُهَيْرٍ، يَقُولُ: خَرَجْنَا مَعَ الْمَنْصُورِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوقِي فِيهَا، فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَعْضِ الْمَنَازِلِ قَالَ: يَا مُسَيْبُ إِنِّي وَاللَّهِ أَغْلَمُ أَنِّي آتِي إِلَى مَضْرَعِي. قُلْتُ: فَلَوْ أَقَمْتَ. قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَعْلَمُ بِاللَّهِ، وَأَثِقُ بِرَحْمَتِهِ، وَبِمَا يَرْجُو مِنْهَا مِنْ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ جُزْمِهِ وَأَمْنِهِ مَا يَتَخَوَّفُ مِنْ قَدْرِهِ، وَلَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ بِمَا رَضِيَ اللَّهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيْبُهُ إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَأَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ وَفِي قَبْضَتِهِ، فَإِنْ كَانَ كَتَبَ عَلَيَّ مَوْتًا، فَالِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَرُضْوَانِهِ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَإِنِّي أَغْلَمُ أَنِّي مَيِّتٌ وَمَبْعُوثٌ، وَصَائِرٌ إِلَى اللَّهِ جَلُّ ثَنَاؤُهُ. وَرَاجَ رَحْمَتَهُ، وَأَثِقُ بِعَفْوِهِ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فِيمَاذَا عَرَفْتَ أَنَّكَ تَأْتِي مَضْرَعَكَ؟ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّ رَجُلًا أَتَانِي، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِالسَّامِ فِي أَيَّامِ وَبَاءِ بِهَا، وَقَدْ أَصَابَنِي، وَقَدْ تَخَوَّفْتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَ لِي: إِنَّكَ لَا تَمُوتُ فِي مَرَضِكَ هَذَا، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَرِيكَ الثُّرْبَةَ الَّتِي تُدْفَنُ فِيهَا. فَقُلْتُ: أَرْنِيهَا. فَأَخْرَجَ ثُرْبَةً حَمْرَاءَ، وَفِيهَا نَبْذٌ مِنْ حَصَى، فَإِذَا هِيَ كَأَنَّهَا تُرْبَةٌ الْحَرَمِ، فَلَسْتُ أَشْكُ أَنِّي ذَاهِبٌ فِي سَفَرِي هَذَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَأَسْتَخْلِفُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ خِلَافَتِهِ. فَمَضَى فَتُوفِّي فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ فِي بَثْرِ مَيْمُونٍ وَدُفِنَ بِالْأَبْطَحِ أَسْفَلَ مِنْ عَقَبَةِ الْمَدِينَتَيْنِ^(٢).

حَدَّثَنِي عَمِي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَلِيسٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَضْرَى، فِيهِمْ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْمُتَقَرِّي، وَأَنَاسٌ مِنَ الْيَمَنِ، فِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَحْرَمَةَ الْكِنْدِيُّ، فَمَالَ بِهِمُ الْحَدِيثُ إِلَى أَنْ قَالَ ابْنُ مَحْرَمَةَ الْكِنْدِيُّ: إِنَّ أَخْوَالَكَ هُمُ النَّاسُ، وَهُمْ الْعَرَبُ الْأُولَى، وَهُمْ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ لَهُمُ الْيَدُ الْعُلْيَا، تَوَارَثُوا الرِّيَاسَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وَآخِرًا عَنْ أَوْلٍ، يَلْبَسُ آخِرُهُمْ سَرَابِيلَ أَوْلِيهِمْ، يُعْرِفُونَ بَيْتَ الْمَجْدِ، وَمَثَرِ الْحَمْدِ.

(١) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٥٩١، وفي الكبرى حديث رقم: ١٥٦٠، والدارقطني في

سننه حديث رقم: ١٢٨١، والبيهقي في الكبرى حديث رقم: ٥٠٨٧.

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة (ص ٤١٣).

منهم: الثعمانان، والمندران، والقابوسان، ومنهم عياض صاحب البحر، ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غضباً، ويحوز في كل نائبة نهباً. ومنهم ملوك التيجان، وكماة الفرسان. ليس من بطل عظيم خطبه، ولا طرف كريم أثره، ولا من فارس رابع، أو سيف قاطع، أو ذرة مكنونة، أو درع حصينة إلا وهم أزبائها وأصحابها. إن حل ضيف أكرموا، وإن سئلوا أنعموا، فمن ذا يا أمير المؤمنين مثلهم إن عُدت المائر، أو فخر مفاخر، أو نفر منافز. فهم العرب العاربة، وسائر الناس المتعربة. فقال أبو العباس، ودخله من قوله ما عمه: ما أظن خالدًا يرضى بما تقول. فقال ابن محرمة: وهل يقدر يا أمير المؤمنين أن يزد قولي، أو يفخر مثل مفاخري. فقال أبو العباس: ما تقول يا خالد؟ قال: إن أذن أمير المؤمنين، وأمنت الموجدة تكلمت. فقال: تكلم ولا تهب أحداً. فقال خالد: خاب المتكلم، وأخطأ المتفحّم، ولقد قال بغير علم، ونطق بغير صواب. إذ فخر على مضر، ومنهم رسول الله ﷺ، والخلفاء من أهل بيته، وما أهل اليمن، أصلح الله أمير المؤمنين، إلا دابغ جلد، أو سائس قرد، أو حائك بُرد. غلبهم الهدد، وعرفهم الجرد، وملكتهم أم ولد، قوم، والله يا أمير المؤمنين، ما لهم ألسنة فصيحة، ولا لغة صحيحة، ولا حجة تدل على كتاب، ولا يعرف بها الصواب. وإنهم منا ليين إحدى الخلتين، إن جازوا قصدنا أكلوا، وإن حادوا عن حكمتنا قتلوا. ثم التفت إلى الكندي، فقال: أتفخر بالفرس الرايع، والسيف القاطع، والدرع الحصينة، والذرة المكنونة؟ ألا وإني أفخر بمحمد ﷺ، خير الأنام، جهدك من ذكرت ممن افتخرت به، فالمنة من الله عليكم، إن كنتم أتباعه وأشياعه، فمننا نبي الله المصطفى وخليفة الله المرضى، ولنا الشؤدد والعلو، وفينا الحلم والحجا، ولنا الشرف القديم، والحسب الصميم، والجناب الأخضر، والعدد الأكثر، والعز الأكبر، ولنا البيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، ولنا زمزم وبطحاؤها وصحراؤها، وغياضها وأعلامها، ومنابرها وسقايها، وحجابها وسدانها بيته، فهل يعدلنا عادل، أو يتلغ مدحتنا قائل. ومنا ابن عباس، عالم الناس، الطيبة أخباره، المثبوعة آثاره، منا أسد الله، ومنا سيف الله، ومنا فرسان الله ومنا الوصي، وذو النور، والصديق، ومنا الفاروق، ومنا العلماء الفقهاء. بنا عرف الدين، ومنا أتاكم اليقين. من زاحمنا رحمناه، ومن فاحرنا فاحزناه، ومن بدل ستننا قتلناه، ثم التفت إلى الكندي، فقال: كيف علمك بلغات قومك؟ قال: إني بها عالم. قال: فأخبرني عن السنائر. قال:

الأصابع. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الصَّنَارَتَيْنِ. قَالَ: الأذنان. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْجَحْمَتَيْنِ.
 قَالَ: العَيْنَانِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ المِيزِمِ. قَالَ: السِّنُّ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الرُّبِّ. قَالَ:
 اللِّحْيَةُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الفُّحْحَةِ. قَالَ: الرَّاحَةُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الكُّتْعِ. قَالَ: الذُّبُّ.
 قَالَ: أَفْتُوْمُنْ بِكِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ تَزْعُمُ أَنَّكُمْ العَرَبُ الأُولَى، وَأَنَا
 المُتَعَرِّبَةُ، وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ: فِي كِتَابِهِ: ﴿بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وَقَالَ
 تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤]، وَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿جَعَلُوا
 أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٧]، وَلَمْ يَقُلْ: جَعَلُوا سَنَاتِهِمْ فِي صَنَائِرِهِمْ، وَقَالَ جَلَّ
 ثَنَاؤُهُ: ﴿وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥]، وَلَمْ يَقُلْ: الجَحْمَةُ بِالْجَحْمَةِ، وَقَالَ: عَزَّ وَجَلَّ:
 ﴿وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ﴾ [المائدة: ٤٥]، وَلَمْ يَقُلْ: المِيزِمُ بِالمِيزِمِ، وَقَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿قَالَ يَا
 بَنُوؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤]، وَلَمْ يَقُلْ: لَا تَأْخُذْنِي بِرُبِّي وَلَا بِفَقْحَتِي،
 وَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿فَأَكَلَهُ الذُّبُّ﴾ [يوسف: ١٧] وَلَمْ يَقُلْ: فَأَكَلَهُ الكُّتْعُ. لَكِنِّي سَأَلْتُكَ
 يَا أَحَا الِئْمَنِ عَنِ أَرْبَعِ خِصَالٍ، إِنْ أَفْرَزْتَ بِهَا فَهَرْتَ، وَإِنْ أَنْكَرْتَهَا قِتَلْتَ. قَالَ: وَمَا هُنَّ؟
 قَالَ: عَنِ نَبِيِّ اللهِ المُصْطَفَى ﷺ أَمِنَّا أَمْ مِنْكُمْ؟ قَالَ: بَلْ مِنْكُمْ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ خَلِيفَةِ اللهِ
 المُرْتَضَى، أَمِنَّا أَمْ مِنْكُمْ؟ قَالَ: بَلْ مِنْكُمْ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ كِتَابِ اللهِ المُنْزَلِ عَلَيْنَا أَمْ
 عَلَيْنَكُمْ؟ قَالَ: بَلْ عَلَيْنَكُمْ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ كِتَابِ اللهِ المُسْتَقْبَلِ، أَلْنَا أَمْ لَكُمْ؟ قَالَ: بَلْ
 لَكُمْ. قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ تَعْدُلُ هَذِهِ الخِصَالُ. فَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ: وَاللهُ يَا خَالِدُ، مَا فَرَعْتَ مِنْ
 كَلَامِكَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَعْرِجُ بِسِرِيرِي إِلَى السَّمَاءِ، مَا لَكَ يَا يَمَانِي وَرِجَالَ مُضَرٍّ،
 تُفَاخِرُ هَاشِمًا؟ ثُمَّ أَمَرَ لِخَالِدٍ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ، وَأَقْطَعَهُ سَبْعِينَ جَرِيئًا فِي أَرْضِ العَرَبِ
 بِالْبَصْرَةِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ المُخْزُومِيُّ، عَنِ أَبِي النَّصَّاحِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ بَدِيلِ
 التَّمِيمِيِّ، قَالَ: وَفَدَّ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، فَأَقَامَ بِنَابِهِ
 أَيَّامًا، ثُمَّ دَعَا بِهِ هِشَامٌ لَيْلًا فَسَاءَلَهُ عَمَّا قَدِمَ لَهُ، وَعَنْ خُرَّاسَانَ، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ عَقْلِهِ
 وَبَصَرِهِ بِأَمْرِ خُرَّاسَانَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ رَجُلًا عَاقِلًا عَالِمًا بِخُرَّاسَانَ، فَسَمَّ لِي
 رِجَالَهَا، وَمَنْ تَرَى أَنَّ مِنْهُمْ يَضْلُحُ لَهَا. قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بَهَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُزَاحِمِ
 السُّلَمِيِّ، وَهُوَ شَيْخُ خُرَّاسَانَ، وَسَيَلِدُهَا فِي سِنِّهِ وَفَضْلِهِ وَعَقْلِهِ مِنْ رَجُلٍ، فِيهِ خِصْلَةٌ. قَالَ:
 مَا هِيَ؟ قَالَ: بُخْلٌ لَا يُنَادِي وَليدَهُ. فَقَالَ هِشَامٌ: لَا يَسْتَقِيمُ لِخُرَّاسَانَ رَجُلٌ يُوصَفُ

بالبخل. سَمَّ لِي غَيْرُهُ. قَالَ: يَحْيَى بْنُ الْحُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الدُّهْلِيُّ، فَتَى خُرَاسَانَ سَخَى وَبَأْسًا مِنْ رَجُلٍ، فِيهِ خَصْلَةٌ. قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: يَشْرَبُ بِاللَّيْلِ. قَالَ: لَيْسَ هَذَا مِنْ أَصْحَابِهَا. سَمَّ غَيْرُهُ. قَالَ: قَطُنُ بْنُ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمِ الْبَاهِلِيِّ، رَجُلٌ خُرَاسَانَ عَقَافًا وَعَقْلًا وَحِلْمًا وَسَخَاءً وَكَمَالًا. قَالَ: فِيهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مُؤْتَوِّرٌ، وَتَرَهُ قَوْمَهُ. قَالَ: سَمَّ غَيْرُهُ. قَالَ: فَتَمَّ أَخُوهُ سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، وَلَيْسَ بِدُونَ مَنْ سَمَّيْتُ لَكَ سَخَاءً وَحِلْمًا وَسُودَدًا، مَا رَأَيْنَا شَيْحًا فِي نُسُكِ شَابٍ غَيْرِهِ. قَالَ: فَسَمَّ لَنَا غَيْرُهُ. قَالَ: نَضْرُ بْنُ سَيَّارٍ، رَجُلٌ خُرَاسَانَ بَأْسًا وَحَزْمًا وَتَجْرِبَةً وَشِدَّةَ رَأْيٍ، مِنْ رَجُلٍ لَا عَشِيرَةَ لَهُ بِهَا. قَالَ: وَمِمَّنْ هُوَ؟ قَالَ: مِنْ بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ كِنَانَةَ. قَالَ: فَأَنَا عَشِيرَتُهُ، وَلَنْ يُذَلَّ مَنْ كُنْتُ عَشِيرَتَهُ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَحْوَالِهِ مِنْ بَنِي مَحْزُومٍ: هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَاحِبُهَا، وَمَنْ كُنْتُ عَشِيرَتَهُ فَهُوَ عَزِيزٌ. قَالَ: فَأَمَرَ هِشَامٌ بِالْعَهْدِ أَنْ يُكْتَبَ لِنَضْرِ بْنِ سَيَّارٍ عَلَى خُرَاسَانَ، وَيُدْفَعُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُ: دَعْنِي وَسِرْ إِلَيْهِ بَعْدَهُ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَخَرَجْتُ وَالْعَهْدُ مَعِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى سَرْخَسَ وَبِهَا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبَّادِ الدُّهْلِيِّ. قَالَ: فَأَكْرَمَنِي وَاحْتَبَسَنِي عِنْدَهُ أَيَّامًا وَأَعْطَانِي جَارِيَتَيْنِ نَفِيسَتَيْنِ، وَلَمْ يَدَعْ مِنَ الْكِرَامَةِ إِلَّا حَيَانِي بِهَا. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، قُلْتُ: يَا هَذَا قَدْ وَاللَّهِ صَنَعْتَ بِي ضَنْعًا مَا أَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَتِهِ لَكَ، إِلَّا أَنْ مَعِيَ شَيْئًا مَا عَلِمَ بِهِ خَلْقٌ وَهُوَ عَهْدُ نَضْرِ بْنِ سَيَّارٍ عَلَى خُرَاسَانَ. فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ يُعْلِمُهُ فَتَكُونُ الْبِسَارَةُ لَكَ، وَيُكَافِئُكَ عَنِّي. قَالَ: فَجَزَاهُ خَيْرًا وَدَعَا ابْنِي عَمِّ لَهُ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا إِلَى نَضْرِ بْنِ سَيَّارٍ. قَالَ: فَمَضَى إِلَيْهِ فَأَعْلَمَاهُ، وَهُوَ فِي مَعْسَكِ جَعْفَرِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَانِيِّ، خَلِيفَةَ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكُنَّا أَمْرُكُمَا. قَالَ: وَقَدِمْتُ عَلَيْهِ بِالْعَهْدِ، وَبَعَثَ إِلَى عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُزَاحِمِ السُّلَمِيِّ يَدْعُوهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَّقَى بِهِ لِكثْرَةِ تَبَعِ عَبْدِ السَّلَامِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ، قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ: وَلِي وَاللَّهِ خُرَاسَانَ، وَمَا كَانَ لِيَدْعُونِي إِلَّا وَقَدْ وَلِي. قَالَ: فَرَكِبَ وَأَتَاهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ. قَالَ: عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ إِلَّا وَقَدْ وُلِّيتَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَارْكَبْ بِنَا، فَرَكِبَ مَعَهُ فِي جَمَاعَةٍ، فَمَضَى نَضْرُ، فَدَخَلَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ حَنْظَلَةَ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ عَلَى فَرْشِهِ، ثُمَّ أَحَدَ بِيَدِ نَضْرٍ فَأَجْلَسَهُ عَلَيْهَا. فَدَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ يُهَيِّئُونَهُ، فَدَعَا بِصَلْتَانَ مَوْلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَجُرِّدَ فَضْرِبَ خَمْسِمِائَةَ سَوْطٍ. ثُمَّ دَعَا بِمَلِكِ مَرْوِ الرُّوْدِ، فَأَمَرَ بِهِ فَجُرِّدَ فَضْرِبَ خَمْسِمِائَةَ سَوْطٍ، ثُمَّ التَّفَّتَ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: أَظَنُّكُمْ أَنْكَرْتُمْ مَا فَعَلْتُ بِهِذَيْنِ؟ أَخْبِرْكُمْ عَنِّي

وَعَنْهُمَا، أَمَا صَلْتَانُ فَإِنَّ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ تَعَصَّبَ عَلَيْنَا وَأَسَاءَ إِلَيْنَا، وَعَهْدَ إِلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ مَشِيخَةِ مُضَرَ، فَضَرَبَهُمْ بِالسَّيَاطِ، وَحَلَقَ رُءُوسَهُمْ وَلِحَاهُمْ، أَنَا أَحَدُهُمْ، ثُمَّ وَجَّهَ بِنَا مَعَ صَلْتَانٍ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْعِرَاقِ، فَمَا وَصَلْنَا إِلَيْهَا حَتَّى عَفَّتْ رُءُوسُنَا وَلِحَانَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ صَلْتَانُ، دَعَا بِحِجَامٍ، فَقَالَ: اخْلِقْ مَا نَبَتَ مِنْ رُءُوسِهِمْ وَلِحَاهُمْ، فَنَاشِدْنَاهُ اللَّهُ، فَأَبَى وَقَالَ: لَا تَدْخُلُونَ عَلَى الْأَمِيرِ هَكَذَا، فَجَعَلْتُ اللَّهُ عَلَيَّ إِنْ أَنَا ظَفَرْتُ بِهِ أَنْ أَضْرِبَهُ خَمْسِمِائَةَ سَوْطٍ، وَأَمَا هَذَا الْآخَرُ، فَإِنِّي غَزَوْتُ مَعَ وَالِي خُرَاسَانَ، فَبَعَثَ الْعَسْكَرَ فِي بَعْضِ الْعَشِيَّاتِ، فَأَتَيْتُهُ لَيْلًا، وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ، وَمَعِيَ خَمْسُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي، فَتَجَبَّبْتُ الْعَسْكَرَ وَالرِّحَامَ، فَتَزَلْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْهُ قُوبَ أَرْضِ وَرَزَعٍ لِهَذَا الدَّهْقَانِ، فَلَمَّتْ بَعْضُ دَوَابِّنَا فَأَفْسَدُوا فِي زُرْعِهِ، فَعَمِدَ إِلَى دَوَابِّنَا كُلِّهَا، فَفَطَعَ أَذْنَابَهَا مِنَ الْأُصُولِ، فَأَضْبَحْنَا شُهْرَةً لِأَهْلِ ذَلِكَ الْعَسْكَرِ، فَالَيْتُ إِنْ مَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ أَنْ أَضْرِبَهُ خَمْسِمِائَةَ سَوْطٍ^(١).

- حَدَّثْتُ عَنْ ابْنِ دَأْبٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ ذَكْوَانَ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَتْ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ عَائِشَةَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَوْحِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنِّي لَعِنْدَهَا إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مَعْتَمٌ، عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، فَقَالَ: قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَإِنْ تَكُ نَاعِيًا فَلَقَدْ نَعَاهُ نَعِيٌّ لَيْسَ فِيهِ التَّرَابُ ثُمَّ قَالَتْ: مَنْ قَتَلَهُ؟ قَالُوا: رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ. قَالَتْ: رَبُّ قَتِيلِ اللَّهِ بِيَدِي رَجُلٍ مِنْ مُرَادٍ. قَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَقُولِينَ مِثْلَ هَذَا لِعَلِيٍّ فِي سَابِقَتِهِ وَفَضْلِهِ؟ فَضَحِكْتُ، وَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ إِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرْنِي^(٢).

حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنِ الْوَأْقِدِيِّ، قَالَ: رَفَعْتُ رُفْعَةً إِلَى الْمَأْمُونِ أَشْكُو غَلْبَةَ الدِّينِ. فَوَقَعَ بِحَطِّهِ فِيهَا. فِيكَ خِلْتَانِ: السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ، فَأَمَّا السَّخَاءُ، فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ يَدَيْكَ بِمَا

(١) انظر: تاريخ الطبري (١٥٤/٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨١٤، والضياء في الأحاديث المختارة حديث رقم: ٥٦٤، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٤٦٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى حديث رقم: ٤٢٧٨، والطبري في تاريخه حديث رقم: ٦٠٢، وابن عبد البر في الاستيعاب حديث رقم: ٣٥٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق حديث رقم: ٥١٤٩، والبوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم:

مَلَكَتْ، وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِ دِينِكَ، وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِضَعْفِ مَا ذَكَرْتَ، فَإِنْ كُنَّا قَصْرْنَا عَنْ بُلُوغِ حَاجَتِكَ فَجِنَايُكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَإِنْ كُنَّا بَلَعْنَا بُغْيَتِكَ، فَرِذْ فِي بَسْطِ يَدِكَ، فَإِنَّ خَزَائِنَ اللَّهِ مَفْتُوحَةٌ، وَيَدُهُ بِالْخَيْرِ مَبْسُوطَةٌ^(١).

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ، قَالَ: قَالَ لِي الْمَأْمُونُ: لَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ أَنْ يُنْصِفُوا الْمُلُوكَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْظُرُوا بِالْعَدْلِ بَيْنَ مَلُوكِهِمْ وَحُمَاتِهِمْ وَكَمَا تِهِمْ، وَلَا بَيْنَ صَنَائِعِهِمْ وَبِطَانَتِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَرُونَ ظَاهِرَ حُرْمَةٍ وَخِدْمَةٍ وَاجْتِهَادٍ وَنَصِيحَةٍ، ثُمَّ يَرُونَ إِيقَاعَ الْمُلُوكِ بِهِمْ مَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ ظَاهِرًا، لَا يَزَالُ الرَّجُلُ، يَقُولُ: مَا أَوْقَعَ بِهِمْ إِلَّا رَغْبَةً فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ رَغْبَةً فِي بَعْضِ مَا لَا تَجُودُ النَّفْسُ بِهِ. وَلَعَلَّ الْحَسَدَ وَالْمَلَالَةَ وَشَهْوَةَ الْاِسْتِئْذَالِ، اشْتَرَكْتَ فِي ذَلِكَ مِنْهُ، وَهَنَّاكَ جِنَايَاتٍ فِي ضَلْبِ الْمُلْكِ، وَفِي بَعْضِ الْحُرْمِ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَلِكُ أَنْ يَكْشِفَ لِلْعَامَّةِ مَوْضِعَ الْعُورَةِ فِي الْمُلْكِ أَنْ يَحْتَجَّ لِيْلِكَ الْعُقُوبَةَ بِمَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ الذَّنْبَ، وَلَمَّا يَسْتَطِيعُ الْمَلِكُ تَرْكَ عُقُوبَةٍ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَسَادِ عَلَى عَمَلِهِ، بِأَنْ عُدْرَهُ غَيْرُ مَبْسُوطٍ عِنْدَ الْعَامَّةِ، وَلَا مَعْرُوفٍ عِنْدَ أَكْثَرِ الْخَاصَّةِ.

سَأَلْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ عَنِ الْمَأْمُونِ: أَكَانَ حَلِيمًا؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا حَدَّثْتُ عَنْ أَحْلَمٍ مِنْهُ، لَا مَلِكٌ وَلَا سَوْفَةٌ، وَلَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ مِنْهُ قَطُّ. ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنِي، قَالَ: بِتُّ عِنْدَهُ لَيْلَةً فَعَطِشْتُ، فَظَنَّ أَنِّي نَائِمٌ، وَأَنَا مُتَّبِعٌ أَرَى كُلَّ مَا يَضْنَعُ، فَكَّرَهُ أَنْ يَدْعُوَ الْغُلَامَ فَانْتَبَهَ، فَضَمَّ إِلَى بَرَادَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ ذِرَاعٍ، فَأَخَذَ كُوزًا مِنْهَا فَشَرِبَ مَاءَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُسْرِعًا فَلَمَّا دَنَا مِنْ فِرَاشِي خَطَا خَطَى لِيَصْرَ حَائِفٍ لِكَيْ لَا أَنْتَبَهَ، ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، وَبِتُّ عِنْدَهُ لَيْلَةً بَعْدَ ذَلِكَ، وَنَحْنُ بِالسَّامِ، وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَبَائِقُمْ وَأَتَفَقَدُ مَا يَضْنَعُ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنِّي قَدْ نِمْتُ. قَالَ: فَعَرَضَ لَهُ سَعَالٌ فَرَأَيْتُهُ وَقَدْ أَخَذَ كُمْ قَمِيصِهِ فَجَمَّهُ، ثُمَّ حَسَا بِهِ فَمَهُ، فَرَدَّ فِيهِ سَعَالَهُ لِئَلَّا يَنْتَبَهِيَ. قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَزْعَى حَرَكَتِي وَقَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ، وَهُمْ بِالتُّهُوِصِ لِلصَّلَاةِ، وَأَخَّرَ ذَلِكَ إِلَيَّ أَنْ أَسْفَرَ شَدِيدًا، فَلَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ ضَاقَ عَلَيَّ، تَحَرَّكْتُ. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، يَا غُلَامُ، نَبَهُ أَبَا مُحَمَّدٍ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ مَيْتَكَ؟ قُلْتُ: بِخَيْرٍ يَا سَيِّدِي. قَالَ: إِنَّ الشَّيْعَةَ أَشَدُّ رِعَايَةً لِلْأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ مِنَ الْمَرْجِحَةِ. مُذْ كَمْ تَرَانِي أَتَقَلَّبُ وَأَتَحَرَّكُ لِلصَّلَاةِ فَيَمْنَعُنِي مِنَ التُّهُوِصِ نَحْوَهَا

(١) انظر: جمهرة رسائل العرب (٤/٤٤١).

تَوْمَكَ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكَ وَفِي عَيْنِكَ بَاقٍ مِنْ سِتِّكَ فَأَقْطَعَهَا عَنْكَ. فَقُلْتُ: لِدَلِّكَ جَعَلَكُمُ اللَّهُ أَرْبَابًا وَجَعَلَنَا لَكُمْ عِبِيدًا، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ أَخْلَاقَكُمْ. ثُمَّ نَهَضَ لِلصَّلَاةِ. وَقَالَ لِي أَيْضًا: وَمِنْ كَرِيمِ أَخْلَاقِهِ، أَنِّي كُنْتُ أَمَاشِيهِ فِي بُسْتَانِ مُوسَى، وَالشَّمْسُ عَلَى يَسَارِي، وَالْمَأْمُونُ فِي الظِّلِّ، وَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى عَاتِقِي، وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ إِذْ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَصَدَهُ، قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّكَ جِئْتَ وَعَلَى يَسَارِكَ الشَّمْسُ، وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْكَ، فَكُنْ أَنْتَ فِي مُنْصَرَفِنَا حَيْثُ كُنْتُ، وَأَكُونُ حَيْثُ كُنْتُ. قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَمَكْنِي أَنْ أَقِيكَ بِنَفْسِي مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ لَفَعَلْتُ فِيكَ، لَا أَضِيرُ عَلَى أَدَى الشَّمْسِ لِحُظَّةً. قَالَ: وَاللَّهِ لَا بُدَّ مِنْهَا، أَخَذُ مِنْهَا كَمَا أَخَذْتَ مِنْكَ. قَالَ: فَصَارَ الْمَأْمُونُ فِي مَوْضِعِي، وَصِرْتُ فِي مَوْضِعِهِ، وَتَمَاشِينَا، وَأَخَذَ بِيَدِي فَوَضَعَهَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ الْعَدْلِ أَنْ يَغْدِلَ الرَّجُلُ عَلَى بَطَانَتِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ ذَاكَ إِلَى الطَّبَقَةِ السُّفْلَى.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ الْمَأْمُونُ يَوْمَ خَمِيسٍ، وَنَحْنُ حُضُورٌ مَعَ النَّاسِ فِي الدَّارِ، لِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ: عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ. قَالَ: فَخَرَجَ، فَإِذَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَأَرَادَ الْمَأْمُونُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مُوسَى، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ مِنْ بَعِيدٍ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ بِهِ بُغْضًا، رَفَعَ يَدَيْهِ مَاذَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بَدِّلْنِي بِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ مُطِيعًا نَاصِحًا، فَإِنَّهُ بِصِدَاقَتِهِ لِهَذَا آثَرَ هَوَاهُ عَلَى هَوَايَ، فَلَمَّا دَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ دَنَا فَقَبِلَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَاتِ حَوَائِجَكَ. قَالَ: ضَيْعَتِي بِالْمُعِينَةِ غُصْبَتُهَا وَفُهِرْتُ عَلَيْهَا. قَالَ: نَأْمُرُ بِرَدِّهَا عَلَيْكَ، قَالَ: حَاجَتُكَ؟ قَالَ: دِينَ كَثِيرٌ عَلَيَّ فِي جَفْوَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِي. قَالَ: نَقْضِي دِينَكَ، ثُمَّ قَالَ: حَاجَتُكَ؟ قَالَ: تَأْدُنُ لِي فِي الْحَجِّ. قَالَ: قَدْ أَذْنْتُ لَكَ. ثُمَّ قَالَ: حَاجَتُكَ؟ قَالَ: وَقَفْتُ أَبِي كُنْتُ إِلَيْهِ، فَأُخْرِجَ مِنْ يَدِي وَصَارَ إِلَى قَتْمٍ وَالْقَاسِمِ، ابْنِي أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: فَتَرِيدُ مَاذَا؟ قَالَ: يَرُدُّ إِلَيَّ. قَالَ: أَمَا مَا كَانَ يُمَكِّنُنَا فِي أَمْرِكَ فَقَدْ جُدْنَا لَكَ بِهِ. وَأَمَا وَقَفْتُ أَيْكَ فَذَاكَ إِلَيَّ وَرَثَتِهِ وَمَوَالِيهِ، فَإِنْ رَضُوا بِكَ وَالْيَا عَلَيْهِمْ وَقِيمًا لَهُمْ رَدَدْنَاهُ، وَإِلَّا أَفْرَزْنَاهُ فِي يَدٍ مِنْ هُوَ فِي يَدِهِ. ثُمَّ خَرَجَ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ: مَا لِي وَلَكَ عَافَاكَ اللَّهُ، مَتَى رَأَيْتَنِي نَشَطْتُ لِإِسْمَاعِيلِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَعُغَيْثُ بِهِ، وَهُوَ صَاحِبِي بِالْأَمْسِ بِالْبَصْرَةِ. فَقَالَ: ذَهَبَ فِكْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ إِسْمَاعِيلِ ابْنِ مُوسَى. قَالَ: صَدَقْتَ، ذَهَبَ عَنْ فِكْرِكَ مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ حِفْظُهُ، وَحَفِظَ فِكْرَكَ مَا

كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخْطُرَ بِهِ، أَمَا إِذْ أَخْطَأْتَ فَلَا تُعْلِمِ إِسْمَاعِيلَ مَا دَارَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي أَمْرِهِ. فَظَنَّ عَلِيٌّ أَنَّهُ يَعْنِي بِقَوْلِهِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مُوسَى، فَأَخْبَرَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ بِالْقِصَّةِ حَرْفًا حَرْفًا، فَأَدَّاعَهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَبَلَغَ الْحَبْرَ الْمَأْمُونُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الَّتِي أَضْبَحْتُ أُحْتَمَلُ بِهَا عَلِيٌّ بْنُ صَالِحٍ، وَأَبَا عَمْرَانَ، الطُّوسِيَّ وَحُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَمَنْصُورَ بْنَ النُّعْمَانَ، وَزَعَامِشَ^(١).

سَمِعْتُ أَبَا عَبَّادٍ، ذَكَرَ الْمَأْمُونُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ أَحَدُ مُلُوكِ الْأَرْضِ، الَّذِي يَجِبُ لَهُ هَذَا الْاسْمُ بِالْحَقِيقَةِ، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ، قَالَ: كَانَ يَلْزُمُ بَابِي رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ، فَلَمَّا طَأَتْ مُلَازِمَتُهُ قُلْتُ لَهُ بِسُوءِ لِقَائِي: يَا هَذَا مَا لَزُومُكَ بَابِي؟ قَالَ: طَالِبُ حَاجَةٍ. قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: تُوصِلْنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ تُوصِلْ لِي رُقْعَةً. قُلْتُ: مَا يُمَكِّنُنِي فِي أَمْرِكَ مَا تُرِيدُ. فَأَنْصَرَفَ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ شَيْئًا، وَجَعَلَ يَلْزُمُ الْبَابَ، فَمَا يُفَارِقُهُ، فَإِذَا أَنْصَرَفْتُ فَرَأَيْتُ نَشِيطًا تَصْدَى لِي فَأَرَانِي وَجْهَهُ فَقَطَّ. وَإِنْ رَأَيْتُ بَعْضَ تِلْكَ الْحَالِ، كَرَّ نَاحِيَةً. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ حَالُهُ، صَابِرًا عَلَيْهَا حَتَّى رَفَقْتُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ أَنْصَرَفْتُ مِنَ الدَّارِ: مَكَانَكَ. فَأَقَامَ. فَقُلْتُ لِلْعَلَامِ: أَدْخِلْ هَذَا الرَّجُلَ. فَأَدْخَلَهُ. فَقُلْتُ: يَا هَذَا إِنِّي أَرَى لَكَ مُطَالَبَةً جَمِيلَةً، وَأَطْنُكَ تَرْجِعُ إِلَى مُحْتَدٍ كَرِيمٍ، وَأَدَبٍ بَارِعٍ. فَقَالَ: أَمَّا الْمُحْتَدُ فَرَجُلٌ مِنَ الْأَعَاجِمِ، وَأَمَّا الْأَدَبُ فَأَرْجُو أَنْ تَجِدَهُ إِنْ طَلَبْتَهُ. قُلْتُ: أَمَّا إِنْ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: وَمَا هُوَ أَدَامَ اللَّهُ بَقَاءَكَ؟ قُلْتُ: صَبْرَكَ عَلَى الْمُطَالَبَةِ الْجَمِيلَةِ، قَالَ: ذَاكَ أَقَلُّ أَحْوَالِي أَعْرَكَ اللَّهُ، قَالَ: فَدَخَلْتَنِي لَهُ جَلَالَةً. فَقُلْتُ: حَاجَتُكَ؟ قَالَ: ضَيْعَةٌ صَارَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَّدَهُ اللَّهُ كَانَتْ لِسَعْدِ بْنِ جَابِرٍ وَكُنَّا شُرَكَاءَ فِيهَا، فَجَاءَ وَكَيْلُهُ فَضْرَبَ مَنَارَةً عَلَى حُدُودِنَا وَحُدُودِهِ، وَهَذِهِ ضَيْعَةٌ، كُنَّا نَعُودُ بِفَضْلِهَا عَلَى الْعَرِيبِ، الصَّدِيقِ وَالْجَارِ وَالْأَخِ، فَقُلْتُ: فَمَعَكَ رُقْعَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَخْرَجَ رُقْعَةً مِنْ خُفِّهِ فِيهَا مَظْلَمَتُهُ، فَلَمَّا قَرَأْتُهَا وَوَضَعْتُهَا قَامَ فَأَنْصَرَفَ، فَخَفَّ عَلَى قَلْبِي وَأَحْبَبْتُ نَفْعَهُ، فَأَدْخَلْتُهُ عَلَى الْمَأْمُونِ مَعَ جُمُيعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوَائِجِ. فَاتَّفَقَ أَنْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ. فَاسْتَنْطَقَ رَجُلًا فَصِيحًا حَسَنَ الْعِبَارَةِ لِسْنَا. فَقَالَ: تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ، فَتَكَلَّمْتُ، فَقَالَ: يَا ثَابِتُ، وَقَعَ بِقَضَائِهَا. ثُمَّ قَالَ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرْضِي عَلَيَّ ابْنَ الْبَحْتِكَانَ بِالْأَهْوَاِ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ

(١) روى ابن شبة نحوه في تاريخ المدينة (٤/١٢٦٨)، وانظر: المحاسن والمساوئ (ص ١٦١).

يَدِي وَدَعَانِي إِلَى أَخَذِ بَعْضَ ثَمَنِهَا. فَقَالَ: يَا ثَابِتُ، وَقَعَ لَهُ بِالْكِتَابِ إِلَى ابْنِ الْبُحْتِكَانِ
وَالِى الْقَاضِي هُنَاكَ بِأَمْرِهِ بِإِنْصَافِهِ، وَإِخْرَاجِ ابْنِ الْبُحْتِكَانِ مِنْ حَقِّهِ، أَوْ أَخَذَهَا مِنَ الرَّجُلِ
بِالْحِكْمَةِ، قَالَ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَطِيعَةٌ كَانَ الْمَنْصُورُ أَقْطَعَهَا أَبِي،
فَأَخَذْتُ مِنْ أَيْدِينَا بِسَبَبِ الْبَرَامِكَةِ. قَالَ: وَقَعَ، تُرِدُ عَلَيْهِ هَذِهِ مَوْفُورَةٌ، وَيَنْظُرُ مَا أَخْرَجْتَ
مُنْذُ قُبِضَتْ عَنْهُمْ إِلَى هَذِهِ الْعَايَةِ، فَلْيُدْفَعِ إِلَيْهِمْ حَاصِلُ غَلَاتِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟
قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَيَّ دَيْنٌ، قَدْ أَبْهَطَنِي وَأَذَلَّنِي ذِكْرُهُ، وَقَوِي عَلَيَّ أَرْبَابُهُ. قَالَ:
وَكَمْ دَيْنُكَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ. قَالَ: وَقَعَ يَا ثَابِتُ بِقَضَاءِ دَيْنِهِ. قَالَ: فَسَأَلَ سَبْعَ
خَوَاطِجٍ، فِيمَثَهَا أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَوَاللَّهِ إِنْ زَالَتْ قَدَمُهُ عَنْ مَقَرِّهَا حَتَّى قُضِيَتْ، فَاثْمَلَأْتُ
غَيْظًا، وَفَوْتُ فَوْزَ الْمِرْجَلِ. حَتَّى لَوْ أُمَكِنْتُ مِنْ لَحْمِهِ لَأَكَلْتُهُ. ثُمَّ دَعَا لِلْمَأْمُونِ وَخَرَجَ.
فَقَالَ: يَا ثَابِتُ، تَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ. قُلْتُ: فَعَلَّ اللَّهُ بِهِ. مَا رَأَيْتُ وَاللَّهِ رَجُلًا أَجْهَلَ مِنْهُ، وَلَا
أَوْقَحَ وَجْهًا مِنْهُ. قَالَ: لَا تَقُلْ ذَاكَ فَتُظْلِمَهُ، فَمَا أَدْرِي مَتَى حَاطَبْتُ رَجُلًا هُوَ أَعْقَلُ مِنْهُ،
وَلَا أَعْرِفُ بِمَا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ، قَالَ: فَكَبَضْتُ عَلَيْهِ قَبْضَتَهُ، أَوْلَهَا وَآخَرَهَا. فَقَالَ: هَذَا
مَنْ الَّذِي قُلْتُ لَكَ. ثُمَّ قَالَ: وَأَزِيدُكَ أُخْرَى، لَا أَحْسَبُكَ فَهَمَّتْهَا. قُلْتُ: وَمَا هِيَ جَعَلَنِي
اللَّهُ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: أَوْ مَا رَأَيْتُ خَاتَمَهُ فِي أَضْبَعِهِ الْيُمْنَى؟ قُلْتُ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: خَلَا أَبُو جَعْفَرٍ يَوْمًا مَعَ
يَزِيدَ بْنِ أَسِيدٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا يَزِيدُ مَا تَرَى فِي قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ؟ فَقَالَ: أَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْ تَقْتُلَهُ، وَتَقْرُبَ إِلَى اللَّهِ بِدَمِهِ، فَوَاللَّهِ لَا يَضْفُو مُلْكُكَ وَلَا تَهْنَأُ بَعِيثُ مَا بَقِيَ. قَالَ يَزِيدُ:
فَتَفَرَّ مَتَى نَفَرَةٌ ظَنَنْتُهُ سَيَأْتِي عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ، وَأَسْمَتَ بِكَ عَدُوَّكَ، أَتَشِيرُ
عَلَيَّ بِقَتْلِ أَنْصَحِ النَّاسِ لَنَا، وَأَثْقَلِهِ عَلَى عَدُوِّنَا. أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا حِفْظِي مَا سَلَفَ مِنْكَ،
وَإِنِّي أَعُدُّهَا هَفْوَةً مِنْ رَأْيِكَ لَصَرَبْتُ عُقْمَكَ، فَمَ لَا أَقَامَ اللَّهُ رَجُلِيكَ، قَالَ يَزِيدُ: فَكُفْتُ
وَقَدْ أَظْلَمَ بَصْرِي، وَتَمَنَيْتُ أَنْ تَسِيخَ الْأَرْضُ بِي. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ قَتْلِهِ إِثَاءَهُ بِدَهْرٍ. قَالَ لِي:
يَا يَزِيدُ تَذَكَّرُ يَوْمَ شَاوَرْتِكَ فِي قَتْلِ الْعَبْدِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَا رَأَيْتَنِي قَطُّ
أَقْرَبَ إِلَى الْمَوْتِ مِنِّي يَوْمَئِذٍ. قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَانَ ذَلِكَ رَأْيِي، وَمَا لَا أَشْكُ فِيهِ، وَلَكِنِّي
حَشِيْتُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ فَتُفْسِدَ عَلَيَّ مَكِيدَتِي.

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، قَالَ: حَدَّثْتُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ

قَالَ: لَمَّا قُتِلَ الْمَخْلُوعُ جِيءَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ بَعْدَ وُرُودِ الْكِتَابِ بِسَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا، فَفَاقَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ بِالْجُؤنَةِ، وَأَنَا مَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ فَقَالَ: فَضَّ الْحَاتِمَ. فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَفْضَيْتُ إِلَى الْحَاتِمِ عَلَى مِثْلِ مُخْمَلٍ فِيهِ الرَّأْسُ، فَفَضَّضْتُ الْحَاتِمَ، وَإِذَا عَلَى وَجْهِهِ قُطْنٌ، فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ نَظَرَ إِلَيْهِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنَيْهِ، وَكَلَّحَ وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ دُو الرِّيَاسَتَيْنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا مَوْضِعُ شُكْرِي، فَاحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي أَرَاكَ بِهِ مَا كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ بِهِ. قَالَ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ: فَأَمَرَنِي فَكَشَفْتُ عَنِ الرَّأْسِ، فَتَأَمَّلْتُهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَنُصِبَ عَلَى قَنَاةٍ، وَوُضِعَ الْعَطَاءُ لِلنَّاسِ، فَكُلَّمَا أُعْطِيَ رَجُلٌ أَمَرَ أَنْ يَلْعَنَ الْمَخْلُوعَ، فَفَعَلَ، حَتَّى قِيلَ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ، وَقَدْ أَخَذَ عَطَاءَهُ: الْعِنِ الْمَخْلُوعَ. قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمَخْلُوعَ وَلَعِنْتَ، وَلَعِنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ وَلَدَهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِتَرْكِ لَعَنِ الْمَخْلُوعِ بَعْدَ ذَلِكَ^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُتْبِيُّ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي وَهُوَ يُوصِينِي: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَتْرُكَكَ مَعَ مَنْ لَا يَتْرُكَكَ، فَأَكْجَلُ عُيُونَهُمْ بِحُسْنِ مِنْكَ تَقْطَعُ أَلْسِنَتَهُمْ عَنْكَ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ تَكُنْ لَكَ، وَخُذْ مِنْ كُلِّ زَمَانٍ مَحَاسِنَ مَا فِيهِ. وَأَنْتَ قَلِيلٌ فَاتَّقِ تَكُنْ بِهِ كَثِيرًا، وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ تَخْرُجُ بِمَوْتِي مِنْ سَعَةِ عَذْرٍ إِلَى ضَيْقِ مُدَارَاةٍ، فَضَعْ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا تَضَعُكَ مَوْضِعَكَ. وَاجْعَلْ ذُنُوبَكَ صَلَةً لِأَخْرَجَتِكَ، وَلَا تَرْضَ لَهَا بِهَا عَوْضًا مِنَ الْأَخْرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَهَا عِقَابًا لِمَنْ سَخِطَ عَلَيْهِ، وَلَا ثَوَابًا لِمَنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَانظُرْ بَنَاتِي، فَوَصِيَّتِي فِيهِنَّ مَا أَوْصَى بِهِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي بَنَاتِهِ، حِينَ قَالَ: يَا عَمْرُو، انظُرْ بَنَاتِي، فَاجْعَلِ الْبُيُوتَ لَهُنَّ قُبُورًا حَتَّى يَأْتِيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَأْتِيَنَّكَ الْأَكْفَاءُ. وَانظُرْ غِلْمَانِي، فَلَا تَحْبِسْ مِنْهُمْ مَنْ رَأَى مِنْهُمْ صَغِيرًا، فَإِنَّهُ لَا يُسِرُّ لَكَ هَيْبَةً، وَانظُرْ إِلَى مَالِي فَإِنْ كَرِهْتَ مِنْهُ شَيْئًا وَرَأَيْتَ الْإِسْتِدَالَ بِهِ خَيْرًا مِنْ حَبْسِهِ فَلَا تَحْبِسْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ وَانظُرْ أَهْلَكَ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَضْلُحُوا وَأَنْتَ فَاسِدٌ، وَلْيَكُنْ لَكَ فِي مَنَزِلِكَ طَعَامٌ، وَإِنْ قَلَّ يَأْتِكَ مَنْ فِي مَنَزِلِهِ أَطْيَبَ مِنْهُ وَأَكْثَرُ، انظُرْ بَنِي زِيَادِ أَحْوَالِكَ، فَكُنْ لَهُمْ ابْنُ أُخْتٍ مَا كَانُوا لَكَ أَحْوَالًا، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى غَيْرِهَا فَأَوْسِعْهُمْ الْجَفَاءَ، وَإِنْ حَمَلُوكَ عَلَى الَّذِي حَمَلُونِي عَلَيْهَا، فَارْكَبْ غَيْرَ هَائِبٍ لَهُمْ، فَإِنَّ الَّذِي قَدَّمْتَهُ لَكَ مُعِينٌ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَلَنْ يَدْعُوكَ حَتَّى يُخْبِرُوكَ، فَلَا تَدْعُهُمْ حَتَّى يُعْرِفُوكَ.

(١) انظر: مروج الذهب (٦/٤٨٣).

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: دَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: يَا عَمْرُو عِظْنِي وَأَوْجِزْ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْدَافِيرِهَا فِي يَدَيْكَ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ مِنْ رَبِّكَ بِبَعْضِهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَائِلُكَ عَنْ مَثَاقِيلِ الذَّرِّ مِنَ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْعُذْرِ مِمَّنْ اسْتَرْعَاكَ وَفَوَّضَ أُمُورَهُمْ إِلَيْكَ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَيْزٌ فِي نَفْسِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ مِنْ آدَمَ خُلِقْتَ، وَآدَمَ قَبْلَكَ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مِنْ وَرَاءِ بَابِكَ نَارًا مِنَ الْجُورِ وَالظُّلْمِ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَاشْتَرِ نَفْسَكَ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ مِنْ عِظَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيْهِ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ لَهُ: هَذَا أَخُوكَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَمُوتُ غَدًا، وَإِنَّ كُلَّ مَا تَرَى يَنْقَطِعُ كَأَن لَمْ يَكُنْ، وَأَنْتَ غَدًا جِيْفَةٌ مُلْقَى قَدِ اسْتَحْضَرَ فِي بَدَنِكَ الدُّودُ. يُقَدِّرُكَ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، لَا يَنْفَعُكَ إِلَّا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، وَلِهَذَا الْجِدَارُ خَيْرٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ إِذَا طَوَيْتَ النَّصِيحَةَ عَنْهُ، وَأَقْبَلْتَ تَرْجُرُ مَنْ يَنْصَحُهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ هَوْلًا آتَحَذُوكَ سَلْمًا لِشَهَوَاتِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ عَامِلٍ، فَإِنَّ رَبَّكَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَبِّبٌ عَزَلْتَهُ وَاسْتَعْمَلْتَ غَيْرَهُ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَرْضَ مِنْهُمْ إِلَّا بِالْعَدْلِ، لَيَتَّقَرَّبَنَّ إِلَيْكَ بِالْهَدْيِ وَالْأَعْمَالِ الرَّائِيَةِ مَنْ وَلَايَتُهُ لَهُ فِيهِ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَقَرَعُونَ ذِي الْاَوْتَادِ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمْرِصَادٍ﴾ [الفجر: ٦-١٤]، لِمَنْ عَمِلَ بِمِثْلِ

(١) حديث ابن عمر: أخرجه أحمد (٥/٢، رقم ٤٤٩٥)، والبخاري (٨٤٨/٢، رقم ٢٢٧٨)، ومسلم (١٤٥٩/٣، رقم ١٨٢٩)، وأبو داود (١٣٠/٣، رقم ٢٩٢٨)، والترمذي (٢٠٨/٤، رقم ١٧٠٥)، وقال: حسن صحيح.

حديث عائشة: أخرجه الخطيب (٢٧٦/٥).

حديث أبي موسى: أخرجه العقيلي (٤٩/١).

عَمَلِهِمْ، إِنَّ الدُّنْيَا لَوْلَا أَنَّهُا مَضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ مِنْهَا شَيْءٌ، فَأَنْتَ وَارِثٌ مَنْ مَضَى، وَمَمْرُوثٌ غَدًا، وَقَادِمٌ عَلَى رَبِّكَ، وَمَجْزِيٌّ بِعَمَلِكَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً تَمَحَّضُ عَنْ يَوْمٍ لَا لَيْلَ فِيهِ وَلَيْلٌ لَا يَوْمَ لَهُ، وَالسَّلَامُ. قَالَ: فَبَكَى أَبُو جَعْفَرٍ حَتَّى مَسَحَ عَيْنَيْهِ مِنْ دُمُوعِهِ بِكَفِّهِ. قَالَ: وَأَرَادَ أَبُو جَعْفَرٍ أَنْ يَكْتُبَ شَيْئًا، وَالِدَّوَاةَ عَلَى جَنْبِ عَمْرٍو، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمْرُو نَاوِلْنِي الدَّوَاةَ، فَلَمْ يُنَاوِلْهُ. فَقَالَ لَهُ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا نَاوَلْتَنِي. فَقَالَ عَمْرُو: أَقْسَمْتُ، لَا أَنَاوِلُكَ. فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَفْسِمُ عَلَيْكَ يَا عَمْرُو أَنْ تُنَاوِلَهُ الدَّوَاةَ، وَتُقْسِمُ أَنْتَ أَلَّا تُنَاوِلَهُ!!، فَقَالَ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْوَى عَلَى كَفَّارَةِ يَمِينِهِ مِنِّي. فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُنَاوِلَهُ الدَّوَاةَ؟ قَالَ: لَمْ أَمِنْ أَنْ يَكْتُبَ فِي عَطَبِ مُسْلِمٍ، فَأَكُونُ قَدْ شَارَكْتُهُ فِي قَتْلِهِ بِمُنَاوِلْتِهِ الدَّوَاةَ. فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَادَى مُنَادٍ: أَيُّنَ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانَ الظُّلْمَةِ؟ فَأَكُونُ مِمَّنْ أَعَانَهُ^(١).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي فُدَيْكٍ، قَالَ: قَدِمَ هَارُونَ الرَّشِيدُ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَدِينَةَ، فَأَخْلَجِي لَهُ الْمَسْجِدَ فَوَقَّفَ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاعْتَنَقَ أَسْطُوَانَةَ التَّوْبَةِ، ثُمَّ قَالَ: قِفُوا بِي عَلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ. فَلَمَّا أَتَاهُمْ كَانَ أَبُو نَضْرٍ نَائِمًا، فَأَيْقَظُوهُ، وَقِيلَ: هَذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ، وَأُمَّةٍ نَبِيٍّ ﷺ وَبَيْنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَلْقٌ غَيْرُكَ، وَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُكَ عَنْهُمْ، فَأَعَدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَابًا. فَقَدْ قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: لَوْ ضَاعَتْ سَخْلَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفِرَاتِ لَخَافَ عَمْرُ أَنْ يَسْأَلَهُ اللَّهُ عَنْهَا. قَالَ: فَبَكَى هَارُونَ الرَّشِيدُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا نَضْرٍ، إِنَّ رَعِيَّتِي وَدَهْرِي غَيْرُ رَعِيَّةِ عَمْرٍ وَدَهْرِهِ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ أَبُو نَضْرٍ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا غَيْرُ مُعْنٍ عَنْكَ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَعَمْرٌ تَسْأَلَانِ عَمَّا خَوْلَكُمَا اللَّهُ. قَالَ: فَدَعَا هَارُونَ بِضُرَّةَ مِائَةِ دِينَارٍ، وَقَالَ: ادْفَعُوهَا إِلَى أَبِي نَضْرٍ، فَقَالَ أَبُو نَضْرٍ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، ادْفَعُوهَا إِلَى فُلَانٍ يُفَرِّقُهَا بَيْنَهُمْ، وَاجْعَلْنِي رَجُلًا مِنْهُمْ^(٢).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي فُدَيْكٍ، قَالَ: أَحْدَبَتِ الْمَدِينَةَ، وَاخْتَلَّتْ أَهْلُهَا، وَسَاءَتْ حَالُهُمْ، وَتَكَشَّفَ قَوْمٌ مَسْتُورُونَ، وَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، فَمَرَزَتْ

(١) انظر: ربيع الأبرار للزمخشري (١/٢٧٤).

(٢) انظر: المنتظم (٣/٢٠٣).

بِسُوقِ الطَّعَامِ، وَمَا فِيهَا حَبَّةُ حِنْطَةٍ، وَلَا شَعِيرَةٍ، وَإِذَا أَبُو نَضْرٍ جَالَسَ مُنْكَسَّ الرَّأْسِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا نَضْرٍ، مَا تَرَى فِي أَهْلِ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَفَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَعَلَّهُ يُفْرِجُ مَا هُمْ فِيهِ؟ قَالَ: بَلَى... وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَقَالَ لِي: اجْلِسْ عَن يَمِينِي، فَجَلَسْتُ. قَالَ: فَانْكَبْ فَعَمَّرْ وَجْهَهُ فِي الثَّرَابِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَارِحِ اللَّهُمَّ وَكَاشِفِ الْعَمِّ، مُجِيبِ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَحِيمَهُمَا، صِلْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَفَرِّجْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ حَرَمِ نَبِيِّكَ ﷺ، ثُمَّ غَلَبَ فَذَهَبَ، وَقُمْتُ مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ مِنَ السُّوقِ حَتَّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ قَدْ تَعَطَّتْ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا رَجُلٌ جَرَادٍ أَرَى سَوَادَهَا فِي الْهَوَى، فَمَا زِلْتُ يُسْفِلُنَّ، وَأَنَا وَقِفٌ أَنْظُرُ حَتَّى امْتَلَأَتِ الْمَدِينَةَ، فَاسْتَعْنَى كُلُّ قَوْمٍ بِمَا فِي دَارِهِمْ مِنْ جَرَادٍ فَحَشُوا الْأَجْوَابَ. قَالَ: فَطَبَّخَ النَّاسُ وَمَلَّحُوا وَقَلَا مَنْ قَدَرَ عَلَى الرِّبْتِ، وَمَلَأَ النَّاسُ الْحِجَابَ وَالْجِرَارَ وَالْفَوَاسِرَ وَالْقَوَةَ فِي جَانِبِ بُيُوتِهِمْ. ثُمَّ نَهَضَ بَعْدَ ثَالِثَةٍ فَانْتَشَرَ فِي أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، ثُمَّ مَا مَرَّتْ بِنَا ثَلَاثٌ حَتَّى جَاءَنَا عَشْرُ سَفَائِنَ دَخَلَتِ الْجَارَ، فَإِذَا هِيَ قَدْ دَخَلَتْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي دَعَا فِيهِ أَبُو نَضْرٍ، فَوَجَعَ السَّعْرُ إِلَى أَرْحِصِ مَا كَانَ، وَرَجَعَتْ حَالُ النَّاسِ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ. قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا نَضْرٍ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ يَا أَبَا نَضْرٍ: أَمَا تَرَى إِلَى بَرَكَةِ دُعَائِكَ؟ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ عَلَى عَهْدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَذِنَ هِشَامٌ لِلنَّاسِ، فَدَخَلَ فِي غِمَارِهِمْ دِرْوَأَسُ بْنُ دِرْوَأَسِ الْعَجَلِيُّ، وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ صُوفٍ، مُتَفَضِّلٌ عَلَيْهَا بِشِمْلَةٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ هِشَامٌ أَنْكَرَ دُخُولَهُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى حَاجِبِهِ، فَقَالَ: أَتَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْ شَاءِ بَغَيْرِ إِذْنٍ؟ فَعَرَفَ دِرْوَأَسُ أَنَّهُ إِنَّمَا عَنَاهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَحَلَّ بِكَ دُخُولِي عَلَيْكَ، وَلَا وَضَعَ مِنْ قَدْرِكَ وَلَكِنَّهُ شَرَفَنِي، وَرَفَعَ قَدْرِي، وَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ دَخَلُوا لِأَمْرٍ، وَأَحْجَمُوا عَنْهُ، فَإِنْ أَذِنْتَ لِي تَكَلَّمْتُ، فَقَالَ هِشَامٌ: تَكَلَّمْ، فَإِنِّي أَطْنُكَ صَاحِبَهُمْ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَوَالَّتْ عَلَيْنَا سِنُونَ ثَلَاثَ، فَأَمَا أَوْلَاهُنَّ فَأَذَابَتْ الشَّحْمَ، وَأَمَا الثَّانِيَةَ فَأَكَلَتِ اللَّحْمَ، وَأَمَا الثَّالِثَةَ فَهَاضَتِ الْعَظْمَ وَنَقَّتِ الْمُخَّ، وَعِنْدَكَ أَمْوَالٌ، فَإِنْ تَكُنْ لِلَّهِ فَعُدْ بِهَا عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَإِنْ تَكُنْ لِعِبَادِ اللَّهِ فَعَلَامَ تَحْسِبُونَهَا عَنْهُمْ؟

وإن تكن لك فتصدق إن الله يُجزِي الْمُتَصَدِّقِينَ. قَالَ هِشَامٌ: وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ لَنَا وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ، فَقُسِّمَتْ فِي النَّاسِ، وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِثْلُهَا؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيمَا تَبَعْتُ عَلِيَّ مَدْمَةً. فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ بُعِثَ إِلَيْهِ بِالْمِائَةِ الْأَلْفِ الدِّرْهَمِ فَفَرَّقَ دِرْوَاهِ فِي تِسْعَةِ أَبْطُنٍ مِنْ بَطُونِ الْعَرَبِ عَشْرَةَ آلَافٍ عَشْرَةَ آلَافٍ. وَأَخَذَ لِنَفْسِهِ حَوْلَ عَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ. فَقَالَ هِشَامٌ: إِنَّ الصَّنِيعَةَ عِنْدَ دِرْوَاهِ لَتُضَاعَفُ عَلَى الصَّنَائِعِ.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سِئِلَ أَبُو حَازِمٍ الْمَدِينِيُّ، فَقِيلَ لَهُ: مَا مَالُكَ؟ قَالَ: الْكَثِيرُ الطَّيِّبُ. قِيلَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: الثِّقَّةُ بِاللَّهِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنْ أَعْطَانِي رَضِيتُ، وَإِنْ مَنَعَنِي قَنَعْتُ. قَالَ: فَمَا تَرَى فِيمَا نَحْنُ فِيهِ؟ قَالَ: إِنْ كُنْتُ أَخَذْتُهُ مِنْ حِلِّهِ، فَوَضَعْتُهُ فِي حَقِّهِ فَأَنْتَ أَنْتَ، وَإِلَّا فَإِنَّمَا تَجْمَعُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: لِرَجُلٍ سَعِيدٍ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ لِرَجُلٍ شَقِيٍّ مِثْلَ مَا شَقِيتَ بِهِ، أَمَا مَنْ مَضَى مِنْ وَلَدِكَ فَارْجُ لَهُمْ رَحْمَةَ اللَّهِ، وَأَمَا مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فَقَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ. فَعَلَامَ تُهْلِكُ نَفْسَكَ؟! حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ الرَّبِيعِ، قَالَ: قَدِمَ الْمَنْصُورُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ قَوْمٌ، فَوَشَّوْا بِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ. وَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَكَ، وَيَنْتَقِضُكَ، وَلَا يَرَى التَّسْلِيمَ عَلَيْكَ. فَقَالَ لَهُمْ: وَكَيْفَ أَقِفُ عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُونَ؟ قَالُوا: تَمْضِي ثَلَاثَ لَيَالٍ فَلَا يَصِيرُ إِلَيْكَ مُسْلِمًا. قَالَ: إِنْ فِي ذَلِكَ لَدَلِيلًا. فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، قَالَ: يَا رَبِيعُ ابْنِي بِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَقَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ. قَالَ الرَّبِيعُ: فَأَخَذَنِي مَا قَدَّمَ وَمَا حَدَّثَ، فَدَافَعْتُ بِإِحْصَارِهِ يَوْمِي ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ، قَالَ: يَا رَبِيعُ أَمَرْتُكَ بِإِحْصَارِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَوَرَّيْتُ عَنْ ذَلِكَ، آتَيْتَنِي بِهِ، فَقَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ، وَقَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَبْدَأْ بِكَ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِنِي بِهِ. قَالَ الرَّبِيعُ: فَمَضَيْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَوَافَيْتُهُ يُصَلِّيَ إِلَى جَنْبِ أُسْطُوَانَةِ التَّوْبَةِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَحِبَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّتِي لَا شَوْىَ لَهَا، فَأَوْجَزَ فِي صَلَاتِهِ وَتَشَهَّدَ وَسَلَّم. وَأَخَذَ نَعْلَهُ وَمَضَى مَعِي، وَجَعَلَ يَهْمِسُ بِشَيْءٍ أَفْهَمَ بَعْضَهُ، وَبَعْضًا لَمْ أَفْهَمْ، فَلَمَّا أَدْخَلْتُهُ عَلَى أَبِي جَعْفَرَ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ. وَقَالَ: يَا مُرَائِي، يَا مَارِقُ، مَتَّكَ نَفْسُكَ مَكَانِي فَوَرَّيْتُ عَلَيَّ، وَلَمْ تَرَ الصَّلَاةَ خَلْفِي، وَالتَّسْلِيمَ عَلَيَّ. فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ، رَفَعَ جَعْفَرُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ ﷺ، أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَإِنَّ أَيُّوبَ ابْنُتَلْيَ

فَصَبْرَ، وَإِنَّ يُوسُفَ ظَلِمَ فَغَفَرَ، وَهُؤُلَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْبِيَائِهِ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ،
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الثُّبُوءِ، وَإِلَيْهِمْ يَتَوَلَّى نَسَبُهُ، وَأَحَقُّ مَنْ أَخَذَ بِآدَابِ الْأَنْبِيَاءِ،
مَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ حَظِّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ
جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾
[الحجرات: ٦]، فَتَبَيَّنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَصِحُّ لَكَ الْيَقِينُ. قَالَ: فَسَرَّيَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ،
وَزَالَ الْعُضْبُ عَنْهُ. وَقَالَ: أَنَا أُشْهِدُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنَّكَ صَادِقٌ. وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَرَفَعَهُ، وَقَالَ:
أَنْتَ أَخِي وَابْنُ عَمِّي، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، وَقَالَ: سَلْنِي حَاجَتَكَ، صَغِيرَهَا
وَكَبِيرَهَا. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ أَذْهَلَنِي مَا كَانَ مِنْ لِقَائِكَ وَكَلَامِكَ عَنْ حَاجَاتِي،
وَلِكَيْتِي أَفْكَرُ وَأَجْمَعُ حَوَائِجِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ الرَّبِيعُ: فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ،
سَمِعْتُكَ هَمَسْتَ بِكَلَامٍ أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَهُ، قَالَ: نَعَمْ إِنْ جَدِّي عَلِيٌّ بِنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ أَجْمَعِينَ، يَقُولُ: مَنْ خَافَ مِنْ سُلْطَانٍ ظَلَامَةٍ أَوْ تَعَطُّرَسَا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ احْرُسْنِي
بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْتُنْفِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَاغْفِرْ بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، فَلَا أَهْلَكَنَّ
وَأَنْتَ رَجَائِي، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ قَلَّ عِنْدَهَا سُكْرِي، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي
بِهَا قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا صَبْرِي. فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ سُكْرِي، فَلَمْ يَحْرِمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ
نِقْمَتِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَحْذُلْنِي، وَيَا مَنْ رَأَى عَلَيَّ الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي، وَيَا ذَا النِّعْمَاءِ الَّتِي
لَا تُحْصَى، وَيَا ذَا الْأَيْدِي الَّتِي لَا تَنْقُضِي، بِكَ أَسْتَدْفِعُ مَكْرُوهَ مَا أَنَا فِيهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
شَرِّهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. قَالَ الرَّبِيعُ: فَكَتَبْتُ بِالذُّعَاءِ، وَلَمْ يَلْتَقِ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الْمَنْصُورِ وَلَا سَأَلَهُ حَاجَةً حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ
لِثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ: أَبُوكَ كَانَ أَعْلَمَ بِكَ حَيْثُ كَانَ يَشْتُمُكَ، قَالَ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، أَتَدْرِي لِمَ كَانَ يَشْتُمُنِي؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ. قَالَ: إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ
مَكَّةَ، وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ بِهِمَا، أَمَا أَهْلُ مَكَّةَ، فَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
وَأَخَافُوهُ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَيَّرَهُمْ، يُعْرِضُ فِي قَوْلِهِ
هَذَا بِالْحَكْمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ حَيْثُ نَفَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَحَذَلُوا عُثْمَانَ، حَتَّى
قُتِلَ بَيْنَهُمْ، لَمْ يَرَوْا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ. قَالَ: يَسْتَحِقُّهَا
الظَّالِمُونَ. كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

فَأَمْسَكَ عَنْهُ^(١).

حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَمْرُو بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَأَسَاءَ السَّيْرَةَ فِيهِمْ، فَشَكَّوهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَرَقَى الْمُنْبِرَ، فَخَطَبَهُمْ وَمَنَاهُمْ وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ، وَنَالَ مِنْ عَمْرُو، وَذَمَّهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا كَانَ قُرَشِيٌّ يَفْعَلُ هَذَا بِقُرَشِيٍّ، فَقَالَ عَمْرُو مِنْ تَحْتِ الْمُنْبِرِ، مَهْلًا يَا عُثْمَانُ، فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِحُلُوِّ الْمَذَاقِ، وَإِنِّي لَقَمِينُ الْمَضْرَّةِ، وَقَدْ ضَرَسْتَنِي الْأُمُورَ، وَجَرَسْتَنِي الدُّهُورَ، فَرَعَا مَرَّةً، وَأَمَّنَا أُخْرَى، وَإِنَّ قُرَيْشًا تَعْلَمُ أَنِّي سَاكِنُ اللَّيْلِ، دَاهِيَةُ النَّهَارِ، لَا أَتَّبِعُ الضَّلَالَ، وَلَا أَنْمِصُ حَاجِبِي، وَلَا يُسْتَنْكَرُ شَبَهِي وَلَا أُدْعَى لِغَيْرِ أَبِي.

- حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي بَكْرِ الْمُؤَمِّلِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: حَضَرَ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَجْلِسَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ أَمِيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هَاشِمٍ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: اِحْمَدُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِذْ جَعَلَ وَالِيَّ أُمُورِكُمْ مَنْ يُغْضِي عَلَى الْقَدَى، وَيَتَصَامُ عَلَى الْعَوْرَاءِ، وَيَجْرُ ذَيْلَهُ عَلَى الْخَدَائِعِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ: لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمَشِينَا إِلَيْهِ الضَّرَاءَ وَذَبِينَا لَهُ الْخَمْرَ، وَقَلْبِنَا لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنِّ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا أَمْرٌ، وَلَا يُطْعِمُكَ مَالٌ مُضْرًا، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ حَتَّى مَتَى لَا تُنْصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: إِنَّ عَمْرًا وَذَوِيهِ أَفْسَدُوا عَلَيْنَا، وَأَفْسَدُونَا عَلَيْكَ، مَا كَانَ عَلَيْكَ لَوْ أَعْضَيْتَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ عَمْرًا نَاصِحٌ لِي. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَطْعَمْنَا مِثْلَ مَا أَطْعَمْتَهُ، ثُمَّ خُذْنَا بِمِثْلِ نَصِيحَتِهِ، إِنَّا يَا مُعَاوِيَةَ رَأَيْنَاكَ تَضْرِبُ عَوَامَ قُرَيْشٍ فِي خَوَاصِّهَا، كَأَنَّكَ تَرَى كِرَامِهَا حَارُوكَ دُونَ لِيَامِهَا، وَإِيْمُ اللَّهُ إِنَّكَ تُفْرِعُ مِنْ وَعَاءٍ فَمِ فِي إِنْاءِ ضَخْمٍ، وَلَكَأَنَّكَ بِالْحَرْبِ قَدْ حُلَّ عِقَالُهَا عَلَيْكَ، ثُمَّ لَا يُنْظَرُ لَكَ. قَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَا أَحْوَجَ أَهْلَكَ إِلَيْكَ، يَقُولُ: لَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ قَتَلْتُ. ثُمَّ أَشَدَّ مُعَاوِيَةُ:

أَعْرَ رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَتَابَعُوا عَلَى سَفَهٍ مِنِّي الْحَيَا وَالتَّكْرُمُ^(٢)

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٣٠/١١).

(٢) انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (٢١/٤).

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الهمْدَانِيِّ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ الْكِنَانِيِّ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَبَا الطُّفَيْلِ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَلَسْتَ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي مِمَّنْ حَصَرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ. قَالَ: وَمَا مَنَعَكَ مِنْ نَصْرِهِ؟ قَالَ: لَمْ يَنْصُرْهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ. قَالَ مُعَاوِيَةُ: أَمَا لَقَدْ كَانَ حَقُّهُ وَاجِبًا، وَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْصُرُوهُ. قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصْرِهِ، وَمَعَكَ أَهْلُ الشَّامِ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَمَا طَلَبِي بِدَمِهِ نَصْرَةَ لَهُ؟ فَضَحِكَ الطُّفَيْلُ، وَقَالَ: أَنْتَ وَعُثْمَانُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا أَلْفَيْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، مَا أَبْقَى الدَّهْرُ مِنْ ثُكْلِكَ عَلَيَّا؟ قَالَ: ثُكْلُ الْعَجُوزِ الْمُفْلَاتِ، وَالشَّيْخِ الرَّقُودِ. قَالَ: كَيْفَ خُبُّكَ لَهُ؟ قَالَ: حُبُّ أُمِّ مُوسَى لِمُوسَى، وَإِلَى اللَّهِ أَشْكُو التَّقْصِيرَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ، قَالَ: قَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ: مَا أَعْيَانِي جَوَابُ أَحَدٍ مَا أَعْيَانِي جَوَابُ عُثْمَانَ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا أَنْ قُلْنَا رَبُّنَا اللَّهُ، فَمِمَّا مِنْ مَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمِمَّا مِنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ، وَمِمَّا مِنْ مَاتَ بِالْحَرَمِ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى الْأَنْصَارِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ، وَكَانَ هَوَاهُمْ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةَ لَا يَعْرِفُونَ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ الْفَضْلَ، كَمَا يَعْرِفُ أَهْلُ مَكَّةَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الْفَضْلَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَعَادَ اللَّهِ نَحْنُ وَاللَّهُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَأَبْعَدُ فِي الْأَرْضِ آثَارًا، لَنَا خُرَاسَانَ، وَسَجِسْتَانَ، وَالسِّنْدُ وَالْهِنْدُ، افْتَتَحْنَاهَا بِالْبَيْضِ الْقَوَاصِبِ، حَتَّى أَوْثَقْتُ أَعْنَةَ الْخَيْلِ، بِأَصُولِ الْقَنَا بِأَرْضِ الْفُلْفُلِ، وَلَنَا كَرْمَانَ وَمُكْرَانَ وَفَارَسَ وَالْأَهْوَاذَ، وَالْعِرَاقَ عِرَاقَنَا، وَالْأَرْضَ أَرْضَنَا، وَإِنَّمَا أَهْلُ الْكُوفَةِ أَضْيَافُ عَلَيْنَا. فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ: دَعْنَا مِنْ خُرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ، فَلَعَمْرِي أَنْتُمْ أَرْفَعُ مِنَّا بِلَادًا، وَلَكِنْ بِاللَّهِ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّا أَكْثَرُ مِنْكُمْ فُقَهَاءَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَاللَّهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَكْثَرِ مِنَّا فُقَهَاءَ، وَلَكِنَّكُمْ أَكْثَرُ مِنَّا أَنْبِيَاءَ، مِنْكُمْ بَيَانُ التَّبْيَانِ، وَالْمُغِيرَةَ، وَأَبُو الْحَطَّابِ. وَمَا لَنَا نَبِيٌّ إِلَّا مُحَمَّدٌ ﷺ، فَضَحِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ، وَاشْتَدَّ ضَحِكُهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، هُمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ أَنْبِيَاءَ؟ قَالَ أَبُو

بكر: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أرضا قط أكثر نبيًا مضلوبًا منها، فجعل أمير المؤمنين يغمز أبا بكر ويضحك، يغمزه بالقصيب، فقال الحسن بن زيد: إنما كان أصل المغيرة من البصرة، فقال أبو بكر: كلا إنما كان من أهل الكوفة. فتنازعا طويلا، فقال أمير المؤمنين: يا أبا بكر قد صح عندي أن أصله من البصرة، قال أبو بكر: صدق أمير المؤمنين، ولكن البصرة أرض طيبة لا تدع فيها خبثًا إلا أخرجه. قال أمير المؤمنين: دونكم الهدلي فقد سلطتكم عليه. فقال أبو بكر: إذا لا يتصفون مني. قال أمير المؤمنين: ولم ذاك؟ قال: لأن الحق في يدي، وليس في أيديهم منه شيء. قال الحسن بن زيد: ألا تعجب يا أمير المؤمنين، إنه يفاخر أهل الكوفة بأهل البصرة، ويعدلهم بهم؟ فقال أبو بكر: والله ما عدلهم بهم، ولكني أفضل أهل البصرة عليهم، والله يا أمير المؤمنين، ما كان بالكوفة شريف قوم إلا وشريف قوم بالبصرة أشرف منه. ما كان في تميم الكوفة مثل الأحنف بن قيس من تميم البصرة. ولا كان في أزد الكوفة مثل المهلب بن أبي صفرة من أزد البصرة، ولا كان في قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم من قيس البصرة، الذي يقول فيه الشاعر:

إِذَا مَا حَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظَلَامَةً أَمَرْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسَكَرَا^(١)
وَقَالَ جَرِيرٌ:

يَا عَيْنُ وَيَحْكُ هِيَجِي أَحْزَانَا وَأَسْتَعْجَلِي بِدُمُوعِكَ الْأَزْمَانَا
قَالَتْ رَبِيعَةُ يَوْمَ كَفَنَ مَالِكٌ لَا فَجَعَ أَكْبَرُ مِنْ أَبِي غَسَّانَا
كَانُوا إِذَا شَعِبُوا شَعِبَتْ عَلَيْهِمْ بَلْ كُنْتُ أَطْوَلَ فِي الْحُرُوبِ عِنَانَا
وَمَا كَانَ فِي عَبْدِ قَيْسِ الْكُوفَةِ مِثْلَ الْمُنْدِرِ بْنِ الْجَارُودِ مِنْ عَبْدِ قَيْسِ الْبَصْرَةِ،
الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ:

يَا حَكَمَ بْنَ الْمُنْدِرِ بْنِ الْجَارُودِ أَنْتَ الْجَوَادُ ابْنُ الْجَوَادِ الْمَحْمُودِ

سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودُ

(١) البيت ذكره ابن جرير في تاريخه (٧/٢٨٠).

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ رَجُلٍ، كَأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ شَرَفَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِثْلَ مَلِكِ هَذَيْنِ الْمَضْرَيْنِ؟ فَقَدْ مَلَكَهُمَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ، وَمَلَكَهُمَا رَجُلٌ مَوْلَى لِبَنِي سَعْدٍ، يُقَالُ لَهُ: صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا قَطَعَ نَهْرَ بَلْخِ رَجُلٌ أَوْلُ مِنْ خَالِكَ رَبِيعِ بْنِ زِيَادٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَمَا سَارَ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ رَجُلٌ أَوْلُ مِنْهُ. فَقَالَ الْقَاضِي: حَدَّثَنَا أَشْيَاخُنَا لَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةَ كَانُوا يَوْمَ الْجَمَلِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَإِنَّمَا كَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ تِسْعَةَ آلَافٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ أَيْنَ كُنَّا ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَوَاللَّهِ لَرَبِيعَةَ الْبَصْرَةَ كَانَتْ مَعَ عَلِيِّ تَقَاتِلَ عَنْهُ، وَتَدْعُو إِلَيْهِ وَعَلِيٌّ الَّذِي يَقُولُ:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى رَبِيعَةَ رَبِيعَةَ السَّمَاعَةِ الْمُطِيعَةَ

وَلَكِنْ سَلَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمْ كَانَتْ عِدَّتُهُمْ يَوْمَ دَخَلْنَا مَسْجِدَهُمْ بِالْكُوفَةِ، فَذَبَحْنَا مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ذَبَحَ الْجَمَلَانَ؟ فَأَرَادَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ أَنْ يَكْسِرَ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: مَعَ مَنْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كُنَّا مَعَ مُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ. قَالَ: فَمَنْ كُنْتُمْ تُقَاتِلُونَ؟ قَالَ: كُنَّا نُقَاتِلُ الْمُحْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ وَرَفَعَ صَوْتَهُ. فَقَالَ الْحَسَنُ: عَلَى مَا كُنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةَ، عَلَى بَاطِلٍ أَمْ عَلَى حَقٍّ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كُنَّا عَلَى بَاطِلٍ، وَكُنْتُمْ عَلَى حَقٍّ، فَضَعُفْتُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَعَلَبَ بَاطِلُنَا حَقِّكُمْ. قَالَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ: مَنْ قَاتَلْتُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَاتَلْنَا عَلِيًّا، وَحَرَضْنَا عَلَى قَتْلِهِ، فَلَوَى اللَّهُ أَيْدِينَا وَسِلَاحَنَا، نَظَرًا مِنْ اللَّهِ لَنَا، وَخَيْرَةً حَتَّى خَرَجَ سُلَيْمًا، ثُمَّ قُتِلَ بَيْنَ ظَهْرَانِكُمْ بِالْكُوفَةِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلَ الْعَرَبِ كَمِثْلِ السَّمْسِمِ، إِنْ تَغَصَّرَهُ وَحَدَهُ يَخْرُجُ مِنْهُ الْحِلُّ، وَإِنْ تَخَلَّطَ مَعَهُ غَيْرُهُ تَخْرُجُ مِنْهُ أَلْوَانُ الْأَدَهَانِ، تَفَرَّقَتِ الْعَرَبُ مِنْ تِهَامَةٍ عَلَى أَرْبَعِ فُرُقٍ: فِرْقَةٌ بِالْيَمَنِ، فَأَخَذَتْ بِأَبِينِ النَّجَاشِيِّ وَشَكْلِهِمْ، وَفِرْقَةٌ وَقَعَتْ بِالشَّامِ فَأَخَذَتْ بِأَبِينِ الْفِئْبُطِ وَشَكْلِهِمْ، وَفِرْقَةٌ وَقَعَتْ بِالْكُوفَةِ، فَأَخَذَتْ بِأَبِينِ الْفُرْسِ، فَأَيُّهَا أَحْيِزِ النَّجَاشِيِّ أَمْ الْقَبْطُ أَمْ النَبْطُ أَمْ الْفُرْسُ؟ قَالَ: بَلِ الْفُرْسِ.

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: مَرْحَبًا بِكَ أَبُو صَفْوَانَ، فَقَالَ لَهُ: رَحْبٌ وَادِيكَ، وَعَزٌّ نَادِيكَ، وَهَطَلْتُ عَلَيْكَ مَكْفَهُ رَأَتْ السَّحَابِ. قَالَ: كَيْفَ كُنْتُ؟ قَالَ: فِي نِعَمٍ مِنَ اللَّهِ سَوَابِغٍ، لَا نَعْرِفُ إِلَّا الْمَزِيدَ فِيهَا، حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي ثُنْيَةٍ

السَّمَاءَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا حَزَجَفًا، تَبَوَّأَتْ لَهَا السَّبَاعُ أَسْرَابَهَا، وَانْفَرَجَتِ الطُّيْرُ إِلَى أَوْكَارِهَا، وَاحْمَرَّتْ لَهَا آفَاقُ السَّمَاءِ، فَلَمْ أَهْتَدِ لَعَلِّمٍ لَامِعٍ، وَلَا لِنَجْمٍ طَالِعٍ، فَبَقِيَتْ كَالْمُتَحَيِّرِ لَا أَجْدُ وَرَزًّا، فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَوَارِسٌ عَلَى خِيُولٍ كَأَنَّهَا قُضْبُ الشُّوْحِطِ، تَهْوِي هَوِيَّ الْأَجَادِلِ، عَلَيَّهَا كُلُّ غَطْرِيفٍ مَاجِدٍ مُتْرَفٍ كَالْحُسَامِ، وَخَلْفَهُمْ سَلُوقِيَّةٌ فِي أَرْسَاعِهَا فَدَعَّ، وَفِي أَعْجَازِهَا قِمَعٌ، فَمَرَزْنَا بِمَوَزٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَأَنَّهُ جُثُّ الْبِرَايِعِ، قَدْ اخْلَوْلَكَ أَفْنَاؤُهُ فَيَا لَكَ مِنْ مَنَزِلٍ كَرَّمَ مَابَهُ، وَضَنَّ بِهِ أَصْحَابَهُ، فَتَزَلْنَا، فَكُنَّا بَيْنَ آكِلٍ وَنَاشِلٍ وَمُشْتَوٍ وَطَاهٍ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ، يَقُولُ: اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الرُّوَاةِ، فَقَالَ قَائِلٌ: أَيُّ نِصْفِ بَيْتِ شِعْرِ أَحْكَمَ، وَأَوْجَزُ، قَالَ الْأَوَّلُ: قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وَقَالَ الثَّانِي: بَلْ قَوْلُ الْهَذَلِيِّ:

نُوكَلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وَقَالَ الثَّلَاثُ: بَلْ قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبِ الْهَذَلِيِّ:

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ^(١)

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ الدِّمَشْقِيِّ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: قَالَ جَابِرُ بْنُ سَلْمَى بْنُ جَعْفَرٍ وَذَكَرَ عَامِرُ بْنُ الطَّفَيْلِ: كَانَ وَاللَّهِ لَا يَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ وَلَا يَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ، وَلَا يَهَابُ حَتَّى يَهَابَ السَّيْلُ، وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ مَا يَكُونُ حِينَ لَا تَنْظُنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا^(٢).

وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: مَرَّ بِشُرِّ بْنِ الْمُعْتَمِرِ بِيَابِرَاهِيمَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ مَحْرَمَةَ السُّكُونِيِّ الْخَطِيبِ، وَهُوَ يُعَلِّمُ فِتْيَانَهُمُ الْحَطَابَةَ، فَوَقَفَ بِشُرِّ، فَظَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ لِيَسْتَفِيدَ أَوْ يَكُونُ رَجُلًا مِنَ النَّظَّارَةِ، فَقَالَ بِشُرِّ: اضْرِبُوا عَمَّا قَالَ صَفْحًا، وَاطُؤُوا عَنْهُ كَشْحًا. ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ صَحِيفَةً مِنْ تَحْيِيرِهِ وَتَنْمِيقِهِ وَكَانَ أَوَّلُ ذَلِكَ الْكَلَامِ: خُذْ مِنْ نَفْسِكَ

(١) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (١/١٤٠).

(٢) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (١/١٦).

سَاعَةً نَسَاطِكَ، وَفَرَاغَ بِالِكَ فِي إِجَابَتِهَا إِلَيْكَ، فَإِنَّ فَيْلَ تِلْكَ السَّاعَةِ أَكْرَمُ جَوْهَرًا، وَأَشْرَفُ حَسَبًا وَأَسْرَعُ فِي الْأَسْمَاعِ، وَأَخْلَى فِي الضُّدُورِ، وَأَسْلَمَ مِنْ فَاحِشِ الْحَطَأِ، وَأَجْلَبَ لِكُلِّ عَيْنٍ وَعُزْرَةٍ، مِنْ لَفْظٍ شَرِيفٍ، وَمَعْنَى بَدِيعٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ الْأَطُولَ بِالْكَدِّ وَالْمُجَاهَدَةِ، وَبِالتَّكْلُفِ وَالْمُعَاوَدَةِ، وَمَهْمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يُحْطِئْكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا، وَخَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا، وَكَمَا خَرَجَ مِنْ يَبُوعِهِ، وَنَجَمَ مِنْ مَعْدِنِهِ، وَإِلَيْكَ وَالتَّوَعَّرَ، فَإِنَّ التَّوَعَّرَ يُسَلِّمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ، وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ، وَيَسْهِنُ الْأَفْظَاكَ، وَمَنْ أَرَاغَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَلْتَمِسْ لَهُ لَفْظًا كَرِيمًا. فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ. وَمَنْ حَقَّقَهُمَا أَنْ تَصُونَهُمَا عَمَّا يُفْسِدُهُمَا وَرَهْبَ حُجَّتَهُمَا، وَعَمَّا تَعُودُ مِنْ أَجْلِهِ أَنْ تَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَلْتَمِسَ إِظْهَارَهُمَا، وَتَرْتَهِنَ نَفْسَكَ فِي مَلَابَسَتَيْهِمَا وَفَصَاحَتَيْهِمَا. وَكُنْ فِي ثَلَاثِ مَنَازِلَ، فَإِنَّ أَوَّلَ الثَّلَاثِ: أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقًا عَذْبًا، وَفَحْمًا سَهْلًا، وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا، وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا، إِذَا عِنْدَ الْخَاصَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصْدَتَ، وَإِذَا عِنْدَ الْعَامَّةِ، إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ قَصْدَتَ وَأَرَدْتَ. وَالمَعْنَى لَيْسَ شَرَفًا بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْخَاصَّةِ، كَذَلِكَ لَيْسَ يَتَصَنَّعُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ، وَإِنَّمَا مَدَارُ الشَّرَفِ مَعَ الصَّوَابِ، وَإِحْرَازُ الْمَنْفَعَةِ مَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ، وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْمَقَالِ. وَكَذَلِكَ اللَّفْظُ الْعَامِيُّ وَالْخَاصِيُّ، فَإِنْ أَمَكَّنَكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ، وَبِلَاغَةِ قَلْبِكَ، وَلُطْفِ مَدْخَلِكَ، وَاقْتِدَارِكَ فِي نَفْسِكَ عَلَى أَنْ تُفَهِّمَ الْعَامَّةَ مَعَانِي الْخَاصَّةِ، وَتَكْسُوَهَا الْأَلْفَاظَ الْمُتَوَسِّطَةَ، الَّتِي لَا تَلْطُفُ عِنْدَ الدَّهْمَاءِ، وَلَا تَجْفُو عَنِ الْأَكْفَاءِ، فَأَنْتَ الْبَلِيعُ الثَّامُ. قَالَ بَشْرٌ: فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَنَا أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَانِ.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ: بُنِيتُ أَنْ عَيْسَى بْنُ مُوسَى عَيْبِي، فَاسْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ الْمَهْدِيُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَكَرَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيُخْلَعَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى، فَعَدَوْتُ وَدَنَوْتُ إِلَى الْمُنْبَرِ فَجَاءَ الْمَهْدِيُّ، وَصَعِدَ الْمُنْبَرِ حَتَّى صَارَ عَلَى قَلْبِهِ، وَجَاءَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى، فَصَعِدَ وَهُوَ يَعْصُرُ عَيْنَهُ، حَتَّى صَارَ دُونَهُ بِعَتَبَةٍ، فَقُلْتُ: جَاءَ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ. فَعَمَّرَهُ الْمَهْدِيُّ بِقَائِمِ سِنْفِهِ، فَقَامَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَخْلَعُهَا حَيْثُ أَخْلَعُهَا رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً، وَمَا أَخْلَعُهَا إِلَّا لِحَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ خَلَعْتُ الْبَيْعَةَ عَنْ عُقْبِي، وَبَايَعْتُ

لموسى، ثُمَّ وُلِّي وَجْهَهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ.

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: دَخَلَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ عَلَى مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي دَارِهِ، وَكَانَتْ دَارُهُ شَارِعَةً عَلَى رُحْبَةِ بَنِي تَمِيمٍ، عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَقَالَ: أَجْزَنِي بِجَائِزَةٍ مِثْلِي، وَاحْمِلْنِي عَلَى فَرَسٍ مِثْلِي، وَمُزِّ لِي بِسِلَاحٍ مِثْلِي. فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ عَيْتِي، وَأَمَرَ لَهُ بِسِلَاحٍ تَامٍ. وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى حِلْقِ الْمَسْجِدِ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَا ثَوْرٍ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَحَا بَنِي سُلَيْمٍ؟ فَيَقُولُ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَى حَيِّ سُلَيْمٍ، مَا أَصْدَقَ فِي الْهَيْجَاءِ لِقَاهَا، وَأَثَبَتْ فِي التَّوَازِلِ بِلَاهَا، وَأَجْرَلْ فِي النَّائِبَاتِ عَطَاهَا، وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ فَمَا أَجَبْتُهُمْ، وَهَاجَيْتُهُمْ فَمَا أَفْحَمْتُهُمْ، وَسَأَلْتُهُمْ فَمَا أَبْخَلْتُهُمْ.

قِيلَ لِأَبِي الزِّنَادِ: لِمَ تَحِبُّ الدَّرَاهِمَ وَهِيَ تُدْنِيكَ مِنَ الدُّنْيَا؟ قَالَ: هِيَ وَإِنْ أَدْنَيْتَنِي مِنْهَا فَقَدْ صَانَتَنِي عَنْهَا.

سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: مَا أَشَدَّ حُبَّكَ لِلدَّرَاهِمِ! قَالَ: مَا أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَشَدَّ حُبًّا لِمَا يَنْفَعُهُ مِنِّي.

حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرَةَ أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، قَالَ: قِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ: كَمْ تَتَأَخَّرُ الرُّؤْيَا؟ فَقَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ كَلْبًا أَبْقَعَ يَلِغُ فِي دَمِهِ، فَكَانَ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ، كَانَ أَبْرَصَ، وَكَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً.

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ جَوَارِيهِ، فَقَالَ لَهُنَّ: تُعْتَبِينَ لِمَعْبُودٍ؟ فَفَعَلْنَ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: هَذَا الْحِدَاءُ. فَقَالَ لَهُنَّ: تُعْتَبِينَ لِلْعَرِيضِ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: هَذَا الْبُكَاءُ. فَقَالَ لَهُنَّ: تُعْتَبِينَ لِابْنِ سُرَيْجٍ؟ فَفَعَلْنَ. فَتَفَضَّ ابْنُ عُمَرَ ثَوْبَهُ وَقَامَ وَقَالَ: هَذَا الَّذِي نُهَيْنَا عَنْهُ.

قَدِمَ ابْنُ جَامِعِ مَكَّةَ، فَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: بَلَّغْنِي أَنَّ هَذَا السُّهْمِيُّ قَدْ جَاءَ بِمَالٍ كَثِيرٍ. قَالَ: أَجَلٌ، وَعَلَامٌ يُعْطُونَهُ؟ فَقَالَ: رَجُلٌ يُعْتَبِيهِمْ. قَالَ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ يُعْتَبِيهِمْ؟ قَالَ: بِشَعْرِ. قَالَ: فَتَزْوِي مِنْهُ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هَاتِيهِ. فَأَنْشَدَهُ:

أَطْوَفُ بِالْبَيْتِ فِي الطَّائِفِينَ وَأَرْفَعُ مِنْ مَنَزَرِي الْمُسْبِلِ

فَقَالَ: أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ. هَيْه! فَقَالَ:

وَأَسْجُدُ بِاللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَا حِ أَلُّو مِنْ الْمُحْكَمِ الْمُنْزَلِ

فَقَالَ: جَزَى اللَّهُ هَذَا خَيْرًا. هَيْه! فَقَالَ:

عَسَى فَارِجُ الْكَرْبِ عَنِ يُوسُفَ يُسَحِّرُ لِي رَبَّةَ الْمُحَمَّلِ

قَالَ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ: أَمْسِكْ أَمْسِكْ^(١).

- حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَجُلًا، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَلَّمَنِي شَيْئًا يُنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: اخْفِظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تَنْتَفِينَنَّ مِنْ وَلَدٍ نَكَحَتْ أُمَّهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ أَمَانَةٍ مُؤَدَّاءَةٌ، وَأَنَّ الرَّغَائِبَ فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

- فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ. قَالَ: هَلْ حَفِظْتَ الثَّلَاثَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اخْفِظْ إِلَيْهِنَّ ثَلَاثًا أُخَرَ: اعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَثُرَ مَالُهُ اسْتَدَّ حِسَابَهُ، وَمَنْ كَثُرَ تَبَعُهُ كَثُرَ شَيْطَانِيَّتُهُ، وَأَنَّ الْعَبْدَ كُلَّمَا أَرَادَ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، أَرَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنِ الْأَخْنَفِ، أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَنْعَجِبُونَ مِنْ أَخْلَاقِي وَعِلْمِي؟ إِنَّمَا هَذَا شَيْءٌ اسْتَفَدْتُهُ مِنْ عَمِّي صَعْصَعَةَ، فَإِنِّي أَنَا فِي ذَوْدٍ لِأَبِي أَرْعَاهَا إِذْ عَرَضَ لِي وَجَعٌ فِي بَطْنِي، فَلَبِثْتُ أَيَّامًا أَشْتَهِي أَنْ أَرَى بَعْضَ أَهْلِي، فَأَشْكُو إِلَيْهِ، إِذْ مَرَّ بِي عَمِّي صَعْصَعَةُ يَنْتَجِعُ أَرْضًا، فَمَشَيْتُ مَعَهُ. أَوْ قَالَ: سِرْتُ مَعَهُ، فَذَهَبْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ، فَأَسْكَتَنِي، ثُمَّ مَشَيْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ فَأَسْكَتَنِي، أَحْسَبُهُ قَالَ: الثَّلَاثَةَ. ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَا تَشْكُ الَّذِي يَنْزِلُ بِكَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ رَجُلَانِ: صَدِيقٌ فَيَسُوءُهُ مَا تَشْكُو إِلَيْهِ، أَوْ عَدُوٌّ فَيَسُوءُهُ، وَلَا تَشْكُ الَّذِي يَنْزِلُ بِكَ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مِثْلَ الَّذِي نَزَلَ بِكَ. وَلَكِنْ اشْكُ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي ابْتَلَاكَ، وَالَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَفْرِجَهُ عَنْكَ، يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ تَرَى عَيْنِي هَذِهِ؟ مَا أَبْصَرْتُ بِهَا سَهْلًا وَلَا جَبَلًا مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً، مَا أَطْلَعْتُ عَلَى ذَلِكَ زَوْجَتِي، وَلَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِي.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: كَانَ بِأَرْضِ الْيَمَامَةِ رَجُلٌ مِنْ رِبِيعَةَ، يُقَالُ لَهُ: جَحْدَرُ بْنُ مَالِكِ الْعَجَلِيُّ، وَكَانَ شَاعِرًا شَجَاعًا فَاتِكًا، وَقَدْ أَبْرَأَبْدًا عَلَى أَهْلِ حَجْرٍ، وَمَا يَلِيهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ الْحَجَّاجَ، فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْيَمَامَةِ، يُؤْتِيهِ وَيَلُومُهُ بِتَلْعَبِ جَحْدَرٍ بِهِ، وَيَأْمُرُهُ

(١) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (٤/٩١).

بِالتَّجَرُّدِ فِي طَلَبِهِ، وَالْبُعْثِ بِهِ إِلَيْهِ إِنْ ظَفَرَ بِهِ. فَلَمَّا أَتَى الْعَامِلُ كِتَابَ الْحَجَّاجِ، دَسَّ إِلَيْهِ
فِتْيَةً مِنْ قَوْمِهِ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يُوفِدَهُمْ مَعَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ إِنْ هُمْ ظَفَرُوا بِهِ، فَخَرَجَ الْفِتْيَةُ
حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْهُ بَعَثُوا إِلَيْهِ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ ضُحْبَتَهُ وَالْكَيْثُونَةَ مَعَهُ. فَمَكَّنُوا بِذَلِكَ
حَتَّى إِذَا أَصَابُوا مِنْهُ غِرَّةً شَدُّوا عَلَيْهِ، وَأَوْثَقُوهُ وَقَدَّمُوا بِهِ عَلَى الْعَامِلِ، فَبَعَثَ الْعَامِلُ بِهِمْ
إِلَى الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا جَاوَزُوا بِجَحْدَرٍ حَجْرًا أَنْشَأَ يَقُولُ:

لَقَدْ مَا هَاجِنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا بُكَاءَ حَمَامَتَيْنِ تُجَاوِبَانِي
تُجَاوِبُنَا بِلُحْنٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَبَانِ
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَكُنْتُ أَحَدُو بِبَعْضِ الْقَوْلِ مَاذَا تَحْدُوَانِ؟
فَقَالَا: الدَّارُ جَامِعَةٌ قَرِيبًا فَقُلْتُ: بَلْ أَلْتُمَا مُتَمَّيَانِ
فَكَانَ الْبَانَ أَنْ بَأْتِ سُلَيْمَى وَفِي الْعَرَبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِي
إِذَا جَاوَزْتُمَا نَحْلَاتِ حَجْرٍ وَأَلْدِيَّةَ الْيَمَامَةِ فَالْعِيَانِي
وَقُولَا: جَحْدَرٌ أَمْسَى رَهِينًا يُعَالِجُ وَقَعَ مَصْفُولٍ يَمَانِي
كَذَا الْمَغْرُورُ فِي الدُّنْيَا سَيْرِي وَتُهْلِكُهُ الْمَطَامِعُ وَالْأَمَانِي

فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْحَجَّاجِ، قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: أَأَنْتَ جَحْدَرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَصْلَحَ اللَّهُ
الْأَمِيرَ، أَنَا جَحْدَرٌ. قَالَ: فَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: جَزَاءُ الْجَنَانِ، وَكَلْبُ
الزَّمَانِ، وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ. فَقَالَ لَهُ: وَمَا الَّذِي بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ، فَيَجْتَرِي جَنَانُكَ، وَيُكَلِّبُ
زَمَانُكَ، وَيَجْفُوكَ سُلْطَانُكَ؟ قَالَ: لَوْ بَلَغَنِي الْأَمِيرُ لَوَجَدَنِي مِنْ صَالِحِ الْأَعْوَانِ، وَبِهِمْ
الْفُرْسَانِ، وَأَمَّا جَزَاءُ جَنَانِي، فَإِنِّي لَمْ أَلْقُ فَارِسًا قَطُّ إِلَّا كُنْتُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِي مُقْتَدِرًا.
فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: يَا جَحْدَرُ إِنَّا قَادِفُونَ بِكَ فِي حَيْرٍ فِيهِ أَسَدٌ، فَإِنْ هُوَ قَتَلَكَ كَفَانًا
مَثُونَتِكَ، وَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَهُ خَلَيْنَا عَنكَ، وَأَحْسَسًا جَائِزَتَكَ، قَالَ: نَعَمْ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قَرَّبَتْ
الْمِحْنَةَ، وَأَعْظَمَتِ الْمِنَّةَ، أَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا شِئْتُ، فَأَمَرَ بِهِ، فَقِيدَ وَحَبَسَ، وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ
عَلَى كَسْكَرٍ يَأْمُرُهُ بِالْبُعْثَةِ إِلَيْهِ بِأَسَدٍ ضَارٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَسَدٍ، قَدْ أَبْرَّ عَلَى أَهْلِ كَسْكَرٍ فِي
ضُنْدُوقٍ يَجْرُهُ ثُورَانِ، فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْحَجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأَدْخَلَ فِي حَيْرٍ، وَسَدَّ بَابَ
الْحَيْرِ، وَجُوعَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَأَتَيْ بِجَحْدَرٍ، فَأَمَكِنَ مِنْ سَيْفِ قَاطِعٍ، وَجَلَسَ الْحَجَّاجُ

وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَحْدَرٍ قَدْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ السَّيْفُ يَزُفُ فِي قِيُودِهِ، تَهَيَّأَ وَتَمَطَّى. وَأَنْشَأَ جَحْدَرٌ يَقُولُ:

لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَجَالِ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو أَنْفٍ وَقَنْتِكَ
وَسُورَةٍ فِي صَوْلَةٍ وَمَخْكِ إِنَّ يَكْشِفُ اللَّهُ قِنَاعَ الشُّكِّ
مِنْ ظَفَرِي بِحَاجَتِي وَدَرَكِ فَذَلِكَ أَحْرَى مِنْزِلِ بَتْرَكِ

فَوَثَبَ إِلَيْهِ الْأَسَدُ وَثَبَةً شَدِيدَةً، وَتَلَقَّهَا جَحْدَرٌ بِالسَّيْفِ، فَضْرَبَ هَامَتَهُ، فَفَلَقَهَا، حَتَّى خَالَطَ ذُبَابُ السَّيْفِ لَهَوَاتِهِ. وَسَقَطَ جَحْدَرٌ مِنْ شِدَّةِ وَثَبَةِ الْأَسَدِ، وَتَخَضَّبَتْ ثِيَابُهُ مِنْ دَمِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

يَا جُمْلُ إِنَّكَ لَوِ رَأَيْتِ كَرِيهَتِي فِي يَوْمٍ هَيَّجٍ مُسَدِّفٍ وَعَجَاجٍ
وَتَصَدَّفِي لِللَّيْثِ أَرْسُفٍ مُوهِنًا كَيْمًا أَكَابِرَهُ عَلَى الْأَحْدَاجِ
جَهْمٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ لَمَّا بَدَا طَبَقَ مُتَعَجَّجِرُ الْأَنْبَاجِ
يَسْمُو بِنَاطِرَيْنِ تَحْسَبُ فِيهِمَا لَمَّا أَجَالَهُمَا شُعَاعُ سِرَاجِ
وَكَأَنَّ مَا خِيطَتْ عَلَيْهِ عِبَاءَةٌ بُرْقًا أَوْ خُلِقَ مِنَ الدَّيْبَاجِ
قَرْنَانِ مُحْتَضِرَانِ قَدْ مَحَضَّتُهُمَا أُمُّ الْمَنِيَّةِ غَيْرُ ذَاتِ نِتَاجِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَبَيْتُ نِزَالَهُ إِنِّي مِنَ الْحَجَّاجِ لَسْتُ بِنَاجِ
فَفَلَقْتُ هَامَتَهُ فَخَرَّ كَأَنَّهُ أَطَمَّ تَسَاقَطَ مَائِلَ الْأُبْرَاجِ
ثُمَّ انْتَبَيْتُ وَفِي ثِيَابِي شَاهِدٌ مِمَّا جَرَى مِنْ شَاحِبِ الْأَوْدَاجِ
أَيَقَنْتُ أَنِّي ذُو حِفَاطٍ مَاجِدٌ مِنْ سِرِّ أَمْلاكِ ذَوِي أَتْوَاجِ
مِمَّنْ يَعَارُ عَلَى النَّسَاءِ حَفِيظَةٌ إِذَا لَا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: يَا جَحْدَرُ، إِنْ أَحْبَبْتَ الْمَقَامَ مَعَنَا فَأَقِمْ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ الْإِنْصِرَافَ إِلَى بِلَادِكَ فَانْصِرَفْ، فَقَالَ: بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَةَ الْأَمِيرِ، وَالْكَيْثُونَةَ مَعَهُ، فَفَرَضَ لَهُ فِي شَرْفِ

الْعَطَاءِ، وَأَقَامَ بِنَابِهِ^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَثْرُمُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى، قَالَ: لَمَّا أَدْعَى مُعَاوِيَةَ زِيَادًا، وَآثَرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقَرَّبَهُمَا دُونَهُمْ جَزَعُ بَنُو أُمَيَّةَ مِنْ ذَلِكَ جَزَعًا شَدِيدًا، وَاجْتَمَعُوا فِي ذَلِكَ، فَأَتَوْا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي بَيْتِهِ، وَقَدْ كَتَبَ لَهُ مُعَاوِيَةَ عَهْدَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْبِرَ يَوْمَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا مَرْوَانُ، إِنَّكَ شَيْخُنَا وَكَبِيرُنَا، وَقَدْ تَرَى مَا رَكِبْنَا مُعَاوِيَةَ مِنْ أَمْرٍ لَيْسَ لَنَا عَلَيْهِ صَبْرٌ وَلَا قَرَارٌ، وَلَا يَنَامُ عَنْ مِثْلِهِ الْأَحْرَارُ، إِذْخَالَهُ فِينَا مِنْ لَيْسَ مِثًا، يُرِيدُ أَنْ يَدْخِلَهُ عَلَى حُرْمِنَا وَنَسَائِنَا، وَقَدْ اجْتَمَعَ رَأَيْنَا عَلَى أَنْ تَأْتِيَهُ فَتُعَاتِبَهُ. فَإِنْ رَجَعَ قَبْلُنَا، وَإِنْ أَبِي اعْتَزَلْنَا. فَقَالَ مَرْوَانُ: قَدْ وَاللَّهِ كَلَّمْتُهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أَحِبُّ، بَلْ يَظْهَرُ لِي التَّعْتَبُ وَالْتَّعْصِبُ، وَيَزْعُمُ أَنِّي فِي هَذَا الْأَمْرِ أَوْحَدٌ. فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ: يَا مَرْوَانُ، بَلْ وَاللَّهِ تَحَامِي عَلَى عَهْدِكَ. فَقَالَ مَرْوَانُ: وَاللَّهِ لَصَلَاحُكُمْ فِي فَسَادِ عَهْدِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَسَادِكُمْ فِي صَلَاحِ عَهْدِي. فَأَتَوْهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ لَهُ إِرْبٌ وَنَظَرٌ، فَكَلَّمُوهُ بِمَلْءِ أَفْوَاهِكُمْ. قَالَ: فَأَنْطَلَقَ الْقَوْمُ فَاسْتَأْذَنُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَاسْلَمُوا، فَأَحْسَنَ الرَّدَّ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: أَهْلًا وَسَهْلًا، قَرَّبَ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَذَى الْمَزَارَ. أَرِيَارَةٌ فَتُحْطَى؟ أَمْ حَاجَةٌ فَتُقْضَى؟ أَمْ سَخْطَةٌ فَتُرْضَى؟ فَقَالُوا: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: هَاتُوا فَجَلَسَ الْقَوْمُ، وَمَثَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَاءَتْكَ عِصَابَةٌ مِنْ رَهْطِكَ، وَأَحْرَارٌ مِنْ أُسْرَتِكَ، كُلُّهُمْ عَارِفٌ بِفَضْلِكَ، رَاعٍ لِحَقِّكَ، تَابِعٌ لِأَمْرِكَ، رَافِعٌ لِذِكْرِكَ، فِي أَمْرِ سِتْرِهِ خَيْرٌ مِنْ نَشْرِهِ، وَتَرْكُهُ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ، لِعَظَمِ الْبَلِيَّةِ وَالْخَطِيئَةِ وَاللَّأْوَاءِ، وَالْبِلْوَى وَالْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ، وَاعْلَمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِكَ تَجَبُّيًا، وَلَا تَجَرُّمًا، وَلَا تَعْتَبًا. بَلْ جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ قَدْ عَجَزْتَ عَنْ حَمَلِهِ الْجُنُوبُ، وَصَاقَتْ بِهِ الْقُلُوبُ، وَكَرِهْنَا أَنْ نَطْوِيَهُ عَنْكَ، فَيُثَبِّتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِنَا، مَا لَا يُحْصَدُ لِإِتَابِهِ، وَلَا يُبِيدُ لِزَمَانِهِ، فَإِنْ تَأَذَّنَ قَبْلُنَا، وَإِنْ تَأَبَّ صَمَمْتَنَا، مَعَ أَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَى مَا نُحِبُّ حَمَدْنَا وَشَكَرْنَا، وَإِنْ تَأَبَّ ذَلِكَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَاتِ لِلَّهِ أَبُوكَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ وَلَدَ عَشْرَةَ ذُكُورًا، وَلَدَ حَرْبًا وَأَبَا حَرْبٍ، وَسُفْيَانَ وَأَبَا سُفْيَانَ، وَعَمْرًا وَأَبَا عَمْرٍو، وَالْعَاصِيَّ وَأَبَا الْعَاصِيَّ، وَالْعِيصَّ وَأَبَا الْعِيصَّ،

(١) الخبر رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٩/١٢)، وبغية الطلب (٢٨٢/٢).

لَمْ يَلِدْ عُيَيْدًا عَبْدَ ثَقِيفٍ، وَلَا الْعَاصِ بْنَ وَاثِلٍ، وَقَدْ جَعَلْتُهُمَا شِعَارَكَ دُونَ دِنَارِكَ، بَلْ سِرْبَالِكَ دُونَ إِزَارِكَ، بَلْ نَفْسِكَ بَيْنَ جَنِينِكَ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ لِابْنِ عُيَيْدٍ حَتَّى جَعَلْتَهُ ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَضِيهَةً لِأَبِيكَ، وَازْدِرَاءَ بَيْنِكَ، وَمَعَ أَنَّ فِي ذَلِكَ السَّخَطَةَ مِنْ رَبِّكَ، وَالْمُخَالَفَةَ لِنَبِيِّكَ ﷺ، إِذْ قَضَى بِالْوَلَدِ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرَ، فَقَضَيْتِ أَنْتَ بِالْوَلَدِ، ثُمَّ نَسَبْتَ أَبَاكَ عَاهِرًا، وَكَانَ غَنِيًّا عَنْ ذَلِكَ، فَشَهَزَتْ أَمْرًا كَانَ مَسْثُورًا، وَرَفَعَتْ أَمْرًا كَانَ حَقِيرًا، تُرِيدُ أَنْ تُدْخِلَهُ عَلَى خُرْمِكَ، وَتَمْنَحَ وَلَدَهُ غَدًا نِسَاءَكَ. ثُمَّ قَالَ:

أَتَرْضَى يَا مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ بَأَنَّ تَحْبُو كِرَائِمَكَ الْعَبِيدَا
كَأَنِّي وَالَّذِي أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَهُ بِالْقَوْمِ قَدْ شَرَكُوا يَزِيدَا
فَإِنْ تَرْجِعْ فَمَثْلُكَ زَادَ خَيْرًا وَإِنْ تَأْبَ فَلَمْ تُطِعِ الرَّشِيدَا

وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَإِنَّكَ أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْغِنَى عَنكَ، وَابْتَمَّ اللَّهُ لِنَحْنُ أَنْصَعُ جُبُوبًا، وَأَقْلُ عُيُوبًا، وَأَمْسُ رَحِمًا، وَأَوْجَبُ حَقًّا مِنْهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَتَلُغُ فِيهِ بِنَا عَنْهُ تَقْصِيرٌ، غَيْرَ أَنَّكَ رَفَعْتَ الْمَرْءَ فَوْقَ قَدْرِهِ، فَطَعَنِي عَلَيْنَا بِفَخْرِهِ، وَزَخَرَ بِبَخْرِهِ، حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ شَيْءٌ وَليْسَ بِشَيْءٍ. وَإِنَّكَ وَإِيَّاهُ وَإِيَّانَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْأَوَّلُ:

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الْأَبْعَدِينَ وَيَشْتَقِي بِهِ الْأَقْرَبُ الْأَقْرَبُ

ثُمَّ قَامَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ، وَأَشَدُّ الْقَوْلِ أَمْلَقُهُ، وَإِنَّ الْحَقَّ الْأَبْلَجَ أَقْوَمُ إِلَى طَرِيقِ النَّهْجِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا نَاهِيًا مُتَبَايِنًا، تَتَابَعْتَ فِيهِ، وَرَكِبْتَ فِي ذَلِكَ عَقَبَةً كَثُودًا، صَاحِدًا صَاحِدًا، فِي تَنَائِفٍ لَا يُهْتَدَى فِيهَا بِدَلِيلٍ، وَلَا يُؤْمُ فِيهَا قَضْدُ السَّبِيلِ، فَصُرْتَ فِي ذَلِكَ بِرَأْيِكَ، وَأَزْرَيْتَ بِأَبِيكَ، فَإِنْ تَرْجِعْ قَبْلَنَا، وَإِنْ تَأْبَ غَضِبْنَا، فَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ، تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَانظُرْ مَا الَّذِي أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّكَ عَمَدْتَ إِلَى امْرِئٍ لَا رَحِمَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلَا هَوَادَةَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكَ بِهِ بِالْأَمْسِ وَهُوَ عَامِلٌ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، يَلْعَنُكَ وَيَلْعَنُ أَبَاكَ، وَأَهْلَ بَيْتِكَ عَلَى الْمُنْبَرِ، يَتَأَوَّلُ فِيْنَا الْقُرْآنَ، وَيَقُولُ الْبُهْتَانَ، وَقَدْ كُنْتَ تَحْتَرِي مِنْ ذَلِكَ، إِذَا عَظَّمْتَهُ أَنْ تَجْعَلَهُ وَزِيرًا وَخُلَصَانًا فَلَا يُعَابُ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَلَا يُنْسَبُ الْخَطَأُ إِلَيْكَ، فَلَمْ يَرْضَ حَتَّى نَسَبْتَهُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ إِلَى نَسَبٍ. إِنْ يُقْبَلُ مِنْكَ عُيُوتٌ بِهِ آخِرَ دَهْرِكَ، وَإِنْ رُدَّ عَلَيْكَ أُزْرِيَتْ بِهِ، وَصَدَقَتْ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ، حَيْثُ يَقُولُ:

أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِيِّ
 أَتَغَضِبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانٍ
 فَأَشْهَدُ أَنْ رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ كَرَحِمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَثَانِ

وَإِئِمَّ اللهُ لِكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَقَدْ تَفَحَّدُوا نِسَاءَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بِنَسَبِ
 أَبِي سُفْيَانَ، فَهَذَا مَا وَصَلَتْ بِهِ كَرَائِمَكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَإِنَّكَ آثَرْتَهُ
 عَلَيْنَا، وَأَذْنَيْتَهُ دُونَنَا، وَنَحْنُ فِي حَالٍ وَعَمْرُو فِي أُخْرَى، أَمَّا نَحْنُ فَنُعَامِلُ النَّاسَ بِالْوَفَاءِ
 وَالْحَيَاءِ، وَعَمْرُو يُعَامِلُ النَّاسَ بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، وَمَنْ كَانَ ذَلِكَ فَلَا وَفَاءَ لَهُ، وَقَدْ تَبَيَّنَ
 لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غِشُّهُ إِيَّاهُ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ غَشَّ أَوْلَا أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
 آخِرًا. ثُمَّ دَخَلَ مَرْوَانَ عِنْدَ جُلُوسِ الْقَوْمِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَيْه يَا مَرْوَانُ، أَعَنْ رَأَيْكَ صَدَرَ
 هَؤُلَاءِ حَتَّى أَسْمَعُونَني مَا أكره؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ تَدْرِي مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُكَ؟ قَالَ:
 هَاتِ تَحْطِيطًا كَتَحْطِيطِ أَصْحَابِكَ. قَالَ: إِنَّ عَدِيَّ بْنَ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ نَصَحَ الثُّعْمَانَ بْنَ
 الْمُنْذِرِ، وَقَدَّمَهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، وَأَشَارَ عَلَى كِسْرَى بِوِلَايَتِهِ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ مِنْهُ أَنْ حَبَسَهُ فِي
 السِّجْنِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ:

أَبَا مُنْذِرٍ جَارِزِيَّتَ بِالْوَدِّ بَغْضَةً فَمَاذَا جَزَاءُ الْمُبْغِضِ الْمُتَبَغِّضِ
 مُجَازَاتُهُ فِي ذَا الْمِثَالِ كَرَاهَةً وَلَسْتُ لِشَيْءٍ بَعْدُ بِالْمُتَعَرِّضِ

وَاعْلَمْ أَنَا غَيْرُ مُتَعَرِّضِينَ لِشَيْءٍ مِنْ مُعَاتِبَتِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَإِنْ تَرَجَع
 قَبْلُنَا، وَإِنْ تَأْتَبَ سَخِطْنَا، مَعَ أَنَّكَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتَ أَنْ تَتَكَثَّرَ بِالذَّبْحِ عَلَى
 آلِ أَبِي الْعَاصِ لَفَعَلْتَ، تَوَحُّشًا مِنْكَ لِعَدَدِهِمْ، وَتَكَرُّهًا مِنْكَ لِجَمْعِهِمْ، وَتَبَرُّمًا مِنْكَ بِهِمْ.
 وَإِئِمَّ اللهُ مَا ذَاكَ جَزَاؤُهُمْ مِنْكَ. لَقَدْ آثَرُواكَ وَأَكْرَمُواكَ. فَمَا كَافَيْتَ، وَلَا جَارِزَيْتَ، وَلَا
 آسَيْتَ. ثُمَّ جَلَسَ مَرْوَانُ، وَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَدَخَلَ الْمَنْزِلَ، وَأَطَالَ الْمُكْثَ، ثُمَّ خَرَجَ قَاطِبًا مَا
 بَيْنَ عَيْنَيْهِ، يَمْسُحُ عَارِضِيهِ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَمَّا وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدُهُ نِدَاءً سَمِيعًا فَاسْتَجَابَ وَسَلَّمَا
 لَقَدْ كَذَبْتُ لَوْلَا اللهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ تَبَارَكَ رَبِّي ذُو الْعُلَا أَنْ أُصَمِّمًا
 وَلَكِنِّي رُوَيْتُ فِي الْحِلْمِ وَالنَّهْيِ وَقَدْ قَالَ فِيهِ ذُو الْمَقَالِ فَأَحْكَمَا

وَإِئِمَّ اللَّهُ، مَعَ ذَلِكَ لَقَدْ قَطَعْتُمْ مِنْ زِيَادٍ رَحِمًا قَرِيْبَةً، وَنَفْسًا حَبِيْبَةً، وَقُلْتُمْ الْبُهْتَانَ فِي غَيْرِ مَا تَثْبِتُ وَلَا بَيَانَ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِيْنٍ مِنْ أَمْرِي، وَلَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْبَغْيِ وَالْحَمِيَّةِ، وَطَلَبِ التِّرَاتِ، وَذَكَرِ قَبِيْحِ الْأَمْهَاتِ. فَسَفَكَ الدِّمَاءَ، وَالشَّرْكَ بَرَبِ السَّمَاءِ، أَعْظَمَ مِمَّا كَانَ فِيهِ أَبُو سُفْيَانَ. وَإِئِمَّ اللَّهُ، مَا إِتَاهُ رَاقِبْتُمْ، وَلَا لِي نَظَرْتُمْ، بَلْ أَدْرَكْتُمْ الْحَسَدَ الْقَدِيمَ لِبَنِي حَزْبِ بْنِ أُمِيَّةَ. وَإِنَّ نَفْسِي لَتَوَامِرِي أَنْ أُقِيمَ فِيكُمْ حَدَّ اللَّهِ، وَمَا أَرَاهُ يَسْعُنِي غَيْرُ ذَلِكَ. وَلَئِنْ عُدْتُمْ إِلَى مَا أَرَى، وَجَاءَنِي مِنْ وَرَاءِ مَا أَكْرَهُ، لِأَنَّهُلَنْتُمْ صَابًا، ثُمَّ لِأَعْلَنْتُمْ عِلْمًا، ثُمَّ لِأُورِدَنْتُمْ حِيَاضًا مَرِيْرًا طَعْمَهَا، ثُمَّ لَا تَتْرَكُونَ بِغَيْرِ كَرْعِهَا، وَإِنْ جَاءَكُمْ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، حَتَّى تَعْلَمُوا مَعَ طَوْلِ حِلْمِي، أَنْ قَدْ مَنِيْتُمْ بِمَنْ إِنْ حَزَّ قَطَعَ، وَإِنْ هَزَّ أَوْجَعَ، ثُمَّ لَا تُقَالَ لَكُمْ عِنْدِي الْعَثْرَاتُ، وَلَا تُغْفَا لَكُمْ السِّيْثَاتُ، ثُمَّ لِيَسْتَضَعِبَنَّ عَلَيْكُمْ مِتِّي مَا كَانَ سَهْلًا، وَلَتَتْرَكُنَّ مَا كَانَ هَيْئًا. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ أَنِّي أَصَبْتُ الشُّلْطَانَ وَالْمُلْكَ بِحَقِّكُمْ وَنَسَبَتِكُمْ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ يَا آلَ الْعَاصِ أَنْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، قُتِلَ وَأَنْتُمْ حُضُورًا وَأَنَا غَائِبٌ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ فِيكُمْ مِنْ مَدِّ بَاعًا، وَلَا بَسَطِ ذِرَاعًا، بَلْ أَسْلَمْتُمُوهُ لِلْحُثُوفِ، وَشِمْتُمْ مِنْ بَعْدِهِ السِّيُوفِ، فَمَا نَصَرْتُمُوهُ، وَلَا آسَيْتُمُوهُ، وَلَا مَنَعْتُمُوهُ بِأَكْثَرِ مِنَ الْكَلَامِ، فَمَا أَبْلَيْتُمْ فِي ذَلِكَ عُذْرًا، وَلَا أَلْهَيْتُمْ نَارًا. وَإِنْ جَمِيعٌ مِنَ أَلْبِ عَلَيْهِ وَأَجْلَبَ لَسَبِيْكُمْ، وَإِيْثَارِهِ إِثَاكُمْ، وَبِذَلِكَ قُطِعَتْ أَوْدَاجُهُ عَلَى أَتْبَاجِهِ، وَسَفِكَ دَمُهُ، وَاشْتَجَلَتْ حُزْمَتُهُ، فَمَا شَبِيْتُمْ نَارًا، وَلَا طَلَبْتُمْ نَارًا، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الطَّالِبُ بِالتِّرَاتِ، الْمُتْكِلُ لِلْأَمْهَاتِ، وَلَقَدْ مَنِيْتُ فِي الطَّلَبِ بَدَمِهِ بِحَزْبِ امْرِئٍ لَا تَحُورُ قَنَاتُهُ، وَلَا تَنْصَدِعُ صِفَاتُهُ، مَنْ إِنْ فَرَعْتُ لَمْ يَفْرَعْ. وَإِنْ أَطْعِمْتُ لَمْ يَطْمَعِ، مَنْ لَا يَطْمَعُ فِي قَرَارِهِ، وَلَا يُنَامُ مِنْ حَذَارِهِ، بَلِيْتُ وَاللَّهِ، بَلِيْتُ ثَابِتَةَ أَنْبَاهُ، قَلِيلٍ غَلَابَهُ، مُضْمَمٍ غَضُوبٍ شَنِ مَهِيْبٍ، فَلَمْ أَرْزَلْ لَهُ وَلَا ضَحَابِهِ صَابِرًا، حَتَّى قَضَى اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحْبُّ، وَهُوَ الْحَاكِمُ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَشَاءُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَادْرَكْتُ بِالتَّارِ إِذْ لَمْ تُدْرِكُوا، وَصَبِرْتُ إِذْ لَمْ تَصْبِرُوا، فَأَيْتَا أَحَقُّ بِالشُّكْرِ، أَنَا لَكُمْ، أَمْ أَنْتُمْ لِي؟ وَقَدْ كَانَتْ تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ هَنَاتٌ قَبْلَ مَخْضَةِ زُبْدَتِكُمْ، كُلُّ ذَلِكَ اتَّعَطَفَ عَلَيْكُمْ بِحِلْمِي، وَاتَّحَسَّنَ عَلَيْكُمْ بِجَهْدِي. وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ أَخُو بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ:

أَعُوذُ عَلَى ذِي الدُّبِّ وَالْجَهْلِ مِنْكُمْ بِحِلْمِي وَلَوْ عَاقَبْتُ غَرَقْتُكُمْ بِحِرِي
فَمَا بَالُ مَنْ يَسْعَى لِأَجْبَرِ عَظْمَهُ حِفَاظًا وَيَنُوي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي

وَاللَّهِ مَا رَأَيْتَنِي قَطُّ إِلَّا وَنَفْسِي تَدْعُونِي إِلَى الْجَحْمِ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي كَفَانِي شَرَّ مَا دَعَّتْنِي إِلَيْهِ نَفْسِي. ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ أَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى أَمَا إِنِّي فِي وَعِيدِي إِثَّاكُمْ،
كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

لَقَدْ كِدْتُمْ يَا آلَ بَكْرٍ سَفَاهَةً تُشِيرُونَ مِنِّي أَعْصَلَ النَّابِ ضِيْعَمَا
هَزْبَرًا هَرِيئًا يَكْرَهُ الْقِرْنَ قُرْبَهُ إِذَا صَالَ مِنْ بَعْدِ الزَّيْبِرِ وَصَمَّمَا

وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَهَا هُوَ حَاضِرٌ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يُجِيبَ عَنْ نَفْسِهِ فَلْيَفْعَلْ، وَإِنْ
شَاءَ أَنْ يَدَعَ فَلْيَدَعْ، أَمَا إِنِّي أَرْضَاهُ لِلْخُصْمِ إِذَا جَمَحَ، وَلِلْقِرَنِ إِذَا طَمَحَ. ثُمَّ سَكَتَ. فَقَامَ
عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَائِلًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ يَوْمَ صِفِّينَ:

إِذَا تَحَارَزْتُ وَمَا بِي مِنْ حَزْرٍ ثُمَّ كَسَرْتُ الْعَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوْرٍ
أَلْفَيْتَنِي أَلْوِي بَعِيدَ الْمُسْتَمْرِ أَحْمِلُ مَا حُمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ^(١)

إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا بِالْعَزِّ وَلَا الْعُمْرِ، وَلَا الصَّرْعِ وَلَا الْوَرَعِ، وَلَا
الْوَابِي، وَلَا الْفَانِي، وَإِنِّي لَأَنَا الْحَيَّةُ الصَّمَاءُ الَّتِي لَا يُبَلُّ سَلِيمُهَا، وَلَا يَنَامُ كَلِيمُهَا، وَإِنِّي
لَأَنَا الْمَرْءُ، إِنْ كَوَيْتُ أَنْضَجْتُ، وَإِنْ هَمَزْتُ كَسَرْتُ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُشَاوِرْ، وَمَنْ شَاءَ
فَلْيُؤَامِرْ، مَعَ أَنَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ عَايَنُوا مِنْ يَوْمِ الْهَرِيرِ مَا عَايَنْتُ، أَوْ وُلُّوا مِثْلَ مَا
وُلَيْتُ، إِذْ شَدَّ عَلَيْنَا أَبُو حَسَنِ فِي كِتَابَتِهِ مَعَ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَأَبْطَالَ الْعَسَائِرِ، فَهَنَّاكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَارْتَفَعَ الشَّرَارُ، وَقَلَصَتِ الْخُصَى إِلَى مَوَاضِعِ الْكَلَى،
وَقَارَعَتِ الْأُمَّهَاتُ عَنْ نُكُلِهَا، وَذَهَلَتْ عَنْ حَمَلِهَا، وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ، وَاعْبَرَّتِ الْأَفْقُ، وَالْجَمَّ
الْعَرَقُ، وَسَالَ الْعَلَقُ، وَارْتَفَعَ غُبَارُ الْقِتَامِ، وَصَبَرَ الْكِرَامُ، وَغَاصَ اللَّتَامُ، وَذَهَبَ الْكَلَامُ،
وَأُزْبِدَتِ الْأَشْدَاقُ، وَقَامَتِ الْحَزْبُ عَلَى سَاقٍ، وَحَضَرَ الْفِرَاقُ، وَكَثُرَ الْعِنَاقُ، وَبَانَتِ
الْأَعْنَاقُ، وَقَامَتِ الرِّجَالُ فِي رَكْبِهَا مِنْ بَعْدِ فَنَاءِ مَنْ نَبَلَهَا، وَتَقْصَفِ مِنْ رِمَاحِهَا، فَلَا
يُسْمَعُ إِلَّا التَّغْمُغُ مِنَ الرِّجَالِ، وَالتَّحْمُحُ مِنَ الْخَيْلِ، وَوَفُعَ السُّيُوفِ فِي الْهَامِ. فَدَارَ
يَوْمَنَا ذَلِكَ حَتَّى طَفَقْنَا اللَّيْلُ بَعْسَقِهِ، ثُمَّ انْجَلَى الصُّبْحُ بَفَلَقِهِ، وَلَمْ يَبَقْ مِنَ الْقِتَالِ إِلَّا
الْهَرِيرُ، وَالزَّيْبِرُ. أَمَا وَاللَّهِ لَعَلِمُوا أَيَّيَّيْهِ أَغْظَمُ غَنَاءً، وَأَحْسَنُ بَلَاءً، وَأَضْبَرُ عَلَى اللَّأْوَاءِ

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/٤٠٢).

مِنْهُمْ، وَأَتَى كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَغْضِي عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أُبْقِ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا
فَإِنْ كَانَ عُودِي مِنْ نُضَارٍ فَإِنِّي لَأُكْرَهُ يَوْمًا أَنْ أَحْطَمَ حَرُوعًا

وَلَيْتَ جَعَلَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شِعَارَهُ دُونَ دِنَارِهِ، أَوْ سِرْبَالَهُ دُونَ إِزَارِهِ، أَوْ نَفْسَهُ بَيْنَ جَنَبَيْهِ، لَقَدْ أُولِيْتُ ذَلِكَ، فَوَجَدْتُهُ شَكُورًا ذَكُورًا، إِذْ لَمْ تَشْكُرُوهُ، وَلَمْ تَذْكُرُوهُ، وَلَا إِيَّايَ إِذْ طَلَبْنَا بَدَمَ عُثْمَانَ، إِذْ لَمْ تَحْسُبُوهُ، وَيَلْعَنُوا الْغَايَةَ إِذْ لَمْ تَبْلُغُوا، وَإِذْ جَحَدْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْتُمْ لِلنُّعْمَى أَنْكَرُ وَأَكْفَرُ، وَأَمَّا مَا زَعَمْتَ يَا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ أُنِّي أَعْمَلُ النَّاسَ بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، فَإِنِّي أَنَالُ بِالْأَدَبِ، وَاللَّبِّ، وَالرِّفْقِ وَالصِّدْقِ، إِذْ حَرَقَ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ، وَحَابَ مَنْ لَمْ يَصْدُقْ. وَأَمَّا قَوْلُكَ أُنِّي عَشَشْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا عَشَّ امْرُؤٌ كَرِيمٌ امْرَأً كَرِيمًا إِنْ دَعَا إِلَى النِّصْفِ أَنْ يَقْبَلَهُ، وَإِنَّكَ فِي قَوْلِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَهْلِ اللَّتُّعِيفِ وَالتُّعْنِيفِ وَالْعَضَاضَةِ وَالْمَضَاضَةِ، غَيْرُ أَنْ حِلْمَهُ يَأْتِي عَلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَغْفِرَ لِلْقَوْمِ مَا قَالُوا إِنْ هُمْ آلَوْا لِاسْتِمَامِ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِمْ وَيَأْيَدِيكَ عِنْدَهُمْ، فَلْيَسُوا رَاجِعِينَ إِلَى أَمْرِ تَكَرَّهُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَدَخَلُ، وَأَمَرَ الْقَوْمَ فَأَنْصَرَفُوا.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: عَجِبْتُ لِهَذِهِ الْأَعَاجِمِ، مَلَكَوا أَلْفَ سَنَةٍ، لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَيْنَا سَاعَةً وَاحِدَةً فِي سِيَاسَتِهِمْ، وَمَلَكَتْنَا مِائَةَ سَنَةٍ، لَمْ نَسْتَعِنْ عَنْهُمْ سَاعَةً.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ الْمَنْصُورُ لَجَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ حِينَ وِلَاةِ الْمَدِينَةِ، بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ: انْظُرْ مَنْ خَرَجَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ قُرَيْشٍ فَاسْحِنَهُ، وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ فَاجْلِدْهُ، وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الْمَوَالِي فَاقْطَعْ يَدَهُ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: سَأَلَ مُعَاوِيَةَ عُرَابَةَ الْأَوْسِيِّ، فَقَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ سُدَّتْ قَوْمُكَ؟ قَالَ: أَحْلُمُ عَنْ جَاهِلِهِمْ، وَأَعْطِي سَائِلَهُمْ، وَأَخْفُ لَهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ،

فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَمَنْ زِدْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ سَاوَانِي فَهُوَ مِثْلِي.
 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، أَنَّ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيَّ كَانَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ
 لَهُ أَيُّوبُ: يَا أَعْرَابِيُّ لَعَلَّكَ قَدَرِيٌّ، قَالَ: وَمَا الْقَدَرِيُّ؟ قَالَ: فَأَخْبَرَهُ بِمَحَاسِنِ قَوْلِهِمْ. فَقَالَ:
 أَنَا ذَاكَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا يَعْيبُ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِمْ، فَقَالَ: لَسْتُ بِذَاكَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَحَاسِنِ
 أَهْلِ الْإِبْتِاطِ. قَالَ: أَنَا ذَاكَ. ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا يَعْيبُ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِمْ، فَقَالَ: لَسْتُ بِذَاكَ.
 فَقَالَ أَيُّوبُ: هَكَذَا يَفْعَلُ الْعَاقِلُ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ^(١).

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رَزِينِ الْخَزَاعِيُّ: سَمِعْتُ
 دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ يَخْطُبُ حِينَ بُوِيعَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ، وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهَرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: شُكْرًا
 شُكْرًا، إِنَّا وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا لِنُخْفِرَ فِيكُمْ نَهْرًا، وَلَا لِنَبْنِي قَصْرًا، أَظُنُّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ
 عَلَيْهِ؟ أَمْهَلُ لَهُ فِي طُعْيَانِهِ وَأَرْحِي لَهُ مِنْ زِمَامِهِ، حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ خِطَابِهِ. فَلَا أَنْ أَخَذَ
 الْقَوْسَ بَارِيهَا، وَعَادَتِ النَّيَالُ إِلَى التَّرْعَةِ، وَعَادَ الْمُلْكُ فِي نِصَابِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ،
 أَهْلُ بَيْتِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنَسْهَرُ لَكُمْ وَنَحْنُ فِي فُرْشِنَا مِنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ،
 لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وَذِمَّةُ الْعَبَّاسِ، لَا وَرَبِّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ لَا نُهَيِّجُ مِنْكُمْ أَحَدًا، ثُمَّ
 نَزَلَ^(٢).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْأَضْمَعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مَالِكُ بْنُ أَدَهَمَ يَتَّصِدُ،
 فَصَارَ إِلَى بَلَدٍ مُقْفِرٍ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَطَلَبُوا الْمَاءَ فَلَمْ يَفِدُوا عَلَيْهِ، فَتَزَلَّ
 مَالِكُ، وَضَرَبَتْ لَهُ خَيْمَةٌ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَطْلُبُوا لَهُ الصَّيْدَ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ، فَأَصَابُوا
 حَاضِبًا فَأَتَوْهُ بِهِ، فَقَالَ: اشْوُوهُ وَلَا تُنْضِجُوهُ، وَمُضْوَهُ مَصًّا لَعَلَّكُمْ أَنْ تَنْتَفِعُوا بِهِ، فَفَعَلُوا
 ذَاكَ، ثُمَّ أَتَارُوا شَجَاعًا، فَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَدَخَلَ عَلَى مَالِكٍ فِي خَيْمَتِهِ، فَقَالَ: قَدْ اسْتَجَارَ بِي
 فَأَجِيرُوهُ، وَلَا تَقْتُلُوهُ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ وَأَصْحَابُهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ
 بِهِمْ:

يَا قَوْمُ يَا قَوْمُ لَا مَاءَ لَكُمْ أَبَدًا حَتَّى تَحْتُوا الْمَطَايَا يَوْمَهَا التَّعْبَا

(١) الخبر في العقد الفريد (١/٤٥٠).

(٢) انظر: تاريخ ابن جرير الطبري (٩/١٢٦).

وَشَدُّدُوا يَمَنَةً فَأَلْمَاءُ عَنْ كَثْبٍ مَاءً غَزِيرٌ وَعَيْنٌ تُذْهِبُ اللَّعْبَا
 حَتَّى إِذَا مَا أَخَذْتُمْ مِنْهُ حَاجَتَكُمْ فَاسْقُوا الْمَطَايَا وَمِنْهُ فَاْمَلْتُوا الْقَرَبَا
 فَأَخَذْنَا نَعْتَهُ، فَإِذَا نَحْنُ بِعَيْنِ غَزِيرَةٍ، فَسَقَيْنَا مِنْهَا إِبِلَنَا وَتَرَوَدْنَا، فَلَمَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ،
 لَمْ نَرَ لِلْعَيْنِ أَثْرًا، وَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتَفُ بِنَا، يَقُولُ:
 يَا مَالِ عَنِّي جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً هَذَا وَدَاغٌ لَكُمْ مِنِّي وَتَسْلِيمٌ
 لَا تَزْهَدَنَّ فِي اصْطِنَاعِ الْعُرْفِ مِنْ أَحَدٍ إِنَّ أَمْرًا يَحْرِمُ الْمَعْرُوفَ مَحْرُومٌ
 الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَتْ مَعْبَتُهُ وَالشَّرُّ مَا عَاشَ مِنْهُ الْمَرْءُ مَذْمُومٌ
 فَعَلِمْنَا أَنَّهُ ذَلِكَ الشُّجَاعُ.

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: دَخَلَ عُمَارَةُ بْنُ حَمَزَةَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ،
 فَأَكْرَمَهُ وَرَفَعَ مَجْلِسَهُ، وَأَسْنَى جَائِزَتَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِجَوْهَرِ نَفِيسٍ، فَقَالَ: وَصَلِّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ، وَبَرَكَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَرَدْنَا شُكْرَكَ عَلَى صِلَتِكَ إِنَّ الشُّكْرَ مِنَّا لَيَقْصُرُ عَنْ نِعْمَتِكَ،
 كَمَا قَصُرْنَا عَنْ مَنَزَلَتِكَ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لَكَ الْفَضْلَ عَلَيْنَا، وَلَمْ يَحْرِمْنَا مِنْكَ الزِّيَادَةَ
 لِتَفْصِيرِ شُكْرِنَا. فَأَمَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَنْ يُكْتَبَ هَذَا الْكَلَامُ وَيَدْوَنَ^(١).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: أَنِّي الْحَجَّاجُ بِحَاتِمٍ، فَأَعَجَبَنِي. فَقَالَ لَابْنِ الْقِرْبَةِ:
 صِفْهُ. فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، هَذَا خَاتَمُ أَرْمٍ، لِأَزْمٍ، مَلَحَهُ صَانِعٌ، أَعْلَى بِهِ بَائِعٌ، فَضُّهُ
 صَافِيَةٌ، وَيَاقُوتُهُ غَالِيَةٌ، وَالْخَوَاتِيمُ لَهُ قَالِيَةٌ، وَالْعُيُونُ إِلَيْهِ سَامِيَةٌ، وَلَا تُرْدُ طَيْبَتُهُ، اسْتَوَتْ
 حَلَقَتُهُ بِرَيْنٍ لَا بِشَيْنٍ. قَالَ: هَذَا كَلَامٌ تَعَلَّمْتَهُ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ أَحْكَمْتُ مَعَانِيَهُ،
 وَأَجِيدْتُ مَبَانِيَهُ. فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ.

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: خَرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَبَضِرَ فِي صَحْنِ
 دَارِهِ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهِ، أَعَزَّهُنَّ عَلَيْهِ، وَأَحْبَهُنَّ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا أَوْقَفَكَ هَذَا الْمُوقِفَ؟
 قَالَتْ: ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ
 وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ

(١) انظر: زهر الآداب (٣/٤٦٣).

النار ﴿[آل عمران: ١٩١]، وَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتَفُ، وَيَقُولُ:

مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرَقَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا بَلَغَهَا السَّحَرُ
تُدْنِي عَلَيَّ الْجِيدِ مِنْهَا مِنْ مُعْصِفَةٍ وَالْحُلِيِّ مِنْهَا عَلَيَّ لُبَاتِهَا حَصِرُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِحَاجِبِهِ: عَلَيَّ بِرَأْسِ الرَّجُلِ السَّاعَةِ. قَالَ: وَخَلَّتِ الْجَارِيَةُ
بِغْلَامٍ لَهَا صَغِيرٌ، فَقَالَتْ: أَنْذِرِ الرَّجُلَ وَلَكَ عَشْرَةُ آلافِ دِرْهَمٍ، وَأَنْتَ حُرٌّ. فَخَرَجَ
الْغُلَامُ، فَسَبَقَ إِلَى الرَّجُلِ فَأَنْذَرَهُ، فَقَالَ: ثِكَلْتُكَ أُمَّكَ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرَ فَيْكَ
بِضَرْبِ عُنُقِكَ، فَأَمْسِكْ عَلَيَّكَ صَوْتَكَ. فَأَمْسَكَ، فَارْجَعَ الْحَاجِبُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَحْسَسْتُ لِلصَّوْتِ أَثْرًا^(١).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ
أَبِي الْحَسَنِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَوَقَفَ عَلَيَّ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنْ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَقُلْتُ لَهُ: لَوْ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ يَأْكُلُ مِنْ حَشْفِهَا وَتَمْرِهَا، كَانَ
خَيْرًا مِمَّا صَنَعَ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَلِمَةٌ بَاطِلٌ، حَقَّنْتُ بِهَا دَمِي. أَمَا
وَاللَّهِ لَقَدْ فَقَدْتُمُوهُ سَهْمًا مِنْ سِهَامِ اللَّهِ صَائِبًا لِعَدْوِ اللَّهِ، لَيْسَ بِالسَّرُوقَةِ مَالِ اللَّهِ، وَلَا
بِالتُّؤَمَةِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، رَبَّانِي هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي عِلْمِهَا وَفَضْلِهَا وَقَدَمِهَا، أُعْطِيَ الْقُرْآنَ عَزَائِمَهُ
فِيمَا عَلَيْهِ وَلَهُ، حَرَمَ حَرَامَهُ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، حَتَّى أُوْرَدَهُ ذَلِكَ عَلَيَّ رِيَاضِ مُونِقَةٍ، وَحَدَاتِقِ
مُعْدِقَةٍ، ذَاكَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَا لُكْعُ^(٢).

حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَرَجَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ حَاجًّا، وَكَانَ إِذَا أَمَرَ
بِأَمْرٍ لَا يُرَاجَعُ فِيهِ. قَالَ: فَسَأَلَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ لِقَهْرْمَانِهِ: هَاتِ خَمْسِمِائَةَ، فَجَاءَهُ
بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ إِلَّا دِرْهَمًا، فَأَمَّا إِذَا جِئْتُ بِهَا دَنَانِيرَ، فَأَذْفَعُهَا إِلَيْهِ.
قَالَ: فَصَبَّهَا فِي سَمَلَةِ الْأَعْرَابِيِّ. فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَبْكِي. فَقَالَ: مَا يَبْكِيكَ يَا أَعْرَابِيٌّ؟
أَسْتَفْلِلُ لَهَا؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَبْكِي فَرَحًا بِهَا إِذْ جَاءَتْ، وَلَا أَسَى عَلَيْهَا إِذْ فَاتَتْ، غَيْرَ أَنِّي
أَبْكِي أَنَّ الْأَرْضَ تَأْكُلُ مِثْلَكَ، ثُمَّ أَنشَأَ، يَقُولُ:

(١) انظر: العقد الفريد (٦/٦٨).

(٢) انظر: البيان والتبيين (٢/١٠٨).

أَلْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيهَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانٍ^(١)

- حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: لَمَّا فَرَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مِنْ دَفْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَامَ عَلِيُّ عَلَى الْقَبْرِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لُكُلُ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةً وَكُلُّ الْأَذَى دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلٌ
وَإِنْ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلٌ^(٢)

- حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي مَخْنَفٍ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ صَبِيحَةَ جَاءَ نَعْيُ الْأَشْتَرِ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْنَا، قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مَالِكًا وَمَا مَلَكَ، لَوْ كَانَ مِنْ جَبَلٍ لَكَانَ فِنْدًا، أَوْ مِنْ حَجَرٍ لَكَانَ صَلْدًا، عَلَيَّ مِثْلُ مَالِكٍ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِي، وَهَلْ يُوجَدُ مِثْلُ مَالِكٍ. قَالَ: فَمَا زَالَ يَتَلَهَّفُ عَلَيْهِ حَتَّى كَانَهُ الْمُضَابُ بِهِ دُونَنا^(٣).

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَيْسَى بْنَ عَلِيٍّ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَحْجُبُنِي فِي خِلَافَتِهِ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ يَوْمًا، فَلَمَّا دَخَلْتُ دَارَهُ، قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ بَشَّرَنِي، وَهَتَّأَنِي. فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذِهِ الْبِشَارَةُ وَالتَّهْنِئَةُ؟ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ مُوسَى بْنِ كَعْبٍ مِنَ السِّنْدِ، وَقَدْ فَتَحَهَا اللَّهُ، وَهَذَا الْكِتَابُ مَعِي. قَالَ: فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْهُ، وَمَضَيْتُ أُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ. فَوَثَبَ إِلَيَّ وَابْتُ مِنْ مَجْلِسِ أَبِي الْعَبَّاسِ، فَهَتَّأَنِي وَبَشَّرَنِي. فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْبِشَارَةُ؟ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ. وَقَدْ فَتَحَهَا اللَّهُ لَكُمْ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يُهَيْتِكَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ فَقُلْتُ: هَذَانِ رَسُولَانِ قَدْ أَتَيْتَاكَ بِفَتْحِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. قَالَ: قُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: يَا عَمُّ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَاللَّهُ مَا كُنَّا نَسْمَعُ الْعِلْمَ وَلَا نَأْخُذُهُ إِلَّا عَنْكُمْ،

(١) انظر: تاريخ دمشق (٢٩٦/٣١)، ومعجم الشعراء (٨٩/١).

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة (٩٢٠/٢).

(٣) انظر: ولاية مصر للكندي (ص ٧)، وتاريخ دمشق (٣٩١/٥٦)، والكامل (٨٨/٢).

أَفَلَسْتُمْ أَنْتُمْ حَدِّثْتُمُونَا: أَنَّهُ إِذَا أَتَى الْقَائِمَ مِنَّا فَتَحَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَمُوتَ.
 قَالَ: فَأَذْكُرُنِي وَاللَّهِ حَدِيثًا قَدْ سَمِعْتُهُ وَعَلِمْتُهُ لَكِنِّي أُنْسِيتهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى قَوْلِهِ
 فَأَعْمُهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ ذَلِكَ حَقًّا، مَا حَدَّثْتُكَ بِالْفَتْحِ، وَلَا
 بَشْرُوتِكَ بِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْأَحَادِيثِ بَاطِلٌ. قَالَ: دَعُ هَذَا عَنْكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُنْكِرُ نَفْسِي. قَالَ:
 فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى تَدْتُرُ، فَمَكَّثْتُ أَبَامًا، ثُمَّ دَخَلْتُ يَوْمًا، فَقَالَ: أَيُّ عَمِّ، إِنِّي
 قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَعْهَدَ. فَقُلْتُ: وَفَقَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَدَعَا بِدَوَاةٍ ثُمَّ كَتَبَ: بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَهَدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ كَفَّ عَنِ الْكِتَابِ، قَالَ:
 فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: ثُمَّ أَتَمَّ الْكِتَابَ، هَذَا مَا عَهَدَ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ حَدَّثَ بِعَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَ الْمَوْتَ فَإِلَى عَيْسَى بْنِ
 مُوسَى.

- حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: أَتَيْتُ عُمَرَ بَيْرُودَ، فَقَالَ لِلَّذِي آتَاهُ بِهَا: أَخْرِجْ لِي خَيْرَهَا
 وَشَرَّهَا، ثُمَّ قَالَ: عَلِيٌّ بِالْحَسَنِ، فَلَمَّا آتَاهُ دَفَعَ إِلَيْهِ خَيْرَهَا، ثُمَّ قَالَ لِشَرَّهَا: هَذَا نَصِيبُ
 عُمَرَ، وَقَسَمَ الْبُرُودَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ حَدَّثَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ حَدَّثَ، فَقَامَ عُمَرُ خَطِيبًا،
 وَعَلَيْهِ حُلَّةُ بُرْدَيْنِ، انْتَرَزَ بِأَحْدِهِمَا، وَازْتَدَى بِالْأُخْرَى. فَقَالَ سَلْمَانُ: لَا نَسْمَعُ. قَالَ عُمَرُ:
 لِمَ؟ قَالَ: كَسَوْتَنَا بُرْدًا، وَرَى عَلَيْكَ بُرْدَيْنِ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَرَّتَيْنِ. فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ.
 فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ. فَقَالَ: لَبَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: نَاشَدْتُكَ اللَّهُ أَمَا كَسَوْتِكَ
 أَحَدَ هَذَيْنِ الْبُرْدَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى. فَقَالَ سَلْمَانُ: قُلْ مَا سَمِعْتَ نَسْمَعُ لَكَ وَنُطِيعُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: كَتَبَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى
 أَهْلِ الْمَدِينَةِ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي، ثُمَّ عَلَى فَمِي، ثُمَّ
 عَلَى صَدْرِي، وَاللَّهِ لَئِنْ وَضَعْتُكُمْ تَحْتَ قَدَمِي لِأَطَانَتِكُمْ وَطَآءَةِ أَقْلٍ مِنْهَا عَدَدَكُمْ، وَأَتْرُكُكُمْ
 أَحَادِيثَ تُنْسَخُ مَعَ أَحَادِيثِ عَادٍ وَثُمُودَ. ثُمَّ تَمَثَّلَ هَذَا الشِّعْرُ:

أَظُنُّ الْحَلِيمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
 وَمَارَسَتْ الرَّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمَعْرُوجٌ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمُ
 وَلَكِنِّي أَلَقِي مِنْكَ رَاتٍ فَأُنْكِرُهَا وَمَا أَنَا بِالظَّلُومُ

وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، يَا بَنِي بَعْدَ كِتَابِي هَذَا، إِلَّا خَلَعْتُكُمْ، وَلَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي إِلَّا نَقَمْتُكُمْ،

فَإِذَا سِتُّنَّم، فَلَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ^(١).

سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُتْبِيَّ، يَقُولُ: سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَأَعْطَاهُ. فَقَالَ: جَعَلَ اللَّهُ الْمَعْرُوفَ عَلَيْكَ ذَلِيلًا، وَالْخَيْرَ شَاهِدًا، وَلَا جَعَلَ حَظَّ الْقَائِلِ مِنْكَ عُدْرًا ضَائِعًا. وَقَالَ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَمَلَ الْخَائِفِينَ، وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ، حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَزَكِ النَّعِيمِ طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ وَخَوْفًا مِمَّا أُوْعِدْتَ^(٢).

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ يُونُسَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْمُنْصُورَ، يَقُولُ: الْخُلَفَاءُ أَرْبَعَةٌ، وَالْمُلُوكُ أَرْبَعَةٌ: فَالْخُلَفَاءُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ عليه السلام. عَلَيَّ مَا نَالَ، وَنِيلَ مِنْهُ أَعْظَمُ، وَلِنَعْمِ الرَّجُلِ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ قَدَمِ هَؤُلَاءِ وَسَابِقَتِهِمْ. وَالْمُلُوكُ: مُعَاوِيَةُ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ، وَهَشَامُ، وَأَنَا، وَلِنَعْمِ رَجُلٍ الْحَزْبِ كَانَ حِمَارُ الْجَزِيرَةِ، مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ طَائِعِ الْخِلَافَةِ^(٣).

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤْمِلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: صَارَ أَعْرَابِيٌّ مِنَ النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَأَقَامَ بِبَابِهِ حِينًا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ فِي الْعَامَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَصَابَ مِنَ الطَّعَامِ مَعَ النَّاسِ، ثُمَّ قَامَ فَسَلَّمَ عَلَى مَسْلَمَةَ، فَرَدَّتْ مَسْلَمَةُ السَّلَامَ. فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ، زُرْتِكَ وَأَنْتَ غُرَّةٌ مُضَرٌّ وَحُسَامُهَا، حِينَ تُذَكَّرُ، لِأَنَّكَ تَعْطِفُ عَلَيْكَ الْأَمْلَاكُ، فَلَيْسَ يَخَافُ ضَيْفَ لَدَيْكَ الْهَلَاكُ، وَأَنْتَ فِي فِرْعٍ مِنَ الْفِرْعِ نَضَارًا وَرِثْتَهُ عَنِ الْأَكَابِرِ الْكِبَارِ، وَمِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَرْوَانَ، هُنَالِكَ الْفَضْلُ وَالْبَيَانُ، وَالْعِزُّ وَالسُّلْطَانُ سَادُوا النَّاسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَدَمًا، وَفِي الْإِسْلَامِ خَيْرًا وَكَرَمًا. فَكَفَّ كَفَانٍ، كَفَّ تُمْطَرُ النَّدَى، وَالْأُخْرَى سِمَامٌ يَقْتُلُ الْعَدَى، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَتَقِيَّ، وَمَنْ الْأُدْنَسِ نَقِيَّ، وَإِنَّكَ لَمُهَذَّبٌ فِي الْكِرَامِ، فَلَيْسَ يَفُوقُكَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنَامِ، وَإِنَّكَ لَنَفِي بَحْرِ مِنَ الْمَجْدِ، قَدْ رُزِقْتَ مِنَ الْحَمْدِ. فَالنَّاسُ لَدَى بَابِكَ يَزْجُونَ نَدَى فَضْلِكَ، مِنْ عَوَائِدِ سَيْبِكَ، لِأَنَّكَ لِلْجُودِ حَلِيفٌ، وَلِأَنَّ الْجُودَ عَلَيْكَ يَطُوفُ. تَرَاهُ عَلَيْكَ وَطَيْفَهُ، تَسْجِلُهَا مِنْ بُحُورِ عَرِيضَةٍ. فَقَالَ مَسْلَمَةُ: وَاللَّهِ يَا أَعْرَابِيَّ إِنَّكَ لَفَصِيحٌ. قَالَ: أَجَلْ،

(١) انظر: العقد الفريد (٢/٢٥٦).

(٢) انظر: عيون الأخبار (١/٨٧).

(٣) انظر: نثر الدر للآبي (١/١٩٧).

وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ صَرِيحٌ. قَالَ: فَمَا تَكَادُ تَجِدُ أَعْرَابِيًّا عَاقِلًا. قَالَ: وَمَا يُذْهَبُ عَقْلُهُ لَوْ كَانَ كَامِلًا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ قَلَمًا يُخَالِطُ النَّاسَ. قَالَ: فَذَلِكَ أَكْبَدُ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ. قَالَ: وَأَنَّى لَهُ بِالْبَأْسِ، وَهُوَ لَا يَرَى الْقِتَالَ؟ قَالَ: يَكُونُ عَمْرًا فَيَجْتَرِي عَلَى الْأَبْطَالِ. قَالَ: وَأَنَّى لَهُ الْجَرَاءَةُ وَلَمْ يَجْتَرِي؟ قَالَ: أَنْ يَصْمِمَ الْحَمَلَةَ ثُمَّ يَضْبِرُ. قَالَ: وَكَيْفَ يَضْبِرُ عَلَى الطَّعَانِ؟ قَالَ: تَرَاهُ فَرْضًا تَفْرِضُهُ الْأَقْرَانَ. قَالَ مَسْلَمَةٌ: يَا عَجَبًا لِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ. قَالَ: وَمَا يُعْجِبُكَ مِنِّي يَا ابْنَ الْحَلِيفَةِ، وَمِنْ صَوَابِي؟ قَالَ مَسْلَمَةٌ: وَمَا جَعَلَكَ بِالصَّوَابِ، أَوْلَى مِنْ غَيْرِكَ؟ قَالَ: إِنَّهَا سَجِيَّتِي، وَعَلَيْهِ رَكِبْتُ طَبِيعَتِي، فَتَفَسَّ كُرْبَتِي، وَأَجْرَلُ عَطِيَّتِي، وَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي. قَالَ: وَأَيْنَ تَسْكُنُ؟ قَالَ سَرَاةَ الطَّائِفِ. قَالَ مَسْلَمَةٌ: مَعَدِنُ الْعَنْبِ وَالزَّيْبِ؟ قَالَ: نَعَمْ، لِسَانَ بَدَوِيٍّ، وَبَلَدٌ عَلَوِيٌّ. قَالَ فَاحْتِكِمِ. قَالَ: أَحْتِكِمُ عَشْرَةَ جَلَالٍ تَمْرًا وَعَشْرَةَ أَعْنَزٍ، وَقَطِيفَةً لِلْعِيَالِ، وَجَمَلًا نَجْعَلُ عَلَيْهِ مَتَاعَنَا، وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا. فَأَمَرَ لَهُ بِمَا طَلَبَ.

- حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْوَأْقِدِيِّ، قَالَ: صَعِدَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمُنْبَرِ لَمَّا بُويعَ بِالْخِلَافَةِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ارْتَجَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَلِينَاكُمْ قَرِيبًا، وَعَدَلْنَا عَلَيْكُمْ خَيْرٌ مِنْ خُطْبِنَا فِيكُمْ، وَإِنْ أَعَشَ يَأْتِكُمْ الْكَلَامُ عَلَى جِهَتِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(١). قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّيْزِيُّ: وَيُرْوَى عَنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ صَعِدَ الْمُنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ارْتَجَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَعَبْتُ، وَمَا كُنَّا خُطْبَاءً، وَسَيَعْلَمُ اللَّهُ، وَإِنَّ امْرَأً لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبٌ مَيِّتٌ لَمْوَعُوْطٌ. ثُمَّ نَزَلَ^(٢). قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّيْزِيُّ: وَقَفَّ ثَابِتٌ قُطْنَةُ عَلَى الْمُنْبَرِ بِالسِّنْدِ، فَارْتَجَّ عَلَيْهِ، فَتَزَلَّ، فَقَالَ:

وَإِنْ لَا أَكُنْ فِيكُمْ حَاطِبًا فَإِنِّي بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيَى لِحَاطِبٍ
فَقِيلَ لَهُ: لَوْ قُلْتَ هَذَا عَلَى الْمُنْبَرِ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ مِنْهُ كُنْتَ أَحْطَبَ النَّاسِ. قَالَ:
وَارْتَجَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَجِيءُ
أَحْيَانًا، وَيَعْرُوبُ أَحْيَانًا، وَرَبُّمَا طَلَبَ فَأَبَى، وَكُوِّرَ فَفَسَا، فَالْتَأَى لِمَجِيئِهِ أَيْسَرُ مِنَ التَّعَاطِي
لِأَبِيهِ، وَقَدْ يَخْتَلِجُ مِنَ الْجَرِيءِ جَنَانُهُ، وَيَنْقَطِعُ مِنَ الدَّرْبِ لِسَانُهُ، فَلَا يُبْطِرُهُ الْقَوْلُ إِذَا

(١) انظر: بهجة المجالس لابن عبد البر (ص ١٠).

(٢) انظر: جمهرة خطب العرب (٢/٢٧١).

اتَّسَعَ، وَلَا يُسْكِرُهُ النَّطْقُ إِذَا امْتَنَعَ، وَسَأَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَقَالَ: شَكَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَامِرٍ إِلَى زِيَادِ ابْنِ أَبِيهِ، وَهُوَ كَاتِبُهُ عَلَى الْعِرَاقِ، الْحَضَرَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَمِعْتَ كَلَامَ غَيْرِكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ اسْتَكْثَرْتَ مَا يَكُونُ مِنْكَ. قَالَ: فَكَيْفَ أَسْمَعُ ذَلِكَ؟ قَالَ: رُحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَكُنْ مِنَ الْمَقْصُورَةِ بِالْقُرْبِ حَتَّى أَسْمِعَكَ خُطْبَ النَّاسِ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَالَ زِيَادُ: إِنَّ الْأَمِيرَ سَهْرَ الْبَارِحَةَ فَلَيْسَ يُمَكِّنُهُ الْخُرُوجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَالْتَفَتَ رَجُلٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ سَادَةِ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ لَهُ: قُمْ فَاحْطُبْ، وَصَلِّ بِالنَّاسِ. فَلَمَّا أُوْفِيَ عَلَى ذُرْوَةِ الْمِنْبَرِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ. قَالُوا: قَبَّحَكَ اللَّهُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، يَقُولُ: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَتَقُولُ أَنْتَ: فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ. فَتَزَلُّ وَالتَفَتَ إِلَى شَرِيفِ لَرَبِيعَةَ، فَقَالَ لَهُ: قُمْ فَاحْطُبْ، فَلَمَّا ارْتَقَى عَلَى الْمِنْبَرِ ضَرَبَ بِطَرْفِهِ، فَوَقَعَ عَلَى جَارٍ لَهُ كَانَ يُحَاصِمُهُ فِي حَدِّ بَيْنَهُمَا. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَارْتَجَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ لِجَارِهِ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنْ نَزَلْتُ إِلَيْكَ يَا أَصْلَعُ لَأَفْعَلَنَّ بِكَ، وَلَأَفْعَلَنَّ. فَأَنْزَلُوهُ. فَالتَفَّ إِلَى رَيْسٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَزْدِ، فَقَالَ لَهُ: انْهَضْ، فَأَقِمِ لِلنَّاسِ صَلَاتَهُمْ، فَلَمَّا تَسَنَّمَ الْمِنْبَرِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَمْ يَدِرْ مَا يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ وَاللَّهِ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَحْضُرَ الْيَوْمَ، فَقَالَتْ لِي امْرَأَتِي: أَنْشَدْتُكَ بِاللَّهِ إِنْ تَرَكْتَ فَضَّلَ الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَاطَّعْتُهَا، فَوَقَفْتُ هَذَا الْمَوْقِفَ الَّذِي تَرُونَ. فَاشْهَدُوا جَمِيعًا أَنَّهَا طَالِقٌ. فَأَنْزَلُوهُ إِنْزَالًا عَنِيفًا. وَأَرْسَلَ زِيَادُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَامِرٍ، أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُقِيمُ لِلنَّاسِ صَلَاتَهُمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَحْمِلَ عَلَى نَفْسِكَ. فَخَرَجَ فَخَطَبَ فَبَيَّنَ فَضْلَهُ فِي النَّاسِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ^(١).

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ رَبِّهِ الْيَشْكُرِيُّ غَامِلًا لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَلَى الْمَدَائِنِ فَصَعِدَ الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ارْتَجَّ عَلَيْهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَكُونُ فِي بَيْتِي، فَتَجِيءُ عَلَى لِسَانِي أَلْفَ كَلِمَةٍ، فَإِذَا قُمْتُ عَلَى أَعْوَادِكُمْ هَذِهِ جَاءَ شَيْطَانٌ فَمَحَاهَا كُلَّهَا مِنْ صَدْرِي، وَلَقَدْ كُنْتُ وَمَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَصَرْتُ وَمَا فِي الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِخُطْبَتِكُمْ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَلَمْ تَقُولْ هَذَا، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، وَأَنْتَ أَخَطَبُ النَّاسِ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَخُطْبَتِي أَنْتَنُ

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣٨٦/٥)، عيون الأخبار (٢٣١/١)، الكامل (٣٩٥/٢).

مِمَّا فِي الْحُسِّ. يَقُولُ الْحَاجِبُ: لَا يَكُونُ لِمَا فِي الْحُسِّ إِلَّا الْهَوَانُ^(١).

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: وَلِيَ أَخٌ لِحَالِدِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءِ الرَّيِّ، فَمَكَثَ جُمُعًا لَا يَخْطُبُ. فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، قَدْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى الرَّيِّ، وَهُوَ تُغْرٌ مِنْ تُغُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَطَرِيقُ أَهْلِ خُرَّاسَانَ، فَلَوْ خَرَجْتَ ثُمَّ خَطَبْتَ النَّاسَ. فَقَالَ: عَلَى مَنْ أَخْطُبُ، وَبِئْسَ لَكَ، هُمْ أَعْلَاجُ أَمِيُونٍ؟ قَالَ لَهُ: لَا بُدَّ مِنْ خُطْبَةٍ. فَخَرَجَ وَصَعِدَ الْمُنْبَرِ. فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ارْتَجَّ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، وَقُبَالَةَ وَجْهِهِ شَيْخٌ أَصْلَعُ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَصْلَعُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلَّطَنِي غَيْرَكَ، عَلَيَّ بِهِ. فَأَتَيْ بِهِ، فَضَرَبَهُ أَسْوَاطًا^(٢).

حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: ارْتَجَّ عَلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ فِي يَوْمٍ أَضْحَى، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَجْمَعُ عَلَيْكُمْ عِيًّا وَلَوْ مَا، مَنْ أَحَدَ شَاءَ مِنَ السُّوقِ فَهِيَ لَهُ، وَتَمَّتْهَا عَلَيَّ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: خَطَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَى مِنْبَرِ حِمَصَ، فَارْتَجَّ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَهْلَ حِمَصَ، فَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ أَحْرَجَ مِنْكُمْ إِلَى خَطِيبٍ مِضْعَعٍ. ثُمَّ نَزَلَ^(٣).

- حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ يَوْمًا، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ ثَلَاثَ حَوَائِجَ، قَالَ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَمَّا أَوْلَاهُنَّ فِتْقِيمُ جُلَسَاءِكَ، قَالَ: فَأَمْرُهُمْ فِقَامُوا، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَلَا تَغْضَبُ. قَالَ: وَلَا أَغْضِبُ. قَالَ: وَمَا الثَّلَاثَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ كُلَّ مَنْ وَرَاءَ بَابِكَ مَقْتُولٌ مَقْهُورٌ. قَالَ: فَغْضِبْ. فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ ضَمِنْتَ أَنْ لَا تَغْضِبَ. قَالَ: فَلَا أَغْضِبُ إِذَا. وَأَخْرَجَ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ، فَقَالَ قَدْ رَدَدْتُ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْكَ فَدَبَّرْتَهُمْ بِرَأْيِكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ مَعَادُكَ، فَقَدْ أَخْرَجْتُ مِنْ رَقَبَتِي ذَلِكَ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَابْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدَبَرْتُ أَنَا الْخِلَافَةَ؟ قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: قُلْتُ: تَرْفَعُ حُجَابَكَ، وَتَطْرُحُ أَبْدَاً عَلَى بَابِكَ، فَلَا يَجِيءُ أَحَدٌ مُتَظَلِّمٌ

(١) انظر: جمهرة خطب العرب (٣/٣٥٤).

(٢) انظر: بهجة المجالس لابن عبد البر (ص ١٠).

(٣) انظر: جمهرة خطب العرب (٣/٣٥٣).

مِنْ عَامِلٍ مِنْ عَمَّا لِكَ إِلَى بَلَدٍ مِنَ الْبِلْدَانِ، تَصَحُّ عِنْدَكَ ظَلَامَتُهُ إِلَّا أَمَرْتِ، فَجِيءَ بِهِ مَسْحُوبًا مَاشِيًا إِلَى بَابِكَ فَأَنْصَفْتَهُ مِنْهُ، قَالَ: فَأَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَمَا أَمْكَنْتَنَا، وَلَا أَعِنَّا عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اجْعَلْهُ أَكْبَرَ شُغْلِكَ، فَإِنَّكَ تُدْرِكُهُ. قَالَ: أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْمَعُونَةَ عَلَى ذَلِكَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ، قَالَ: وَفَدَّ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ قَاضِي الْبَصْرَةِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ فَتَكَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَبَيْنَا شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ يَغْدِي أَصْحَابَهُ، إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ، يَقُولُ لَهُ: ائْتِنِي السَّاعَةَ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَتِمُّوا عَدَاكُمُ، وَرَكِبْ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ تَكَلَّمْتَ الْيَوْمَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبُو عُيَيْدِ اللَّهِ حَاضِرٌ، فَأَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَهُ عَسَى أَنْ يَجْرِي لِي ذِكْرٌ، فَتَنْظُرَ هَلْ أَعْجَبَهُ كَلَامِي. قَالَ شَيْبُ: فَجِئْتُهُ وَقَالَ: تَكَلَّمْ صَاحِبِكُمْ الْيَوْمَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقُلْتُ لَهُ: فَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: رَسَائِلُ غَيْلَانَ، وَمَوَاعِظُ الْحَسَنِ، وَنَسَجُ بَيْنَ ذَلِكَ مُمْلَعٌ^(١).

حَدَّثَنِي الْعُثْبِيُّ، قَالَ: إِنْ أَوْلَّ مَا اسْتُشِينَ مِنْ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَحِرْصِهِ عَلَى الْعِلْمِ، وَرَغْبَتِهِ فِي الْأَدَبِ، أَنَّ أَبَاهُ وَلِيَّ مِصْرَ، وَهُوَ حَدِيثُ السِّنِّ يُشْكُ فِي بُلُوغِهِ، فَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ مَعَهُ، فَقَالَ: يَا أَبُهِ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ أَنْفَعَ لِي وَلَكَ أَنْ تُرْسِلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَقْعُدَ إِلَى فُقَهَاءِ أَهْلِهَا، وَأَتَادَّبُ بِأَدْبِهِمْ. فَوَجَّهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَعَدَ مَعَ مَشَايخِ قُرَيْشٍ، وَتَجَنَّبَ شَبَابَهُمْ، وَجَاءَتْهُ أَلْطَافُ أَبِيهِ مِنْ مِصْرَ، فَجَعَلَ يُقَسِّمُهَا بَيْنَهُمْ، فَشَهَرَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِعِلْمِهِ، وَعَقَلِهِ مَعَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ، فَحَسَدَهُ فُتَيَانُ قُرَيْشٍ، فَقَعَدُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا حَفْصٍ؟ فَقَالَ: مَهْلًا إِيَّايَ وَكَلَامَ الْمَجْعَةِ، فَشَهَرَتْ مِنْهُ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى كُتِبَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ بِمِصْرَ، وَالْمَجْعَةُ الْقَلِيلَةُ عُقُولُهُمْ، الضَّعِيفَةُ أَرَاؤُهُمْ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ عِنْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، فَحَلَطَهُ بِوَلَدِهِ، وَقَدَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَرَوَّجَهُ بِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ:

بِنْتُ الْخَلِيفَةِ وَالْخَلِيفَةُ جَدُّهَا
أُحْتُ الْخَلَائِفِ وَالْخَلِيفَةُ زَوْجُهَا

فَلَمْ تَكُنْ امْرَأَةً تَسْتَحِقُّ هَذَا الْبَيْتَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا غَيْرَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ يَعْبُونُ عَمَرَ مِمَّنْ يَحْسُدُهُ لَا يَعْبُونَهُ إِلَّا بِشَيْئَيْنِ: بِالْإِفْرَاطِ فِي النِّعْمَةِ، وَالْإِحْتِيَالِ فِي الْمِشِيَةِ، وَلَوْ كَانُوا

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٠/٣٠٩).

يَجِدُونَ ثَالِثًا لَجَعَلُوهُ مَعَهُمَا، وَهُوَ قَوْلُ الْأَخْتَفِ: الْكَامِلُ مَنْ عَدَّتْ هَفَوَاتُهُ، وَلَا تُعَدُّ إِلَّا مِنْ قَلَّةٍ. فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ يَتَجَانَفُ فِي مَشِيَّتِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ مَا لَكَ تَمْشِي غَيْرَ مَشِيَّتِكَ؟ قَالَ: إِنَّ بِي جُرْحًا. قَالَ: وَفِي أَيِّ جَسَدِكَ؟ قَالَ: بَيْنَ الرَّانِفَةِ وَالصَّفَنِ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِرُوحِ بْنِ زِنْبَاعٍ: أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَوْ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِكَ يُسْأَلُ عَنْ هَذَا لَمَا أَجَابَ هَذَا الْجَوَابَ^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَالَ مَالِكُ بْنُ عُمَارَةَ اللَّخْمِيُّ: كُنْتُ أُجَالِسُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَقَبِيصَةَ بْنَ ذُوَيْبٍ، وَعُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَكُنَّا نَحْوُصُ فِي فُتُونِ الْأَحَادِيثِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ، فَكُنْتُ لَا أَجِدُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ مِثْلَمَا أَجِدُهُ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، مَنْ اتَّسَاعِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَتَصَرُّفِهِ فِي فُتُونِ الْعِلْمِ، وَحُسْنِ اسْتِمَاعِهِ إِذَا حَدَّثَ، وَحَلَاوَةِ لَفْظِهِ إِذَا حَدَّثَ، فَخَلَوْتُ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَمَسْرُورٌ بِمَا أَشَاهِدُهُ مِنْ كَثْرَةِ تَصَرُّفِكَ، وَحُسْنِ حَدِيثِكَ، وَإِقْبَالِكَ عَلَيَّ جَلِيسِكَ، فَقَالَ لِي: إِنَّكَ إِنْ تَعَشَّ قَلِيلًا سَتَرَى الْعُيُونَ إِلَيَّ طَامِحَةً، وَالْأَعْنَاقَ إِلَيَّ قَاصِدَةً، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تُعْمَلَ إِلَيَّ رِكَابَكَ، فَلَأَمْلَأَنَّ يَدَيْكَ. قَالَ مَالِكُ: فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ أَتَيْتُهُ، فَرَأَيْتُهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَيَّ بَسَرَ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: لَمْ يَشِئْتَنِي مَعْرِفَةٌ، أَوْ عَرَفَنِي فَأَظْهَرَ لِي نُكْرَةً. لَكِنِّي لَمْ أَبْرَحْ مَكَانِي حَتَّى قَضَى الصَّلَاةَ، وَدَخَلَ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ دَخَلَ إِذْ خَرَجَ آذَنُهُ، فَقَالَ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ عُمَارَةَ اللَّخْمِيُّ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: إِنَّكَ تَرَأَيْتَ لِي بِمَوْضِعٍ لَمْ يَجُزْ فِيهِ إِلَّا مَا رَأَيْتَ مِنَ الْإِعْرَاضِ وَالْإِنْقِبَاضِ، فَأَمَّا الْآنَ فَأَهْلَا بِكَ وَمَرْحَبًا، كَيْفَ كُنْتَ بَعْدَنَا؟ وَكَيْفَ كَانَ مَسِيرُكَ؟ فَقُلْتُ: بِخَيْرٍ وَعَلَى مَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - قَالَ: أَتَذْكُرُ مَا كُنْتُ قُلْتُ لَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَهُوَ الَّذِي أَعْمَلَنِي إِلَيْكَ. فَقَالَ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمِيرَاثٍ ادَّعَيْنَاهُ، وَلَا أَثْرٍ وَعَيْنَاهُ، وَلَكِنِّي أَحَدَّثْتُكَ عَنْ يَقِينِي بِخِصَالٍ سَمَّتْ لَهَا نَفْسِي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنَا فِيهِ، مَا لَا حَيْثُ ذَا وَدٍّ، وَلَا ذَا قَرَابَةٍ، وَلَا قَصْدَتْ لِكَبِيرَةٍ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَابْتِئَابِ عَلَيْهَا، وَلَا مُتَلَدِّذَا بِهَا، وَكُنْتُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي بَيْتِهَا، وَمِنْ بَيْتِهَا فِي وَسْطِهِ، وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ مِنِّي وَقَدْ فَعَلَ. ثُمَّ قَالَ: يَا غُلَامُ

(١) انظر: تاريخ دمشق (٩١/٢٧)، سير أعلام النبلاء (١١٧/٥).

بَوَّئُهُ مَنْزِلًا فِي الدَّارِ. فَأَخَذَ الْعُلَامُ بِيَدِي، وَقَالَ: قُمْ إِلَى رَحْلِكَ إِذَا شِئْتَ، فَكُنْتُ فِي أَحْفَظْ حَالٍ، وَأَنْعَمَ بَالٍ، وَحَيْثُ أَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَيَسْمَعُ كَلَامِي، حَتَّى إِذَا حَضَرَ عَدَاؤُهُ أَوْ عَشَاؤُهُ، أَوْ قَعَدَ لِبَطَانَتِهِ، أَتَانِي الْعُلَامُ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ صِرْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ جَالِسٌ. فَأَمْسِي إِلَيْهِ بِلا جِدَاءٍ وَلَا رِدَاءٍ، فَيَرْفَعُ مَجْلِسِي، وَيَقْبَلُ مُحَادَثَتِي، وَيَسْأَلُنِي عَنِ الْعِرَاقِ مَرَّةً، وَعَنِ الْحِجَازِ أُخْرَى، حَتَّى إِذَا مَضَتْ لِي عِنْدَهُ عِشْرُونَ لَيْلَةً تَعَدَّيْتُ فِي آخِرِهَا يَوْمًا عِنْدَهُ، فَلَمَّا قَامَ مَنْ حَضَرَهُ، وَنَهَضْتُ لِأَنَّ أَقْوَمَ، قَالَ: عَلَيَّ رِسْلِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ، أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ الْمَقَامُ عِنْدَنَا، فَلَكَ النِّصْفَةَ فِي الْمُحَالَفَةِ وَالْعَشِيرَةِ مَعَ الْمُوَأَسَاةِ، أَمْ الشُّخُوضُ فَلَكَ الْحَبَاءُ وَالْكَرَامَةُ. قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَارَقْتُ أَهْلِي عَلَى أَبِي زَائِرٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ أَمَرَنِي بِالْمَقَامِ اخْتَرْتُ فَنَاءَهُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ. قَالَ: لَا، بَلْ أَرَى لَكَ الرُّجُوعَ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ مُتَطَلِّعُونَ إِلَى رُؤْيَيْكَ، فَتُحَدِّثُ بِهِمْ عَهْدًا، أَوْ يُحَدِّثُونَ بِكَ مِثْلَهُ، وَالْخِيَارُ بَعْدَ فِي زِيَارَتِنَا أَوْ الْمَقَامِ فِيهِمْ إِلَيْكَ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَسُونَاكَ وَحَمَلْنَاكَ، أَنْزَانِي مَلَأْتُ يَدَيْكَ أَبَا نَصْرٍ؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَاكَ ذَاكِرًا لِمَا وَآيَتْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ. قَالَ: أَجَلٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَذْكُرُ إِذَا وَعَدَ، وَيَنْسَى إِذَا أُوْعِدَ. وَدَعَّ إِذَا شِئْتَ، صَحْبَتِكَ السَّلَامَةَ، قَالَ: فَتَقَبَضْتُ جَمِيعَ مَا أَمَرَ لِي بِهِ فِي يَوْمِي، ثُمَّ وَدَعْتُهُ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ^(١).

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ الْحَدَثَانِ، عَنِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ يَعْمَرَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ، قَالَ: خَرَجْتُ أُرِيدُ الشَّامَ، فَصَحْبَنِي رَجُلٌ قَصِيرٌ الْقَامَةِ، ذَلِقَ اللِّسَانَ جَهْرِيَّةً، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ تَعْمَدُ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَهَلَا سَأَلْتَ عَنِ الْأَسْمِ وَالنَّسَبِ؟ قَالَ عُرْوَةُ: فَقُلْتُ: فِي الْإِسْلَامِ كَافٍ، وَالْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَأَكْرَهُ التَّفْتِيشَ. فَأَمَّا سَأَلْتُ رَجُلًا فَحَبَّرَنِي وَصَدَقَ، فَأَطَّلِعُ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَا يَكْرَهُ، وَأَمَّا كَذِبٌ فَأَتَيْتُ. فَقَالَ: إِنَّكَ لَمَوْفَّقٌ مُسَدَّدٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أُرِيدُ ابْنَ مَرْوَانَ، فَإِنْ أَمَكَّتَنِي مِنْهُ قُدْرَةٌ كَانَ لِي وَلَهُ شَأْنٌ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِمُخَيَّلٍ أَنْ تَكُونَ حُرُورِيًّا، وَمَا زَيْكُ بِزَيْهِمْ. قَالَ: فَصَحَّكَ. قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّ طَالِبَ الْأَحْنِ وَالنَّارِ يَتَنَكَّرُ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَتْ بِكَ مِنِّي حِشْمَةٌ أَلْقَيْهَا عَنِّي وَعَنْكَ، أَخْبِرْنِي: مَا قِصَّتُكَ، وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: بَلْ أَخْبِرْنِي أَنْتَ أَوْلَا. قُلْتُ: أَنَا

(١) انظر: الإمتاع والمؤانسة (٧٠/٢).

عُرْوَةُ بْنُ يَعْمَرَ اللَّيْثِيُّ، حَرَجْتُ أُرِيدُ عَبْدَ الْمَلِكِ مُذْلِيًا إِلَيْهِ بِإِحَاءٍ وَمَوَدَّةٍ كَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مُنْذُ دَهْرٍ. قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَيَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي جَنَّتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ، وَقُطِعَتْ أَعْنَاقُ الْإِبِلِ، إِنَّهُ لَدَائِمُ الْعَهْدِ، عَالِمٌ بِالْجَمِيلِ، غَيْرَ أَنَّ فِي يَدِهِ بَعْضَ الْكُزَازِ، وَهُوَ الْحَزْمُ. يَا أَحَا بَنِي لَيْثٍ، أَتَدْرِي مِنَ الْقَائِلِ:

أَعَادِلُ مَا يُعْنِي عَنِ الْمَرْءِ مَالُهُ إِذَا جُعِلَتْ ذُونَ التَّرَاقِي تَطْلَعُ
وَحَشْرَجَ وَالنَّسَوَانُ يَبْكِينَ حَوْلَهُ يَقْلُنَ أَبُوْنَا هَالِكًا فَمُودَعُ
وَعَايِنَ أَمْرًا مُفْضِعًا ضَاقَ صَدْرُهُ فَأَجْهَشَ يَبْكِي تَارَةً وَيُرْجِعُ
أَلَا لَا أَرَى شُحًّا يُخْلِدُ أَهْلَهُ وَكُلَّ حُدُوعٍ مَرَّةً سَوْفَ يُحْدَعُ
وَخَيْرُ عَتَادِ الْمَرْءِ تَقْوَى وَمَنْ يَحْدُ عَنِ الْمَوْتِ يَوْمًا لَا مَحَالَةَ يُصْرَعُ
فَلَا تَكُ هَيَابًا إِذَا الْحَرْبُ أَحْسَمَتْ وَظَلَّتْ لَهَا الْأَبْطَالُ تَعْرَى وَتَخْضَعُ

قَالَ عُرْوَةُ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَنْ يَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ. قَالَ: فَإِنِّي قَائِلُهَا. فَقُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: الضُّحَّاكُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ مَالِكِ الْعَدَوِيِّ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: قَرَّبَكَ اللَّهُ وَحَيَّاكَ، قَدْ عَرَفْتُ النَّسَبَ. فَأَيْنَ تَعْمُدُ؟ وَمَا الْحَاجَةُ الَّتِي تُرِيدُ؟ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْلِبَ لَنَا خَيْرًا، أَوْ يَدْفَعَ بِنَا شَرًّا. قَالَ: أُرِيدُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لِمِثْلِ مَا تُرِيدُهُ، غَبَرْتُ أَنَا وَعَبْدُ الْمَلِكِ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا لَا نَفْتَرِقُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، إِلَّا أَنْ يَذْهَبَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَى مَنْزِلِهِ، ثُمَّ يَتَوَبُّ إِلَى مَجْلِسِ لَنَا نَتَذَكَّرُ فِيهِ أَيَّامَ الْعَرَبِ، وَفُتُونُ الْأَحَادِيثِ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَعَنَا فِي الْمَجْلِسِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَقَبِيصَةُ بْنُ دُوَيْبٍ، فَكُنْتُ لَا أَجِدُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا أَجِدُ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فِي اتِّسَاعِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَتَصَرُّفِهِ فِي فُتُونِ الْعِلْمِ، وَحُسْنِ اسْتِمَاعِهِ إِذَا حَدَّثَ، وَحَلَاوَةِ لَفْظِهِ إِذَا حَدَّثَ، فَخَلَوْتُ مَعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَجَدَلٌ لِمَا أَشَاهِدُ مِنْ كَثْرَةِ تَصَرُّفِكَ، وَحُسْنِ حَدِيثِكَ، وَإِقْبَالِكَ عَلَيَّ جَلِيسِكَ، فَقَالَ لِي: إِنَّكَ إِنْ تَعِشَ قَلِيلًا، فَسَتَرَى الْعُيُونَ إِلَيَّ طَامِحَةً، وَالْأَعْنَاقُ إِلَيَّ قَاصِدَةً، وَالرِّجَالُ قَدْ وَطِئَتْ عَقْبِي، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَدْرَكْتَنِي لِأَكْرِمَتِكَ وَلَا مَمْلَأَنَّ يَدَيْكَ، فَوَلِيَّ مَا وَلِيَّ، وَأَدْرَكَ مَا أَدْرَكَ، فَوَاللَّهِ مَا تَأَقَّتْ إِلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا هُوَ فِيهِ نَفْسِي، وَلَا تَطَّلَعْتُ، حَتَّى وَوَلِدَ لِي غَلَامٌ فَأَشْهَرَ لَيْلِي الْإِهْتِمَامَ وَالْإِعْتِمَامَ بِأَمْرِهِ لَيْلًا يَبْقَى بَعْدِي إِذَا مِتُّ قَلِيلَ الْوَفْرِ. فَتَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ وَنَفْسِي مُتَعَلِّقَةٌ بِبَنِي، لَيْسَ لَيْلِي بَلِيلٌ، وَلَا نَهَارِي

بِنَهَارٍ. يَا أَخَا بَنِي لَيْثٍ فَمَا تَرَى وَمَا تُشِيرُ؟ قَالَ: تَقَدَّمْ عَلَيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ، مَلِكِ الْأَفَاقِ، فَإِنْ عَرَضَ عَلَيْكَ حَاجَةٌ، فَلَا يَكْبُرَنَّ فِي عَيْنِكَ أَنْ تَسْأَلَهُ كَثِيرًا، فَإِنَّ الْمَانِعَ وَالْمُعْطِيَ اللَّهُ جَلُّ وَعَزُّ، فَرُبَّمَا خَرَجَتِ الرَّغَائِبُ مِنْ يَدِ الْبَحِيلِ وَمِنْ الْجَوَادِ بِالْقَلِيلِ. قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ لِسَانُكَ عَبْرَ عَنْ قَلْبِي مَا عَدَا مَا قُلْتَ. قَالَ غَزْوَةٌ: فَتَسَائِرُنَا أَيَّامًا وَلَيَالٍ مَا يَكْرَهُ عَلَيَّ حَدِيثًا وَلَا بَيْتًا مِنْ شِعْرِ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِأَحَادِيثِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا وَأَيَّامِهَا. فَقَالَ لِي: مَنْ أُقَدِّمُ وَاللَّهِ عَلَيْهِ غَدَا أَعْلَمُ مِنِّي. وَاللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا خَلَجٌ مِنْ بَحْرِهِ، وَأَيْنَ يَقَعُ الْحَقُّ الضَّمِيلُ عِنْدَ مُحَاطَرَةِ الْقُرُومِ الْقَيَّاسِرَةِ وَالْفُحُولِ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَنْ تَعْنِي؟ قَالَ: عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ. قُلْتُ: وَإِنَّهُ عِنْدُكَ لَكَذَلِكُ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ عِنْدَ كُلِّ مَنْ عَلِمَ شَيْئًا مِنْ أَوْلِيَّةِ الْعَرَبِ. قَالَ غَزْوَةٌ: فَبَيْنَا هُوَ يَبْسُرُ لَيْلَةً، وَأَنَا مَعَهُ إِذْ لَحِقْنَا أَعْرَابِيَّ عَلَيَّ فَعُودَ لَهُ، وَهُوَ يُنْشِدُ شِعْرًا وَيَتَرْتَمُّ بِهِ، يَقُولُ:

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الْقَرِيبُ مَزَارَهُ سَقَيْتَ أَلْمَ يُخَزِنُكَ مِنْ أَهْلِكَ الْهَجْرُ
فَمَا كَانَ هِجْرَانِيكَ مِنْ حَدَثِ الْقَلَى وَلَكِنَّ هِجْرَانِيكَ فِي صَرْفِهِ عَذْرُ
قَالَ غَزْوَةٌ: فَقَالَ صَاحِبِي: أَعِدْ وَيْحَكَ كَيْفَ قُلْتَ:

فَمَا كَانَ هِجْرَانِيكَ مِنْ حَدَثِ الْقَلَى وَلَكِنَّ هِجْرَانِيكَ فِي صَرْفِهِ عَذْرُ
فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ: وَيْحَكَ مَنْ قَائِلُ هَذَا الشِّعْرِ؟ قَالَ: الَّذِي يَقُولُ:

وَأَكْثَرُ وَجَدِ ابْنِ الْغَرِيزَةِ أُمَّهُ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ عَضُّ بِهِ الدَّهْرُ
فَأَصْبَحَ مَالُوسًا تَعَادَتْ هُمُومُهُ عَلَيْهِ فَأَشْجَتْهُ وَضَاقَ بِهِ الصَّدْرُ
فَبَاحَ وَأَبْدَى الدَّمْعُ مَا فِي ضَمِيرِهِ مِنَ الْوَجْدِ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

قَالَ: وَيْحَكَ مَنْ هُوَ؟ قَالَ: كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْغَرِيرَةِ، أَحَدُ بَنِي صَخْرِ بْنِ نَهْشَلٍ. قَالَ غَزْوَةٌ: وَهُوَ الْقَائِلُ:

نَأْتُكَ أَمَامَةً نَأْيًا جَمِيلًا وَبُدِّلْتَ بِالْقُرْبِ نَأْيًا طَوِيلًا
وَحَالَ أَبُو حَسَنِ دُونَهَا فَمَا تَسْطِيعُ إِلَيْهَا سَبِيلًا
فَإِنَّ الشُّبَابَ لَهُ لَذَّةٌ وَلَا بُدَّ لَذَّتُهُ أَنْ تَزُولَا
طَعْمَانُ الْكُمَاةِ وَرَكُضُ الْجِيَادِ وَقَوْلُ الْحَوَاضِنِ وَيْلًا وَيْلًا

لَعَمْرُ أَبِيكَ فَلَا تُكَذِّبِي لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ إِلَّا قَلِيلًا
لَقَدْ فُتِنَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَا ابْنُ عَفَّانٍ شَرًّا طَوِيلًا
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ. قَالَ عَزْوَةٌ: فَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَنَا وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْهُ حِينَ أَقُولُ:
وَهُمْ عَرَانِي فَعَدَّتْهُ بِنَاجِيَةٍ تَسْتَحْفُ الذَّمِيلَا
وَتَمْشِي أَحْتِيَالًا إِذَا مَا مَشَتْ كَمَا يَخْطِرُ الْفَحْلُ سَامِي الْفُحُولَا
تَجُوبُ الْمَهَامَةَ حَطَّارَةً إِذَا مَا الْوُحُوشُ أَرَدْنَ الْمَقِيلَا
تَمَطَّتْ بِرَحْلِي مُزَوَّدَةً تُبَادِرُنِي أَنْ أُمِدَّ الْجَدِيلَا
وَتُصْبِحُ وَالسَّيْبُ مَوْضُوعَهَا وَإِنْ قُلْتُ عَاجَ رَمَتْ بِي دُلُولَا
مُضْبِرَةُ الْخَلْقِ مَشْهُومَةٌ أَمَاجُ النَّوَاعِجِ تَهْوَى نُسُولَا
تَكَادُ تُقَطِّعُ أَنْسَاعَهَا إِذَا مَا أَزْلَمْتُ وَتَرَمَدُ حُولَا
إِلَى مَلِكٍ مِنْ بَنِي غَالِبٍ يَمُدُّ إِلَيَّ الْمَجْدَ بَاعًا طَوِيلَا
إِمَامٌ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَصْبَحَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ تَجِدُ الرَّحِيلَا
وَمَنْ عَزَّ بِالْحَزْمِ أَهْلَ الْهُدَى وَأَضْحُوا إِلَيْهِ تُبَاتِ حُلُولَا
يُرْجَوْنَ مِنْ سَيِّبِهِ نَفْحَةً يُعِيشُ بِهَا اللَّهُ قَوْمًا كُلُولَا

قَالَ عَزْوَةٌ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: سَقَطَتْ مِنَ سَقَطَاتِ الرَّجُلِ وَهَفْوَةٌ وَرَلَّةٌ حِينَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَمْ أَرَ شِعْرَهُ هَذَا شَيْئًا، وَلَمْ يَرِ مِنِّي اِزْتِيَاحًا، وَلَا تَعَجُّبًا. قَالَ: يَا أَخَا بَنِي لَيْثٍ، لَسْتُ أَعْنِي أَشْعَرَ مِنْهُ فِي شِعْرِي هَذَا، إِنِّي قَدْ أَعْرَفْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ تُبْصِرُ الشَّعْرَ وَتَعْرِفُهُ. فَهَلْ رَأَيْتَ شِعْرًا اِزْتَجَلَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِلَا رَوِيَّةٍ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ مَا أَقُولُ، إِنِّي لَطَبْتُ بِمَا يُقْبَلُ فِيهِ الرِّجَالُ، وَإِنِّي لِأَنَا الَّذِي أَقُولُ فَأَسْمِعْ. هَلْ تَرَى خِلْدًا؟ قُلْتُ: هَاتِ، فَوَاللَّهِ لَنْ تَزِيدَنِي فِي نَفْسِكَ إِلَّا رَغْبَةً مُنْذُ صَحْبَتِكَ. وَلَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا هَفْوَةٌ مِنْكَ. فَوَجَدْتُكَ عَالِمًا بِهَا. قَالَ: ثُمَّ أَنشَدَنِي شِعْرًا، قَالَ: قُلْتُهُ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً، وَأَنَا غَلَامٌ حِينَ رَاهَقْتُ الْخُلْمَ:

أَمْحَرِمِي الْمَوْتُ ابْنَ عَمْرٍ فَذَاهِبٌ بِنَفْسِي وَلَمْ أَتْرُكْ حُصِينًا مُجَدَّلًا

يَنُوءُ فَلَا يَسْطِيعُ نَهْضًا وَقَدْ حَشَتْ
 جَزَى اللَّهُ مَا أَوْلَى حُصَيْنًا عَشِيرَتِي
 أَخِي دُونَ إِخْوَانِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
 سَعَى الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا فَتَرَكْتُهُ
 وَإِنْ يَكُ رَبُّ الدَّهْرِ أَرْدَى ابْنَ خَالِدٍ
 فَرُبُّ يَدِ بَيْضَاءَ أَسْدَى ابْنَ خَالِدٍ
 حِفَاطًا وَإِكْرَامًا فَأَوْدَتْ بِلُبِّهِ
 فَعَيَّرَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ خَالِدٍ
 يَدِي جَوْفَهُ أَضْمَى الْمَعَالِمَ مُنْحَلًا
 وَكُلُّ حُصَيْنٍ لِلِهَاتِ مُؤَمَّلًا
 وَحِصْنٌ إِذَا مَا خِفْتُ أَمْرًا مُعْضَلًا
 بِفِيهِ وَلَمْ أَحْفَلْ لِذَلِكَ مَحْفَلًا
 وَكَانَ مُعَمًّا فِي الْكِرَامِ وَمُحْوَلًا
 إِلَيَّ وَنَابٍ قَدْ تَعَدَّاهُ أَغْصَلًا
 مُهْفَفَةً الْكُشْحَيْنِ تَرْمِي الْمُقْتَلًا
 هَوَى غَالِبٌ أَعْيَا الرَّجَالَ وَعَيَّلًا

قَالَ عُرْوَةُ: فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ قُلْتَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ؟ قَالَ: أَخْبِرَكَ وَلَا أَكْذِبُكَ. كُنْتُ
 وَحُصَيْنُ بْنُ خَالِدِ ابْنِ عَمِّي دَيْتَةٌ لَا يَجْرِي الْمَاءُ بَيْنَنَا صَفَاءً، وَلِي ابْنَةٌ عَمِّ أُحِبُّهَا، وَقَدْ
 سَمَّيْتُ لَهَا، وَسَمَّيْتُ لِي، فَلَبِثْتُ أَنْتَظِرُ أَنْ أُصِيبَ لَهْوَةً مِنْ مَالٍ فَأَتَزَوَّجَهَا وَأُبْنِي بِهَا.
 فَأَقْبَلَ الْحُصَيْنُ عَلَيَّ أُمِّهَا فَخَدَعَهَا وَعَطَفَ لُبِّهَا عَنِّي. حَتَّى غَلَبَتْ زَوْجَهَا فَرَوَّجَهُ ابْنَتَهُ،
 فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَبْتَنِي بِهَا، قَعَدْتُ لَهُ فَرَمَيْتُهُ بِسَهْمٍ. فَوَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ أَصَابَهُ،
 وَهَوَى فِيهِ كَأَنَّهُ مَاتَ مِنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَخَذْتُ فَحَبِسْتُ. فَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ هُوَ الْعَامِلُ لِي
 فِي أَمْرِي وَالْمُسْتَخْرَجُ لِي مِنَ الْبَلْبَلِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا. وَيَعْلَمُ الرَّبُّ عِلْمًا صَادِقًا أَنِّي إِنَّمَا
 أَرَدْتُ أَنْ أَدْعُرَّهُ، وَلَمْ أَرِدْ قَتْلَهُ. فَمَضَى الْقَدْرُ السَّابِقُ وَأَعَزَّرَ عَلَيَّ بِمُضْرَعِهِ. وَاللَّهِ إِنْ كَانَ،
 يَرْحَمُهُ اللَّهُ، لَوْ سِيمَا، جَمِيلًا نَبِيلًا، وَإِنِّي لَعَلَى خِلَافِهِ، وَإِنَّ عُدْرَ ابْنَةَ عَمِّي فِي اخْتِيَارِهَا
 إِيَّاهُ عَلَيَّ لَبَيِّنٌ وَاضِحٌ. أَنَا كَمَا قَدْ تَرَى، وَقَدْ أَخْبَرْتُكَ عَنِ ابْنِ عَمِّي مَا سَمِعْتُ. قَالَ
 عُرْوَةُ: فَتَبَسَّمْتُ. قَالَ: الْحَقُّ وَاللَّهِ قُلْتُ. فَإِنْ شِئْتَ فَاضْحَكْ، وَإِنْ شِئْتَ فَاكْفُفْ، فَإِنَّ اللَّهَ
 صَادِقٌ يُحِبُّ الصِّدْقَ وَأَهْلَهُ، وَيَبْغِضُ الْكُذْبَ وَأَهْلَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّجُلَ اللَّيِّبَ أَعْلَمُ بِعَيْنِيهِ
 مِنْ غَيْرِهِ، فَإِنِّي وَاللَّهِ وَإِنْ أَقْحَمْتَنِي عَيْنُكَ، وَنَبَتْ عَنِّي كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ. هَلْ تَدْرِي مَنْ هُوَ؟
 قُلْتُ: لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا. قَالَ: عَجَلْتُ، وَمِنْ عَجَلَةٍ خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا. قُلْتُ: هَاتِ. قَالَ:
 أَغْرَكُمُ أَلِّي بِمَعْرُوفِ شِيْمَتِي رَفِيقٌ وَأَلِّي بِالْفَوَاحِشِ أَحْرَقُ
 وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يُجْزَ أَحْسَنَ سَعِيهِ تَكَلَّمُ نِعْمَاهُ بِفِيهَا فَيَنْطِقُ

قَالَ عُرْوَةُ: فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: حَاجِبُ بِنِ زَرَارَةَ. قَالَ: قُلْتُ: الدَّارِمِيُّ، قَالَ: فَقَالَ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَنْ بِحَاجِبٍ لِعَنَى عَنْ دَارِمٍ. وَاللَّهِ إِنَّهَا مِنْكَ لَهْفَوَةٌ حِينَ جَهَلْتَهُ حَتَّى تَنْسِبَهُ إِلَيَّ دَارِمٌ أَكْذَاكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: الصَّدُقُ خَيْرٌ عَاقِبَةٌ. ثُمَّ انْقَطَعَ حَدِيثُنَا، وَقَدِمْنَا الشَّامَ، فَأَعْوَزَنَا الْإِذْنُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَمَكَّنْنَا لِيَالِي ثُمَّ مَرَّ أَبُو الزُّعَيْرِ عَمَهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ. فَقَالَ أَبُو الزُّعَيْرِ عَمَهُ: أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِأَمْرِي ظَهَرَ لَنَا جَفَاؤُهُ، وَقَلَّ وَفَاؤُهُ. قَالَ: هَيْه، الْآنَ هُوَ سُلْطَانٌ. وَلَا نَصْفَةَ لِي مِنْهُ. فَدَخَلَ، فَلَا أَظُنُّهُ وَصَلَ حَتَّى قِيلَ: الصُّحَّاكُ بِنُ عُمَارَةَ الْعَدَوِيُّ، فَقُلْتُ: لَا تَنْسَ أَخَاكَ. قَالَ: إِنِّي كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ الْقَبِيحُ الشَّحِيحُ الْقَلِيحُ. فَمَا أَظُنُّهُ زَادَ عَلَى السَّلَامِ حَتَّى دُعِيْتُ: أَيَّنَ عُرْوَةَ بِنُ يَعْمُرَ؟ قَالَ: فَدَخَلْتُ وَإِنَّهُ لَبَارِكُ بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ اسْتَحْسَنَ شِعْرًا لَهُ يُنْشِدُهُ، وَقَدْ أَدِنَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي إِنْشَادِهِ إِيَّاهُ، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ بِيَدِهِ عَلَيَّ، وَالْحَمْدُ فِي النَّظْرِ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِمَاعِ مِنْهُ، فَزَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ الصُّحَّاكُ، ثُمَّ قَالَ: أَعْقِبْ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَجُلٌ، وَأَيُّ رَجُلٍ لِدُنْيَا وَآخِرَةٍ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: دَعْ عَنَّا ابْنَ يَعْمُرَ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ. هُوَ رَجُلٌ نَفْسِهِ. قَالَ عَاصِمٌ: قَالَ الْمُتَوَكَّلُ: فَحَدَّثَنِي أَبِي عُرْوَةَ بِنُ يَعْمُرَ، فَحَفِظْتُ مِنْ شِعْرِهِ الَّذِي أَنْشَدَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِنَ مَرْوَانَ:

وَإِنْ لَا أَمْتٌ أَشْهَدُ سَوَابِقَ غَارَةٍ
بِكُلِّ رُدَيْنِي كَأَنَّ سِنَانَهُ
فَكَمْ رَوْقَةٍ بَيْنَ بَيْضَاءَ دُنْسَتْ لَوْنَهَا
وَرَدَتْ بِهَا بَيْضَاءَ ثُمَّ رَدَدَتْهَا
سَقَاهَا فَرَوَاهَا مِنَ الدَّمِّ فَانْطَوَتْ
عَلَى عَلَقٍ فِي ثَعْلَبٍ مُتَهَضِّمٍ

قَالَ: فَأَمَرَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ، وَكَتَبَهُ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَمَلَأْتُ يَدَيْكَ. قَالَ: وَإِنَّكَ لَتَذَكُرُ يَوْمَ يَوْمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَقَدْ أَعْمَلَنِي إِلَيْكَ^(١).

حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ: إِنِّي وَفَيْتُهُ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ قَيْتَةَ مِنْ قِيَانَ

(١) انظر: تاريخ المدينة لابن شبة (٤/١١٩٦).

الْمَدِينَةِ، وَمَعَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، إِذِ اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، فَكَرِهْنَا دُخُولَهُ، وَشَقَّ عَلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيَسْرُكُمُ أَلَا يَجْلِسُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَرَوْهَا إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ، رَفَعْتُ عَقِيرَتَهَا تُعْنِي:

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُعْشُونَ حَتَّى مَا تَهْرَأُ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

قَالَ: فَوَاللَّهِ بَكَى حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيَلْفِظُ نَفْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُفِيكُمُ الْفَاسِقُ؟ لَعَمْرِي لَقَدْ

كَرِهْتُمْ مَجْلِسِي^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَثْرَمُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: وَفَدَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةَ: مَا نُطْعِمُكَ يَا ابْنَ حَسَّانٍ؟ قَالَ: سَمَكًا. قَالَ: فَمَا نَسْقِيكَ؟ قَالَ: سَوِيْقًا. فَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَهْتَمِ، وَكَانَ حَاضِرًا: إِنَّ السَّوِيْقَ مَعَ الصَّحْنَاءِ مَضْرُطَّةٌ لِلْأَكْلِيِّينَ. وَبِشِّ الْمَطْعَمِ السَّمَكِ. كَانَ نُعَيْمٌ رَجُلًا جَمِيلًا، فَأَجَابَهُ ابْنُ حَسَّانٍ:

قُلْ لِلَّذِي كَادَ لَوْلَا حَطُّ لِحْيَتِهِ يَكُونُ أُنْثَى عَلَيْهَا الْوَدْعُ وَالسَّمَكُ
أَمَّا الْفَخَامَةُ أَوْ خَلْقُ الرَّجَالِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ مِنْهُ لَوْ أَنَّ اللَّبَّ مُحْتَنِكُ
هَلْ أَنْتَ إِلَّا فَتَاةُ الْحَيِّ مَا لَبَسُوا أَمْنَا وَأَنْتَ إِذَا مَا حَارَبُوا دَعَكَ
لَا تَحْسَبْنِي كَأَقْوَامٍ غَمَزْتَهُمْ غَمَزَ الضَّعِيفِ فَمَا أَعْطُوا وَمَا تَرَكَوا

دَخَلَ الْمَدْنُوبُ الْهَمْدَانِي مِنْ وَدَاعَةَ هَمْدَانَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعِيُّ: وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَعْنًا شَرِيْرًا، هَجَاءَ لِلنَّاسِ، مُبْتَدِيًّا لَهُمْ. فَقَالَ لِلْمَدْنُوبِ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. فَاعْتَمَرَ فِيهِ، فَقَالَ: أَمِيرَانَانِ مِنْ شُوْمٍ وَلُوْمٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ عَدْلٌ قَبُوخُ
فَقَالَ لَهُ الْمَدْنُوبُ:

جُدَامٌ نَازِلٌ بِكَ غَيْرَ شَكِّ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ بَرَصٌ يَلُوخُ

(١) انظر: تاريخ دمشق (٣١٥/١٧)، وتاريخ ابن خلدون (٣٣٣/٢).

قَالَ: أَنْتَ الْمَذْنُوبُ؟ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَيَقَالُ. قَالَ: إِنِّي عَائِدٌ بِكَ^(١).

حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ إِلَى قُبَاءٍ، فَسَمِعَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَتَغَنَّى فِي رَأْسِ عَدْقٍ، يَقُولُ:

لَنَا فَرْعُهَا الْأَعْلَى وَطِيبُ ثُرَابِهَا وَدَارُ بَنِي النَّجَّارِ قَاصِيَةٌ وَعُلُ
فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ:

كَذَبْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ مَعْشَرٌ أَهْلُ حَرَّةٍ نَفَوْكُمْ وَحَلَّوْا بِالذَّمَّاتِ وَبِالسَّهْلِ
أَبَوْا وَاسْتَعَفَوْا أَنْ يُرَى بِجِلْدِهِمْ نُذُوبٌ فَبَاعُوا السَّقْيَ بِالْحَلَّةِ الْبُعْلِ

- حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنِ الْهَيْثِمِ، عَنِ ابْنِ دَأْبٍ، قَالَ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَّانٍ كَانَ يُسَبِّبُ بِابْنَةِ مُعَاوِيَةَ، وَيَذْكُرُهَا فِي شِعْرِهِ، فَقَالَ النَّاسُ لِمُعَاوِيَةَ: لَوْ جَعَلْتَهُ نِكَالًا؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةَ: لَا، وَلَكِنِّي أَذَاهِيهِ بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَذِنَ لَهُ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي أُخْرِيَاتِ النَّاسِ، فَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِهِ مَعَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فُلَانَةً، لابْنَةَ لَهُ أُخْرَى، عَاتِيَةٌ عَلَيْكَ. قَالَ: وَفِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مَدْحِكَ أُخْتِهَا وَتَرْكِهَا، قَالَ: فَلَهَا الْعُتْبَى وَكَرَامَةُ، أَنَا ذَاكِرُهَا، وَمُمْتَدِحُهَا، فَلَمَّا فَعَلَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ النَّاسَ، قَالُوا: قَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّ تَشْيِيبَ ابْنِ حَسَّانٍ بِابْنَةِ مُعَاوِيَةَ لَشَيْءٌ، فَإِذَا ذَلِكَ عَنْ رَأْيِ مُعَاوِيَةَ وَأَمْرِهِ^(٢).

حَدَّثَنِي الْأَثَرُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّةَ التَّمْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الْفَرَزْدَقِ، قَالَ: كُنَّا فِي ضِيَاغَةِ مُعَاوِيَةَ، وَمَعَنَا كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ التَّغْلِبِيُّ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ حَسَّانٍ قَدْ فَضَحَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ، وَعَلَبَهُ، وَفَضَحَنَا، فَاهْجُ الْأَنْصَارَ، قَالَ لَهُ: أَرَادِي أَنْتَ فِي الشُّرُوكِ؟ أَهْجُوا أَقْوَامًا نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَوَّوْهُ، وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى غُلَامٍ مِنَّا نَصْرَانِي لَا يُبَالِي أَنْ يَهْجُوهُمْ، كَأَنَّ لِسَانَهُ لِسَانُ ثُورٍ. قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قُلْتُ: الْأَحْطَلُ. فَدَعَا فَأَمَرَهُ بِهِجَاتِهِمْ. قَالَ: عَلَى أَنْ تَمْنَعَنِي. قَالَ: نَعَمْ^(٣).

(١) انظر: الشعر والشعراء (١/١٣٧)، والمفصل في تاريخ العرب (٥٦/١٥).

(٢) انظر: الأغاني (١٥/١١٠).

(٣) انظر: البيان والتبيين (١/١٧٢).

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ يُشِيبُ بِرَمْلَةَ بِنْتِ مُعَاوِيَةَ، فَأَمَرَ يَزِيدَ كَعْبَ بْنَ جُعَيْلٍ أَنْ يَهْجُوهُ فَدَلَّهُ عَلَى الْأَخْطَلِ. وَقَالَ غَيْرُ الْمَدَائِنِيِّ: لَمَّا غَلَبَ ابْنُ حَسَّانٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ، دَسَّ مُعَاوِيَةَ ابْنَهُ يَزِيدَ إِلَى الْأَخْطَلِ، فَأَمَرَهُ بِهَجَائِهِمْ، فَهَجَاهُمْ، فَقَالَ:

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالسَّمَاخَةِ وَالنَّدَى
قَوْمٌ إِذَا هَدَرَ الْعَصِيرُ رَأَيْتَهُمْ
وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الْأَنْصَارِ
وَإِذَا نَسَبْتَ ابْنَ الْفَرِيعَةِ خَلْتَهُ
حُمْرًا غُيُوثُهُمْ مِنَ الْمُسْطَارِ
كَالْجَحْشِ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَحِمَارِ
فَرَدَّ عَلَيْهِ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ:

أَبْلَغُ قَبَائِلِ تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلِ
فَاللُّؤْمُ فَوْقَ أُتُوفِ تَغْلِبَ بَيْنِ
مَنْ بِالْفِرَاتِ وَجَانِبِ الثَّرَائِرِ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ:

عَذَرْتُ بَنِي الْفَرِيعَةِ أَنْ هَجَوْتَنِي
أَفِيحِجُ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ شَنْ
فَمَا بِالِي وَبِأَلِ بَنِي بَشِيرِ
شَدِيدُ الْقَصْرَيْنِ مِنَ السُّحُورِ

قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ بَنِي النَّجَّارِ قَوْلُ الْأَخْطَلِ، خَرَجَ وَفَدَّ مِنْهُمْ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، وَضَعُوا عَمَائِمَهُمْ، وَقَالُوا: أَتَرَى لَوْمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَاسْتَعَدُّوا عَلَى الْأَخْطَلِ، فَقَالَ: لَكُمْ لِسَانُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَزِيدُ أَجَارَهُ، وَدَسَّ إِلَى يَزِيدَ فَأَجَارَهُ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ يَزِيدُ:

دَعَا الْأَخْطَلُ الْمَلُوفُ بِالشَّرِّ دَعْوَةً
فَفَرَجَ عَنْهُ مَشْهَدَ الْقَوْمِ مَشْهَدِي
فَأَيُّ مُجِيبٍ كُنْتُ لَمَّا دَعَانِيَا؟
وَأَلْسِنَةُ الْوَأَشِينِ عَنْهُ لِسَانِيَا^(١)

قَالَ: وَكَانَ أَشَدَّ الْقَوْمِ عَلَى الْأَخْطَلِ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، يَقُولُ الْأَخْطَلُ:
أَبَا خَالِدٍ دَافَعْتَ عَنِّي عَظِيمَةً
وَأَدْرَكْتَ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا

وَأَطْفَاتٌ عَنِّي نَارَ نُعْمَانَ بَعْدَمَا
 وَقَالَ ابْنُ حَسَّانٍ يَعْني مُعَاوِيَةَ:
 أَلَا مَنْ رَسُولِي أَصْلَحَ اللَّهُ بِأَلِهِ
 يُبَلِّغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةَ
 فَيُخْبِرُ فِيهَا أَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 وَأَنْ يَزِيدَ لَيْسَ يَطْلُبُ عِنْدَنَا
 وَأَنْ يَزِيدَ كَانَ فِي مُتَّزِهِ
 رِجَالٌ أَصِحَاءُ الْجُلُودِ مِنَ الْخَنَا
 فَلَا تَجْعَلْنَا لُغَبَةً لِقَطِينِهِ
 وَأَنْيَ مِمَّا أَحْمَدُ الْحَرْبَ تَارَةً
 وَأَغْدُ لِأَمْرِ فَاجِرٍ وَتَجَرُّدًا
 وَأَعْطِي مِنَ الْحَاجَاتِ مَا كَانَ يَطْلُبُ
 تَنَحَّلَهَا مُمْلٍ وَأَخْرُ يُكْتَبُ
 أَوْاصِرَ لَا تُرْعَى وَلَا هِيَ تُقْرَبُ
 كِتَابًا وَلَا حَقًّا وَذُو الْحَقِّ يَطْلُبُ
 وَفِي مَعَزَلٍ عَمَّا تُدَاوِلُ تَغْلِبُ
 وَالسِّتَةُ مَعْرُوفَةٌ أَيَّنَ تَذْهَبُ
 فَيَعْلَمُ إِنْ عِشْنَا بِمَا كَانَ يَلْعَبُ
 وَأُحْمَلُ أَحْيَانًا عَلَيْهَا فَارْكَبُ^(١)

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عَيْسَى بْنِ شِهَابٍ، وَحَدَّثَنِي
 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ
 الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ أَنْ يُهَاجِيَ النَّجَاشِيَّ، قَالَ لَهُ أَبُوهُ: هَلُمَّ
 فَأَنْشِدْنِي مِنْ شِعْرِكَ، فَإِنَّكَ تَهَاجِي النَّجَاشِيَّ أَشْعَرَ الْعَرَبِ، فَأَنْشَدَهُ، فَأَهْوَى حَسَّانٌ إِلَى
 شَيْءٍ خَلَفَهُ فَعَلَاهُ ضَرْبًا، ثُمَّ قَالَ: يَا عَاظُ بَطْرُ أُمِّهِ أَبْهَذَا تَهَاجِيهِ؟ أَذْهَبَ، فَقُلْتُ ثَلَاثَ
 قِصَائِدَ قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ. قَالَ: فَقَالَ ثَلَاثَ قِصَائِدَ، ثُمَّ جَاءَ فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ حَسَّانٌ: يَا
 بُنَيَّ أَذْهَبَ فَابْسُطِ الشَّرَّ عَلَى ذِرَاعَيْكَ، قَالَ: يَا أَبُة مَا هَذِهِ وَصِيَّةُ يَعْقُوبَ بَيْنِي، وَقَامَ، فَقَالَ
 حَسَّانٌ: يَا بُنَيَّ، مَا أَبُوكَ مِثْلُ يَعْقُوبَ، وَلَا أَنْتَ مِثْلُ بَنِي يَعْقُوبَ، اعْمَدْ إِلَى امْرَأَةٍ لَطِيفَةٍ
 بَأُخْتِ النَّجَاشِيَّ فَمُرْهَا فَلْتَصِفْهَا لَكَ، وَاجْعَلْ لَهُ جُغَلًا، فَفَعَلَ، فَوَصَفَتْ لَهُ أَشْيَاءَ ذَكَرْتُ
 خَالًا وَسَامَةً، وَقَالَ: فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى هَبَطَ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ مَنَى، قِيلَ لَهُ:
 إِنَّ هَهُنَا نَفَرًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ إِخْوَةٌ مُطَاعِينَ فِي قَوْمِهِمْ، فَخَرَجَ إِلَى أَمِهِمْ يُكَلِّمُهَا، وَانْتَسَبَ
 لَهَا، وَذَكَرَ الَّذِي أَرَادَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ: قَوْمُوا مَعَ هَذَا الرَّجُلِ وَكَلِّمُوا بَنِي عَمِّكُمْ

(١) انظر: البيان والتبيين (٤٨/١).

مَنْ يَقُومُ مَعَهُ، فَفَعَلُوا وَجَعَلُوا لَهُ غَبِيطًا عَلَى نَجِيْبَةٍ، وَجَعَلُوا فَوْقَ الْغَبِيْطِ رَجُلًا، فَجَاءَ مُشْرِفًا عَلَى النَّاسِ، وَجَاءَ النَّجَاشِيُّ عَلَى فَرَسٍ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا النَّجَاشِيُّ عَلَى جَمَّازٍ فَرُّ ابْنِ حَسَّانٍ بِذِي الْمَجَازِ
وَرَاغَ لَمَّا سَمِعَ ارْتِجَازِي رَوْغَ الْحُبَارَى مِنْ حَوَاتِ الْبَازِ
وَقَالَ ابْنُ حَسَّانٍ:

يَا هِنْدُ يَا أُخْتَ النَّجَاشِيِّ اسْلَمِي هَلْ تَذْكُرِينَ لَيْلَةَ بِياضِمْ
وَلَيْلَةَ أُخْرَى بَجَوِّ الْحَرَمِ وَالشَّامَةَ السُّودَاءَ بِالْمَخْدَمِ

وَالْحَالِ بِالْكَشْحِ اللَّطِيفِ الْأَهْضَمِ

فَانْكَسَرَ النَّجَاشِيُّ لِصَفْتِهِ، وَقَالَ النَّجَاشِيُّ:

سَتَأْتِي الْيَهُودِيُّنَ حَسَّانَ وَابْنَهُ قَصَائِدُ لَمْ يَحْتَمِ عَلَيْهِنَّ رَوْشَمُ
لَعِينِ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَكَ ذِمَّةٌ وَمَا لَكَ مِنْ دِينٍ وَمَا لَكَ مَحْرَمُ
أَبُوكَ أَبُو سَوْءٍ وَعَمُّكَ مِثْلُهُ وَحَالَكَ شَرٌّ مِنْ أَبِيكَ وَالْأُمَّ
فَقَالَ ابْنُ حَسَّانٍ:

أَلَا تَرَوْنَ الْعَبْدَ إِذَا يَهْجُو مُضْرًا مِنَّا رَسُولَ اللَّهِ وَالْقَرْمَ غَمْرًا
وَقَالَ أَيْضًا:

أَشْهَدُ كُلَّ مُسْلِمٍ شَهَادَةً مَنْ لَا يَبِيعُ دِينَهُ تَلَادَةً
مَا بَيْنَ أَقْصَى ضَرْغَدٍ فَصَادَةً أَوْ مَلِكٍ تُلْقَى لَهُ أَسَادَةٌ^(١)

وَقَالَ النَّجَاشِيُّ لِقُرَيْشٍ، وَكَانَ هَوَاهُمْ مَعَ ابْنِ حَسَّانٍ، وَيُقَالُ: بَلَى قَالَهَا حِينَ ضَرَبَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، الْحَدَّ بِالْكَوْفَةِ، وَنَفَاهُ عَنْهَا: ظَهَرَ النَّبِيُّ وَمَا قُرَيْشٌ وَسَطْنَا إِلَّا كَمِثْلِ قُلَامَةِ الظُّفْرِ

فَعَسَى فُرَيْشٌ أَنْ تَزِلَ بِهَا غَدًا نَعْلٌ فَتَقْسِمَهَا عَلَى ظَهْرِ

حَدَّثَنِي الْأَثْرُمُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: هَاجَ الْهَجَاءُ بَيْنَ النَّجَاشِيِّ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ كَانَتْ نَاكِحًا بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مَحْزُومٍ، كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ، فَكَانَ ابْنُ حَسَّانٍ يُشَبِّبُ بِهَا حَتَّى يَرِقًا ذَلِكَ، فَهَجَاهُ النَّجَاشِيُّ بَنَجْرَانَ، ثُمَّ إِنَّهُمَا اتَّعَدَا سُوقَ ذِي الْمَجَازِ وَكَانَتْ تَقُومُ حِينَ يَسْتَهْلُ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ، ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَمِنْهَا كَانَ يَسْجَهُرُ النَّاسُ، وَيَمْضُونَ إِلَى مَكَّةَ إِلَى الْمَوْسِمِ، قَالَ: فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ، وَأَنَا هُمْ ابْنُ حَسَّانٍ يَسْتَنْفِرُهُمْ، شَاعِرَانِ سَفِيهَانِ، يَهْجُونَ النَّاسَ وَيُحْيِيَانِ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمْ تَنْفَرْ مَعَهُ جَلْتُهُمْ، وَلَا ذُو أَسْنَانِهِمْ، وَخَفَ مَعَهُ شَبَابٌ مِنْ سَفَهَائِهِمْ، وَفَتِيَانٌ مِنْ فُرَيْشٍ، وَأَفْنَاءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. قَالَ عِيَاضُ بْنُ أَبِي وَقِيدٍ اللَّيْثِيُّ، وَكَانَ مَعَ ابْنِ حَسَّانٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا ذَا الْمَجَازِ، إِذَا النَّجَاشِيُّ قَدْ وَافَى فِي بَشْرٍ كَثِيرٍ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ حَسَّانٍ، سَأَلَ مَنْ أَعْرَضَ مَنْ هَهُنَا؟ قَالُوا: هَذِهِ بِلَادُ هَوَازِنَ، وَقَدْ نَزَلْنَا بَيْنَهُسْ بِنِ عَقَالِ الْعَقِيلِيِّ، قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ فَلَمْ نُصَادِفْهُ، وَوَجَدْنَا امْرَأَةً، فَسَأَلْنَاهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، انْطَلَقَ يَشْتَرِي كِسْوَةً لِأَهْلِهِ، قَالَ: فَفَعَدْنَا إِذَا الشَّيْخُ قَدْ أَقْبَلَ، وَمَعَهُ رَجُلٌ حَامِلٌ رُزْمَةً مِنْ ثِيَابٍ، وَفِي كَفِّ بَيْنَهُسْ أَثْوَابٌ كَأَنَّهُ يَشْتَدُّ بِهَا، وَإِذَا هُوَ ذَالِفٌ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَيْنَا وَضَعَ مَا مَعَهُ، وَرَحَّبَ بِنَا وَنَسَبَنَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَنَا ابْنُ حَسَّانِ بْنِ نَابِتٍ، فَرَحَّبَ بِهِ، وَقَالَ: حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ النَّجَاشِيَّ يَهْجُونَا، وَيُقَطِّعُ أَعْرَاضَنَا، فَوَاعِدْتُهُ، وَقَدْ وَافَى فِي بَشْرٍ كَثِيرٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَمْنَعَنِي حَتَّى أَلْفَاهُ، فَأَوَافِقُهُ. فَقَالَ: نَحْ هَذَا عَنِّي يَا ابْنَ أَخِي إِلَى غَيْرِي، فَقَدْ نَوَيْتُ الْحَجَّ وَأَرَدْتُ أَنْ لَا أُدْخِلَ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَهَا، قَالَ: وَلَعَلِّي لَا أَرَى حِجَّةَ بَعْدَهَا. قَالَ: فَطَلَبْنَا إِلَيْهِ فَأَبَى، فَأَنْصَرَفْنَا، فَلَمَّا جَاوَزْنَا سَمِعْنَا امْرَأَتَهُ، تَقُولُ لَهُ: كَأَنِّي بِهَذَا الْمُوَلَى قَدْ قَالَ لَكَ قَوْلًا لَا يُنْكِحُ بِنْتًا لَكَ كَفُوًّا أَبَدًا، أَتَاكَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَتَمَنَعَهُ فَنَبَوْتَ عَنْهُ. فَقَالَ لَهَا: وَيْحَكَ ادْعِيهِمْ فِدْعِينَا، فَرَجَعْنَا، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أَمْنَعُكَ فَمَتَى وَاعِدْتَهُ؟ قَالَ: بِالْغَدَةِ. قَالَ: فَعَدَوْنَا، وَجَاءَ النَّجَاشِيُّ عَلَى جِمَازٍ، وَجَاءَ بَيْنَهُسْ، فَلَمَّا تَنَاقَضَا، جَعَلَ بَيْنَهُسْ يَرَى أَبْصَارَ النَّاسِ إِلَى النَّجَاشِيِّ. وَقَدْ كَانَ كُلُّ سَمْعُهُ مِنَ الْكِبَرِ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ظَنَّهُ قَدْ غَلَبَهُ، فَقَالَ: أَذُنُونِي مِنَ النَّجَاشِيِّ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ: فَسُقُّ عَلَيْهِ، وَسَمِعَهُ يَقُولُ:

بَنَى اللُّؤْمُ بَيْنًا فَاسْتَقَرَّ عِمَادُهُ عَلَيكُمْ بَنِي النَّجَارِ ضَرْبَةَ لَازِمٍ

فَلَمَّا سَمِعَهَا كَلَّحَ، فَقَالَ: يَا آلَ هَوَازِنَ، فَلَمْ يَبَقْ بَيْتٌ وَلَا خَيْمَةٌ إِلَّا قُوِّضَتْ، وَلَمْ
أَرَ إِلَّا قَوَائِمَ جَمَلِ النَّجَاشِيِّ، وَأَفَلَتَ فَوَلَجَ فُسْطَاطًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ نَاحِيَّتِهِ، وَاتَّبَعُوهُ وَجَاءَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَارِبِ بْنِ الْأَسْوَدِ الثَّقَفِيِّ، عَلَى فَرَسٍ فَأَزْدَفَهُ. قَالَ: فَسَبَقَ بِهِ حَتَّى فَاتَ
الْقَوْمَ. فَقَالَ النَّجَاشِيُّ يَعْمُ الْأَنْصَارَ:

وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا كَأَبْنَاءِ نَهْشَلٍ وَآلِ فُقَيْمٍ قُتِلُوا وَمَجَاشِعُ
بِذَنْبِ سُؤْيِدٍ وَهَوٍ مِنْ آلِ دَارِمٍ لِزَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْأَمْرِ جَامِعُ
قَالَ: وَرَجَزَ بِهِ، فَقَالَ:

إِذَا دَعَوْتُ مَذْحِجًا وَحِمِيرًا وَالْعَصَبَ الِيمَانِيَّاتِ الْأَحْرَارَا

فَمَا أَعَزُّ نَاصِرِي وَأَكْثَرَا

قَالَ: وَاخْتَرَطَ رَجُلٌ مِنْ حِمِيرِ سَيْفَهُ، فَضَرَبَ بِهِ عِرْقُوبَ بَعِيرِ ابْنِ حَسَّانٍ، فَقَالَ
حِينَ كَسِرَ:

قَدْ شَمِتُوا حِينَ اسْتَحَفَّ حُلُومُهُمْ كَأَنْ فَتَى لَمْ يَنْكَسِرْ سَافَهُ قَبْلِي
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَرُونِي وَأَنْ أَرَى سَوِيًّا كَأَنِّي غُصْنُ بَانَ عَلَى نَجْلِ
وَأُمْسِي تَحِلَاتُ النَّجَاحِ مُجَازِيَا يُؤَدِّي أَهْلُ الْوُدِّ وَالْتَبَلُ بِالتَّبْلِ
كَأَنِّي أَخُو الْحَلَفَاءِ أَصْبِحُ غَازِيَا شَدِيدُ مَشَكِّ الرَّأْسِ جَهْمُ أَبُو شَبْلِ
تَبِيتُ بَعُوضُ الْجِدِّ يَعْرِفُنَ حَوْلَهُ كَعَرَفِ الْقِيَانِ الضَّارِبَاتِ عَلَى الطَّبْلِ
إِذَا أَنَا قَضَيْتُ الْأَمَانِيَّ خَالِيَا فَأَوْلَهَا التَّقْوَى وَمَشِيَّ عَلَى رِجْلِ
كَسِيرَتَهَا الْأُولَى وَذَلِكَ نَالَهَا إِذَا عُذَّتِ الْأَشْيَاءُ عِنْدِي فَمَنْ مِثْلِي
وَمَا أُنْسَ مِلَ الْأَشْيَاءِ لَا أُنْسَ مَصْرَعِي عَشِيَّةَ جَمْعِ وَالْمُعِيرُونَ فِي شُغْلِ
صَرِيعًا وَأَيْدِي السَّانِحَاتِ يُرْدَنِي كَمَا وَرَدَ الْيَعْسُوبَ رِجْلٌ مِنَ النَّحْلِ
فَأَذْرَكِنِي رَبِّي بِفَضْلٍ وَنِعْمَةٍ وَمَا زَالَ عِنْدِي ذَا بَلَاءٍ وَذَا فَضْلٍ

تُوْحِدُ بِالنُّعْمَى عَلَيَّ فَأَصْبَحَتْ مَصَائِبَهَا كَالثُّوبِ أَنْقِيَ بِالْفُغْلِ

حَدَّثَنِي أَشْبَاطُ بْنُ عَيْسَى الْغُدْرِيُّ، عَنْ أَشْيَاحِ قَوْمِهِ، قَالُوا: لَمَّا أُخْرِجَ بِهِدْبَةُ بْنُ
الْحَشْرَمِ، لِيُقْتَلَ، لَقِيَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ، فَقَالَ لَهُ مُتَعَتِّتًا لَهُ: يَا هُدْبَةُ أَنْشِدْنِي. قَالَ:
عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ هُدْبَةُ:

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الْأَمْرُ سَرَّنِي وَلَا جَارِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلَّبِ

وَلَسْتُ بِبَاعِي الشَّرِّ وَالشَّرُّ تَارِكِي

وَحَرَبِنِي مَوْلَايَ حَتَّى غَشِيَتْهُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: عَلِمْتَ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَتَكَ بَعْدَكَ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ
نَهَيْتُهَا عَنْكَ، حَيْثُ أَقُولُ:

لَا تَتَكْحِي إِنْ فَرَّقَ الْمَوْتُ بَيْنَنَا

ضَرُوبًا بِلَحْيِيهِ عَلَى عِظْمِ زُورِهِ

أَصَيْهَبَ لَا يُرْضِيكَ فِي الْحَيِّ جَالِسًا

يُقَالُ: رَجُلٌ بَلْتَعَانٌ إِذَا كَانَ يَكْثُرُ كَلَامَهُ بِالْمَحَالِ. لَمَّا وَصَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أُخْتِ
النَّجَاشِيِّ، انْكَسَرَ النَّجَاشِيُّ لِصَفَتِهِ، قَالَ: وَبَطَّحَ ابْنُ حَسَّانٍ عَنِ الرَّجْلِ فَسَقَطَ، فَانْكَسَرَتْ
رِجْلُهُ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ إِلَى حَسَّانٍ، فَقَالَ: قَدِمَ مُسَابِقُ الْحُجَّاجِ، قَالَ: فَأَخْبِرْ مَاذَا؟
قَالَ: التَّقَى ابْنُكَ وَالنَّجَاشِيُّ، قَالَ: فَأَيُّهُمَا غَلَبَ؟ قَالَ: غَلَبَهُ النَّجَاشِيُّ، فَاهْوَى حَسَّانٌ إِلَى
ذِكْرِهِ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا خَرَجَ إِذَا مِنْ هَذَا، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ. فَقَالَ
حَسَّانٌ يَهْجُو الْقَائِلَ الْهُدَيْلِيَّ:

فَمَنْ يَكُ بَيْنَ هُدَيْلِ الْحَنَا

صِفَارُ الْجَمَاجِمِ تُطُّ اللَّحَى

إِذَا وَرَدَ النَّاسُ حَوْضَ الرَّسُولِ

قَالَ: فَجَاءَتْهُ هُدَيْلٌ فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَأْتُونِي مَا زِلْتُ أَرْجُ بِهَمِّ حَتَّى

الْحَوْلِ. وَلَحَّ الْهَجَاءُ بَيْنَ النَّجَاشِيِّ وَحَسَّانٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرِ مِنْهَا:

بَنَى اللُّؤْمُ بَيْتًا فَاسْتَقَرَّ عِمَادُهُ عَلَيْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ ضَرْبَةً لَازِمًا
وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ بَيْتٌ آخَرَ:

لَوْ كَانَ عُدْرٌ مَهْلِكًا أَهْلَ قَرْيَةٍ مِنَ النَّاسِ أَفْنَى بَاقِيِ الخَزْرَجِ العُدْرُ

فَدَخَلَ بِهِمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ ضَرَّارٍ الجُشَمِيُّ عَلَى حَسَّانٍ، فَقَالَ يَا أَبَا الوَلِيدِ، أَمَا سَمِعْتَ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ أَهْدَى إِلَيْكُمُ النَّجَاشِيُّ، فَقَالَ: اغْرِضْهُمَا عَلَيَّ، فَفَعَلَ، فَأَنْشَأَ حَسَّانٌ، يَقُولُ:

يَا رَاكِبًا إِذَا عَرَضْتَ فَبَلِّغْنِ عَبْدَ المَدَانِ وَجُلَّ آلِ قَنَانِ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ أَصْلِبِي أَصْلُكُمْ حَتَّى أَمَرْتُمْ عَبْدَكُمْ فَهَجَانِي
وَقَالَ أَيْضًا:

أَبِي الحِمَّاسِ أَلَا مُرُوءَةٌ فِيكُمْ إِنَّ المُرُوءَةَ فِي الحِمَّاسِ قَلِيلُ
هَيَّجْتُمْ حَسَّانَ عِنْدَ ذَكَائِهِ غَيٌّ لِمَا وَلَدَ الحِمَّاسُ طَوِيلُ
وَقَالَ أَيْضًا:

حَارِبِينَ كَعَبٍ أَلَا الأَحْلَامُ تَزْجُرُكُمْ عَنِّي وَأَنْتُمْ مِنَ الجُوفِ الجَمَاحِيرِ
لَا عَيْبَ بِالقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عِظَمٍ جِسْمُ البِغَالِ وَأَحْلَامُ العَصَافِيرِ
دَعُوا التَّحَاجِيَّ وَأَمْشُوا مِثْيَةً سُجْحًا إِنَّ الرِّجَالَ أَوْلُو عَصَبٍ وَتَذْكِيرِ
كَأَنَّهُمْ قَصَبٌ جَوْفٌ أَسَافِلُهُ مُثَقَّبٌ فِيهِ أَرْوَاحُ الأَعَاصِيرِ
وَقَالَ النَّجَاشِيُّ:

فَلَمْ أَهْجِكُمْ إِلَّا لِأَنِّي حَسَبْتُكُمْ كَرَهَطِ ابْنِ بَدْرِ أَوْ كَرَهَطِ ابْنِ مَعْبَدِ
فَلَمَّا سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكُمْ وَجَدْتُكُمْ بَرَادِينَ شُقْرًا أُرْبَطَتْ حَوْلَ مِدْوَدِ
فَأَنْتُمْ بَنِي النَّجَّارِ أَكْفَاءُ مِثْلُنَا فَأَبْعَدُ بِكُمْ عَمَّا هُنَالِكَ أَبْعَدِ
فَإِنْ شِئْتُمْ نَافَرْتُمْ عَنْ أَبِيكُمْ إِلَى مَنْ أَرَدْتُمْ مِنْ تِهَامٍ وَمُنْجَدِ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا حَسَامٌ وَمَا ابْنُهُ وَلَا أُمُّ ذَلِكَ اليَثْرِبِيِّ المُوَلَّدِ

فَلَمَّا أَتَانِي مَا يَقُولُ وَدُونَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ لِلْبُرَيْدِ الْمُبْرَدِ
 سَمَوْتُ لَهُ بِالْمَجْدِ حَتَّى رَدَدْتُهُ إِلَى نَسَبِ نَاءٍ عَنِ الْمَجْدِ مُقَعَدٍ^(١)
 حَدَّثَنِي الْأَثْرَمُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: فَعَلَبَهُمُ النَّجَاشِيُّ، قَالَ: وَحَسَانٌ يَوْمَئِذٍ
 شَيْخٌ كَبِيرٌ أَعْمَى، فَقَالَ يُعَيِّرُ ابْنَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَيَهْجُوهُمْ:
 أَمَا الْحِمَاسُ فَإِنِّي غَيْرُ شَاتِمِهِمْ لَا هُمْ كِرَامٌ وَلَا عِرْضِي لَهُمْ حَطْرٌ
 أَوْلَادُ حَامٍ فَلَا تَلْقَى لَهُمْ شَبَهَا إِلَّا التُّيُوسَ عَلَى أَقْفَانِهَا الشُّعْرُ^(٢)
 وَقَالَ:

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي الدِّيَانِ عُنِّي مُغْلَغَلَةً وَرَهْطَ بَنِي قِيَانِ
 وَأَبْلَغُ كُلِّ مُنْتَحَبِ هَوَاءِ رَحِيبِ الْجَوْفِ مِنْ عَبْدِ الْمَدَانِ
 مَيَامِسُ غَزَّةٍ وَرِمَاحُ غَابِ خِفَافٌ لَا تَقُومُ بِهَا الْيَدَانِ
 تَفَاقَدْتُمْ عَلامَ هَجْوِئُونِي وَلَمْ أَظْلِمَ وَلَمْ أَحْلَسْ لِسَانِي

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ: الْمَيَمَسُ الَّذِي يُسْحَرُ مِنْهُ، وَغَزَّةٌ بِالشَّامِ مِنْ عَمَلِ
 فَلَسْطِينَ، وَبِهَا مَاتَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: لَا تَقُومُ بِهَا الْيَدَانِ. فَشَبَّهَهُمْ
 بِالْقَصَبِ فِي ضَعْفِهِ. قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ النَّجَاشِيُّ أَنْ حَسَانًا قَدْ هَجَاهُ، رَجَزَ بِهِ، فَقَالَ:

يَأْتِيهَا الرَّاكِبُ ذُو الْمَتَاعِ ذُو الرَّحْلِ وَالْبُرْدَيْنِ وَالْإِفْطَاعِ
 أَاذِنُ بَنِي النَّجَّارِ بِالْوِقَاعِ مِنْ شَاعِرٍ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ
 لَيْسَ مِنَ الْهَرَمِيِّ وَلَا الْجَزَاعِ لَا يَقْتُلُ الْأَقْوَامَ بِالْخِدَاعِ
 إِلَّا صَمِيمَ الثَّقْرِ وَالْمِصَاعِ يَسْبِقُ شَأَوَ النُّجْبِ السَّرَاعِ
 جَاءَ عَلَيَّ نَجِيبَةٌ وَسَاعِ فِي مَوْكِبِ عَرْمَرَمِ قَضَاعِ
 مِثْلِ أَتَيْ السَّيْلِ ذِي الدَّفَاعِ إِني امْرُؤٌ أَوْفَى عَلَيَّ يَفَاعِ

(١) انظر: تاريخ مختصر دمشق (١٣٤/٨).

(٢) انظر: ديوان سيدنا حسان (ص ١٢٢).

فِي حَلَبَاتِ الْمَجْدِ وَالْجُمَاعِ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ. وَقَالَ لِحَسَّانٍ وَابْنِهِ: إِنَّ اللَّعِينِ وَابْنَهُ غُرَابًا حَسَّانَ لَمَّا وَدَعَ الشَّبَابَا
 قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ شَدِيدَ السَّوَادِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: وَابْنَهُ غُرَابًا.
 وَتَقَدَّتْ أَلْيَابُهُ وَشَابَابَا اسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ وَالْكِتَابَا
 مَا بَالُهُ إِذَا افْتَرَى وَحَابَا وَأَخْطَأَ الْحَقَّ وَمَا أَصَابَا
 فَعَجَّلَ اللَّهُ لَهُ عَذَابَا وَأَخْرَ النَّارَ لَهُ مَا بَا
 يَا شَاعِرِي يَثْرِبَ لَا تَرْتَابَا وَلَا مُعَافَاةً وَلَا عِتَابَا
 إِذْ تَهْجُوَانِ شَاعِرًا غِضَابَا لِلشُّعْرَاءِ وَاتِرًا غَلَابَا
 لَا مُفْحَمَ الْقَوْلِ وَلَا هَيَابَا كَاللَّيْثِ يَحْمِي جِرْعَهُ الذَّنَابَا
 وَأَلْتِ قَيْنٌ تَنْحَتُ الْأَقْتَابَا لِشَرِّ أَمْرٍ إِنْ دُعِيَ أَجَابَا

حَدَّثَنِي أَبُو غَزِيَّةٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اسْتَشْنَى النَّجَاشِيُّ
 عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ حِينَ أَجْمَعَ مَهَاجَاتَهُ أَلَا يُعِينُهُ أَبُوهُ حَسَّانٌ. فَسَأَلَ حَسَّانُ ابْنَهُ
 عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَمَّا قَالَ لِلنَّجَاشِيِّ فِي لَيْلَتِهِ، فَأَنْشَدَهُ، فَلَمْ يَرْضَ حَسَّانٌ، فَقَالَ:
 دَعُوا النَّجَاشِيَّ وَامْشُوا مَشِيَّةَ سُجْحَا إِنَّ الرِّجَالَ أَوْلُو عَصَبٍ وَتَذَكِيرِ
 فَلَمَّا أَنْشَدَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِلنَّجَاشِيِّ، عَفِطَ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: بَاسِتِكَ، أَنْتَ
 تُحَسِّنُ تَرْخِيمَ الْكَلَامِ. هَذَا كَلَامُ الشَّيْخِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عِمْرَانَ، قَالَ: اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ
 فِي مَجْلِسٍ، فَتَذَاكَرُوا هِجَاءَ النَّجَاشِيِّ إِيَّاهُمْ، وَقَالُوا: مَنْ لَهُ؟ فَقَالَ لَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ مُعَاذٍ:
 حَسَّانٌ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّ طَعَامَهُ لَيَغْلِبُهُ مِنْ ضَعْفِ حَنَكِهِ. فَيَعْرِضُهُ لِلنَّجَاشِيِّ وَلَمْ يَبْلُغْهُ
 شَاعِرٌ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَنْزَعُ قَمِيصِي حَتَّى آتِيَهُ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ، وَهُمُ مُعْظَمُونَ لِذَلِكَ، حَتَّى
 دَقَّ عَلَيْهِ الْبَابُ. فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: الْحَارِثُ بْنُ مُعَاذٍ. قَالَ: افْتَحِي فُرَيْعَةَ لِسَيْدِ شَبَابِ
 الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَقَّ قَمِيصَهُ وَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ. فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: قَدْ قَاوَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَلَمْ يَضَعْ شَيْئًا، قَالَ: كُنْ وَرَاءَ الْبَابِ، وَاحْفَظْ
 مَا أَلْقَى عَلَيْكَ، فَقَامَ فَضْرَبَهُ الْبَابُ فَسَجَّهَ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ احْفَظْ عَنِّي رَسُولَكَ.

فَعَرَفْتُ وَاللَّهِ الْغَلْبَةَ إِذْ قَالَهَا، ثُمَّ قَالَ:

أَبْنِي الْحِمَّاسِ أَلَيْسَ فِيكُمْ سَيِّدٌ
هَيَّجْتُمْ حَسَانَ عِنْدَ ذَكَائِهِ
إِنَّ الْهَجَاءَ إِلَيْكُمْ لَتَعْلَةٌ
يَا وَيْلَ أُمَّكُمْ وَيَيْلَ أَبِيكُمْ
لَا تَجْزَعُوا أَنْ تُنْسَبُوا لِأَبِيكُمْ
فَبِنُوزِيَادٍ لَمْ تَلِدْكُمْ نُحُولُهُمْ
وَسَرَى بِكُمْ تَيْسٌ أَجْمٌ مُجْدِرٌ
فَاللُّؤْمُ حَلَّ عَلَى الْحِمَّاسِ فَمَا لَهُمْ
وَقَالَ أَيْضًا يَهْجُوهُمْ:

لَا هُمْ كِرَامٌ وَلَا عَرِضِي لَهُمْ حَظْرٌ
إِلَّا التُّيُوسُ عَلَى أَكْتَافِهَا الشَّعْرُ
أَوْ كَاثَرُوا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِهِمْ كَثُرُوا
لَوْ قَامَرُوا الزَّرَّاجِعَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَمَرُوا
وَقَالَ أَيْضًا يَهْجُوهُمْ:

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَابْلَغْنِ
فَلْتَعْرِفَنَّ قَلَائِدِي بِرِقَابِكُمْ
فَلْأَجْدَعَنَّ بَنِي رَهْمِيَةَ كُلِّهَا
أَمَّا الْحِمَّاسُ فَلَا أَقُولُ لِثَلَّةٍ
قَالَ: وَلَمَّا قَالَ حَسَانٌ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

هَيَّجْتُمْ حَسَانَ عِنْدَ ذَكَائِهِ غِيٌّ لِمَا وَلَدَ الْحِمَّاسُ طَوِيلٌ

قَالَ: اكْتُبُوهَا فِي رِقَاعٍ، وَأَلْفُوهَا فِي أَيْدِي الصَّبِيَّانِ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ يَمُرَّ بِنَا إِلَّا بِضَعِّ

وَحَمْسُونَ لَيْلَةً حَتَّى طَرَقَتْ بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ بِالنَّجَاشِيِّ مَوْثِقًا مَعَهُمْ، فَأَزَعُوا بِنَابِهِ، فَقَالَ لِابْنَتِهِ: يَا بِنْتِي، مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعُ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي. قَالَ: إِنَّ أَبَاكَ قَدْ كَانَ ذَا شِدَّةٍ فِي الْعَرَبِ بِلِسَانِهِ، فَانظُرِي مَنْ طَرَقَنِي، فَإِنْ كَانَتْ الْإِبِلُ تَعْوِي عَوَاءَ الْكِلَابِ، ثَوِّطًا عَلَى أذُنَابِهَا، فَهِيَ إِبِلٌ مُضْرِبَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ تَشْكِي تَشْكِي الدَّنَابِ، فَهِيَ إِبِلٌ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَقَدْ أَتَيْتُ بِالْعَبْدِ. قَالَتْ: يَا أَبَتِي، هِيَ وَاللَّهِ كَمَا تَصِفُ تَشْكِي لِي. قَالَ: أَرْسَلِي إِلَى قَوْمِكَ: أَجِيبُوا حَسَانًا، فَمَا بَقِيَ بَعَالِيَّةٍ وَلَا سَافِلَةٍ أَحَدٌ إِلَّا جَاءَ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ، وَوُضِعَ لَهُ سَرِيرٌ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ وَفِي يَدِهِ مِحْصَرَةٌ، قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الدِّيَّانِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْفَرِيغَةِ، جِئْنَاكَ بِابْنِ أُحْيِكَ لِتَرَى فِيهِ زَأْيَكَ، وَأَتَيْتُ بِالنَّجَاشِيِّ، فَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ، فَقَالَ: يَا جَارِيَّةُ، الْبَقِيَّةُ الَّتِي بَقِيَتْ مِنَ الْجَارِيَّةِ، فَأَتَتْهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ، إِلَّا دِينَارَيْنِ، فَقَالَ: خُذْهَا يَا ابْنَ أُحْيٍ، فَعَوَّضْهَا أَهْلَكَ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَعْلَةَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الدِّيَّانِ: يَا ابْنَ الْفَرِيغَةِ، كُنَّا نَفْتَحُزُ فِي النَّاسِ بِالْعِظَمِ، فَأَفْسَدْتَهُ عَلَيْنَا، قَالَ: كَلَّا أَنَا الَّذِي أَقُولُ:

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا سَمِعْنَا
بِذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي بَيَانِ
كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعْطِيُّ بَيَانًا
وَجِسْمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ

- حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إِنَّ إِنْسَانًا عَمِلَ مَأْدُبَةً فِي زَمَانِ عُثْمَانَ، فَدَعَا لَهَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِيهِمْ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَقَدْ ذَهَبَ بَصْرُهُ، وَمَعَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَجَعَلَ حَسَانٌ يَقُولُ لِابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ: أَطْعَامُ يَدِ أُمِّ طَعَامُ يَدَيْنِ؟ قَالَ: فَإِذَا قَالَ لَهُ: طَعَامُ يَدَيْنِ. لَمْ يَأْكُلْ، وَهُوَ الشَّوَاءُ. قَالَ هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ: وَكَانَ فِي الْمَأْدُبَةِ قَيْتَانِ تُغْتَابُهُمَا، وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ يُشِيرُ إِلَيْهِمَا تُغْتَابُهُمَا بِشِعْرِ حَسَانَ، فَغَنَّتْنَا بِقَوْلِهِ: انظُرْ نَهَارًا بِبَابِ جِلْقٍ هَلْ تُؤْنِسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ؟

قَالَ: فَبَكَى حَسَانٌ وَجَعَلَ ابْنُهُ يُشِيرُ إِلَيْهِمَا تُغْتَابُهُمَا بِشِعْرِهِ أَيْضًا فَبَكَى^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَثْرَمُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، وَخَالِدُ ابْنَا سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، عَنْ أَبِيهِمَا: إِنَّ أَوَّلَ مَا هَاجَ الْهَجَاءَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ،

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ وَهُمَا بِالْمَدِينَةِ وَعَلَيْهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، أَنَّهُمَا خَرَجَا إِلَى الصَّيْدِ بِأَكْلِبٍ لَهُمَا، فَقَالَ: ابْنُ الْحَكَمِ:

أَرْجُرُ كِلَابِكَ إِنَّهَا قَلْطِيَّةٌ بُقَعٌ وَمِثْلُ كِلَابِكُمْ لَمْ تَصْطَدِ
فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ حَسَّانٍ:

مَنْ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ فَرِيَسَةِ صَيْدِهِ إِيَّا أَنْاسَ رِيَقُونَ وَإِيَّاكُمْ
فَالْتَمَرُ يُغِينَنَا عَنِ الْمُتَصِيدِ خُزْنَاكُمْ لِلضَّبِّ تَحْتَرِشُونَهُ
كِكِلَابِكُمْ فِي الْوَلْعِ وَالْمَنْزَرِدِ نَفْضِي فَنَمْضِي مَا أَرَدْنَا فِيكُمْ
وَالرِّيفِ، نَمْنَعُكُمْ بِكُلِّ مَهْنَدِ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَعَلَا
فِعْلَ الْعَرَبِزِ بَعْبِدِهِ الْمُسْتَعْبِدِ يَتَقَارِضَانِ الشَّعْرَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي

قَصِيدَةٍ:

وَمِثْلُ أُمِّ أَبِيكَ الْعَبْدِ قَدْ ضُرِبَتْ وَعِنْدِي وَلِي بِثِقَلِي مِزْهَرٌ جَرْمٌ
وَأَنْتَ عِنْدَ ذُنَابَاهَا تُعَاوِنُهَا عَلَى الْقُدُورِ تَحْسِي خَائِرِ الْبَرَمِ

قَالَ هَاشِمٌ، قَالَ: أَبُو الْمُقَوَّمِ: فَتَقَضَّ عَلَيْهِ ابْنُ حَسَّانٍ، فَقَالَ:

نَحَاكُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِسْمِ وَحَدَّكُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ قِسْمُ اللَّؤْمِ قَالَ لَكُمْ
يَا أَيُّهَا الرَّكَّابُ الْمُزْجِي مَطِيئَتُهُ الْقَائِلِينَ إِذَا لَاقُوا عَدُوَّهُمْ
وَاللَّاصِقِينَ بِحَيٍّ غَيْرِ أَصْلِهِمْ وَلَا تَعْرُوكَ أَبْرَادٌ وَأَقْمِصَةٌ
كَمْ مِنْ أَمِينٍ نَصِيحِ الْجَيْبِ قَالَ لَكُمْ عَنْ رَجُلٍ لَا بَغِيضَ فِي عَشِيرَتِهِ
فَإِنَّ أَمْكُمُ كَأَنْتَ مُلْعَنَةٌ شَبَّتْ مُلْعَنَةٌ بظُرَاءِ مُؤْذِيَةٍ
حُلُّوا إِلَى حَظِّكُمْ فِي غَابِرِ الْأُمَمِ إِمَّا عَرَضْتَ فَسَائِلٌ عَنْ بَنِي الْحَكَمِ
خَرُّوا فَكِرُوا عَلَى النَّسْوَانِ وَالنَّعَمِ كَالْحَالِطِينَ صُقُورَ الطَّيْرِ بِالرَّحْمِ
فَإِنَّ أَرْبَابَهَا هُمْ رُضِعَ الْغَنَمِ أَلَا نَهَيْتُمْ أَحَاكُمُ يَا بَنِي الْحَكَمِ
وَلَا ذَلِيلَ قَصِيرِ الْبَاعِ مُهْتَضِمِ تَمْرِي الْخَلَايَا وَتَرَعَى عَازِبَ الْغَنَمِ
مِثْلَ الذُّبَابَةِ لَمْ تَنْكَحْ وَلَمْ تَمِّ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ:

أَلَا أْبْلِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ أَقْدَأَ أْبْلَغْتُمْ الْحَنْقَ الصُّدُورَا
تَقُونَ بِنَا نُفُوسَكُمْ الْمَنَايَا عَسَتْ بِكُمْ الدَّوَائِرُ أَنْ تَدُورَا
بِحَرْبٍ لَا تَرَى الْأَمْوِيَّ فِيهَا وَلَا التَّقْفِيَّ إِلَّا مُسْتَجِيرَا
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَيْنِ اسْتَجَارَ الْأَمْوِيُّ إِنَّهُ لِأَشْوَأَ حَالًا مِنْهُ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ

حَسَّانٍ:

صَارَ الْعَزِيزُ ذَلِيلًا وَالذَّلِيلُ لَهُ عِزٌّ وَصَارَ فُرُوعُ النَّاسِ أَدْثَابَا
إِنِّي لِمُلْتَمِسٌ حَتَّى يُبَيِّنَ لِي فِيكُمْ مَتَى كُنْتُمْ لِلنَّاسِ أَرْبَابَا
فَارْقُوا عَلَى ظَلْعِكُمْ ثُمَّ انظُرُوا وَسَلُّوا عَنَا وَعَنْكُمْ قَدِيمَ الْعِلْمِ نَسَابَا
فَسَوْفَ يَضْحَكُ أَوْ تَعْتَادُهُ ذِكْرُ يَا بَوْسَ لِلدَّهْرِ لِلْإِنْسَانِ رَبَّابَا
قَوْمٌ إِذَا رَاهُنَا عَنْ مَجْدِهِمْ جَعَلُوا تَحْتَ الْعِجَاجَةِ لِلْمَسْبُوقِ جِلْبَابَا
شَبَابِكُمْ شَرُّ شُبَّانِ عِلْمَتِهِمْ قِصْرًا وَطُولًا وَأَعْرَاضًا وَأَحْسَابَا
وَشُمُطُكُمْ شَرُّ شُمُطِ الشَّيْبِ مَحْبِرَةٌ وَشَرُّهُمْ فِي ثَنَا أَمْرٍ إِذَا غَابَا
يُوصِي أَوْلَاهُ بِالنُّوكِ آخِرَهُمْ وَشَرُّ مَنْ ذَاقَ طَعْمَ النَّوْكِ مَنْ شَابَا
إِنْ تَمَلَّكُونَا قَلِيلًا فِي إِمَارَتِكُمْ فَقَدْ مَلَكْتُمْ بَنِي الزَّرْقَاءِ أَحْقَابَا
قَوْمٌ يَرُونَ بَنِي الْأَحْرَارِ نَافِلَةً كَانُوا لَهُمْ حَوْلًا بُرْدًا وَأَسْلَابَا
فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ:

لَنْ يَسْلُبَ اللَّهُ أَهْلَ الدِّينِ دِينَهُمْ وَلَنْ تَعُودَ فُرُوعُ النَّاسِ أَدْثَابَا
مِنَّا الرَّسُولُ وَمِنَّا مَنْ يُلَادُ بِهِ وَلَنْ نَزَالَ لِهَذَا الدِّينِ أَرْبَابَا

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ:

وَأَمَّا قَوْلُكَ الْخُلَفَاءُ مِنَّا فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وَدَاجِ
وَلَوْلَاهُمْ لَكُنْتَ كَعَظْمِ حُوتٍ هَوَتْ فِي مُظْلَمِ الْعَمْرَاتِ دَاجِ

وَكُنْتَ أَذْلَ مَنْ وَتَدِ بَقَاعٍ
وَلَوْلَاهُمْ قُسِرَتْ وَطِبَتْ نَفْسًا
هُم دُعَجٌ وَنَسَلُ أَبِيكَ زُرْقٌ
فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ:

وَلِلْأَنْصَارِ أَكُلٌ فِي قَرَاهَا
وَأَرْبَى مِنْ حَمِيرِهِمْ وَأَبْقَى
فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ:

كَانَ أَبِي لَكُمْ فِي الْكُفْرِ نَكْلًا
لَقَدْ أَدْرَكْتُ عِنْدَكُمْ حَدِيثًا
وَمَا لِنِسَائِكُمْ إِذْ ذَاكَ رَقْمٌ
وَلَا لِحَمِيمِهِمْ إِلَّا رِدَاءٌ
صَغِيرُ الرَّأْسِ لَيْسَ بِيَدِي اتِّسَاعٌ
وَقَالَ أَيْضًا:

حَدَّثَ حَدِيثَكَ إِذْ أَتَاكَ بَعِيْبَةٌ
فَبَقَرْتَهَا بَقَرَ الْخُورِ بِمِعْوَلٍ
إِنَّ اللَّعِينَ أَبُوكَ فَارْمِ عِظَامَهُ
يَمْسِي حَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى

قَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَسَى يَتَكَفَّأُ، وَكَانَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ يُحْكِيهِ،
فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَرَأَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: فَكَذَلِكَ فَلْتَكُنْ. فَكَانَ الْحَكَمُ مُخْتَلِجًا،
فَعَيَّرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِذَلِكَ^(١).

- حَدَّثَنِي الْأَنْزَرِيُّ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: فَلَمَّا أَهْذَرَا فِي التَّهَاجِي وَأَفْحَشَا، كَتَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ الْخَلِيفَةُ يَوْمَئِذٍ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ: أَنْ يَجْلِدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ سُوْطٍ، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ لَمْ يَمْدَحْ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، فَكَرِهَ أَنْ يُقَدَّمَ عَلَيْهِ بِالضَّرْبِ، وَكَرِهَ أَنْ يَجْلِدَ ابْنَ عَمِّهِ. فَكَفَّ عَنْهُمَا، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُؤَلِّي سَعِيدًا الْمَدِينَةَ سَنَةً وَمَرْوَانَ سَنَةً. فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي يَعْقُبُ فِيهَا سَعِيدُ مَرْوَانَ. قَالَ: فَأَخَذَ مَرْوَانُ ابْنَ حَسَّانٍ فَضْرَبَهُ مِائَةَ سُوْطٍ، وَلَمْ يَضْرِبْ أَحَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ. وَكَانَ التُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ، وَكَانَ أَثِيرًا عِنْدَهُ مَكِينًا، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ابْنِ حَسَّانٍ، وَإِلَى مَا ضَمِنَ بِهِ. قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ حَسَّانٍ يُعَاتِبُهُ:

لَيْتَ شِعْرِي أَغَائِبٌ أَلْتِ بِالشَّا	مِ حَلِيلِي أَمْ رَاقِدٌ نَعْمَانُ
أَيَّةُ مَا يَكُنْ فَقَدْ يَرْجِعُ الْعَا	ئِبُ يَوْمًا وَيُوقِظُ الْوَسْنَانَ
إِنْ عَمَّرًا وَعَامِرًا أَبُوَيْنَا	وَحَرَامًا قَدِمًا عَلَى الْعَهْدِ كَانُوا
أَفْهَمَ مَا نَعُوكَ أَمْ قَلَّةُ الْكُتِّ	سَابِ أَمْ أَنْتَ عَاتِبٌ غَضْبَانُ
أَمْ جَفَاءٌ أَمْ أَعْوَزْتُكَ الْقَرَاطِي	سُ أَمْ أَمْرِي بِهِ عَلَيْكَ هَوَانُ
يَوْمَ أُبَيْتُ أَنْ سَاقِي رُضَّتْ	وَأَتَاكُمْ بِذَلِكَ الرُّكْبَانُ
ثُمَّ قَالُوا إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ فِي بَلَدٍ	سَوَى أُمُورٍ أَتَى بِهَا الْحَدَثَانُ
فَتَيْطُ الْأَرْحَامُ وَالْوُدُّ وَالصُّحُ	بَةُ فِيمَا أَتَتْ بِهِ الْأَرْمَانُ
أَوْ تَرَى إِثْمًا الْكِتَابُ بِلَاغٍ	لَيْسَ فِيهِ لِبَيْعٍ أَنْمَانُ
إِثْمًا الرُّمْحُ فَاعْلَمَنَّ قَنَاةَ	أَوْ كَبَعْضِ الْعِيدَانِ لَوْلَا السَّنَانُ
لَا يُهِنُّنِي عَلَيْكَ بِأَلِّي ضِ	مَّنُ النَّسَاقِ قَدْ يَصِحُّ الضَّمَّانُ
وَاعْلَمَ أَنِّي أَنَا أَخُوكَ وَأَنِّي	لَيْسَ مِثْلِي أَرْزَى بِهِ الْأَخْوَانُ
وَاعْلَمَ أَنِّي بَتَلْتُ مِنِّْي يَمِينًا	وَقَلِيلٌ فِي ذَلِكَ الْأَيْمَانُ
لَا تَرَى مَا حَيِّتُ مِنِّْي كِتَابًا	غَيْرَ هَذَا حَتَّى يَزُولَ أَبَانُ

أَوْ يَزُولَ الشَّنْطِيُّ مِنْ جَبَلِ الثَّلْجِ
 أَوْ تُرَى الْقُورُ مِنْ عَبَائِرِ بِالشَّمِ
 أَوْ أَرَى فِي الْكِتَابِ مِنْكَ ثَلَاثًا
 إِمَّا الْوُودُ وَالصَّيْحَةُ فِي الْقَلْبِ
 إِنْ شَرَّ الصَّفَاءِ مَا زَوَّقَ الْحُ
 فَأَجَابَهُ الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ:

لَيْسَ فَأَعْلَمُ أَحْوَكَ يَغْتَرُّ بِالنُّومِ
 إِنْ جَدِّي الَّذِي اتَّمَيْتُ إِلَيْهِ
 قَمَرُ الْبَدْرِ بَارِغًا إِذَا تَجَلَّى
 إِنْ عَمَرًا وَعَامِرًا أَبُوَيْنَا
 شَيْدَ الْمَجْدِ بِالْفِعَالِ فَأُضْحَى
 إِنْ وَصَفِي وَمَشْهَدِي وَمَقَامِي
 وَلَكِنْ مُحَرَّشٌ يَقْطُانُ
 كَانَ فِي النَّاسِ شَبَهُهُ الْأَضْحِيَانُ
 لَيْسَ مِنْ دُونَ مُجْتَلَاهُ جِنَانُ
 وَرِثَ الْمَجْدُ عَنْهُمَا حَسَانُ
 وَهُوَ مِنْ دُونَ مُرْتَفَاهُ الْعَنَانُ
 لَكَرِهَنْ تَهَايَبُهُ الْأَرْكَانُ

قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: كَتَبْتُ إِلَى سَعِيدٍ أَنْ يَضْرِبَ ابْنَ الْحَكَمِ وَابْنَ حَسَانَ، فَلَمْ يَفْعَلْ، فَلَمَّا قَدِمَ أَخُوهُ ضَرَبَ ابْنَ حَسَانَ، وَتَرَكَ أَخَاهُ. قَالَ: فَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تُضْرِبَهُ كَمَا كَتَبْتُ، وَكَمَا كُنْتُ أَمَرْتُ، قَالَ: فَكَتَبْتُ إِلَى مَرْوَانَ بِعَزِيمَةٍ، وَسَرَّحَ فِي ذَلِكَ رَجُلًا أَنْ يَضْرِبَ ابْنَ الْحَكَمِ مَائَةً، وَبَعَثَ إِلَى ابْنِ حَسَانَ بِحُلَّةٍ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى مَرْوَانَ دَسَّ إِلَى ابْنِ حَسَانَ وَهُوَ فِي السِّجْنِ: إِنِّي مُخْرَجُكَ، وَإِنَّمَا أَنَا بِمَنْزِلَةِ وَالِدِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ أَدَبًا لَكَ وَاعْتَدَرًا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ حَسَانَ: مَا بَدَأَ لِابْنِ الزُّرْقَاءِ فِي هَذَا؟ وَاللَّهِ مَا هَذَا إِلَّا لَشَيْءٍ قَدْ جَاءَهُ. وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ. فَبَلَغَ الرَّسُولُ مَرْوَانَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْحُلَّةِ، فَأَعَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ، فَلَمْ يَقْبَلْ، وَطَرَحَ الْحُلَّةَ فِي الْحَيْسِ، فَقِيلَ لَهُ: حُلَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَرْمِي بِهَا فِي الْحَيْسِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَا أَصْنَعُ بِهَا؟ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ فَأَخْبَرُوهُ الْحَبْرَ، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَا فَعَلَ إِلَّا لِأَمْرٍ قَدْ حَدَثَ. فَقَالَ الرَّسُولُ لِمَرْوَانَ: مَا تَصْنَعُ بِهِذَا؟ قَدْ أَبَى أَنْ يَغْفُوَ، فَهَلَّمَ ابْنَ الْحَكَمِ، فَبَعَثَ مَرْوَانَ

إِلَى الْأَنْصَارِ، فَطَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَهُ خَمْسِينَ. فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَلَقِي
ابْنَ حَسَّانٍ بَعْضُ مَنْ كَانَ لَا يَهُوَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ: ضَرْبَكَ مِائَةً وَتَضْرِبُهُ
خَمْسِينَ. بِنَسِّ مَا صَنَعْتَ إِذْ وَهَبْتَهَا لَهُ. قَالَ: إِنَّهُ عَبْدٌ، وَإِنَّمَا ضَرَبْتُهُ مَا يَضْرِبُ الْعَبْدُ،
نِصْفُ مَا يَضْرِبُ الْحُرُّ. فَحَمِلَ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى شَاعَ بِالْمَدِينَةِ، وَبَلَغَ ابْنَ الْحَكَمِ، فَشَقَّ
عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَآتَى أَخَاهُ مَرْوَانَ فَأَعْلَمَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: فَضَحْتَنِي لَا حَاجَةَ لِي فِيمَا تَرَكْتُ.
فَبَعَثَ مَرْوَانُ إِلَى ابْنِ حَسَّانٍ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيمَا تَرَكْتُ، هَلُمَّ فَأَقْتَصْ، فَضْرَبَ ابْنَ الْحَكَمِ
خَمْسِينَ أُخْرَى. فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ يَهْجُو عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ:

دَعُ ذَا وَعَدَّ قَرِيضَ شِعْرِكَ فِي امْرِئٍ يَهْدِي وَيُنْشِدُ شِعْرَهُ كَالْفَاخِرِ
وَأَذْكَرَ لَهُ قِطْعَ الشَّرِيطِ وَشِدْحَهُ بِمَهْنَدِ مَاضِي الْحَدِيدَةِ بَاتِرِ
فَلَقِيَ النَّصَالَ مِنَ الْمَعَاوِلِ مُرْهَفٍ ظَمِي كَقَادِمَةِ الْعُقَابِ الْكَاسِرِ
وَقَعَدَتْ تَأْكُلُ مَالَهُ وَتَرْكَنَتْهُ بِالشَّامِ يُنْشِدُ كُلَّ قَصْرِ عَامِرِ
وَتَرْكَنَتْهَا عَارًا عَلَيْكَ وَسُبَّةً مَا عَشْتِ تُذَكِّرُ مِثْلَ طَوْقِ الطَّائِرِ
عُثْمَانَ عَمُكُمْ وَلَسْتُمْ مِثْلَهُ وَبَنُو أُمَيَّةٍ مِنْكُمْ كَالْأَمِيرِ
وَبَنُو أَبِيكَ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ فُحْشُ الثُّفُوسِ لَدَى الْجَلِيسِ الزَّائِرِ
جُبْنُ الْقُلُوبِ لَدَى الْحُرُوبِ أَذَلَّةٌ مَا يَقْبَلُونَ عَلَى صَفِيرِ الصَّافِرِ
وَسُيُوفُهُمْ فِي الْحَرْبِ كُلُّ مُفْلَلٍ نَابِ مَضَارِبُهُ وَدَانِ دَائِرِ
أَحْيَاؤُهُمْ عَارٌ عَلَى أَمْوَاتِهِمْ وَالْمَيِّتُونَ مَسْبِيَةٌ لِلْعَابِرِ
لَمْ تَنْظُرُونَ إِذَا هَدَرْتُ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الثُّيُوسِ إِلَى شِفَارِ الْجَارِرِ
حُزْرَ الْعَيُونِ مِنْكَسِي أَذْقَانِكُمْ نَظَرَ الذَّلِيلِ إِلَى الْعَزِيزِ الْقَاهِرِ
فَقَالَ: ابْنُ الْحَكَمِ يَهْجُو الْأَنْصَارَ:

لَقَدْ أَبْقَى بَنُو مَرْوَانَ حُزْنَآ مُيِّنَا عَارُهُ لِنَبِي سَوَادِ
يَطِيفُ بِهِ صَبِيحٌ فِي مَشِيدِ وَكَأَدَى دَعْوَةٍ: يَا بَنِي سَعَادِ

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

فَاعْتَنَى أَبُو وَاسِعٍ أَحَدَ بَنِي الْأَشْعَرِ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، دُونَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ، فَهَجَاهُ وَعَيَّرَهُ بِضَرْبِ ابْنِ الْمُعَطَّلِ أَبَاهُ حَسَّانًا عَلَى رَأْسِهِ، وَعَيَّرَهُمْ بِأَكْلِ الْخُصْيِ، فَقَالَ:

وَإِنَّ ابْنَ الْمُعَطَّلِ مِنْ سُلَيْمٍ
عَمِدَتِ إِلَى الْخُصْيِ فَأَكَلَتْ مِنْهَا
وَمَا لِلجَّارِ حِينَ يَحِلُّ فِيكُمْ
يَظُلُّ الْجَارُ مُفْتَرِشًا يَدَيْهِ
وَيَنْظُرُ نَظْرَةً فِي مَذْرُوبِهِ
وَأُحْرَى فِي اسْتِهِ وَالطَّرْفِ سَامٍ

قَالَ: فَلَمَّا عَمَّ بَنِي النَّجَّارِ بِالْهَجَاءِ، وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ دَعَا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ يُرِيدُ أَهْلَهُ، قَالَ: فَعَرَّضَ لَهُ الْأَسَدُ فَقَضَّضَهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ:

أَبْلَغَ بَنِي الْأَشْعَرِ إِنْ جِئْتَهُمْ
وَاللَّيْثُ يَغْلُوهُ بِأَلْيَابِهِ
لَا يَرْفَعُ الرَّحْمَنُ مَصْرُوعَكُمْ
إِذْ تَرَكُوهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ
مَا بَالُ أَبْنَاءِ بَنِي وَاسِعٍ
مُعْتَهِرًا فِي دِمِهِ النَّاقِعِ
وَلَا يُوهَنُ قُوَّةَ الصَّارِعِ
بِالنَّسَبِ الدَّانِي وَبِالشَّاسِعِ

قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا دَعَا أَحَدًا لِلْأَسَدِ بِخَيْرٍ قَطُّ قَبْلَكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَلَا يُوهَنُ قُوَّةَ الصَّارِعِ^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَثْرَمُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ مُعْتَى غَرِيضًا، ذَا كِبَرٍ وَنَحْوَةٍ، فَكَتَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَسْكِينِ بْنِ عَامِرِ بْنِ شُرَيْحِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ، يَدْعُوهُ إِلَى الْمُفَاخَرَةِ، وَالتَّهَاجِي فِي كِتَابٍ،

وَحْتَمَهُ، وَدَفَعَهُ إِلَى رَاكِبٍ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتِ الْكُوفَةُ، فَاسْأَلِ عَنِّ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ، فَإِذَا دُلِّتَ عَلَيْهِمْ، فَادْفَعْ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى مَسْكِينِ بْنِ عَامِرٍ. فَازْتَحَلَ حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَدُلَّ عَلَيْهِ، فَأَنْطَلَقَ حَتَّى وَضَعَ الْكِتَابَ فِي يَدِ مَسْكِينٍ، فَلَمَّا قَرَأَهُ دَعَا غَلَامَهُ بِشَرْبٍ، ثُمَّ خَلَا فَجَعَلَ يَشْرَبُ وَيَقُولُ الشَّعْرَ وَيَكْتُبُهُ حَتَّى فَرَّغَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا بِمَا قَالَهُ فَجَعَلَ يُثَبِّتُ مَا أَرَادَ وَيُلْقِي مَا لَمْ يُرِدْ، حَتَّى أَحْكَمَ ذَلِكَ، ثُمَّ خَتَمَهُ، وَدَفَعَهُ إِلَى الرَّسُولِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابَ عَلَيْهِ قَرَأَهُ ثُمَّ أَنَاهُ شَيْوُخُ قَوْمِهِ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُمْ، وَشَاوَرَهُمْ، فَنَهَوْهُ عَن جَوَابِهِ، وَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ لَكَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الَّذِينَ فَخَّرَ بِهِمْ. فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ. وَأَجَابَهُ وَذَكَرَ أَنَّ مَائِرَ الْأَنْصَارِ لَا تُدْنِيهَا تَمِيمٌ، فَقَالَ مَسْكِينُ بْنُ عَامِرٍ فِي قَصِيدَةٍ:

فَإِنْ يَبُلُ الشَّبَابُ فَكُلُّ شَيْءٍ	سَمِعْتُ بِهِ سِوَى الرَّحْمَنِ بَالٍ
أَلَا إِنَّ الشَّبَابَ ثِيَابٌ لُبْسٍ	وَمَا الْأَمْوَالُ إِلَّا كَالطَّلَالِ
وَمَا أَدْرِي وَإِنْ جَامَعْتُ قَوْمًا	أَفِيهِمْ رَغْبَتِي أَمْ فِي الزِّيَالِ
وَحَامِلَةٌ وَمَا تَدْرِي أَفِيهِ	يَكُونُ نَجَاحًا أَمْ فِي الْحِيَالِ
لَعَلَّكَ يَا ابْنَ فَرَّخِ اللَّوْمِ تَنْمِي	تَرُومُ الرَّأْسِيَّاتِ مِنَ الْجِبَالِ
فَإِنَّكَ لَنْ تَنَالَ الْمَجْدَ حَتَّى	تَرُدَّ الْمَاضِيَّاتِ مِنَ اللَّيَالِي
أَبِي مُضَرَ الَّذِي حُدِّثَ عَنْهُ	وَكَانَ رُبَيْعَةَ الْأَثَرَيْنِ خَالِي
وَإِنِّي حِينَ أَنْسَبُ مِنْ تَمِيمٍ	لَفِي الشَّمِّ الشَّمَارِيخِ الطُّوَالِ
وَآبَائِي بَنُو عُدُسِ بْنِ زَيْدٍ	وَخَالِي الْبِشْرُ، بِشْرِ بَنِي هِلَالِ
كَسَانِي غُرَّتِي عَمْرُو بْنُ عَمْرُو	وَرَدَّانِي زُرَّارَةُ بِالْفَعَّالِ
كَفَانَا حَاجِبُ كِسْرَى وَقَوْمًا	هُمُ الْبَيْضُ الْكِرَامُ دُوُو السِّبَالِ
وَسَارَ عَطَارِدُ حَتَّى أَتَاهُمْ	فَاعْطَوْهُ الْمُنَى غَيْرَ انْتِحَالِ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ: قَوْلُهُ كَفَانَا حَاجِبٌ يَعْنِي كَفَى الْعَرَبَ جَمِيعًا أَمْرُ كِسْرَى حَيْثُ مَنَعَهُمْ أَنْ يَدْعُوا فِي بِلَادِ الْعَجَمِ إِلَّا بِضَمِينٍ، فَرَهْنَهُ قَوْسَهُ فَأَطْلَقَهُ: وَدُو الْقَرَرَيْنِ أَحْصَاهُ لَقَيْطٌ وَكَانَ صَفِيَّهُ دُونَ الرَّجَالِ

وَذُو الْقَرْيَيْنِ عُمَرُو بْنُ هِنْدٍ.

وَيَأْتُونَ يُفَصِّلُ بِالْمَحَالِ
لِزَارِ الْأَخْصَمِ وَالْأَمْرِ الْعُضَالِ
وَنَارِ لَهَا إِذَا دُعِيَتْ نَزَالِ
سَمَاعَةَ لَمْ يَبِيعْ حَسَبًا بِمَالِ
فَفَارَقَهُ وَلَيْسَ لَهُ بِقَالَ
جَلَوْنَا شَمْسَهُ وَالْكَعْبُ عَالِ
وَنُغْلِي الْمَجْدَ إِنَّ الْمَجْدَ غَالِ
وَقَدْ حُمِلَتْ عَلَيَّ جَمَلٍ ثَقَالِ
وَأَعْوَجُ عِنْدَ مُخْتَلَفِ الْعَوَالِي
إِذَا بَرَزَ النِّسَاءُ مِنَ الْحِجَالِ
وَيُوجَعُ كُلَّمَا عَقِدَ الْحَبَالِ
وَلَا يَرْضَوْنَ مِنَّا بِالْبِدَالِ
وَأَقْبِلْ لِلتَّمَجْدِ وَالْفَعَالِ
وَلَكِنَّ الرِّحَا فَوْقَ الثِّفَالِ
وَلَا تُرِحِ الْمَطِيَّ مِنَ الْكَلَالِ
مَنْ عَالَ شَعَبَ الرِّحَالِ
يُفْضَلُ فَوْقَ سَجَلِكُمْ سَجَالِي
بِعِلْمِهِمْ بِالنِّسَابِ الرِّجَالِ
يُخْبِرُ بِالسُّوْأَلِ وَالْعَوَالِي
وَلَوْ أَمْسَى بِمُنْتَحَرِقِ الشَّمَالِ

هُمَا حُبِيًّا بِدِيْبَاجِ كَرِيمِ
وَكَانَ الْحَازِمُ الْقَعْقَاعُ مِنَّا
شُرَيْحُ فَارِسُ النُّعْمَانِ جَدِّي
وَقَاتِلُ خَالِهِ بِأَبِيهِ مِنَّا:
وَتَدْمَانُ ابْنُ جَفْنَةَ كَانَ خَالِي
وَيَوْمِ مُظْلِمِ لَبِي تَمِيمِ
نُحِبُّ الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدُّ
دَعَيْنَا الْحَنْظَلِيَّةَ إِذْ لَحِقْنَا
فَأَذْرَكَهَا وَلَمْ يَعْدِلْ شُرَيْحُ
فَعِرْنَا أَنْ غَيَّرْتَنَا كَذَاكُمْ
مَتَى نَأْسِرُ وَتُوَسَّرُ فِي أُنَاسِ
فَنَحْنُ الذَّائِدُونَ إِذَا بُدئْنَا
فَدَعِ قَوْمِي وَقَوْمَكَ لَا يُسْبُوا
كَلَانَا شَاعِرٌ مِنْ حَيِّ صِدْقِ
وَحَكْمِ دَغْفَلَا نَرْحَلُ إِلَيْهِ
تَعَالِ إِلَى النُّبُوءَةِ مِنْ قُرَيْشِ
وَالَا فَاغْتَمِدْ سُوقًا كِرَامًا
تَعَالِ إِلَى بَنِي الْكَوَاءِ يَقْضُوا
تَعَالِ إِلَى ابْنِ مَدْعُورِ شِهَابِ
وَعِنْدَ الْكَيْسِ النَّمْرِيِّ عِلْمِ

كَأَنَّ قُدُورَ قَوْمِي كُلِّ يَوْمٍ قِبَابُ التُّرْكِ مُلْبَسَةَ الْجَلَالِ
 أَمَامَ الْحَيِّ تَحْمِلُهَا أَثَافٍ مُلْمَلَمَةً كَأَثْبَاجِ الرِّثَالِ
 كَانَ الْمُوقِدِينَ لَهَا جِمَالًا طَلَاهَا الزُّفْتُ وَالْقَطِرَانَ طَالِ
 بَأَيْدِيهِمْ مَعَارِفٌ مِنْ حَدِيدٍ يُشَبِّهُهَا مُقَيَّرَةَ الدَّوَالِي

أَسْرَتْ بَنُو أَسَدٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي زُرَّارَةَ، وَفِي بَنِي زُرَّارَةَ أَسِيرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَعَرَضُوهُ بِهِ، فَأَبَتْ بَنُو أَسَدٍ حَتَّى زَادُوهُمْ فِي فِدَاءِ الزُّرَّارِيِّ عُدْسُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ، وَمِسْكِينَ بْنُ عَامِرِ بْنِ شَرِيحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُدْسِ، وَبِشَرَ بْنَ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ عَقَّةَ بْنِ هَلَالِ بْنِ رَبِيعَةَ التَّمْرِيَّ، النَّمِرَ بْنَ قَاسِطٍ، وَعَمْرٍو بْنَ عَمْرٍو بْنِ عُدْسِ، وَزُرَّارَةَ بْنَ عُدْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَحَاجِبَ بْنَ زُرَّارَةَ بْنَ عُدْسِ، وَعُطَارِدَ بْنَ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ، كَانَ وَقَدْ عَلَى كِسْرَى بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ حَاجِبٍ، فَأَخَذَ الْقَوْسَ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَعْلَمَهُ بِمَوْتِهِ، وَلَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ، وَذَا الْقَرْنَيْنِ، وَالْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبِدِ بْنِ زُرَّارَةَ، وَشَرِيحَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ عُدْسِ، وَهُوَ جَدُّ مَسْكِينِ أَبُو أَبِيهِ، وَقَاتِلُ خَالِهِ بِأَبِيهِ، مَنَا، سَمَاعَةَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ عَمْرٍو، وَأُمُّهُ عَبْسِيَّةٌ، وَكَانَتْ بَنُو عَبْسٍ قَتَلُوا عَمْرٍو بْنَ عَمْرٍو يَوْمَ بُيُوتِ أَقْرَنَ، فَلَمَّا سَبَّ سَمَاعَةَ جَاءَ خَالَهُ مِنْ بَنِي عَبْسٍ يَزُورُهُ، فَقَالَ: مَا أُرِيدُ بِأَبِي ثَارًا أَوْفَى مِنْ خَالِي، فَقَتَلَهُ بِهِ، وَدَعْفَلَ بْنَ حَنْظَلَةَ مِنْ بَنِي ذُهَلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ، وَابْنَ الْكُوَاءِ السَّابَةَ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ، وَكَانَ بَنُو الْكُوَاءِ أَهْلُ عِلْمٍ، وَشَهَابُ بْنُ مَدْعُورٍ يَشْكُرِي، وَالْكِيسُ نَمْرِيٌّ مِنْ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ، وَاسْمُ الْكِيسِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ، فَقَالَ:

أَتَانِي عَنْكَ يَا مَسْكِينُ قَوْلٌ بَدَلْتَ التُّصْفَافِ فِيهِ غَيْرَ آلِ
 دَعَوْتُ إِلَى التَّفَاخُرِ غَيْرَ قَحْمٍ وَلَا غَمْرٍ يَطِيشُ لَدَى التُّضَالِ
 أَحَا ثَقَّةً بِفِرْصَتِهِ بِصِيرًا شَدِيدَ النَّزْعِ مُعْتَدِلِ الشَّمَالِ
 فَدُونِكَ فَاسْتَمِعْ تَحْلِيصَ فُحْرِ يُقَصِّرُ ذُونَهُ أَهْلُ الْكَمَالِ
 وَقَدْ نَاضَلْتُ قَبْلَكَ كُلَّ عَرَضٍ عَلَى الرُّسُلَاتِ مَرزُوقِ الْخِصَالِ
 فَمَا تَلَقَى كَشْدَوِي شَدْوَرَامٍ وَمَا يَغْلُو كَغْلَوِي مِنْ أَغَالِي

مَضُوءًا مُتَتَابِعِينَ ذُؤُوفِ عَعَالٍ
 وَأَلْزَهَ طُعْمَةَ وَأَعْفُ بَالٍ
 وَأَحْكَمْتُ الرِّيَاسَةَ فِي اِكْتِهَالِ
 بِهَا مِسْكِينَ وَيَحْكُ فِي الْفِضَالِ
 تُجَارِي فِي الْجِمَامِ وَفِي الْكَلَالِ
 عَلَى الْأَكْفَاءِ فِي الرُّكُضِ الشَّلَالِ
 وَأَيَّامٍ تَجِلُّ عَنِ الْمَقَالِ
 وَخَافَتْ بَعْدَ جِدِّ وَأَشْتِبَالِ
 لِسَانًا صَارِمًا طَلَقَ الْعِقَالِ
 يُرْهَبُ بِالْوَعِيدِ وَالِاخْتِيَالِ
 وَلَمْ يُوهِنُ وَلَمْ يَقْطَعْ قَبَالِي
 قَهَرْتُ الْحَارِثِيَّ بِبِلَا اِحْتِيَالِ
 قَصَائِدُ مِنْ طِرَازِي وَانْتِحَالِي
 بِقَوْلِ صَادِقٍ غَيْرِ الْمُحَالِ
 فَمَا تَمَدَّ كَبْحَرٍ ذِي اِحْتِفَالِ
 لَفَضْلٍ بَيْنَ غَيْرِ اِنْتِحَالِ
 لِأَضْيَافِ الْجَدَادَةِ عَلَى الْحَلَالِ
 عَلَى الْإِسْلَامِ لَيْسَ بِذِي اِعْتِقَالِ
 مِنَ الْأَقْصَيْنِ وَالشَّنْفِ الْمُوَالِي
 فَأَيْنَ الْأَكْمُ مِنْ صُمَّ الْجِبَالِ
 عَلَى أَشْرَافِ أَطْوَادِ الْجِبَالِ

فَأَوْرَثَنِي الْفِعَالِ جُدُودُ صِدْقِ
 بِأَيْدِ مَنْكِبٍ وَأَشَدُّ رُكْنِ
 وَإِنِّي فِي الْحَدَائِثِ رَسْتُ عَمْرًا
 فَأَيَّةُ خِصْلَةٍ تَرْجُو نُكُولِي
 وَحَسَانُ الْحُسَامِ أَبِي فَمَنْ ذَا
 أَحَدْنَا السَّبْقِ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدُّ
 وَأَمَكْنِي الْفِعَالِ بِفِعْلِ قَوْمِي
 وَقَدْ حَادَتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنِّي
 وَقَدْ لَاقَى بَنُو الزَّرْقَاءِ مِنِّي
 فَمَا ائْتَصَفُوا وَمَنْزِلُهُمْ أَمِيرٌ
 فَلَمْ يَفْلُلْ تَوَعُّدُهُ لِسَانِي
 وَفِي خَيْفِ الْمُحَصَّبِ قَدْ عَلِمْتُمْ
 نَجَاشِي الْأَحْمَاسِ وَذَلَّلْتُهُ
 وَلِي عَنْ سَبِّ قَوْمِكَ مَا كَفَانِي
 فَإِنْ يَكُ شَاعِرًا مِنْ حَيِّ صِدْقِ
 فَأَمَّا مَا تَقُولُ فَعُيْرُ شَكِّ
 بِبَدْلِ الْمَالِ فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ
 وَضَرْبِ النَّاسِ عَنْ عَرْضِ جِهَارًا
 عَلَى رَغْمِ الْأَبَاعِدِ وَالْأَدَانِي
 فَإِنْ تَفَحَّرَ بِقَوْمِكَ مِنْ تَمِيمِ
 أَنَا ابْنُ مُزَيْقِيَا عَمَرُوا لِمَانِي

وَمِنْ مَاءِ السَّمَاءِ وَرِثْتُ مَجْدًا
 فَفَحْرِي قَاهِرٌ لِلنَّاسِ بَادٍ
 فَإِنْ تَغَصَّصَ تِهَامٌ وَبَحْرٌ نَجْدٍ
 فَمَا وَسِعَاهُمَا ضَرْبًا وَطَعْنَا
 فَمَا صَبَرُوا لَوْعِ سُيُوفِ قَوْمٍ
 إِذَا لَبَسُوا سَاوَابِعَهُمْ لِيَوْمٍ
 وَبَارَزَ بَعْضُهُمْ لِلْمَوْتِ بَعْضًا
 تَيَقَّنَ مَنْ أَدَارَتْهُ رَحَاهُمْ
 وَجَاشَتْ قُدْرُهُمْ فَرَأَيْتُ فِيهِمْ
 تَفُورٌ قُدُورُهُمْ وَلَهَا نَفْيٌ
 وَخَلَقَ اللَّهُ كُلَّهُمْ عَلَيْنَا
 فَقُلْنَا أَسْلِمُوا أَوْ قَدْ ظَعِنَا
 نُصَبِحُ أَوْ نُمَسِّي كُلُّ قَوْمٍ
 وَنَعْزُوهُمْ فَتَقْتُلُ كُلَّ خِرْقٍ
 فَلَا فَرْحَ إِذَا نَلْنَا مَنَا
 لِأَنَّ مُحَمَّدًا فِيْنَا فَلَسْنَا
 فَسَائِلَ عَنِ بِلَائِهِمْ بِبَدْرِ
 غَدَاةَ رَمَوْا بِجَمْعِهِمْ لُؤْيَا
 فَكَأَنُوا كَالْهَشِيمِ يَشْبُ فِيهِ
 وَسَائِلَ عَنْهُمْ الْأَحْزَابَ لَمَّا
 وَضُرِبُهُمْ عَلَى أَلَمٍ وَقَرْحِ

فَدُونِي كُلُّ فَحْرٍ وَاحْتِيَالِ
 قُهُورُ الشَّمْسِ تَوْمَاضُ الذُّبَالِ
 فَكَمْ غُصًّا وَسَارًا بِالرُّجَالِ
 يَمْجُ كَمْجٌ أَفْوَاهِ الْعَزَالِي
 كَفَوْهَا بِالْكَفَاحِ مِنَ الصَّقَالِ
 كَرِيهِ النُّجْمِ مُعْتَكِرِ الظَّلَالِ
 كَطَمِي الْحَمْسِ بَادِرَ لِلْسَّحَالِ
 بِصَرْفِ الْمَوْتِ إِذْ دُعِيَتْ نَزَالِ
 جُنَاةَ الْحَرْبِ عَارِيَةَ الْمَجَالِ
 يَكُوبُ الْمُتَرْفِينَ عَلَى السَّبَالِ
 بِكُلِّ عَتَادِ أَمْرٍ وَاحْتِيَالِ
 إِلَيْكُمْ فَاجْهِدُوا عُقْدَ الْحِبَالِ
 نُهْزِهِزُّ عَنِ يَمِينِ أَوْ شِمَالِ
 وَنَسِي كُلِّ آنِسَةِ الدَّلَالِ
 وَلَا جَزَعٌ لِأَيَّامِ الْمُدَالِ
 وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيَّتُنَا بُبَالِي
 وَقَدْ يُشْفَى الْعَمَى عِنْدَ السُّوَالِ
 وَكَبْشُهُمْ يَزِيْفُ إِلَى الصِّيَالِ
 حَرِيْقٌ شِبْهُ لَفْحٍ فِي الشَّمَالِ
 تَفَحَّمْنَا بِهِمْ حُذْبَ التَّلَالِ
 كَضَرْبِ فَلَاقَةِ وَلَدَانِ تَقَالِ

رَأَوْا نَارًا تَشْبُ لِكُلِّ صَالٍ
لَدَيْنَا مِنْهُمْ غُسْرَ الْمَنَالِ
كَبَاغِي الْعَيِّ رُدًّا بِإِلَالِ
وَطُنَّاهُمْ بِوَاهِضَةٍ ثَقَالِ
خِلَالَ بِيُوتِ مَكَّةَ كَالسَّعَالِ
وَتُنْشِيهَا فَتَعْطِفُ كُلَّ جَالِ
جُمُوعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَوَالِ
فَبُنَا نَوْبَ آفَةِ الْفِحَالِ
نَوْمٌ إِلَى الْمُنَوِّهِ كَالْجَمَالِ
بِعَوْنِ اللَّهِ وَاسْمِهِ ذِي الْجَلَالِ
تَوَلَّوْا مُجَهِّضِينَ عَنِ الْقِتَالِ
وَبِالْبَيْضِ الْمُهْفَهْفَةِ الْحِفَالِ
بِسَبْقَةِ مَجْدِهَا أُخْرَى اللَّيَالِ
يُصَدِّقُ مَا يَقُولُ بِكُلِّ مَالِ
تُكَانِفُهُ وَتَمْنَعُ مَنْ يُوَالِي
عَنِ الْإِسْلَامِ كَالْبَقْرِ الثَّمَالِي
وَلَا خِرْقٍ بِمُعْتَرِكِ النَّزَالِ
يَأْتِيهِ السُّقَاةُ وَبِالْعِلَالِ
وَأَثْكَلَ مَنْ يَعُزُّ أَبُو حِبَالِ
عَلَى جُرْدِ ضَوَامِرِ كَالْمِغَالِ
وَجَدْنَا هُمْ كَسَائِمَةِ الْمِثَالِ

وَقَدْ حَشَدَتْ لَنَا الْأَحْزَابُ لَمَّا
وَلَقُوا لَقْمَهُمْ لَتِنَالٍ نَيْلًا
فَجَدَدْنَا لَهُمْ نَيْلًا وَأَبُوا
وَيَوْمَ الْفَتْحِ قَدْ عَلِمُوا بِأَنَا
فَمَا بَرَحَتْ جِيَادُ الْحَيْلِ تَهْوِي
تُكْفِ أَعِنَّةً مِنْهَا مِرَارًا
وَسَائِلٌ عَنِ حُنَيْنٍ حِينَ وُلَّتْ
وَنَادَانَا بِنُصْرَتِنَا مُنَادِ
وَمَا فِيْنَا غَرِيبٌ مِنْ سَوَانَا
فَوَافَيْنَا الرَّسُولَ فَقَالَ: شُدُّوا
فَمَا صَبَرُوا لِشِدَّتِنَا وَلَكِنْ
وَأُبْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالْأَسَارِي
وَأَيَّامٍ سِوَاهَا قَدْ ذَهَبْنَا
وَأَسَيْنَا الرَّسُولَ وَمَنْ أَتَانَا
فَنَحْنُ أَوْلُوا مُؤَاوِرَةً وَنَصْرِي
فَسَلُّ عَنَّا الْقَبَائِلَ حِينَ رُدَّتْ
فَوَافَيْنَا بُزَاخَةَ غَيْرِ مَيْلِ
وَأَنْزَعُ بَيْنَنَا حَوْضُ الْمَنَايَا
فَأَقْلَبْنَا طَلِيحَتَهُمْ جَرِيضًا
وَزُرْنَا بِالْبِطَاحِ بِنِي تَمِيمِ
فَمَا تَابُوا وَلَا امْتَنَعُوا وَلَكِنْ

تَحَارُ جِيَادُنَا وَتُرْدُ مِنْهَا
تَرَكْنَا مَالِكًا وَمَسُودِيهِمْ
وَحُزْنَا غُرْسَهُ مِنْ بَعْدِ بِيضِ
بِلَا مَهْرٍ أَصَبْنَا سِوَى حِدَادِ
وَقُدْنَا لِلْيِمَامَةِ كُلِّ طَرْفٍ
نُرِيدُ لِقَاءَ كَذَابٍ لَيْمٍ
فَفَاجَأْنَاهُ تَحْتَ التَّقَعِ شَعْنًا
وَحَاسَيْنَاهُمْ جُرْعًا تُؤَدَى
وَأُورِدْنَا الْحَدِيقَةَ مُتَرَفِيهِمْ
وَأَفْحَمْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ حَرْقٍ
فَكَانُوا كَالْحَصِيدِ غَدَتِ عَلَيْهِمْ
وَعُودِرِ فِيهِمْ الْكُذَابُ رَهْنًا
وَرُحْنَا بِالسَّبَايَا لَمْ تُنَاطِرْ
فَهَاتِ كَمَا أَعَدُّوا هَاتِ قَوْمًا
وَرُمْ مِسْكِينَ حِينَ تُرِيحُ رَأْيَا
وَلَوْ جَارَيْتَ قَوْمَكَ مِنْ مَعَدِّ
سِوَى رَهْطِ النَّبِيِّ فَتَمَّ مَجْدُ
وَقَبْلَكَ رَامَ يَجْرِي ذُو فَخَّارِ
أَتَانَا شَامِحًا يُبْدِي سُرُورًا
جَعَلْنَا بِالْقَصِيدِ لَهُ خِشَاشًا
وَلَوْلَا أَنْ تَحِيدَ الْيَوْمَ عَنِّي

خَسَائِسَهَا وَتَصْرِفُ كُلَّ حَالِ
بِمُنْخَرِقٍ لِسَافِيَةِ الشَّمَالِ
صَفَايَا مُصْطَفَيْنَ مِنَ الْحِجَالِ
وَسُمْرٍ مِنْ مُثَقَّفَةِ نَهَالِ
أَقْبَ مَقْلَصٍ نَهْدِ طُوَالِ
مُسَيْلِمَةَ الْمَصْرِ عَلَى الضَّلَالِ
كَأَسَدٍ غَامَرَتْ تَحْتَ الظَّلَالِ
عَلَى كُرهِ الْحَيَاةِ إِلَى الزُّوَالِ
نَسُوقُهُمْ بِبِهْنَدِيِّ النَّصَالِ
رَكُوبِ الْحَيْلِ مُضْطَلَعِ النَّضَالِ
طَمَاظِمُ لَيْسَ تُوصَفُ بِالتَّكَالِ
لِدَائِرَةِ الْعَوَاقِبِ بِالتَّوَالِي
مَرَاضِعُهَا مَتَى أَمَدُ الْفِصَالِ
كَقَوْمِي عِنْدَ مُخْتَلَفِ الْعَوَالِي
سِوَى الرَّأْيِ الْمُضَلِّ وَالْمَقَالِ
كَفَوَتْ الطَّرْفَ عَيْرًا فِي التَّكَالِ
وَفِعَلٌ قَاهِرٌ لِلنَّاسِ عَالِ
غَزِيرُ الشَّعْرِ مُشْتَهَرُ الرَّجَالِ
بِشَأْوٍ كَانَ مِنْهُ وَهُوَ حَالِ
فَوَاتًا فِي الْعَقِيقِ وَالْأَرْتَجَالِ
تَرَكْتُكَ تَرَكَ حُرِّ ذِي اشْتِعَالِ

يَقُولُ إِذَا هَجَاهُ غَيْرُ كَفْوٍ
 قَعِيدِكَ قَدْ أَجَنْتُكَ لَا بِفَحْشٍ
 فَإِنْ تَنْزَعُ فَحَظُّكَ نَلَتْ مِنْهُ
 سَتَبَعْتُ لِلْجَوَابِ أَحَا حِفَاظٍ
 رَحِيبَ الْبَاعِ لَا قِصْفًا هَدُورًا
 أَرِيبَ زَانَهُ حِلْمٌ وَعِلْمٌ
 فَإِنْ تَحْلُمُ فَذُو حِلْمٍ جَسِيمٌ

وَقَالَ يَهْجُو مَسْكِينَ بْنَ عَامِرٍ:

إِنَّمَا أَنْتَ فِي ضَلَالٍ تَهِيمٍ
 إِنَّ بَدِيٍّ مِنَ الرَّجَالِ الْكَرِيمِ
 إِنَّمَا الْمَوْتُ أَنْ يُسَبَّ الزَّيْمِ
 أَمْ هَجَانِي بظَهْرٍ غَيْبٍ لَيْمِ
 أَيُّهَا الشَّاتِمِي لِتَجِيبِ مِثْلِي
 لَا تَسُبَّنِي فَلَسْتُ بِبَدِيٍّ
 إِنَّ سَبَّ الْكَرِيمِ فِيهِ شِفَاءٌ
 مَا أَبَالِي أَنْبُ بِالْحَزَنِ تَيْسِ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: سَرَقَ هَذَا النَّبِيَّ وَالَّذِي قَبْلَهُ مِنْ أَبِيهِ فِي هَجَائِهِ لِابْنِ الزَّبْعَرِيِّ.

- حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: أَهْدَى الْمُقَوْفُسُ صَاحِبَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 مَارِيَةَ ابْنَةَ شَمْعُونَ الْقَنْطِيَّةِ، وَأُخْتَهَا شِيرِينَ، وَخَصِيًّا يُدْعَى مَابُورًا فَاتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 مَارِيَةَ ابْنَةَ شَمْعُونَ لِنَفْسِهِ، فَهِيَ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ، وَوَهَبَ شِيرِينَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ، فَأَوْلَدَهَا
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَ خَالَةِ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَنْقَرَضَ وَلَدُ
 حَسَّانِ^(١).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيزِيُّ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ فِي الْكُتَّابِ، فَتَأَخَّرَ فِي
 الْكُتَّابِ، فَقَالَ لَهُ مُعَلِّمُهُ: أَيْنَ كُنْتُ؟ وَأَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهُ، فَقَالَ: اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُعْتَرِلاً فِي
 دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيَا وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَسَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ زُنْبُورٌ وَهُوَ صَبِيٌّ، فَأَتَى

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/١٣١).

أَبَاهُ، فَقَالَ: يَا أَبْنَةَ، عَضْنِي دَابَّةً، كَأَنَّهُ بُرْدُ حَبْرَةٍ. فَقَالَ حَسَّانُ: قُلْتَ الشَّعْرَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ^(١).
خَلَوْتُ أَنَا وَابْنُ عَزِيزٍ مَعَ الرَّشِيدِ فَذَكَرَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ كَأَنَّهُ هَمٌّ
بِالنَّظَرِ فِيهِ، فَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عَزْوَةَ مُتَمَثِّلًا:

لَيْتَ هِنْدًا أَلْجَزْتَنَا مَا تَعْدُ وَشَفْتَ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِيْمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ

قَالَ جَدِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُضْعَبٍ: فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَيَحْيَى بْنُ خَالِدٍ بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ،
فَقَالَ لِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، هَلْ وَجَدْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِي أَثْرًا تَكَرَّهَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ:
فَخَلَوْتُ مَعَهُ الدَّهْرَ لَمْ أَغِبْ لَكَ بِشَيْءٍ، وَخَلَوْتُ سَاعَةً فَفَرَضْتَنِي، قُلْتُ: قَدْ بَلَغَكَ
الْحَدِيثُ، كُنْتُ مَعَ رَجُلٍ فَكَرِهْتُ أَنْ أَخَذْلَهُ، وَاسْتَطْمَعَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شِكَايَتِكَ،
فَشَكَوْتُكَ بِأَهْوَنِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: حَبَسَ أَرْزَاقَنَا وَشَغَلَ وَجْهَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنَّا،
وَلَوْ أَرَدْتُ قَرَضَكَ لَوَجَدْتُ لِي أَثْرًا.

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ:
اسْتَعْمَلَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ ابْنَ أَبِي عَاصِيَةَ عَلَى يَنْبَعِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْحَسَنِ فَجَرَى بَيْنَهُمَا كَلَامًا، فَأَغْلَطَ لِابْنِ أَبِي عَاصِيَةَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِيَةَ: إِنِّي قَدْ
أَقْلَبْتُكَ، فَإِنْ عُدْتَ ضَرْبَتِكَ وَاللَّهِ مِائَةَ سَوْطٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَنْصُورَ، فَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ أَنْ يَشُدَّ
ابْنَ أَبِي عَاصِيَةَ فِي الْحَدِيدِ، وَيَرْفَعَهُ إِلَيْهِ. فَفَعَلَ، فَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ أَبِي عَاصِيَةَ عَلَى
الْمَنْصُورِ، قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتُ إِلَّا لِمَا عَلِمَ مِنْ رَأْيِهِ، وَأَنَا الْقَائِلُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ:

لِيَحْبِسُكُمْ أَنْ تَمْنَعُوا بِنُبَاحِكُمْ ثَمَرَاتٍ يَنْبَعُ شَرٌّ دَارٍ يَنْبَعُ
هَلَا أَمِيَّةٌ وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَكُمْ وَلَهَا عَلَيْكَ رِحَالَةٌ لَا تُنْزَعُ
رَكْبُوكِ مُرْتَحِلًا فَظَهْرُكَ مِنْهُمْ دَانِي الْحَرَاقِفِ وَالْفِقَارِ مَوْقِعُ
كَالْكَلْبِ يَأْلَفُ حَانِقِيهِ وَيَتَّحِي نَحْوَ الَّذِينَ بِهِمْ يُعْزُ وَيُمنَعُ

فَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ، وَحَلَّى سَبِيلَهُ.

حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمَأْمُونَ، يَقُولُ: لَيْسَ عَلِيٌّ فِي الْحُكْمِ مَثُونَةً، وَلَوِودِدْتُ أَنْ أَهْلَ الْجَرَائِمِ عَلِمُوا رَأْيِي فِي الْعَفْوِ، فَيَذْهَبَ عَنْهُمْ الْخَوْفُ، وَتُسَلِّمَ قُلُوبُهُمْ لِي وَقَالَ الْمَأْمُونَ: الْمُلُوكُ تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: الْقَدْحُ فِي الْمُلْكِ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ، وَالتَّعَرُّضُ لِلْحُرْمِ^(١).

اسْتَقْبَلَ الطَّالِبِيُّونَ الْمَأْمُونَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَأَعْتَذَرُوا مِمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ. فَقَالَ الْمَأْمُونَ لِمُتَكَلِّمِهِمْ: كُفَّ وَاسْمَعْ مِنِّي. أَوْلْنَا وَأَوْلَكُمْ مَا تَعْلَمُونَ، وَآخِرُنَا وَآخِرُكُمْ مَا تُرِيدُونَ، وَتَنَاسَوْا مَا بَيْنَ هَذَيْنِ.

قَالَ: وَرَكِبَ الْمَأْمُونَ يَوْمًا فَصَاحَ إِلَيْهِ الْأَنْصَارُ، فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتُمْ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَالْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ يُرِيدَانِ نُصْرَتَكُمْ، فَلَا تُرِيدُوا مِنَّا ثَوَابًا قَالَ: وَذَكَرَ الْمَأْمُونَ يَوْمَ اخْتِلَافِ النَّاسِ، فَقَالَ لِثَمَامَةَ: قَدْ كَثُرَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْإِسْطِطَاعَةِ، وَذَكَرَ الْأَفْعَالِ، فَاجْمَعْ لِي فِي هَذَا كَلَامًا تَخْتَصِرُهُ لِيُفْهَمَ. قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنِ الْجَوَابِ إِلَّا لِتَشَخُّصِ الْقُلُوبِ إِلَى فَهْمِهِ. فَجَمَعَ النَّاسَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَلَمَّا جُمِعُوا وَحَضَرَهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، قَالَ لَهُ الْمَأْمُونَ: تَكَلَّمْ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَخْلُو هَذِهِ الْأَفْعَالُ مِنْ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا مِنَ اللَّهِ، فَمَا السَّبِيلُ عَلَيْنَا؟ أَوْ تَكُونَ مِنْهُ وَمِنَّا فَمَنْ الْحُكْمُ بَيْنَنَا؟ أَوْ يَكُونَ مِنَّا وَالْقَوَى مِنَ اللَّهِ. قَالَ: فَقَالَ الْمَأْمُونَ: بَلْ وَمِنَّا وَالْقَوَى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. كَانَ لِبِكَارِ بْنِ رَبَاحٍ مَنْزِلٌ إِلَى دَارِ الْعِجَلَةِ، فَأَعْطَاهُ بِهِ الْمَهْدِيُّ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كُنْتُ لِأَبِيعِ جَوَارِكَ بِشَيْءٍ، فَتَرَكَ لَهُ مَنْزِلَهُ، وَأَعْطَاهُ الْأَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ، فَفِيهِ بَعْضُ وِلْدِهِ الْيَوْمِ. قَالَ: وَبِكَارُ بْنُ رَبَاحٍ مَوْلَى لَالِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ الثَّقَفِيِّ، حَلِيفُ بْنُ زُهْرَةَ. وَأَنْشَدَنِي لِبِكَارٍ فِي الْمَهْدِيِّ يَزِيهِ:

أَلَا رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ عَلَى رِمَّةٍ رُسَّتْ بِمَاسِئِدَانِ
لَقَدْ غَيَّبَ الْقَبْرُ الَّذِي تَمَّ سُودُّدًا وَكَفَّيْنِ بِالْمَعْرُوفِ تَبْتَدِرَانِ^(٢)

حَدَّثَنِي أَبُو غَرَبَةَ، وَكَانَ قَاضِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ غُرَيْرٍ يَتَعَشَّقُ

(١) انظر: تاريخ الطبري (٨٨/٨).

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٤٣٢/٢٣).

عِبَادَةَ جَارِيَةِ الْمُهَلَّبِيَّةِ، وَكَانَتْ الْمُهَلَّبِيَّةُ مُنْقَطِعَةً إِلَى الْخَيْرُرَانَ، فَرَكِبَ إِسْحَاقُ يَوْمًا وَمَعَهُ جَدِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُضْعَبِ بْنِ ثَابِتٍ، يُرِيدَانِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيَّ، فَلَقِيَا عِبَادَةَ، فَقَالَ إِسْحَاقُ: يَا أَبَا بَكْرٍ هَذِهِ عِبَادَةُ، وَحَرَكَ دَابَّتَهُ حَتَّى سَبَقَهَا، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا فَظَنَّرَ إِلَيْهَا، فَضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُضْعَبِ، وَمَضَى فَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَحَدَّثَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُضْعَبِ بِمَا فَعَلَ إِسْحَاقُ، فَقَالَ: أَنَا أَشْتَرِيهَا لَكَ، وَدَخَلَ عَلَى الْخَيْرُرَانَ، فَدَعَا الْمُهَلَّبِيَّةَ فَسَامَهَا وَأَعْطَاهَا ثَمَنَهَا خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُهَا لِنَفْسِكَ فَبِهَا فَدَاكَ اللَّهُ، هِيَ لَكَ. فَقَالَ: أُرِيدُهَا لِإِسْحَاقَ بْنِ عُرَيْرٍ، فَبَكَتْ وَقَالَتْ: تُوَثِّرُ عَلَيَّ إِسْحَاقَ، وَهِيَ يَدِي وَرِجْلِي وَلِسَانِي فِي حَوَائِجِي. فَقَالَتْ الْخَيْرُرَانُ: مَا يُبْكِيكَ؟ صَارَ إِسْحَاقُ يَتَعَشَّقُ جَوَارِي النَّاسِ، لَا يَصِلُ وَاللَّهِ إِلَيْهَا أَبَدًا. فَأَخْبَرَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا جَرَى فِيهَا. وَقَالَ لَهُ: الْخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لَكَ مَكَانَهَا. فَأَخَذَهَا. فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ:

مَنْ صَدَقَ الْحُبَّ لِأَحْبَابِهِ فَإِنَّ حُبَّ ابْنِ غُرَيْرٍ غُرُورُ
أَلْسَاهُ عِبَادَةَ ذَاتِ الْهَوَى وَأَذْهَبَ الْحُبَّ لَدَيْهِ الضَّمِيرُ
خَمْسُونَ أَلْفًا كُلَّهَا وَازِنُ حَسَنَ لَهَا فِي كُلِّ كَيْسٍ صَرِيرُ
وَقَالَ أَيْضًا:

حُبُّكَ الْمَالَ لَا كَحُبِّكَ عِبَادَةَ يَا فَاضِحَ الْمُحِيئِنَا
لَوْ كُنْتَ أَصْفَيْتَهَا الْوِدَادَ كَمَا قُلْتَ لَمَّا بَعْتَهَا بِخَمْسِينَ^(١)

كَتَبْتُ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ:

يَا ضَيْفَ إِسْحَاقَ كُنْ فِي خَيْرٍ مَنْزِلَةٍ فَضَيْفُ إِسْحَاقَ مَحْبُورٌ وَمَمْنُوحُ
وَاسْمَعْ مِنَ الْعِلْمِ أَلْوَاعًا عَلَى تِقَةٍ أَنْ لَسْتَ نَائِلَهَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ
لَكَ الْكَرَامَةُ مِنْهُ شِيْمَةٌ خُلِقَتْ وَالْعِلْمُ عَنْ ضَيْفِهِ مَحَلٌّ وَمَجْلُوحُ
هَيَّاتَ فِي الْعِلْمِ إِذْ تَرَجُّو فَوَائِدَهُ رُمْتَ الَّذِي لَمْ تَقْعَعُهُ الْمَفَاتِيحُ
فَكَتَبَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ:

الْعِلْمُ عِنْدِي شَيْءٌ لَسْتُ مَانِعَهُ وَكُلُّ بَابٍ لَهُ عِنْدِي فَمَفْتُوحُ
لَوْ لَا مَوَاقِعَ أَرْعَاهَا وَأَرْقُبُهَا وَإِنْ لَمِثْلَكَ مِنِّي الْحِلْمَ مَمْنُوحُ
إِذَا لَجَاءَكَ مِنِّي مَنْطِقٌ قَدِغٌ يَطِيرُ مِنْهُ إِذَا اسْتَسْمَعْتَهُ الرُّوحُ

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ قَحْذَمِ مَوْلَى آلِ أَبِي بَكْرَةَ، وَكَانَ قَحْذَمٌ كَاتِبًا لِيُوسُفَ بْنِ غَمَرَ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسْرِيُّ الْعِرَاقَ اتَّخَذَ أَمْوَالًا وَضِيَاعًا، وَحَفَرَ أَنْهَارًا، فَكَانَ يَسْتَغْلُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ بِالْعِرَاقِ، مِنْهَا نَهْرُ خَالِدٍ، وَكَانَ يَغْلُ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَالْجَامِعَ، وَالْمُبَارَكَ، وَلُؤْبَةَ سَابُورَ، وَالصَّلْحَ، وَكَانَ هِشَامٌ حَسُودًا مُتَيَقِّظًا، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَأَحْفَظَهُ، وَأَصْرَّ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَ خَالِدًا أَخِي لُؤْبَةَ، وَصَنَائِعُهُ الْعُزَيَانَ بْنَ الْهَيْثَمِ، وَبِلَالَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ، وَغَيْرَهُمَا، فَقَالُوا: نُشِيرُ عَلَيْكَ بِرَأْيٍ قَدْ أَصْبَنَاهُ وَرَأَيْنَاهُ صَوَابًا، فِيهِ دَوَامٌ نِعْمَتِكَ، وَكَبْتُ أَعَادِيكَ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالُوا: قَدْ بَلَّغْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامٍ مَا غَمَّنَا مِنْ سُؤَالِهِ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ عَنْ غَلَاتِكَ وَأَمْوَالِكَ، فَاتَّكَبَ إِلَيْهِ فَاعْرَضَ عَلَيْهِ أَمْوَالِكَ. فَقَالَ وَاللَّهِ مَا يِعَارِضُنِي شَيْءٌ فِي نَصِيحَتِكُمْ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِي الدِّيَنَةَ، وَلَا أُخْرِجُ عَنْ يَدِي دِرْهَمًا قَسْرًا فَمَا فَوْقَهُ أَبَدًا. قَالُوا: فَإِنَّ هِشَامًا أَعْدَرَ مِنْكَ. وَلَاكَ وَلَا تَفْلِكَ شَيْئًا، وَقَدْ عَرَفْتَ شَرَّهُ وَحِرْصَكَ، فَإِنَّ هُوَ قَبِضَ مَا تَعْرِضُ عَلَيْهِ فَعَلَيْنَا جَمْعَهُ لَكَ ثَانِيَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَمِائَةِ كَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنكَ أَمْرٌ لَمْ يَحْتَمِلُهُ مِنْكَ إِلَّا لِمَا أَحَبَّ مِنْ رَبِّ صَنِيعَتِهِ قَبْلَكَ، وَاسْتَيْمَامَ مَعْرُوفِهِ عِنْدَكَ، وَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ مِنْ اِشْتِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْكَ، فَإِنْ تَعُدُّ لِمِثْلِ مَقَالَتِكَ وَمَا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنكَ، رَأَى فِي مُعَاجَلَتِكَ بِالْعُقُوبَةِ رَأْيَهُ، إِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا طَالَتْ بِالْعَبْدِ مُتَمَدِّدَةً أَبْطَرْتُهُ، فَأَسَاءَ حَمَلَ الْكِرَامَةِ، وَاسْتَغْلَ النِّعْمَةَ، وَنَسَبَ مَا فِي يَدِهِ إِلَى جِبَلْتِهِ، وَبَيْتِهِ وَرَهْطِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ الْعِيرُ، وَانْكَشَطَ عَنْهُ عِمَايَةُ الْغِنَى وَالسُّلْطَانِ، ذَلَّ مُنْقَادًا وَنِدْمَ قَسْرًا، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ قَادِرًا عَلَيْهِ، فَاهْرَأَ لَهُ، وَلَوْ أَرَادَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِفْسَادَكَ لَجَمَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ شَهِدَ فَلَتَاتِ حَطْلِكَ، وَعَظِيمَ زَلْلِكَ، حَيْثُ تَقُولُ لِجُلْسَائِكَ: وَاللَّهِ مَا زَادَنِي الْعِرَاقُ رِفْعَةً وَلَا شَرْفًا، وَلَا وَلايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ مَنْ كَانَ قَبْلِي، مِمَّنْ هُوَ دُونِي، يَلِي مِثْلَهُ. وَلَوْ ابْتُلِيَتْ بِبَعْضِ مَقَاوِمِ الْحَجَّاجِ أَهْلَ الْعِرَاقِ فِي تِلْكَ الْمَضَائِقِ بِمِثْلِ الْجَمَاعَاتِ الَّتِي لَقِي، لَعَلِمْتَ أَنَّكَ مِنْ

بجيلة، ولقد خرج عليك أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنيك، فما استطعتم إلا بأمان، ثم أخفرت ذمتك، فيهم رزين وأصحابه، ولعمري لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بلفظك في مجلسك، وجحودك فضله عليك، في تصغير عظيم ما أنعم به عليك، فحل العفدة ونقض الصنيعة، وردك إلى منزلة أنت أهلها، لكنت له مستحقا، ولقد حشد جدك يزيد بن أسد مع معاوية يوم صفين، وعرض دينه ودمه فما اضطنع إليه، ولا ولاه ما اضطنع إليك أمير المؤمنين وولاك، وقبله من أشراف أهل اليمن والبيوتات من قبيلته أكرم من قبيلتك من كندة وعسان وآل ذي يزن وذو كلاع وذو رعين، في نظرائهم من بيوتات قومهم، كلهم أكرم أولية، وأشرف أسلافا من آل عبد الله بن يزيد. ثم أترك أمير المؤمنين بولاية العراق، بلا بيت عظيم، ولا شرف قديم، ولهذه البيوت تغمرك وتعلوك، وتسكتك وتتقدمك في المحال والمجامع عند ابتداء الأمور وأبواب الخلفاء، ولو لا ما أحب أمير المؤمنين من رد غريك لعاجلك بالتي كنت أهلها، وإنها لقريب منك مأخذها، سريع مكروها، فمنها إن اتقى الله أمير المؤمنين زوال نعمة الله عليك، وحلول نعمته بك، فيما صنعت، وارتكبت بالعراق من أهله، واشتعانك باليهود والنصارى والمجوس، توليهم أموال المسلمين وخزاجهم، وتسلطهم عليهم، نزع بك إلى ذلك عرق سوء من التي قامت عنك، فبئس الجين أنت غدي نفسك، وإن الله لما رأى إحسان أمير المؤمنين إليك وسوء قيامك بشكره، قلب قلبه لك، فأشخطه عليك، حتى قبحت أمورك عنده، وآيسه مع شرك ما ظهر له من كفر النعمة عندك، فأصبحت تنتظر غير النعمة، وزوال الكرامة، وحلول الخزي، فتأهب لتوازل عقوبة الله بك، فإن الله عليك أوجد، ولما عملت أكره، فقد أصبحت وذئوبك أعظم من أن يبكتك بها أمير المؤمنين ذنبا ذنبا، ومن يرفع عليك عنده يبكتك منها بما نسيته، وأحصاه الله عليك، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك بما عرفك من التسرع إلى حماقاتك، في غير واحدة، منها الفرشي الذي تناولته بالحجاز ظالما، فضربك الله بالسوط الذي ضربته به، مفضحا على رؤوس رعيتك، ولعل أمير المؤمنين أن يعود عليك بمثلها، فإن فعل فأنت أهلها، وإن صفح فأهله هو، والله لو لم يستدل أمير المؤمنين على ضعف نحائرك، وسوء تدبيرك إلا فسالة دخلائك، وبطانتك وعمالك، والغالبية عليك جاريتك الرائقة، بائعة العهود، ومشغلة الرجال، مع ما أتلفت

مِنْ مَالِ اللَّهِ بِالْمُبَارَكِ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَاللَّهُ أَنْ لَوْ كُنْتَ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ
 لَمَا احْتَمَلَ لَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَفْسَدْتَ مِنْ أَمْوَالِ اللَّهِ، وَضَيَّعْتَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ،
 وَسَلَّطْتَ مِنْ وِلَاةِ الشُّوءِ عَلَى جَمِيعِ كُورِ الْإِسْلَامِ، تَحْمَلُ إِلَيْكَ هَذَا النَّيُّوزِ
 وَالْمَهْرَجَانَ، خَالِسًا لِأَكْثَرِهَا، زَافِعًا لِأَقْلَاهَا مَعَ كَثْرَةِ مَسَاوِيكَ الْمَثْرُوكِ تَقْرِيرُكَ بِهَا،
 وَمُنَاصِبَتِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوَالِدِ حَسَّانٍ وَوَكِيلِهِ فِي ضِيَاعِهِ، وَأَحْوَاذِهِ فِي الْعِرَاقِ،
 وَسَيَكُونُ لَكَ وَالْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَبَأٌ إِنْ لَمْ يَغْفُ عَنْكَ، وَلَكِنَّهُ يَظُنُّ اللَّهُ طَالِبِكَ بِأُمُورٍ غَيْرِ
 تَارِكٍ لِتَكْشِيفِكَ عَنْهَا، وَحَمْلِكَ الْأَمْوَالِ نَاقِصَةً عَنْ وَظَائِفِهَا الَّتِي جَبَّاهَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ،
 وَتَرَكَ رَفَعَ مُحَاسَبَتِكَ سَنَةً كَذَا وَكَذَا لِمَا وُلِّيتَ مِنْ خِرَاجِ الْعِرَاقِ، وَتَوَجَّهْتَ أَخَاكَ أَسَدًا
 إِلَى خُرَاسَانَ، مُظْهِرًا بِهَا الْعَصَبِيَّةَ، مُتَحَامِلًا عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍّ، قَدْ أَتَتْ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ عُيُونُهُ بِتَضْغِيرِهِ لَهُمْ، وَاحْتِقَارِهِ إِيَّاهُمْ، نَاسِيًا لِحَدِيثِ زَرْبٍ وَقَصَصِ الْهَجْرِيِّينَ،
 كَيْفَ كَانَتْ فِي يَزِيدَ بْنِ أَسَدٍ، فَإِذَا خَلُوتَ أَوْ تَوَسَّطْتَ مَلَأَ فَاعْرِفْ نَفْسَكَ، وَاحْذَرْ
 رَوَاجِعَ الْبُغْيِ عَلَيْكَ، وَعَاجِلَاتِ الْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ مَا بَعْدَ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَفْسَدُ لَكَ،
 وَأَشَدُّ عَلَيْكَ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَأْتَى فَيْتِكَ، وَأَمَلْ رَجْعَتَكَ، وَاسْتَنْظَرْ تَوْبَتَكَ، وَقِيلَ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَلَفَ كَثِيرٌ، فِي أَحْسَابِهِمْ وَبُيُوتَاتِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ، وَفِيهِمْ عَوْضُ مِنْكَ، وَاللَّهُ
 مِنْ وَرَائِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَالِمٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ
 وَمِائَةٍ. فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ كَتَبَ هِشَامٌ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ عَامِلُ الْيَمَنِ
 بِوِلَايَتِهِ عَلَى الْعِرَاقِ لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ شَهَامَتِهِ وَرُجْلَتِهِ وَخُبَيْتِهِ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ،
 فَأَرْسَلَ إِلَى طَارِقٍ فَحَبَسَهُ، وَكَانَ خَالِدٌ اسْتَحْلَفَ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيَّ، فَقَالَ يُوسُفُ
 لَزِيَادٍ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَنْتَسَبَ لَهُ، فَقَالَ: النَّجْرَانِيُّ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَخَلَّى سَبِيلَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدِ
 وَهُوَ بِالْحَمَّةِ، فَأَتَى بِهِ، فَحَبَسَهُ وَجَمِيعَ عُمَّالِهِ. فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَيَّاشٍ الْمَثُوفَ مَعَهُ أَخُوهُ
 الْفَضْلُ، وَقَدْ كَانَ الْعُرْيَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ ضَرَبَ الْجَرَاحِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيَّاشٍ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ
 خَالِدًا، فَلَمْ يُعِدْهُ عَلَيْهِ، فَحَقَّدُوا عَلَيْهِ، فَوُتِبَ عَبْدُ اللَّهِ وَالْفَضْلُ عَلَى خَالِدِ بْنِ يُونُسَ
 فَسْتَمَاهُ، وَكَادَا يَطَّانَهُ بِأَرْجُلِهِمَا وَيَقُولَانِ عَلَى مَا يُعَذِّبُ هَذَا أَلَا يُؤْتَى بِأَمِهِ النَّضْرَانِيَّةَ،
 فَتُعَذَّبُ حَتَّى تُسَلَّحَ عَلَى الصَّلِيبِ وَيُقْتَلَ هَذَا. فَأَقْبَلَ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْحَرَسِ عَلَيْهِمَا،
 فَهَرَبَ الْفَضْلُ وَضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَثُوفَ، وَخَرَقَتْ ثِيَابُهُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ قَمِيصِهِ إِلَّا
 الرِّيقُ، مَكْشُوفَ الْإِسْتِ، مُسْتَقْبِلًا فَتَقَّ اسْتَبَهَ عَيْنَ الشَّمْسِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ

فَدَعَا بِهِ، فَقَالَ: مَنْ ضَرَبَكَ؟ قَالَ: أَهْلُ الدُّنْيَا، مَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَارِبًا. قَالَ: لَكَيْتِي أَدْرِي مَنْ ضَرَبَكَ، عَلَى مَنْ كَانَتْ التَّوْبَةُ؟ قِيلَ: عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَدَعَا بِهِمْ، فَضَرَبَهُمُ الْفَأُ الْفَأُ، وَأَعْرَاهُمُ الثُّغُورَ، وَعَدَّبَ يُوْسُفَ خَالِدًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبْلَغَ نَفْسَهُ، ثُمَّ أَتَاهُ كِتَابُ هِشَامٍ فِي اسْتِخْلَاصِهِ إِلَى مَا قَبْلَهُ، فَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ، فَحَلَّى سَبِيلَهُ، فَكَانَ مُقِيمًا بِالشَّامِ إِلَى أَنْ مَاتَ هِشَامٌ فِي سَنَةِ خَمْسِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَزَدَهُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ إِلَى يُوْسُفَ بِالْعِرَاقِ فَعَدَّبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ^(١).

- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ كَلَّمَ أَهْلَ مَكَّةَ عُثْمَانُ بْنُ شَيْبَةَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى خَلِيفَةٍ فَفَعَلَ، وَكَلَّمَ أَهْلَ الطَّائِفِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى خَلِيفَةٍ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَجَاءَ إِذْنُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: هَذَا عَبْسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بِالْبَابِ. فَقَالَ: ائْتِنِي لَهُ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ سَكْرَانٌ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ ابْنَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، وَهِيَ امْرَأَتُهُ، فَجَعَلَ عَبْسَةُ يَنْظُرُ إِلَى جَلَا يَغْنِي كُوَّةً فِي الْبَيْتِ وَيَثُبُّ إِلَيْهِ لِمَا بِهِ مِنَ السُّكْرِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ: مَا ابْتُلِيتُ بِذَا اللَّيْلَةِ. فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: وَاللَّهِ مَا جَنَى جِنَايَةً قَطُّ. وَهُوَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَى أَنْ تَسْتُرَ عَلَيْهِ، وَتُحَلِّيَ سَبِيلَهُ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَبْطُلُ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ بِالطَّائِفِ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ: لِأَيِّ شَيْءٍ بَعَثْتَ إِلَيَّ؟ قَالَ: بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ إِلَى عَبْسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَتَشْهَدَ عَلَيَّ سَكْرِهِ. فَقَالَ: لَا وَصَلَتِكَ رَحِمًا، مَا كَانَ هَهُنَا أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنِّي. فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ هَهُنَا أَحَدٌ أَوْثَقَ فِي نَفْسِي مِنْكَ. قَالَ: أَمَا إِذَا فَعَلْتَ فَابْعَثْ إِلَيَّ رَجُلًا آخَرَ، فَبَعَثَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ، فَأَشْهَدَهُ أَيْضًا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَلَدَهُ الْحَدَّ، فَلَمَّا وَلِيَ مُعَاوِيَةَ قَدِمَ عَلَيْهِ عَبْسَةُ أَخُوهُ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ، وَإِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَإِلَى الثَّقَفِيِّ، فَدَسَّ إِلَى الثَّقَفِيِّ، وَإِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ يُكَذِّبَ نَفْسَهُ لِيَبْطُلَ الْحَدَّ، فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَرَجَعَ الثَّقَفِيُّ عَنْ شَهَادَتِهِ، فَمَكَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ بِبَابِ مُعَاوِيَةَ

(١) انظر: الكامل للمبرد (٢/٢٩٧).

سَنَةً لَا يُأَذِّنُ لَهُمَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ أَحْرَمَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَمُعَاوِيَةَ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ، أَنْ لَا وَلَا كَرَامَةَ، وَاللَّهِ مَا اسْتَأْذَنْتَنِي، وَلَا أَدْنَتْ لَكَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَلَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيَّ فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرٍ، فَأَخْبَرْتُكَ بِعَلْمِي فِيهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَأَنْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ، وَبَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ سَنَةً أُخْرَى، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الرَّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ حَاجًّا، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ قَطَائِعَ كَانَ أَخَذَهَا بِسَبَبِ عَنبَسَةَ، فَلَمْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدٍ خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَعَلَيْهَا زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَحَضَرَتْ زِيَادًا الْوَفَاءَ، فَاسْتَحْلَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدٍ عَلَى عَمَلِهِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا نَسْتَعْمِلُهُ، لَا عَلَى صَلَاتِهَا، وَلَا عَلَى خَرَاجِهَا. ثُمَّ اسْتَعْمَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَ أُمِّ الْحَكَمِ الثَّقَفِيَّ، فَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَلْفِي أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَشَخَّصَ إِلَى مَكَّةَ، حَيْثُ بَلَغَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ اسْتَعْمَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ أُمِّ الْحَكَمِ، فَلَمَّا بَلَغَ مُعَاوِيَةَ مَا أَخَذَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَنِي مِنْهُ، وَاللَّهُ مَا يُسْرِنِي أَنَّهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَنبَسَةَ، فَقَالَ: قَدْ أَمَكَّنَكَ اللَّهُ مِنْ ثَارِكَ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَبَضَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. قَالَ: قَدْ وَلَيْتُكَ الْحِجَازَ. فَتَهَيَّأَ عَنبَسَةُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ يُودِّعُهُ. فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ صَانِعٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ؟ قَالَ: أَضْرِبُ وَاللَّهُ بِيَدِهِ وَجْهَهُ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: بِاسْتِكَ، بِشَسِّ وَاللَّهِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَنْتَ. بِعَبْدِ اللَّهِ تَصْنَعُ هَذَا؟ وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ عَلَيْهِ حَنِيْفًا مُعْتَاظًا، وَقَدْ عَطَفَنِي عَلَيْهِ مَا سَمِعْتُ مِنْ عُنْفِكَ بِهِ، هِيَ لَهُ وَاللَّهُ، وَلَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ أَبَدًا. لَيْسَ مِثْلُكَ وَلِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ، قَدْ عَزَلْتُكَ مِنْ عَمَلِكَ.

- حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا مُسْلِمِ الْخَوْلَانِيَّ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ عَبَادِ أَهْلِ السَّامِ، قَامَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: يَا مُعَاوِيَةَ، عَلَى مَا تُقَاتِلُ عَلِيًّا، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَهُ مِنَ الْقَدْرِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالسَّابِقَةِ وَالْقَرَابَةِ مَا لَيْسَ لَكَ، إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ طَلِيقٌ ابْنُ طَلِيقٍ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَقَاتِلُهُ وَأَنَا أَدْعِي فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَ الَّذِي يَدْعِي، وَلِي فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُ مَا لَهُ، وَلَكِنِّي أَقَاتِلُهُ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ، إِنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ، فَأَنَا أَطْلُبُهُ بِدَمِهِ. فَخَرَجَ أَبُو مُسْلِمٍ عَلَى نَاقَتِهِ يَضْرِبُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْكُوفَةِ، فَأَنَاحَهَا بِالْكُنَاسَةِ، ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّاسُ عِنْدَهُ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ قَتَلَ عُثْمَانَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: اللَّهُ قَتَلَهُ، وَأَنَا مَعَهُ. فَخَرَجَ أَبُو مُسْلِمٍ وَلَمْ يُكَلِّمْنِهِ. حَتَّى

أَتَى نَاقَتَهُ فَرَكَبَهَا، فَاتَى الشَّامَ. وَقِيلَ لِعَلِيٍّ: إِنَّ الَّذِي كَانَ قَدْ دَخَلَ عَلَيْكَ أَبُو مُسْلِمٍ، فَارْسَلْ فِي طَلَبِهِ، فَفَاتَهُ، وَقَدِمَ أَبُو مُسْلِمٍ الشَّامَ، فَانْتَهَى إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَهُوَ يَتَعَدَّى، فَلَمَّا قِيلَ لِمُعَاوِيَةَ: قَدْ جَاءَ أَبُو مُسْلِمٍ، وَمَعَهُ لُثْمَةٌ، فَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَسِغَهَا حَتَّى وَقَعَتْ. قَالَ: فَدَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ فَحَيَّاهُ وَقَرَّبَهُ، وَرَحَّبَ بِهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَفَرِهِ، وَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ يَكْرَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ أَبُو مُسْلِمٍ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُ مُعَاوِيَةُ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: قُمْ فَوَاللَّهِ لِنُقَاتِلَنَّ عَلِيًّا، وَلَيَمَاتِلَنَّهُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَقْرَبَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ. قَالَ: فَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَرِحًا حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَنْتَى عَلَيْهِ، وَقَامَ أَبُو مُسْلِمٍ خَطِيئًا، فَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى قِتَالِ عَلِيٍّ ﷺ، وَأَنَّهُ أَقْرَبَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ، وَجَمَعَ مُعَاوِيَةُ لِعَلِيٍّ الْجُمُوعَ، وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، غَلَبَ عَلَى مِصْرَ، فَسَارَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى صِفَيْنَ، فَلَمْ يَزَلْ يُوَارِبُهُ حَتَّى قَالَ: اخْرُجْ إِلَيَّ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَأَخْرُجْ إِلَيْكَ فِي ثَلَاثِينَ حَتَّى نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا وَنَضْطَلِحَ عَلَى صُلْحٍ. فَفَعَلَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ وَمُعَاوِيَةُ. وَقَدْ أَمَرَ مُعَاوِيَةُ جُنُودَهُ أَنْ يَسِيرُوا مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِمْ، حَتَّى يُؤَافُوهُمْ بِذَلِكَ الْمَكَانِ. وَهُوَ وَمُحَمَّدٌ خَارِجٌ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فَبَيَّتَهُمْ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ، وَأَخَذَ مُعَاوِيَةُ أَوْلِيكَ الثَّلَاثِينَ، وَكَبَلَهُمْ فِي الْفَيْوَدِ، وَأَتَى بِهِمُ الشَّامَ، فَبَيْنَا هُمْ الشَّامَ، إِذَا صَانَعُوا صَاحِبَ السِّجْنِ، فَحَلَّى سَبِيلَهُمْ، وَلَمَّا أَصْبَحَ مُعَاوِيَةُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ، وَأَنَاهُ أَنْ عَلِيًّا قَدْ جَمَعَ لَهُ الْجُمُوعَ بِالْعِرَاقِ لِيَسِيرُوا إِلَيْهِ، وَخَبِرَ أَنَّ صَاحِبَ الرُّومِ قَدْ تَهَيَّأَ لِيَسِيرَ إِلَيْهِ، فَدَعَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي مُنْذُ أَصْبَحْتُ أَخْبَارًا ثَلَاثَةً، مَا جَاءَنِي قَطُّ أَخْبَارٌ أَفْطَعُ مِنْهَا، وَلَا أَكْرَهُ إِلَيَّ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ مَخْرَجٍ؟ خَرُوجُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُدَيْفَةَ مِنَ السِّجْنِ وَأَصْحَابِهِ، وَكِتَابُ صَاحِبِ الرُّومِ يَتَهَدَّدُنِي، وَجَمْعُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَهْلَ الْعِرَاقِ حِيلَةً، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: لَا يُهَوِّلُكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَأَمَّا خَرُوجُ مُحَمَّدٍ، فَابْعَثْ فِي أَثَرِهِ الْخَيْوَلِ الْمُضْمَرَةَ فِي كُلِّ طَرِيقٍ نَهَجَ وَغَامِضٍ لَا يُسَلِّكَ تُوتَ بِهِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الرُّومِ، فَارْسَلْ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ يَكْفُ عَنكَ، وَأَمَّا خَبْرُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَا جَمَعَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَهُوَ الْجَلِيلُ الْفَظِيعُ، لَمْ يَأْتِكَ مِثْلُهُ قَطُّ، فَاجْمَعْ لَهُ جُمُوعًا ثُمَّ ارْمِهِ بِهِمْ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ خَلْفَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُدَيْفَةَ رَجُلًا مِنْ خَنَعِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، فَأَدْرَكَهُ فِي غَارٍ دُلَّ عَلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ وَبَعَلَقَمَةَ بْنِ عَدِيْسِ الْبَلَوِيِّ، قَاتِلَ عُثْمَانَ، فَقَتَلَهُمَا، وَأَهْدَى إِلَى صَاحِبِ الرُّومِ هَدِيَّةً، فَكَفَّ عَنْهُ، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،

فَجَمَعَ لَهُ قَضَاهُ وَقَضِيضَهُ مِنْ جَمُوعِهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ زِيَادُ الْبُضْرَةَ، فَرَأَى خِصَاصَهَا مِنْ بَعِيدٍ، قَالَ: رَبُّ فَرِحَ بِإِمَارَتِي لَمْ تَنْفَعُهُ، وَرَبُّ مُتَبَائِسٍ مِنْهَا لَنْ تَضُرَّهُ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الْمُنْبَرِ مُتَزَمِّتًا مُتَلَبِّبًا عَلَيْهِ قَبَاءُ فُوَهْيِي، وَمَلَاءَةٌ مُمَصَّرَةٌ، فَحَطَبَ حُطْبَةً بَثْرَاءً، لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ قَالَ مَا بَلَّغَكُمْ، وَشَهِدَتِ الشُّهُودُ عَلَى مَا قَدْ سَمِعْتُمْ، وَقَدْ قَالَ النَّاسُ فِيمَا قَالُوا، وَإِنِّي امْرُؤٌ رَفَعَ اللَّهُ مِنِّي مَا وَضَعُوا، وَحَفِظَ مِنِّي مَا ضَيَّعُوا، وَإِنَّ عُيَيْنًا لَمْ يَعِدْ أَنْ كَانَ رَبِيًّا مَشْكُورًا وَأَبَا مَبْرُورًا، أَلَا وَإِنَّا قَدْ سُئِنَا وَسَاسَنَا السَّائِسُونَ، فَرَأَيْنَا هَذَا الْأَمْرَ لَا يُضْلِحُهُ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ جَبْرِيَّةٍ، وَلَيْنَ فِي غَيْرِ وَهْنٍ، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَتْ كَذِبَةٌ أَكْثَرَ شَاهِدًا عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَذِبَةِ أَمِيرٍ عَلَى مُنْبَرٍ، فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَاحْتَسِبُوهَا فِيِّي، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَهَا عِنْدِي أَخَوَاتٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أُجْرِي الْأُمُورَ مَجَارِيهَا، وَأَمْضِيهَا لِسَبِيلِهَا، فَلْتَسْتَقِمْ لِي قَنَاتِكُمْ، فَإِنَّ لِي فِيكُمْ صُرْعَى، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صُرْعَائِي، أَلَا وَإِنِّي آخِذُ الْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي، وَالشَّاهِدَ بِالْغَائِبِ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ أَحَاهُ، يَقُولُ: انْجُ سَعْدُ فَإِنَّ سَعِيدًا قَدْ قُتِلَ. قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ صَفْوَانُ بْنُ الْأَهْتَمِ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَدْ آتَاكَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ. فَقَالَ زِيَادٌ: كَذِبْتَ، ذَاكَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ. فَقَامَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْفَرَسَ بِشِدَّةٍ، وَالْعَيْشَ بِكَدِّهِ، وَالسَّيْفَ بِحَدِّهِ، وَالْمَرْءَ بِجِدِّهِ، وَإِنَّ جِدَّكَ قَدْ بَلَغَ مَا تَرَى، وَإِنَّ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، وَإِنَّا لَنْ نُثْنِي عَلَيْكَ حَتَّى نَتَبَيَّنَكَ، فَابُلْ خَيْرًا نُنْشِ خَيْرًا. فَقَامَ أَبُو بِلَالٍ مِرْدَاسُ بْنُ أَدِيَةَ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدَى عَنْ وَلِيِّهِ وَخَلِيلِهِ غَيْرَ الَّذِي أَدَيْتَ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى أَلَّا تَنْزُرُوا وَازِرَةً وَرَزْرًا أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٧-٣٨]، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا، فَكَانَ أَوَّلَ خَارِجِ خَرَجٍ بِالْبُضْرَةَ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّزْبِزِي: فَأَمَّا الْمَدَائِنِيُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي عَنْ رَجَالِهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ زِيَادُ الْبُضْرَةَ، قَدِمَهَا وَالْفُسُقُ بِهَا ظَاهِرٌ فَاشٍ، فَحَطَبْتُهُمْ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَفْضَالِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَنَسَأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ نِعَمِهِ وَإِكْرَامِهِ، اللَّهُمَّ كَمَا أَعْطَيْتَنَا نِعْمًا، فَأَلْهَمْنَا شُكْرًا، أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجَاهِلِيَّةَ الْجَهْلَاءَ، وَالضَّلَالَةَ الْعَمِيَاءَ، وَالْغِيَّ الْمُؤَفِّدَ لِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ، مَا فِيهِ سَفَهَاؤُكُمْ، وَمَا يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ حُلْمَاؤُكُمْ، مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، يَنْبُثُ

فِيهَا الصَّغِيرُ، وَلَا يَنْحَاشُ عَنْهَا الْكَبِيرُ، كَأَنَّكُمْ لَمْ تَقْرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ فِي الزَّمَنِ السُّرْمَدِ، الَّذِي لَا يَزُولُ، أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنُهُ الدُّنْيَا، فَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشَّهَوَاتُ، وَاخْتَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ، أَلَمْ تَكُنْ فِيكُمْ نَهَاءً تَمْنَعُ الْعَوَاةَ عَنِ دَلَجِ اللَّيْلِ وَغَارَةِ النَّهَارِ؟ وَكُلُّ امْرئٍ فِيكُمْ يَذُبُّ عَنِ سَفِيهِهِ صَنِيعٌ مِنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ، وَلَا يَرْجُو مَعَادًا، فَلَمْ يَزَلْ بِغَوَايِكُمْ مَا كَانَ مِنْ قِيَامِكُمْ دُونَهُمْ، وَذَبِكُمْ عَنْهُمْ، حَتَّى انْتَهَكُوا حُرْمَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَطْرَقُوا وَرَاءَكُمْ كُنُوسًا فِي مَكَانِيسِ الرَّيْبِ، مُحَرَّمٌ عَلَيَّ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ حَتَّى أَضَعَ هَذِهِ الْمَوَاحِيرَ الْأَرْضَ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا، إِنِّي رَأَيْتُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا يَصْلُحُ بِهِ أَوَّلُهُ. لَيْنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أَخَذَنَّ الْوَلِيُّ بِالْوَلِيِّ، وَالْمُقِيمُ بِالطَّاعِنِ، وَالْمُقْبِلُ بِالْمُدْبِرِ، وَالصَّحِيحُ بِالسَّقِيمِ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَحَاهُ فَيَقُولُ: انْحُ سَعْدُ فَإِنَّ سَعِيدًا قَدْ قُتِلَ. أَوْ تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتِكُمْ، إِنَّ كَذِبَةَ الْمُنْبِرِ، تُلْقَى مَشْهُورَةً فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلَيَّ بِكَذِبَةٍ، فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ مَعْصِيَتِي، مَنْ نُقِبَ عَلَيْهِ مِنْكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ لَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَدَلَجَ اللَّيْلِ، فَإِنِّي لَا أُوْتِي بِمُدْلِحٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ، وَإِيَّاكُمْ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنِّي لَا أَظْفُرُ بِأَحَدٍ دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ، وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحَدَانًا، وَقَدْ أَحَدْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةً، فَمَنْ عَرَّقَ قَوْمًا عَرَفْنَا، وَمَنْ حَرَّقَ عَلَى قَوْمٍ أَحْرَفْنَا، وَمَنْ نَقَبَ نَقَبًا نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ حَيًّا، فَكُفُّوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ وَالسِّنَّتَكُمْ، أَكْفَ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي، وَلَا يَظْهَرُ مِنْ أَحَدٍ خِلَافٌ مَا عَلَيْهِ عَامَّتْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: وَخَطَبَ زِيَادٌ بِالْبَصْرَةِ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: كَمْ مِنْ مُعْتَبِطٍ سَيَبْتِئُسُ، وَكَمْ مِنْ مُبْتَسِسٍ بَنَى سَيَعْتِطُ، أَلَا إِنَّ الْقُدْرَةَ تَذْهَبُ الْحَفِيظَةَ، أَلَا إِنَّهُ قَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحْنٌ وَأَشْيَاءٌ، وَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرَ أَذْنِي، وَتَحْتَ قَدَمِي، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ إِحْسَانًا، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ مِنْ إِسَاءَتِهِ. إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلُّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا، وَلَمْ أَفْتَحْ لَهُ بَابًا، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا، حَتَّى يُبْدِي لِي صَفْحَتَهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ، فَاسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ، وَأَعِينُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ بِرَحْمَتِكُمْ اللَّهُ، أَلَا وَإِنِّي لَا أَقُولُ قَوْلًا إِلَّا أَنْفَذْتُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَقُولُ قَوْلًا لَا أَنْفِذُهُ وَلَا أَفِي بِهِ، فَلَا طَاعَةَ لِي فِي أَعْنَاقِكُمْ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ، فَلَمَّا أَمْسَى سَمِعَ أَصْوَاتَ النَّاسِ، يَتَحَارِسُونَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: إِنَّ الْبَلْدَةَ مَفْتُونَةٌ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْمِضْرَ لِيَأْخُذَهَا الْفَسَاقُ، فَيَقَالُ لَهَا: نَادِي

ثلاثة أضواء، فإن أجابك أحد، وإلا فلا لوم علينا فيما صنعنا، قال زياد: ففيم أنا؟ وفيم قدمت؟ فلما أصبح أمر فتودي في الناس فاجتمعوا، فقال: أيها الناس، إني قد أنبتت بما أنتم فيه، وسمعت بعض ذلك. ألا وإني قد أئذرتكم وأجلتكم شهرا، مسيرة الرجل إلى الشام، ومسيرة الرجل إلى خراسان، ومسيرة الرجل إلى الحجاز، ألا فمن وجدناه بعد شهر خارجا من منزله بعد العشاء الآخرة، عبئد الله بن زياد، فمن دونه، فدمه هدر. قال: فانصرف الناس يقولون: هذا كقول بعض الحكماء. قال: فلما تم الشهر دعا زياد صاحب شرطته، عبد الله بن حصين اليزبوعي، وكانت شرطته أربعة آلاف رجل، فقال: هتبي خيلك ورجلك، فإذا صليت العشاء الآخرة، وقرأ القارئ مقدار سبع من القرآن، ورفع الطن القصب من القصر، فسر فلا تلتفن أحدا، عبئد الله بن زياد، فمن دونه إلا جئتني برأسه. قال: فصبح يباب القصر تسعمائة رأس، ثم خرج الليلة الثانية فجاء بخمسين رأسا، ثم خرج الليلة الثالثة، فجاء برأس واحد، فكان الناس إذا صلوا العشاء الآخرة، أحضروا إلى منازلهم وتركوا نعالهم. قال: ثم صعد زياد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: هدأت البلدة سائر اليوم، لكم بطون بيوتكم، ولنا ظهورها، لا حق لكم في ظهورها. ثم قال: أي سلك البصرة أخوف؟ قالوا: المزبد. فأمر فألقي فيها كيساء خز، فبقي سبعة أيام، لا يقربه أحد. ثم قال للناس: افتحوا منازلكم وحواليتكم، فمن ذهب له شيء فزياد له ضامن، ثم قال: إني رأيت، ورأينا لكم خير من رأيكم لأنفسكم. قال: وخطب زياد حين قدم البصرة، فقال: أيها الناس، إنا أصبحنا لكم سادة، وعنكم دادة، نشوسكم بسطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بنعم الله الذي حولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولىنا. فاستوجبوا عدلنا بمناصحتكم، واعلموا أي مهما قصرت فيه فلن أقصر عن ثلاث: لست مجمرا لكم بعنا، ولا محتجبا عن طالب حاجة معكم ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا لكم عطاء، ولا رزقا عن إبانة، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم، فإنهم ساستكم المؤدبون، وكهفكم الذي إليه تأوون، فمتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشرّبوا قلوبكم بغضهم، فيشتد ذلك غيظكم، ويعول له حزنكم، ولا تذرّكوا حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم فيها كان شرا لكم. أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أمر فيكم بالأمر فأنفذوه على أذلاله، وإيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون صرعاي.

قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهْتَمِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أُوتِيَتْ الْحِكْمَةَ وَفُضِّلَ الْخَطَابُ، قَالَ: كَذِبْتَ، ذَاكَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ، فَقَامَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، قَدْ قُلْتَ فَأَسْمَعْتَ، وَوَعظْتَ فَأَبْلَغْتَ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّمَا السَّيْفُ بِحَدِّهِ، وَالْفَرَسُ بِشِدِّهِ، وَالرَّجُلُ بِجِدِّهِ، وَإِنَّمَا الثَّنَاءُ بَعْدَ الْبَلَاءِ، وَالْحَمْدُ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَلَنْ نُثْنِي حَتَّى نُنْتَلِي، فَقَامَ أَبُو بِلَالٍ مِرْدَاسُ بْنُ أُدَيْبَةَ، وَهُوَ يَهُمُ وَيَقُولُ: قَدْ أَنْبَأَنَا اللَّهُ بِغَيْرِ مَا قُلْتَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الْأَنْزَرُ وَالزَّرُّ وَرَزْرُ الْأُحْرَى﴾ [النجم: ٣٨]، فَسَمِعَهَا زِيَادٌ، فَقَالَ: يَا هَذَا إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْلُغَ مَا تُزِيدُهُ حَتَّى أُخَوِّضَ الدِّمَاءَ خَوْضًا^(١).

وَخَدِثْتُ عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَدِمَ زِيَادُ الْكُوفَةَ، فَدَنَوْتُ مِنَ الْمُنْبَرِ لِأَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فَيُحْسِنُ إِلَّا تَمَثَّيْتُ أَنْ يَسْكُتَ، مَخَافَةَ أَنْ يُسِيءَ، غَيْرَ زِيَادٍ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَزِدَادُ إِكْثَارًا إِلَّا اِزْدَادَ إِحْسَانًا، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَتَانِي وَأَنَا بِالْبَصْرَةِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ فِي الْفَتَنِ مِنْ شَرْطِهَا، ثُمَّ ذَكَرْتُ أَنَّكُمْ أَهْلُ حَقٍّ، وَأَنَّ الْحَقَّ طَالَمَا دَفَعَ الْبَاطِلُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْكُمْ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ مِنَّا مَا وَضَعَ النَّاسُ، وَحَفِظَ مِنَّا مَا ضَيَّعُوا. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ سُنَّنا وَسَاسَنا السَّائِسُونَ، وَجَرَّبْنَا الْمُعْجَرِبُونَ، فَوَجَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ لَا يُضْلِحُهُ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ غَنَفٍ، وَلَيْنَ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، فَلَا أَعْلَمَنَّ مَا أَغْلَقْنَا بَابًا فَفَتَحْتُمُوهُ، وَلَا حَلَلْتُ عَقْدًا فَشَدَّدْتُمُوهُ، وَإِنِّي لَا أَعِدُّكُمْ خَيْرًا وَلَا شَرًّا إِلَّا وَفَيْتُ بِهِ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلَيَّ بِكَذِبَةٍ فَلَا وِلَايَةَ لِي عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي أَمْرُكُمْ مَا أَمُرُ بِهِ نَفْسِي وَأَهْلِي، فَمَنْ حَالَ دُونَ أَمْرِي ضَرَبْتُ غُنْقَهُ، أَلَا وَإِنِّي لَا أَهْتِكُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ سِتْرًا، وَلَا أَطَّلِعُ لَكُمْ مِنْ وَرَاءِ بَابٍ، وَلَا أَقِيلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَثْرَةً. قَالَ: فَحَصَّبُوهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَجَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ، حَتَّى سَكَنُوا وَأَمْسَكُوا، ثُمَّ أَمَرَ الشَّرْطَ فَأَخَذُوا بِأَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، وَأَلْقَى كُرْسِيًّا عَلَى بَعْضِ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ عَرَضَ النَّاسُ أَرْبَعَةَ أَرْبَعَةَ يَسْتَحْلِفُهُمْ، فَمَنْ حَلَفَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَحْصِبْهُ تَرْكُهُ، وَمَنْ أَبِي حَبَسَهُ. قَالَ: فَقَطَعَ يَوْمَئِذٍ أَيْدِي ثَمَانِينَ إِنْسَانًا مِمَّنْ لَمْ يَحْلِفْ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَوْعَدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعُوفِي، وَأَوْعَدَ زِيَادٌ فَاثْبَلِي. وَقَالَ الْحَسَنُ أَيْضًا: تَشَبَّهَ زِيَادٌ بِعَمَرَ فَأَفْرَطَ، وَتَشَبَّهَ الْحَجَّاجُ

(١) انظر: تاريخ الطبري (١٨٥/٤)، والبيان والتبيين (١٣٩/١)، وصبح الأعشى (٨٨/١)، والعقد الفريد

(١٦/٢)، والكامل لابن الأثير (١٢٣/٢).

بزيادٍ فأهلكَ النَّاسَ. قَالَ: وَخَطَبَ زِيَادٌ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ خِلَالَ ثَلَاثًا، نَبَذْتُ إِلَيْكُمْ فِيهِنَّ بِالنَّصِيحَةِ، رَأَيْتُ إِعْطَاءَ ذَوِي الشَّرَفِ، وَإِجْلَالَ ذَوِي الْقَدْرِ، وَتَوْقِيرَ ذَوِي الْأَسْنَانِ، وَإِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ لَا يَأْتِينِي شَرِيفٌ بِوَضِيعٍ لَمْ يَعْرِفْ لَهُ فَضْلَ شَرَفِهِ عَلَى ضِعَّتِهِ إِلَّا عَاقَبْتُهُ لَهُ، وَلَا يَأْتِينِي كَهْلٌ بِحَدِيثٍ لَمْ يَعْرِفْ فَضْلَ سِنَّهُ عَلَى حَدَائِثِهِ إِلَّا عَاقَبْتُهُ لَهُ، وَلَا يَأْتِينِي عَالِمٌ بِجَاهِلٍ لِحَاوِهِ فِي عِلْمِهِ لِيُهْجَنَهُ بِذَلِكَ، إِلَّا عَاقَبْتُهُ، فَإِنَّمَا النَّاسُ بِأَعْلَامِهِمْ، وَعِلْمَائِهِمْ، وَذَوِي أَسْنَانِهِمْ، وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ الْأَقْوَةُ الْأَوْدِيُّ^(١):

تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ
لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا أَشْرَارُهُمْ سَادُوا

قَالَ: وَقَالَ زِيَادٌ لِحَاجِبِهِ: قَدْ وَلَّيْتُكَ حِجَابِي، وَعَزَلْتُكَ عَنْ أَرْبَعَةٍ، عَنْ طَارِقِ لَيْلٍ، فَشَرُّ مَا جَاءَ بِهِ، لَوْ كَانَ خَيْرًا لَمْ أَكُنْ مِنْ شَأْنِهِ، وَعَنْ رَسُولِ صَاحِبِ الثُّغْرِ، فَإِنَّ حَبَسَ سَاعَةً يُفْسِدَ عَمَلَ سَنَةٍ، وَعَنْ الْمُنَادِي إِذَا نَادَى بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ كِتَابًا مَوْقُوتًا، وَعَنْ صَاحِبِ الطَّعَامِ، إِذَا أَدْرَكَ طَعَامَهُ، فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ عَلَيْهِ التَّسْخِينُ فَسَدَ^(٢).

- حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْصِي مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَنِي بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَنْ تَوَلَّاهُ فَقَدْ تَوَلَّانِي، وَمَنْ تَوَلَّانِي فَقَدْ تَوَلَّى اللَّهَ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الضُّبَيْعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَشَقَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَأَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْوَرَّاقِ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْحَمِيمِ الْبُصْرِيُّ الصَّيْرَفِيُّ بِمَكَّةَ، قَالَ:

(١) انظر: البيان والتبيين (٢/١٤٥).

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة (٤/٨١٧).

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ هَاشِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَأَخْبَرَنَا عَلِيُّ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَضْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ الْبَكَّاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْأَشْقَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ هَاشِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ^(١).

- حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْوَالِدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ مَحْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَالِبِيِّ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ رَأَى مِنَ النَّاسِ مَا رَأَى مِنْ خُذْلَانِهِمْ، فَقَالَ: يَا أُمَّهُ، خَذَلَنِي النَّاسُ، حَتَّى وَلَدِي وَأَهْلِي، فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا، فَمَا رَأَيْكَ؟ قَالَتْ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ يَا بُنَيَّ، إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَاْمُضِ لَهُ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ مِنْ مَضَى مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلَا تُمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبُ بِهَا غُلَمَانُ بَنِي أُمِّيَّةَ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا أَرَدْتُ الدُّنْيَا، فَبَشَّسَ الْعَبْدُ أَنْتَ، أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ، وَأَهْلَكْتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ، وَإِنْ قُلْتَ: كُنْتُ عَلَى حَقٍّ فَلَمَّا وَهَنَ أَصْحَابِي ضَعُفْتُ بَنِيَّ، فَكُلُّ هَذَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِ الْأَخْرَارِ، وَلَا أَهْلِ الدِّينِ، كَمْ خُلُودُكَ يَا بُنَيَّ فِي الدُّنْيَا؟ الْقَتْلُ أَحْسَنُ. فَدَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَقَبَّلَ رَأْسَهَا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا وَاللَّهِ رَأْيِي وَعَزْمِي، وَالَّذِي هَمَمْتُ بِهِ دَاعِيًا إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَمَا رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا، وَمَا دَعَوْتُ إِلَى الْحُرُوجِ إِلَّا الْغَضَبُ لِلَّهِ أَنْ تُسْتَحَلَّ حُرْمَةُ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيِكَ، فَزِدْنِي قُوَّةً وَبَصِيرَةً مَعَ بَصِيرَتِي، فَاَنْظِرِي يَا أُمَّهُ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ مِنْ يَوْمِي هَذَا أَنْ لَا يَسْتَدَّ جَزَعُكَ عَلَيَّ، وَسَلِّمِي لِأَمْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِثْبَانًا مُنْكَرٍ، وَلَا عَمِلَ بِفَاحِشَةٍ، وَلَمْ يَجْزُ فِي حُكْمٍ، وَلَمْ يَغْدِرْ فِي أَمَانٍ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ، وَلَا مُعَاهِدٍ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْ عُمَّالِي سُوءَ فَرَضِيئَتِهِ، بَلْ أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدِي آثَرَ مِنْ رِضَا رَبِّي، اللَّهُمَّ لَا أَقُولُ هَذَا تَرْكِيَةً لِنَفْسِي، أَنْتَ أَعْلَمُ بِي، وَلَكِنِّي أَقُولُهُ تَعَزِيَةً لِأُمِّي لِتَسَلُّو عَنِّي. فَقَالَتْ أُمُّهُ: إِنِّي لَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَزَائِي عَنْكَ حَسَنًا، إِنْ تَقَدَّمْتَنِي أَوْ تَقَدَّمْتِكَ،

(١) رواه ابن عساکر في تاریخ دمشق (٢٤٠/٤٢).

فَفِي نَفْسِي حَرْجٌ حَتَّى أَنْظَرَ إِلامَ يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ؟ فَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا يَا أُمَّةَ، فَلَا تَدْعِي
الدُّعَاءَ قَبْلِي وَبَعْدِي، فَقَالَتْ: لَا أَدْعُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَبَدًا، فَمَنْ قُتِلَ عَلَى بَاطِلٍ، فَقَدْ قُتِلَتْ عَلَى
حَقٍّ. ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ طُولَ ذَلِكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَذَلِكَ النَّحِيبِ وَالظَّمَا فِي
هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ، وَمَكَّةَ، وَبِرَّهَ بِأَبِيهِ وَبِي، اللَّهُمَّ إِنِّي سَلَّمْتُ فِيهِ لِأَمْرِكَ، وَرَضِيْتُ بِمَا قَضَيْتَ،
فَأَثْبِنِي فِي عَبْدِ اللهِ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ الصَّابِرِينَ. ثُمَّ خَرَجَ عَبْدُ اللهِ مِنْ عِنْدِهَا، وَلَبَسَ دِرْعًا
وَمَغْفَرًا، فَوَقَفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ دَنَا، فَتَنَاوَلَ يَدَهَا وَقَبَّلَهَا، فَقَالَتْ: هَذَا وَدَاعٌ، فَلَا تَتَّبِعْ إِلَّا مِنَ
النَّارِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّمَا جِئْتُ مُودِعًا يَا أُمَّةَ، إِنِّي لَأَرَى هَذَا آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا يَمُرُّ بِي،
اعْلَمِي يَا أُمَّةَ: إِنِّي إِنْ قُتِلْتُ فَإِنَّمَا أَنَا لَحْمٌ، مَا يَضْرِبُنِي مَا صَنَعَ بِي. قَالَتْ: صَدَقْتَ. ثُمَّ
قَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَتَمَّمْ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَلَا تُمَكِّنْ بَنِي أَبِي عَقِيلٍ مِنْكَ، وَادْنُ مِنِّي حَتَّى
أُودِّعَكَ، فَدَنَا مِنْهَا فَعَانَقَهَا، وَقَالَتْ: حَيْثُ وَجَدْتُ مَسَّ الدِّرْعِ: مَا هَذَا صَنِيعٌ مِنْ يُرِيدُ مَا
تُرِيدُ. فَقَالَ: مَا لَبِسْتُ هَذَا الدِّرْعَ إِلَّا لِأَسُدَّ مِنْكَ. فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَا يَسُدُّ مِنِّي بَلْ يُحَالِفُنِي.
فَخَرَجَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ عِنْدِهَا، فَتَرَخَ دِرْعَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْقِتَالِ، وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي إِذَا أَعْرَفْتُ يَوْمًا أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ

فَفَهَمَتْ أُمَّةٌ قَوْلَهُ، فَقَالَتْ: تَصْبِرُ وَاللهُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَبُوكَ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ، وَأُمُّكَ
صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. ثُمَّ لاقَاهُمْ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ فَهَزَمَهُمْ، حَتَّى قُتِلَ قَالَ
مُضْعَبُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: فَمَا مَكَثَتْ بَعْدَهُ إِلَّا عَشْرًا حَتَّى تُؤْفِقَتْ^(١).

- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ،
عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ مَرْثِدِ الْكَلْبِيِّ وَغَيْرِهِمَا، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ، عَنْ أَبِي
صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، زَيْدُ الْحَبِّ، حُبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ابْنُ حَارِثَةَ بْنِ شَرَاخِيلِ بْنِ
عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَامِرِ بْنِ التُّعْمَانِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ عَوْفِ بْنِ
عُدْرَةَ بْنِ زَيْدِ اللَّاتِ بْنِ زُفَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ بْنِ تَعْلَبِ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ
عِمْرَانَ بْنِ إِلْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ، وَاسْمُ قُضَاعَةَ عَمْرُو، وَإِنَّمَا سُمِّيَ قُضَاعَةَ لِأَنَّهُ انْقَضَعَ عَنْ
قَوْمِهِ، أَيِ انْقَطَعَ، وَقُضَاعَةَ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرُو بْنِ مُرَّةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَمِيرِ بْنِ سَبَأِ بْنِ
يَشْجَبِ بْنِ يَعْرُبِ بْنِ قُحْطَانَ جَمَاعِ الْيَمَنِ. وَأُمُّ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ سَعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ

(١) انظر: تاريخ الطبري (١٨٨/٦).

عَامِرِ بْنِ عَبْدِ عَامِرِ بْنِ أَفْلَتِ بْنِ سُلَيْسَةَ مِنْ بَنِي مَعْنٍ مِنْ طَيْعٍ، فَزَارَتْ سَعْدَى أُمَّ زَيْدٍ قَوْمَهَا، وَزَيْدٌ مَعَهَا، فَأَعَارَتْ خَيْلَ لِبْنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَى آيَاتِ بَنِي مَعْنٍ، رَهْطِ أُمَّ زَيْدٍ، فَاحْتَمَلُوا زَيْدًا، وَهُوَ يَوْمئِذٍ غَلَامٌ يَمْعَةٌ، قَدْ أَوْصَفَ فَوَافُوا بِهِ سُوقَ عُكَاطِ، فَعَرَضُوهُ لِلْبَيْعِ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قُصَيِّ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدِ بَارِزِعِ مِائَةَ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا تَرَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهَبْتَهُ لَهُ، فَقَبِضَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ حَارِثَةُ بْنُ شَرَا حَيْلٍ فَقَدَهُ، فَقَالَ:

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلُ أَحْيَى فَيُرْجَى أَمْ أَتَى ذُونَهُ الْأَجَلُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ سَائِلًا أَغَالِكَ سَهْلُ الْأَرْضِ أَمْ غَالِكَ الْجَبَلُ
تَذَكَّرْنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا قَارَبَ الطِّفْلُ
وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجَنَ ذِكْرَهُ فَيَا طُولَ مَا حُزْنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلُ
سَأَعْمَلُ نَصَّ الْعَيْشِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا وَلَا أَسَامُ التُّطُوفِ أَوْ تَسَامُ الْإِبِلُ
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مِنِّْي وَكُلُّ امْرِئٍ فَا نِ وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلُ
سَأُوصِي بِهِ قَيْسًا وَعَمْرًا كِلَيْهِمَا وَأُوصِي يَزِيدًا ثُمَّ بَعْدَهُمْ جَبَلُ

يَعْنِي: جَبَلَةُ بْنُ حَارِثَةَ أَخَا زَيْدٍ، وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ زَيْدٍ، وَيَعْنِي يَزِيدَ أَخَا زَيْدٍ لِأُمِّهِ، وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ كَعْبِ بْنِ شَرَا حَيْلٍ، فَحَجَّ أَنَاسٌ مِنْ كَلْبٍ فَرَأَوْا زَيْدًا، فَعَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، فَقَالَ: أْبَلِّغُوا أَهْلِي هَذِهِ الْآيَاتِ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ جَزَعُوا عَلَيَّ، فَقَالَ:

أَحِنُّ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِبًا فَإِنِّي قَطِينُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
فَكُفُّوا مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَاكُمْ وَلَا تَعْمَلُوا فِي الْأَرْضِ نَصَّ الْأَبَاعِرِ
فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أَسْرَةٍ كِرَامٍ مَعَدِّ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

فَانْطَلَقَ الْكَلْبِيُّونَ فَأَعْلَمُوا أَبَاهُ. فَقَالَ: ابْنِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. وَوَصَفُوا لَهُ مَوْضِعَهُ، وَعِنْدَ مَنْ هُوَ، فَخَرَجَ حَارِثَةُ وَكَعْبُ ابْنَا شَرَا حَيْلٍ لِفِدَائِهِ وَقَدِيمَا مَكَّةَ، فَسَأَلَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقِيلَ: هُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ، فَقَالَا: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا ابْنَ هَاشِمِ، يَا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ، وَجَيْرَانُهُ، وَعِنْدَ بَيْتِهِ تَتَكَوَّنُ الْعَانِي، وَتُطْعَمُونَ الْأَسِيرَ، جِنَّاتِكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ، فَاْمُنُّنْ عَلَيْنَا، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ، فَإِنَّا سَنَرْفَعُ لَكَ فِي الْفِدَاءِ.

قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالُوا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهَلَا غَيَّرَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: مَا هُوَ؟ قَالَ: أَدْعُوهُ فَأَخْبِرْهُ فَإِنْ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَى مَنْ اخْتَارَنِي أَحَدًا. قَالَا: قَدْ زِدْتَنَا النَّصْفَ، وَأَحْسَنْتَ. قَالَ: فَدَعَا، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبِي، وَهَذَا عَمِّي. قَالَ: فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ، فَأَخْتَرَنِي أَوْ اخْتَرْتَهُمَا. قَالَ زَيْدٌ: مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مِثِّي بِمَكَانِ أَبِي وَالْعَمِّ. فَقَالَا: وَيَحَكَ يَا زَيْدُ، أَنْتَ اخْتَارَ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ، عَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا، مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ: يَا مَنْ حَضَرَ أَشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي، يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتْ أَنْفُسُهُمَا فَانْصَرَفَا، فَدَعِيَ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْحَدِيثِ: فَزَوَّجَهُ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ بْنِ رِثَابِ الْأَسَدِيَّةِ، وَأُمُّهَا أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، فَطَلَّقَهَا زَيْدٌ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَكَلَّمُ الْمُنَافِقُونَ فِي ذَلِكَ، وَطَعَنُوا فِيهِ، وَقَالُوا: مُحَمَّدٌ يَحْرِمُ نِسَاءَ الْوَالِدِ، وَقَدْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً ابْنَهُ زَيْدٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ...﴾ [الأحزاب: ٤٠]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، فَدَعِيَ يَوْمَئِذٍ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَدُعِيَ الْأَدْعِيَاءَ إِلَى آبَائِهِمْ، فَدَعِيَ الْمُقْدَادُ إِلَى عَمْرٍو، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ: الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ الرَّهْرِيُّ قَدْ تَبَّأَهُ^(١).

- حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: زَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَآلَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَاتَهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَبِهِ كَانَ يُكْتَبُ، وَكَانَ يُقَالُ لِأُسَامَةَ: الْحَبُّ ابْنُ الْحَبِّ، وَكَانَ زَيْدٌ وَصِيَّ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٢/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤٨/١٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٩٣٦٧، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٨٦١٢، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٢٢٩، والحاكم في المستدرک حديث رقم: ٢٦٥٨، وأبو عوانة في مسنده حديث رقم: ٣٨٠٣، والضياء المقدسي في المختارة حديث رقم: ٤٢٥٥، وسعيد بن منصور في سننه حديث رقم: ٦٢٣، وابن الجارود في المنتقى حديث رقم: ٦٩٧، ومالك في موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني حديث رقم: ٢٣٤، وأبو يعلى في

- حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَمْرَانَ بْنِ مِيثَاحٍ، أَوْ مَنَاحٍ، قَالَ: لَمَّا هَاجَرَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَيَّ كَثُومُ بْنُ الْهَدْمِ، قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَأَمَّا عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ، فَقَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ.

- حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: صَلَّى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِأَصْحَابِهِ صَلَاةً أَوْجَرَ فِيهَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا الْيَقْظَانَ خَفَّفْتَ، قَالَ: أَمَا عَلَيَّ ذَلِكَ قَدْ دَعَوْتُ بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَاتَّبَعَهُ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْعَيْبِ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي مَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ حَشِيَّتَكَ فِي الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحُكْمِ فِي الْعُضْبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَبِيدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ نَظَرٍ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ صَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فَتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرِيَّةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ^(١).

حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي الْوَاقِدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رِفَاعَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: خَرَجَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاجًّا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ، فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ فَتَزَلَ فِي دَارِ مَرْوَانَ، فَسَأَلَهُ، مَنْ بَقِيَ مِنْ

مسنده حديث رقم: ٦٨٦٢، والطبراني في مسنده حديث رقم: ٣١٧٢، والحسن بن علي الجوهري في مسنده حديث رقم: ٢٣٣، والربيع في مسنده حديث رقم: ٢٠٧، والأزرقي في أخبار مكة حديث رقم: ٩٩٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى حديث رقم: ٢٦٤٧، وخليفة بن خياط في تاريخه حديث رقم: ٢٣٦، والبلاذري في أنساب الأشراف حديث رقم: ٨٠٨، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني حديث رقم: ٢١٠١، والعقيلي في الضعفاء الكبير حديث رقم: ١٩٠٣، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال حديث رقم: ٥٧٦٤، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد حديث رقم: ١٤١٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق حديث رقم: ١٦٨٨٢، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الأمم حديث رقم: ٣٠٨، وابن الأثير في أسد الغابة حديث رقم: ١٠٨٤، والخطيب البغدادي في الفصل للوصل المدرج في النقل حديث رقم: ٥٩٣، والبوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم: ٢٧٦٦.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق حديث رقم: ٢٥٧٤٥.

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقِيلَ: سَهْلُ بْنُ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَتَاهُ، فَرَحَّبَ بِهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَائَتِي دِينَارٍ، وَسَأَلَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ تُوَفِّيَ قَبْلَ قُدُومِهِ بِشَهْرٍ، فَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ لِأَنْاسٍ فِي الْمَدِينَةِ بِزِيَادَاتٍ فِي دَوَائِبِهِمْ، وَقَسَمَ قِسْمًا لَيْسَ بِالكَثِيرِ، وَبَعَثَ إِلَى أَبَانَ بْنِ عُمَانَ، وَهُوَ عَامِلٌ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَحْرَمُ؟ قَالَ: مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ. فَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، فَقَالَ: أَحْرَمُ مِنَ الْبَيْدَاءِ، وَسَاقَ بُدْنًا وَأَهْلًا بِالْحَجِّ مُنْفَرِدًا، وَجَلَّلَ بُدْنَهُ الْيَمْنَةَ وَالْقَبَاطِيَّ، وَسَارَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ إِلَى بَطْنِ مَرٍّ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَجُوهُ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَسْتَقْبِلُونِي بِعُسْفَانَ؟ فَتَعَذَّرُوا إِلَيْهِ بِبَعْضِ مَا يَتَعَذَّرُ بِهِ النَّاسُ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ، وَقَالَ: لَوْ كَانَتْ فِئْتَةٌ لَكُنْتُمْ إِلَيْهَا سِرَاعًا، خَالَفْتُمْ وَشَقَقْتُمْ الْعَصَا، وَنَارَعْتُمْ الْأَمْرَ أَهْلُهُ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ وَلِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَصَفَحَ عَنْكُمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِكُمْ، فَلَمْ تَشْكُرُوا ذَلِكَ، وَلَمْ تَعْرِفُوا قَدْرَ مَا فَعَلَ بِكُمْ. فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنَّهُمْ قَوْمُكَ وَعَشِيرَتُكَ وَلَيْسَ كُلُّهُمْ عَلَى خِلَافِكَ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ مَعَكَ وَإِلَيْكَ، وَلَكِنَّهُمْ غَلِبُوا وَفُهِزُوا، فَمَا يَقْدِرُونَ عَلَى غَيْرِ مَا صَنَعُوا. فَقَالَ الْوَلِيدُ: مَا أَعْرَفَنِي بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ مَنْ كَانَ مِثْلَكَ؟ فَقَالَ الْحَارِثُ: فَخَنُّ عَلَى مَا يُحِبُّ الْأَمِيرُ، قَدِمَ حَاجًّا مُعْظَمًا لِهَذَا الْبَيْتِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْ هَذَا فَعَلَّ، وَيَقْبَلُ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَهُ اِحْتِمَالٌ لِهَذَا، وَاتِّسَاعٌ. قَالَ: أَفَعَلَّ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ مَا صَنَعَ بِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا وَهُوَ بِالطَّرِيقِ يُؤَنِّبُهُ وَيَقُولُ: مَا كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا بِهِمْ، وَقَدْ رَأَيْتَنِي صَفَحْتُ عَنْهُمْ، وَأَنَا الْمُرَادُ بِهِدَا، وَأَنْتَ لَكَ الْعَهْدُ، وَلَاخِيكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَكَانَ حَقُّكَ أَنْ تَلِينَ وَتَقْرَبَهُمْ، وَتَقْبَلَ عُذْرَهُمْ. لَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَمَوْضُوعٌ عَنْهُمْ وَقَدْ رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ، وَقَبْلَكَ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ وَالٍ عَلَى الْمَدِينَةِ مَا يَسْتَقْبِلُونَهُ إِلَّا بِذِي طَوَى وَسَبِيهَا، وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، وَاعْتَمَّ بِهِ^(١).

- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: لَمَّا اسْتَوَى الصَّفَّانِ بِالْهَرَوَانَ، تَقَدَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ، أَيُّهَا الْعِصَابَةُ الَّتِي أَخْرَجْتَهَا عَادَةُ الْمِرَاءِ وَالضَّلَالَةِ، وَصَدَفَ بِهَا عَنِ الْحَقِّ الْهُوَى وَالزَّرِيعُ، إِنِّي نَذِيرٌ

لَكُمْ أَنْ تَصْبِحُوا غَدًا صَرَغَى بِأَكْنَافِ هَذَا النَّهْرِ أَوْ بِمِلْطَاطٍ مِنَ الْغَائِطِ، بِلا بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانَ مُبِينٍ. أَلَمْ أَنْهَكُمُ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ وَأَحَذِرْكُمْوهَا، وَأَعْلِمَكُمُ أَنَّ طَلَبَ الْقَوْمِ لَهَا دَهْرٌ مِنْهُمْ وَمَكِيدَةٌ، فَخَالَفْتُمْ أَمْرِي، وَجَانَبْتُمْ الْحَزْمَ، فَعَصَيْتُمُونِي حَتَّى أَفْرَزْتُ بِأَنْ حَكَمْتُ، وَأَخَذْتُ عَلَى الْحَكَمَيْنِ، فَاسْتَوْتَقْتُ، وَأَمَرْتُهُمَا أَنْ يُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ، وَيُمَيِّتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ، فَخَالَفَا أَمْرِي، وَعَمِلَا بِالْهَوَى، وَنَحْنُ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَأَنْتَى يَتَاهُ بِكُمْ؟ فَقَالَ خَطِيبُهُمْ: أَمَا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ فَإِنَّا حِينِ حَكَمْنَا كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا مِنَّا، فَإِنْ ثَبَتَ كَمَا تَبْنَا، فَنَحْنُ مَعَكَ وَمَنْكَ، وَإِنْ آبَيْتَ فَنَحْنُ مُنَابِذُونَكَ عَلَى سِوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ. فَقَالَ عَلِيُّ: أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِي مِنْكُمْ وَابِرٌ، أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ، وَجَهَادِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَجَرْتِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْرُ بِالْكَفْرِ؟! لَقَدْ ضَلَلْتَ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ؛ وَلَكِنْ مُنِيتُ بِمَعْشَرٍ أَحْقَاءِ الْهَامِ، سَفَهَاءِ الْأَحْلَامِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ وَهَرَمَهُمْ^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُثَيْبِيُّ، قَالَ: حَجَّ عُثْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَالنَّاسُ قَرِيبٌ عَهْدٍ بِالْفِتْنَةِ، فَصَلَّى بِهِمُ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا وَلِينَا هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي يُضَاعَفُ فِيهِ لِلْمُحْسِنِ الْأَجْرُ وَلِلْمُسِيءِ الْوِزْرُ، وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقِ مَا فَصَدْنَا، فَلَا تَمِدُّوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا، فَإِنَّهَا تُقَطَّعُ دُونَنَا، وَرُبَّ مُتَمَنَّ حَتْفُهُ فِي أُمَّيَّتِهِ، فَاقْبَلُوا الْعَافِيَةَ مِنَّا مَا قَبَلْنَاهَا مِنْكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَقَوْلَ لَوْ، فَإِنَّهَا قَدْ أَنْعَبَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ تُرِيحَ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَيِّنَ كُلًّا عَلَى كُلِّ بَرَحْمَتِهِ. قَالَ: فَفَتَّقَ بِهِ أَعْرَابِي مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ. قَالَ: لَسْتُ بِهِ، وَلَمْ تُبْعِدْ، قَالَ: يَا أَحَاهُ. قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ فَقُلْ. قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ تَحَسَّنُوا وَقَدْ أَسَانَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُسَيِّئُوا وَقَدْ أَحْسَنَّا، فَإِنْ يَكُنِ الْإِحْسَانُ مِنْكُمْ فَمَا أَحَقَّكُمْ بِاسْتِمَامِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنَّا فَمَا أَحَقَّكُمْ بِمُكَافَأَتِنَا. قَالَ لَهُ عُثْبَةُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ يَلْقَاكُمْ بِالْعُمُومَةِ، وَيَخْتَصُّ إِلَيْكُمْ بِالْحَوْلَةِ، وَقَدْ كَثُرَ عِيَالُهُ، وَرَقَّ حَالُهُ، وَوَطَّئَهُ دَهْرٌ، وَبِهِ فَقْرٌ، وَفِيهِ أَجْرٌ، وَعِنْدَهُ سُكْرٌ. فَقَالَ عُثْبَةُ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكَ، فَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغِنَاكَ، فَلَيْتَ إِسْرَاعِي إِلَيْكَ يَقُومُ بِإِبْطَائِي عَنْكَ.

(١) انظر: تاريخ الطبري (٨٤/٥).

- حَدَّثْتُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الضُّبَيْعِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ، أَنَّ أَنَسًا لَمَّا دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ، فَقَالَ لَهُ: يَا حَبِثَّةُ، شَيْخًا جَوَّالًا فِي الْفِتَنِ، مَعَ أَبِي تُرَابٍ مَرَّةً، وَمَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ أُخْرَى، وَمَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ مَرَّةً، وَمَعَ ابْنِ الْجَارُودِ أُخْرَى، أَمَا وَاللَّهِ لَأَجْرِدَنَّكَ جُرْدَ الضَّبِّ وَلَا قَلْعَنَّكَ قَلَعَ الصَّمْغَةِ، وَلَا خَزِمَنَّكَ حَزَمَ السَّلْمَةِ، الْعَجَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارِ، أَهْلُ الْبُحْلِ وَالنِّفَاقِ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ: فَقَالَ أَنَسٌ لَمَّا خَرَجَ: وَاللَّهِ لَوْلَا وَلَدِي لَأَجَبْتُهُ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا كَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَيْهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ كِتَابًا مَعَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ، مَوْلَى بَنِي مَخْرُومٍ، فَقَدِمَ عَلَى الْحَجَّاجِ فَبَدَأَ بِأَنْسِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَكْبَرَ مَا كَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَيْكَ، وَأَعْظَمَ ذَلِكَ، وَأَنَا لَكَ نَاصِحٌ، إِنَّ الْحَجَّاجَ لَا يَعْدِلُهُ أَحَدٌ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيكَ، وَأَنَا أَرَى لَكَ أَنْ تَأْتِيَهُ فَيُعْتَدِرُ إِلَيْكَ، فَتَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ لَكَ مُعْظَمٌ وَبِحَقِّكَ عَارِفٌ. قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَتَى الْحَجَّاجَ، فَأَعْطَاهُ كِتَابَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَجَعَلَ يَقْرُؤُهُ، وَوَجْهَهُ يَتَغَيَّرُ، فَأَقْبَلَ يَمْسُحُ الْعَرَقَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: غَفَرَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كُنْتُ أَرَاهُ يَبْلُغُ مِنِّي هَذَا. قَالَ إِسْمَاعِيلُ: ثُمَّ رَمَى الْكِتَابَ إِلَيْ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنِّي قَدْ قَرَأْتُ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قُمْ بِنَا إِلَى أَنَسِ. فَقُلْتُ: بَلْ يَأْتِيكَ. فَأَتَيْتُ أَنَسًا، فَقُلْتُ: اذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ، فَأَتَانَا، فَرَحَّبَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: عَجَلْتُ بِاللَّائِمَةِ يَا أَبَا حَمْرَةَ، إِنَّ الَّذِي كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ عَلَى غَيْرِ تَأْيِيَةٍ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ لَا يُحْسِنُونَ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا يُقِيمُ حُجَّتَهُ، وَمَعَ هَذَا إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَغْلَمَ مُنَافِقُوا أَهْلَ الْعِرَاقِ، وَفُسَاقُهُمْ أَنِّي مَتَى أَقْدَمْتُ عَلَيْكَ، فَهَمَّ عَلَيَّ أَهْوُونُ، وَأَنَا إِلَيْهِمْ أَسْرَعُ، وَلَكَ الْعُنْبَى وَالْكَرَامَةُ، فَقَالَ أَنَسٌ: مَا عَجَلْتُ بِاللَّائِمَةِ حَتَّى تَنَاوَلْنَا الْعَامَّةَ دُونَ الْخَاصَّةِ، وَحَتَّى سَمَّيْنَا الْأَشْرَارَ، وَقَدْ سَمَّانَا اللَّهُ الْأَنْصَارَ، وَزَعَمْتَ أَنَا أَهْلُ الْبُحْلِ، وَنَحْنُ الْمُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَزَعَمْتَ أَنَا أَهْلُ التِّفَاقِ وَنَحْنُ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ. وَزَعَمْتَ أَنَّكَ اتَّخَذْتَنِي ذَرِيعَةً لِأَهْلِ الْعِرَاقِ، بِاسْتِحْلَالِكَ مِنِّي مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حَكْمٌ هُوَ أَرْضَى لِلرِّضَا وَأَسْحَطُ لِلسَّخَطِ، وَإِلَيْهِ ثَوَابُ الْعِبَادِ، وَجَزَاءُ أَعْمَالِهِمْ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، فَوَاللَّهِ إِنْ النَّصَارَى عَلَى سُزُوكِهِمْ، لَوْ رَأَوْا رَجُلًا قَدْ خَدَمَ عَيْسَى يَوْمًا وَاحِدًا، لِأَكْرَمُوهُ وَأَعْظَمُوهُ، فَكَيْفَ لَمْ تَحْفَظْ لِي خِدْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ إِحْسَانٌ شَكَرْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ

بِكَ غَيْرَ ذَلِكَ صَبَرْنَا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَرَجِ قَالَ: وَكَانَ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ عَبْدٌ قَدْ طَمَتْ بِهِ الْأُمُورُ حَتَّى عَدَوْتَ طُورَكَ، وَإِيْمُ اللَّهِ، يَا ابْنَ الْمُسْتَفْرَمَةِ بَعَجَمِ الزَّبِيبِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضْعَمَكَ ضِعْمَةً كَبْعُضِ ضِعْمَاتِ اللَّيُوثِ الثَّعَالِبِ، وَأَخْبِطَكَ خَبْطَةَ تَوْدُ أَنْكَ زَاخَمْتَ مَحْرَجَكَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ، قَدْ بَلَغَنِي مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى أَنْسِ، وَأَطْنُكَ أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ غَيْرُهُ، وَإِلَّا مَضَيْتِ قُدَمَا، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، أَخْفَشَ الْعَيْنَيْنِ، مَمْسُوحِ الْجَاعِرَتَيْنِ، حَمَسَ السَّاقَيْنِ، كَأَنَّكَ نَسِيتِ مَكَاسِبَ آبَائِكَ بِالطَّائِفِ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الدَّنَائَاتِ وَاللُّؤْمِ إِذْ يَحْفَرُونَ الْأَبَارَ فِي الْمَنَاهِلِ بِأَيْدِيهِمْ وَيَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى ظُهُورِهِمْ، فَإِذَا آتَاكَ كِتَابِي فَالْقُ أَنْسَا فِي مَنْزِلِهِ، وَاعْتَدِرْ إِلَيْهِ، وَلَوْ لَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَظُنُّ أَنَّ الْوَلَدَ وَالْكَتُبَ كَثُرُوا عَلَى الشَّيْخِ لَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ يَسْحَبُكَ ظَهْرًا لِبَطْنِ، حَتَّى يَأْتِيَ بِكَ أَنْسَا فَيَحْكُمَ فِيكَ، وَلَنْ يَخْفَى عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَبُوكَ ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]، فَلَا تُخَالِفْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَكْرِمِ أَنْسَا وَوَلَدَهُ، وَإِلَّا بَعَثْتُ إِلَيْكَ مَنْ يَهْتِكُ سِرَّكَ وَيُسْمِتُ بِكَ عَدُوَّكَ، وَالسَّلَامُ.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاجًّا، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ، فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَرَكِبَ إِلَى مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ، الَّتِي صَلَّى فِيهَا، وَحَيْثُ أُصِيبَ بِأُحُدٍ، وَمَعَهُ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ، وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ، فَأَتَوْا بِهِ قُبَاءً، وَمَسْجِدَ الْفَضِيحِ، وَمَشْرَبَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ، وَأُحُدًا، وَكُلُّ ذَلِكَ يَسْأَلُهُمْ، وَيُخْبِرُونَهُ عَمَّا كَانَ. ثُمَّ أَمَرَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ سِيرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَغَازِيَهُ، فَقَالَ أَبَانُ: هِيَ عِنْدِي، قَدْ أَخَذْتُهَا مُصَحَّحَةً مِمَّنْ أَتَقَى بِهِ. فَأَمَرَ بِنَسْحِهَا وَأَلْقَى فِيهَا إِلَى عَشْرَةِ مِنَ الْكُتَابِ، فَكَتَبْتُهَا فِي رَقٍّ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ نَظَرَ، فَإِذَا فِيهَا ذِكْرُ الْأَنْصَارِ فِي الْعَقَبَتَيْنِ، وَذِكْرُ الْأَنْصَارِ فِي بَدْرِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذَا الْفَضْلَ. فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ أَهْلُ بَيْتِي غَمَضُوا عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونُوا لَيْسَ هَكَذَا. فَقَالَ: أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَا يَمْنَعُنَا مَا صَنَعُوا بِالشَّهِيدِ الْمَظْلُومِ مِنْ خُدْلَانِهِ، إِنَّ الْقَوْلَ بِالْحَقِّ: هُمْ عَلَى مَا وَصَفْنَا لَكَ فِي كِتَابِنَا هَذَا. قَالَ: مَا حَاجَتِي إِلَى أَنْ أَنْسَخَ ذَاكَ حَتَّى

أذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرق. وقال: أسأل أمير المؤمنين إذا رجعت، فإن يوافقني، فما أيسر نسخته، فرجع سليمان بن عبد الملك، فأخبر أباه بالذي كان من قول أبان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تعرف أهل الشام أمورًا لا تريد أن يعرفوها. قال سليمان: فلذلك يا أمير المؤمنين أمرت بتحريق ما كنت نسخته حتى أستطلع رأي أمير المؤمنين. فصوب رأيه. وكان عبد الملك يتفأل عليه ذلك. ثم إن سليمان جلس من قبيصة بن ذؤيب، فأخبره خبر أبان بن عثمان، وما نسخ من تلك الكتب، وما خالف أمير المؤمنين فيها، فقال قبيصة: لولا ما كرهه أمير المؤمنين لكان من الحظ أن تعلمها وتعلمها ولدك وأعقابهم، إن حظ أمير المؤمنين فيها لوافر، إن أهل بيت أمير المؤمنين لأكثر من شهد بدرًا، فشهدا من بني عبد شمس ستة عشر رجلًا من أنفسهم وخلفائهم ومواليهم. وحليف القوم منهم، ومولى القوم منهم. وتوفي رسول الله ﷺ وعماله من بني أمية أربعة: عتاب بن أسيد على مكة، وأبان بن سعيد على البحرين، وخالد بن سعيد على اليمن، وأبو سفيان بن حرب على نجران، غاملاً لرسول الله ﷺ، ولكني رأيت أمير المؤمنين كره من ذلك شيئًا، فما كرهه فلا تخالفه. ثم قال قبيصة: لقد رأيتني وأنا وهو، يعنني عبد الملك، وعدة من أبناء المهاجرين، ما لنا علم غير ذلك حتى أحكمناه، ثم نظرنا بعد في الحلال والحرام. فقال سليمان: يا أبا إسحاق، ألا تخبرني عن هذا البغض من أمير المؤمنين وأهل بيته لهذا الحي من الأنصار وجزمانهم إياهم لم كان؟ فقال: يا ابن أخي، أول من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان، ثم أحدثه أبو عبد الملك، ثم أحدثه أبوك. فقال: علام ذلك؟ قال: فوالله ما أريد به إلا لأعلمه وأعرفه. فقال: لأنهم قتلوا قومًا من قومهم، وما كان من خذلانهم عثمان بن عفان ﷺ، فحقدوه عليهم، وحنقوه وتوارثوه، وكنت أحب لأمير المؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم، وأن أخرج من مالي، فكلّمه، فقال سليمان: أفعل والله. فكلّمه وقبيصة حاضرًا، فأخبره قبيصة بما كان من معاورتهم. فقال عبد الملك: والله ما أفدر على غير ذلك، فدعونا من ذكرهم، فأسكت القوم.

- حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ رَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَمَدُّوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْ نَظَرْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فِيهِ لَوْثَةٌ فَاسْتَمَلْنَا، فَقَالَ عَمْرٍو: عِنْدَكَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَلَمَّا أَصْبَحَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ، دَخَلَ عَلَيْهِ عَقِيلٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا يَزِيدَ أَنَا خَيْرٌ لَكَ أَمْ عَلِيٌّ؟ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ لَنَا مِنْ عَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ خَيْرٌ لِنَفْسِهِ مِنْكَ. فَضَحِكَ مُعَاوِيَةُ، فَضَحِكَ عَقِيلٌ. فَقَالَ لَهُ: مَا يَضْحِكُكَ يَا أَبَا يَزِيدَ؟ قَالَ: أَضْحَكَ أَبِي كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى أَصْحَابِ عَلِيٍّ يَوْمَ أُتِيَتْهُ، فَلَمْ أَرْ مَعَهُ إِلَّا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَهُمْ، وَالتَّفْتُ السَّاعَةَ فَلَمْ أَرْ إِلَّا أَبْنَاءَ الطُّلَقَاءِ، وَبَقَايَا الْأَحْزَابِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، هَلْ تَذَرُونَ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَسَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ وَاللَّهِ عُمٌ هَذَا. قَالَ عَقِيلٌ: صَدَقَ وَاللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَهَلْ قَرَأْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرًا لَهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، فَبِي وَاللَّهِ عَمَّةٌ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: الْحَقُّ بِأَهْلِكَ، حَسْبُنَا مَا لَقِينَا مِنْ أَحْيِكَ. قَالَ لَهُ عَقِيلٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ مَعَ عَلِيٍّ الدِّينَ وَالسَّابِقَةَ، وَأَقْبَلْتُ إِلَى دُنْيَاكَ، فَمَا أَصَبْتُ دِينَهُ، وَلَا نَلْتُ مِنْ دُنْيَاكَ طَائِلًا. فَأَعْطَاهُ وَأَكْثَرَ لَهُ. قَالَ: فَدَعَا مُعَاوِيَةُ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرٍو، هَذَا الَّذِي رَعَمْتَ أَنَّهُ أَهْوَجُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! قَالَ: مَا ذُنْبِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا مَا تَعَلَّمُ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ فِي ذَلِكَ:

أَلَا يَا عَمْرٍو عَمْرٍو قَبِيلِ سَهْمٍ	لَقَدْ أَخْطَأْتُ رَأْيَكَ فِي عَقِيلِ
بَلِيَّتُ بِحَيَّةٍ صَمَاءَ بَأْتِ	تَلَفْتُ أَيَّنَ مُلْتَمَسُ الْقَبِيلِ
بَعَيْنٍ تُنْفِذُ الْبَيْدَاءَ لِحْطَا	وَنَابٍ غَيْرِ مَوْضُولِ كَلِيلِ
وَقَدْ كَأَنْتَ تُرْجِمُهُ قُرَيْشُ	عَلَى عَمِيَاءَ مِنْ قَالٍ وَقِيلِ
أَلَا لِلَّهِ دَرُّ أَبِي يَزِيدَ	لَهَرَجِ الْأَمْرِ وَالْحَطْبِ الْجَلِيلِ
فَمَا خَاصَمْتُ مِثْلَكَ مِنْ خَصِيمِ	وَلَا حَاوَلْتُ مِثْلَكَ مِنْ حَوِيلِ
أَتَانِي زَائِرًا وَرَأَى عَلِيًّا	قَلِيلَ الْمَالِ مُتَقَطِعِ الْخَلِيلِ
فَقِيلَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ	فَمَالَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى مُمِيلِ

فَأَجَزْتُ الْعَطَاءَ لَهُ وَدَبَّتُ عَقَارِبُهُ لِسَالِفَةِ الدُّخُولِ
فَلَمْ يَرْضَ الْكَثِيرَ وَقَدْ أَرَاهُ سَخُوطًا لِلْكَثِيرِ وَلِلْقَلِيلِ

فَرَجَعَ عَقِيلٌ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: كَانَ فِي نَفْسِ مُعَاوِيَةَ شَيْءٌ، فَمَا أَحَبُّ أَنَّكَ لَمْ تَأْتِهِ، فَقَدْ انْقَطَعَ ظَهْرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

- حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ شَرِيكٌ وَالْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ لَهُمَا: مَا تَقُولَانِ فِي رَجُلٍ رَمَى رَجُلًا بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ؟ فَقَالَ شَرِيكٌ: يُقْتَلُ كَمَا قَتَلَ. فَقَالَ الْقَاسِمُ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُ. فَقَالَ شَرِيكٌ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، فَقَالَ: بَلَى. فَقَالَ: لِمَ تَمُوقُ إِذَا؟ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَوْ جَارَيْنَاكَ لَسَبَقْتَنَا سَبَقًا بَعِيدًا. ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا قَوْدَ إِلَّا بِالسَّيْفِ^(١)، وَنَهَى عَنِ الْمُثَلَّةِ. ثُمَّ قَالَ لِشَرِيكٍ: أَرَأَيْتَ لَوْ رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَلَمْ يَقْتُلْهُ ثُمَّ تَنَّى فَلَمْ يَقْتُلْهُ، ثُمَّ ثَلَّثَ، أَلَيْسَ كَانَتْ تَكُونُ مُثَلَّةً؟ فَصَمَتَ شَرِيكٌ.

قَالَ الْمَنْصُورُ لِإِسْحَاقَ بْنِ مُسْلِمِ الْعَقِيلِيِّ: مَا بَقِيَ مِنْ لَدَّتِكَ؟ قَالَ: أَخٌ أَشْتَهِي مَعَهُ الْعَلَّةَ طُولَ اللَّيْلِ، وَدَابَّةٌ أَشْتَهِي مَعَهَا طَوْلَ السَّفْرِ. لَمَّا وَلِيَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْمَدِينَةَ مَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ إِلَيْهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَّا الْعَجَائِزَ، وَإِنْ امْرَأَةٌ جَاءَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ الْعَجَائِزِ فَفَطِنَ لَهَا شُرْطِيٌّ، فَأَخْرَجَهَا وَضَرَبَهَا ضَرْبًا وَجِيعًا، وَخَرَقَ طَيْلَسَانًا كَانَ عَلَيْهَا لِرُؤُوسِهَا لَبْسَتُهُ سِرًّا مِنْهُ، فَانصرفت وهي أخزى من التي باعت قميصها واشترت به هرة، فلما أصبحت جاءت إلى حواء في المدينة، وأعطته درهمًا وقالت له: اطلب لي عشرين عقارب حريات سموميات، والحريات هي أحب ما تكون من العقارب، فجعلتها في دُرج، ودرت عليه دريعة ممسكة، فلما كان الليل جاءت إلى ذلك الباب بعينه، وقد عرفت الرجل فدنّت منه، وقالت: يا أخي، هذا المجرم جئتك به فخذهُ فدخن به لهذا العيد، وانركني حتى أدخل وأصلي هذه الليلة

(١) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم: ١٣١١، وابن ماجه في سننه حديث رقم: ٢٦٦٠، والدارقطني في سننه حديث رقم: ٢٧٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٤٧٩٨، والبخاري في سننه حديث رقم: ٣١١٦، والبوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم: ٤٧٥٦، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال حديث رقم: ٦٤٧٧.

العظيمة، يأجرك الله جل ثناؤه، فأخذ الدرّج منها، وأدخلها، ودسه في حُجرتِه، ثمّ أعجله الطمع حتى يعلم ما فيه، وفتح الدرّج، فذهب ليشمّ ما فيه، فضرب بغض العقارب أنفه ضربة، فطار من عينيه مثل النار، وسقط، وانتثرت على جسده فليس منهنّ إلا وقد لسعته مرّات، وصاح: الموت، أدرّكوني. فابتدره الناس، فإذا جسده يتنّغش عقارب. وبلغ الحسن بن زيد خبره. فقال: ما قصّتك؟ فلم يقدِر على الكلام. فلما أفاق سأله، فأراد كتمان الخبر، فقال: لئن يُنجيك مني إلا الصدق. فأخبره فضحك، وقال: لو علمت أين هذه المرأة لأمرت لها بألف درهم، وجدتها والله حرة، وأمر له بصلّة. جاء مزيد بأمرته إلى القاضي يخاصمها في نفقتها، فبكت حين جلست، فقال له القاضي: ويحك، اتق الله، فإنّي لأحسبك ظالمًا. قال: وبأي شيء عرفت ذلك؟ قال: لم تبتك هذه المرأة من خير. قال: فقد جاء إخوة يوسف عشاء يتكون، فكأنوا ظالمين أو مظلومين؟ قال: فهي تشكو أنك قد أجمعتها. قال: فأرسل إلى منزلها، فإن لم تجد فيه خبزًا قد يسسته فصدقت. قالت: أما خبز فعندي خبز، ولكن لا يشتري لي سويقًا. قال: انظر تطلب مني السويق مع الخبز، وقد حبس أبو جعفر العطاء ومنع البحر، وهي طالق ثلاثًا ألبتة، لئن عاش أبو جعفر خمس سنين إن لم تنس صنعة السويق، فلا تحسنة. فتوفي أبو جعفر ثلاث سنين من يوم حلف بطلاقها، فأنت به القاضي: فقالت: حلف بطلاقي إن مات أبو جعفر لتنسين عمل السويق، فلم أنسه. قال: إنما حلفت إن عاش خمس سنين. قال القاضي: ترانا نسينا عمل السويق في سنتين. قال: فإنّي على هذا حلفت. فما يدريكُم لعلكم تنسون أو لعلكم تموتون. فلم ير عليه طلاقًا^(١).

حدّثني عبد الله بن نافع، قال: ماتت أخت عمر بن عبد العزيز، قال: فشهدها الناس، وانصرفوا معه إلى منزله، فلمّا صار إلى بابِه أخذ بحلقة الباب، ثمّ قال: انصرفوا أيها الناس مأجورين، أذى الله عنكم، فإنّا أهل بيت لا نعزى في أحدٍ من النساء إلا في اثنتين: أمّ لواجب حقّها، وما فرض الله من برّها، وامرأة لطف موضعها، وإنه لا يحلّ محلّها أحد^(٢).

(١) انظر: أخبار القضاة لوكيع (٣٢١/٢).

(٢) انظر: العقد الفريد (٣٦/٢).

سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ هَانِيٍّ، يَقُولُ: كَانَ فِي دِيْوَانِ الرَّسَائِلِ أَرْبَعَةٌ نَفَرٍ مِنَ الْكُتَّابِ الشَّامِيِّينَ، فَلَمَّا وَلِيَ سَعْدَانُ بْنُ يَحْيَى، كَاتِبَ أُمِّ جَعْفَرِ دِيْوَانِ الرَّسَائِلِ أَتَاهُ جَارٌ لَهُ فِي ابْنِ لَهُ، يُقَالُ لَهُ: حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُلْزِمَهُ دِيْوَانِ الرَّسَائِلِ لِيَتَعَلَّمَ، فَمَكَثَ وَحَفْصُ يَخْتَلِفُ إِلَى الدِّيْوَانِ، وَيَخْدُمُ أَوْلِيكَ الشَّامِيِّينَ، وَيَخْفُ لَهُ، وَيُمَثِّلُونَ لَهُ الْخَطَّ حَتَّى تَعَلَّمَ، وَحَزَرَ، فَقَالَ عُمَرُ لِسَعْدَانَ: إِنَّ ابْنِي مَلَازِمٌ لِلدِّيْوَانِ، وَلَيْسَ لَهُ رِزْقٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُصَيِّرَ لابْنِي رِزْقًا يَقْوَى بِهِ عَلَى الْحِدْمَةِ وَالْمَلَازِمَةِ، وَيَتَفَعَّنِي بِذَلِكَ فَعَلْتَ، فَقَالَ لَهُ سَعْدَانُ: إِنَّمَا رِزْقُ هَذَا الدِّيْوَانِ لِهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ نَفَرِ الْمُسَمَّيْنَ، وَلَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أُخْرِجَ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَا أَسْتَبْدِلَ بِهِ، وَلَا أَنْقِصَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَلَكِنِّي أَكَلِمُهُمْ، وَأَسْأَلُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا لَكَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ شَيْئًا. فَكَلَّمَهُمْ، وَقَالَ: هَذَا الْعُلَامُ ابْنُ صَدِيقِ لِي، وَقَدْ خَدَمَكُمُ، وَخَفَّ لَكُمُ فَاجِبُ أَنْ يَهَبَ لَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمُ مِنْ رِزْقِهِ شَيْئًا. فَوَهَبَ لَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقِهِ خَمْسِينَ دِرْهَمًا، فَدَفَعَ إِلَيْهِ مِائَتِي دِرْهَمٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ، وَنَقَصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَمْسِينَ دِرْهَمًا، فَصَارَتْ رِزْقًا لِلْعُلَامِ، فَقَالَ الشَّامِيُّونَ: إِنَّ هَذِهِ سُنَّةٌ قَدْ سَنَّهَا عَلَيْنَا سَعْدَانُ، وَأَنْتَقِصَ مِنْ أَرْزَاقِنَا شَيْئًا، وَصَارَ هَذَا الْعُلَامُ كَأَحَدِنَا، وَلَسْنَا وَاللَّهِ نَرْضَى بِهَذَا، فَاجْتَمَعُوا عَلَى شِكَايَتِهِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى. قَالُوا: يَكْتُوبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا رُقْعَةً، وَيُوقِعُ عَلَيْهَا بِاسْمِهِ وَيُصَيِّرُهَا تَحْتَ مُصَلَّى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، فَإِنَّهُ سَيَقْرُؤُهَا إِذَا خَرَجْنَا. فَكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ:

دَهَبَ الْكِتَابُ وَمَلَأَهُ أَصْحَابُهُ
وَبَحَسِبَ دِيْوَانِ الرَّسَائِلِ خِزْيَةً
وَكَتَبَ عَلَى رُقْعَتِهِ فُلَانُ الشَّامِيُّ. وَكَتَبَ آخَرُ رُقْعَةً فِيهَا:

أَيُّهَا الْقَاتِلُ حِرْصًا
إِنَّ سَعْدَانَ بْنَ يَحْيَى
صَبَّ فِي قِنْدِيلِ سَعْدَانَ
وَقِنْدِيلُ بَنِيهِ
نَفْسُهُ قَدْ مَاتَ مَوْتًا
قَدْ بَنَى لِلْقَبْطِ بَيْنَنَا
نَ مَعَ التَّسْلِيمِ زَيْتًا
قَبْلَ أَنْ تَخْفَى الْكُمَيْتًا

وَكَتَبَ عَلَى الرُّقْعَةِ: فُلَانُ الشَّامِيُّ. وَكَتَبَ الثَّلَاثُ رُقْعَةً فِيهَا:

أَتَاهُ حَفْصٌ مَعَهُ رُقْعَةٌ أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ
 إِنِّي غَلَامٌ رِخْوَةٌ تَكْتَبِي أَطْوَعُ مِنْ يُسْرَاكَ يُمْنَاكَ
 وَفِي تَحْنِيثٍ وَلَوْ قَدْ تَرَى تَحْتَ السَّرْوَايِلَ لَأَرْضَاكَ
 فَسَمِّ لِي رِزْقًا وَلَا تُجْفِنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ
 وَقَعَ سَعْدَانُ عَلَى رَأْسِهَا يُجَابُ حَفْصُونَ إِلَي ذَاكَ

وَكَتَبَ عَلَى الرُّقْعَةِ فُلَانُ الشَّامِيِّ. وَأَلْقَيْتَ تَحْتَ مُصَلَّى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، فَلَمَّا
 أَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ أَصَابُوا الرَّقَاعَ تَحْتَ مُصَلَّى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى فَأَوْصَلُوهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا
 قَرَأَهَا اسْتَضْحَكَ ثُمَّ دَعَا بِسَعْدَانَ، فَقَالَ: مَنْ عَرَضَكَ لِهَؤُلَاءِ الشَّامِيِّينَ، وَمَنْ حَفْصُونَ
 هَذَا؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ. فَقَالَ: أَخْرَجَ هَذَا إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِنَلْمِ
 أَرْزَاقِ أَحَدٍ، فَطَرَدَ الْغَلَامَ، وَاعْتَذَرَ إِلَى الشَّامِيِّينَ وَاضْطَلَّحُوا.

- حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ مَوْهُوبُ بْنُ رَشِيدٍ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ:
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ لَجَلِيسٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقَدَهُ: أَبَا فُلَانٍ أَيْنَ كُنْتَ؟ قَالَ: خَرَجْتُ
 مَعَ فُلَانٍ أَطْلُبُ عَرَضًا مِنَ الْأَعْرَاضِ. فَقَالَ لَهُ: إِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ صُحْبَةِ الرِّجَالِ بَدًّا،
 فَعَلَيْكَ بِمَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانِكًا، وَإِنْ حَفْضْتَ لَهُ صَانِكَ، وَإِنْ وَعَدَكَ لَمْ يَحْرَمَكَ، وَلَمْ
 يَزِفُضْكَ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى خَلَّةً سَدَّهَا، وَإِنْ سَكَتَ عَنْهُ ابْتَدَأَكَ، وَإِنْ
 سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ.

- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي نَوْفَلُ بْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: قَالَ
 رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَخْبِرْنَا عَنَّا وَعَنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ. قَالَ عَلِيُّ:
 نَحْنُ أَصْبَحُ وَأَفْصَحُ وَأَسْمَحُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا بَقِيَتْ لِلْقَوْمِ شَيْئًا، قَالَ: بَلَى، هُمْ أَكْثَرُ
 وَأَمَكْرُ وَأَنْكَرُ^(١).

- حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَذِرًا فِي
 الْحُرُوبِ، شَدِيدَ الرُّوْعَانِ مِنْ قِرْنِهِ، لَا يَكَادُ أَحَدٌ يَتِمَكَّنُ مِنْهُ، وَكَانَتْ دِرْعُهُ لَا ظَهَرَ لَهَا
 فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَخَافُ أَنْ تُؤْتَى مِنْ قِبَلِ ظَهْرِكَ؟ فَيَقُولُ: إِذَا أَمَكَنْتُ عَدُوِّي مِنْ ظَهْرِي فَلَا

(١) انظر: شرح نهج البلاغة (٣٩٥/٥).

أَبَقِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ أَبَقِيَ عَلَيَّ.

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ لِبَنِيهِ: يَا بَنِي لَا تُعَادُوا الرَّجُلَ، وَإِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ، وَلَا تَزْهَدُوا فِي صَدَاقَةِ أَحَدٍ، وَإِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَتَى تَخَافُونَ عَدَاوَةَ الْعَدُوِّ، وَلَا مَتَى تَرْجُونَ صَدَاقَةَ الصَّدِيقِ، وَلَا يَعْتَدِرُ إِلَيْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَبْلَئِمْ عُدْرَهُ مِنْهُ، وَإِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ كَاذِبٌ. أَنَسَدَنِي الرَّبِيزُ لِبِزْدَعِ بْنِ عَدِيٍّ، عَمَّ قَيْسُ بْنُ الْحَطِيمِ:

بَيْنَ بَطْحَانَ فَالْسَّرَاةِ مِنْ صَفْنَةِ لَعَسٍ كَأَنَّهَا الْأَرَامُ
وَنَخِيلٍ كَأَنَّهَا دُهْمٌ لَيْلٍ وَسَوَامٍ يَحْمَنَ حَوْلَ الْخِيَامِ
وَشَبَابٍ أَوْلُوا بِهِاءٍ وَشَيْبٍ وَخُلُومٍ عَلَتِ خُلُومَ الْأَنَامِ
مَجْلِسٌ جُنَّبَ الْخِيَانَةَ وَالْعُدْرَ وَقِيلَ الْخِنَا وَفَعَلَ اللَّئَامِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَحْرُزُ بْنُ جَعْفَرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

إِذَا كَانَ لِي سِرٌّ فَحَدَّثْتُهُ الْعِدَى وَضَاقَ بِهِ صَدْرِي فَلِلنَّاسِ أَعْدُرُ
هُوَ السِّرُّ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ وَكَتَمْتُهُ وَلَيْسَ بِسِرٍّ حِينَ يَفْشُو وَيُظْهَرُ

قَالَ يَزِيدُ بْنُ مَوْهَبِ الرَّمْلِيُّ: إِنَّمَا بَقِيَ مِنَ الْعَيْشِ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ تُكْفَى سَهْوَهَا، وَتُرْزَقُ فَضْلَهَا، وَكَفَافٌ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ لَيْسَ عَلَيْكَ فِيهِ تَبِعَةٌ، وَلَا لِأَحَدٍ عَلَيْكَ فِيهِ مِثَّةٌ، وَأَخٌ يُحْسِنُ الْعِشْرَةَ، إِذَا أَصَبَتْ تَبَّتْكَ، وَإِنْ تَعَوَّجَتْ قَوْمَكَ. قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ بْنُ الرَّبِيزِ:

تَرَى الْمَرْءَ يَبْكِي لِلَّذِي مَاتَ قَبْلَهُ وَمَوْتُ الَّذِي يَبْكِي عَلَيْهِ قَرِيبُ
يُحِبُّ الْفَتَى الْمَالَ الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا لِنَفْسِ الْفَتَى فِيمَا يَحُوزُ نَصِيبُ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّحَّاحِ، قَالَا: كَانَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي مَجُونِهِ نَادِمٌ قِرْدًا، فَأَخَذَهُ يَوْمًا فَحَمَلَهُ عَلَى أَتَانٍ وَخَشِيَّةٍ وَشَدَّهُ عَلَيْهَا رِبَاطًا، ثُمَّ أَرْسَلَ الْخَيْلَ فِي إِثْرِهَا حَتَّى كَسَرَتْهَا فَمَاتَتِ الْأَتَانُ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ:

تَمَسَّكَ أَبُو قَيْسٍ بِفَضْلِ عِنَانِهَا فَلَيْسَ عَلَيْنَا إِنْ هَلَكَتْ ضَمَانُ
فَمَا فَعَلَ الشَّيْخُ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ جِيَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانُ

وَبِذَلِكَ سَبَّهُ أَبُو حَمْرَةَ فِي خُطْبَتِهِ حِينَ يَقُولُ: خَالَفَ الْقُرْآنَ، وَاتَّبَعَ الْكُفَّانَ،
وَنَادَمَ الْقُرْدَ، وَفَعَلَ مَا يُشْبِهُهُ حَتَّى مَضَى لِسَيْلِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ^(١).

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَوْفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي نَوْفَلُ بْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: قَالَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَيْقَطَنِي لِهَذَا الشَّانِ مُزَاحِمٌ، حَبَسْتُ رَجُلًا، فَجَاوَزْتُ فِي
حَبْسِهِ الْقَدْرَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَنِي فِي إِطْلَاقِهِ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِمُخْرِجِهِ حَتَّى أْبْلُغَ فِي
الْحَيْطَةِ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا مَرَّ بِهِ. قَالَ: فَقَالَ مُزَاحِمٌ: يَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، إِنِّي
أُحَدِّثُكَ لَيْلَةً تَمَحَّضُ بِالْقِيَامَةِ، فِي صَبِيحَتِهَا تَقُومُ السَّاعَةُ، يَا عُمَرُ لَقَدْ كِدْتُ أَنْ أُنْسَى
اسْمَكَ مِمَّا أَسْمَعُ. قَالَ الْأَمِيرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا كَشَفَ عَن وَجْهِ
غَطَاءَهُ، فَذَكِّرُوا أَنْفُسَكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ، عَنِ أَبِيهِ: أَنَّ ابْنَ غَزِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّ ثُمَّ النَّجَارِيَّ،
قَدِمَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مِصْرَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْبِ
الْفَزَارِيَّ مِنَ الشَّامِ، وَكَانَ عَيْنًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا، فَأَمَّا الْأَنْصَارِيُّ فَكَانَ
مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَحَدَّثَهُ مَا رَأَى وَعَايَنَ مِنْ قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَحَدَّثَهُ
الْفَزَارِيُّ: أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الشَّامِ، حَتَّى قَدِمَتِ الرَّسُلُ وَالْبُشْرَى مِنْ قِبَلِ عَمْرِو بْنِ
الْعَاصِ تَتْرَى، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا بِنَفْسِهِ مِصْرَ، وَقَتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى أَذِنَ مُعَاوِيَةُ
بِقَتْلِهِ عَلَى الْمِثْبَرِ، وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سُرُورَ قَوْمٍ قَطُّ أَظْهَرَ مِنْ سُرُورِ رَأْيَتَهُ
بِالشَّامِ حِينَ أَنَاهُمْ قَتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ. فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حُزْنَا عَلَى قَتْلِهِ
عَلَى قَدْرِ سُورِهِمْ بِقَتْلِهِ، لَا بِلِ يَزِيدَ أَضْعَافًا، وَحَزِنَ عَلَى قَتْلِهِ حُزْنَا شَدِيدًا، حَتَّى رُئِيَ
فِي وَجْهِهِ، وَتَبَيَّنَ فِيهِ، وَقَامَ عَلَى الْمِثْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّ مِصْرَ قَدْ
افْتَتِحَتْ، أَلَا وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَصِيبَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ
كَانَ مِمَّنْ يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ، وَيَعْمَلُ لِلْجَزَاءِ، وَيَبْغِضُ شَكْلَ الْفَاجِرِ، وَيُحِبُّ هَدْيَ الْمُؤْمِنِينَ.
إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَلُومَ نَفْسِي فِي تَقْصِيرٍ، وَلَا عَجْزٍ، إِنِّي بِمُقَاسَاةِ الْحَزْبِ لَجِدُّ خَيْرٌ، وَإِنِّي
لَأَتَقَدَّمُ فِي الْأَمْرِ فَاعْرِفْ وَجْهَ الْحَزْمِ، فَأَقُومُ فِيكُمْ بِالرَّأْيِ الْمُصِيبِ مُغْلِنًا، وَأُنَادِيكُمْ نِدَاءَ
الْمُسْتَعِيثِ فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَصِيرَ بِي الْأُمُورُ إِلَى

(١) انظر: المخصص لابن سيده (١٣/١٧٧).

عَوَاقِبِ الْفَسَادِ، وَأَنْتُمْ لَا تَذَرُكُمْ بِكُمْ الْأَوْتَارُ، وَلَا يُشْفَى بِكُمْ الْغُلُّ. دَعَوْتَكُمْ إِلَى غِيَاثِ
إِخْوَتِكُمْ مُنْذُ بَضْعِ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً فَجَزَّجَزْتُمْ جَزْجَزَةَ الْجَمَلِ الْأَشِيرِ، وَتَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
تَثَاقُلَ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَيْتَةٌ جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَا احْتِسَابِ الْأَجْرِ. ثُمَّ خَرَجَ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ ضَعِيفٌ
﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦] فَأَقِفْ لَكُمْ. ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ
رَحْلَهُ^(١).

أَنْشَدَنِي الرَّبِيعُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عُرْوَةَ:

يَا هَالِكًا تَرَكَ الدَّمُوعَ كَأَنَّهَا وَشَلَّ تَغْلَعَلَ مِنْ مَعِينِ مُهْمَلِ
لَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ أَنَّ يَبْنِكَ عَاجِلٌ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَعَلْتَ مَا لَمْ أَفْعَلِ

وَأَنْشَدَنِي الرَّبِيعُ لِابْنِ الْخَيْطِ فِي مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه:

يَأْبَى الْجَوَابُ فَمَا يُكَلِّمُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَدْيُ النَّبِيِّ وَعَزُّ سُلْطَانِ التَّقَى وَهُوَ الْمَهَيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

حَدَّثَنِي جَهْمُ بْنُ مَسْعَدَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ
لِلرَّبِيعِ بْنِ ضَبْعِ بْنِ وَهْبِ بْنِ بَغِيضِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ فَرَازَةَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي نَسَأَ لِي فِي الْأَجَلِ حَتَّى بَلَغْتُ أَنْ أَرَى رَبِيعًا. وَقَالَ: وَقَامَ الرَّبِيعُ بْنُ ضَبْعِ حِينَ وَفَدَّ
عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنْشَدَهُ:

ثَلَاثَ مِئِينَ مِنْ سِنِي فَقَدْ مَضَتْ وَهَذَا أَنْذَا قَدْ أَرْتَجِي مَرَّ رَابِعِ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا شَهِدْتَ يَا رَبِيعُ؟ قَالَ: شَهِدْتُ جَمْعَ جَدِّي عَدِيِّ بْنِ
فَرَازَةَ لِلسُّودَانِ فِي أَمْرِ أَبْرَهَةَ الْأَوَّلِ حِينَ أَرْسَلْتُ حِمِيرَ تَسْتَضِرُّ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ،
وَدَوَّخْتَ السُّودَانَ أَرْضَ الْيَمَنِ، وَحَوْتُهُ إِلَّا مَنْ اعْتَصَمَ بِالْجِبَالِ مِنْ حِمِيرِ فَسَارَ بِهِمْ،
وَسَارَتْ كِنَانُهُ وَخِرَاعُهُ وَأَفْنَاءُ حَنْدِفٍ، وَعَلَيْهِمْ قُصِي حِينَ هَبَطُوا جُدَّةً. قَالَ: وَمِثْلُ مَنْ
أَنْتَ يَوْمَئِذٍ يَا رَبِيعُ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا أَسْرَعُ النَّاسِ وَثَبَّةٌ عِنْدَ الدَّاعِي، وَأَضْبَطُهُمْ
لِرَأْسِ فَرَسٍ، وَأَجْمَعُهُمْ لِسِلَاحِي. وَأَنْشَدَ جَهْمُ لِلرَّبِيعِ بْنِ ضَبْعِ:

أَلَا أَبْلِغُ بُنَيَّ بِنَيِّ رَبِيعٍ فَأَشْرَارُ الْبَنِينَ لَهُمْ فِدَاءُ
وَأِنِّي قَدْ كَبَّرْتُ وَرَقَّ عَظْمِي فَلَا يَغْرُرُكُمْ مِنِّي النَّسَاءُ
وَإِنْ كُنَّا نَبِي لِنِسَاءٍ صِدْقٍ وَمَا عَقَّ الْبُنُونَ وَلَا أَسَاءُوا
إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ فَأَذْفُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشِّتَاءُ
فَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قَرٍّ فَسِرْبَالٌ خَفِيفٌ أَوْ رِدَاءُ

قَالَ جَهُمُ بْنُ مَسْعَدَةَ: الْحَرِيفُ مَا بَيْنَ طُولِ النَّهَارِ إِلَى اسْتَوَائِهِ مَعَ اللَّيْلِ، وَيَلِيهِ الرَّبِيعُ، وَهُوَ مَا بَيْنَ اسْتَوَائِهِمَا إِلَى قِصْرِ النَّهَارِ، وَيَلِيهِ الصَّيْفُ، وَهُوَ مَا بَيْنَ قِصْرِ النَّهَارِ إِلَى اسْتَوَائِهِمَا، وَيَلِيهِ الْحَمِيمُ، وَهُوَ مَا بَيْنَ اسْتَوَائِهِمَا إِلَى طُولِ النَّهَارِ^(١).

حَدَّثَنِي جَهُمُ بْنُ مَسْعَدَةَ، قَالَ: نَزَلَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ وَشَيْبُ بْنُ الْبُرْصَاءِ وَأَرْطَاةُ بْنُ سَهْمَةَ بِعَلْقَمَةَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي دَهْمَانَ بْنِ أَشْجَعٍ، فَلَمْ يَقْرِهِمْ، فَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ حِينَ رَحَلُوا:

أَفِي سَالِفِ الْأَيَّامِ أَمْ فِي حَدِيثِهَا تَعَوَّدْتُ أَلَا تَقْرِي الضَّيْفَ عُلْفَمَا
وَقَالَ: انْفِذْ يَا شَيْبُ، فَقَالَ شَيْبُ بْنُ الْبُرْصَاءِ:
لَيْسْنَا طَلِيقًا ثُمَّ جَاءَ بِمُدْقَةٍ كَمَا السَّلَاءِ فِي مَائِلِ الشَّدْقِ أَضْجَمًا
فَقَالَ أَرْطَاةُ:

فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّهُ عَاتِمُ الْقَرَى رَمِينَا بِهِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَجْرَمًا^(٢)

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فَضَالَةَ التَّحَوِي، قَالَ: حَدَّثَنِي الرَّبِيعُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: رَأَى عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي النَّوْمِ امْرَأَةً نَائِرَةَ الشَّعْرِ بَيْنَ أَضْعَافِ الْمَقَامِ، وَهِيَ تَقُولُ: أَأَذَنْتُ زِينَةَ الْحَيَاةِ بَيْنِي وَانْقِضَاءِ مِنْ أَهْلِهَا وَفَنَاءِ فَأَوْلَ النَّاسِ خَيْرَ ذَلِكَ مِنْ رُؤْيَا عَامِرِ الدُّنْيَا.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ

(١) انظر: خزائن الأدب (٣/٣٠٦).

(٢) انظر: الأغاني (١١/٩٦).

عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَحْزُومِي، قَالَ: حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ عَيْسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ تَجِدُونَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ سُلَيْمَانَ؟ قَالَ النَّصْرَانِيُّ: أَنْتَ. قَالَ: فَأَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَيَّ، فَقَالَ: دَمِي فِي ثِيَابِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَعَلْتُ ذَلِكَ النَّصْرَانِيَّ مِنْ بَالِي، فَرَأَيْتُهُ يَوْمًا، فَأَمَرْتُ غُلَامِي أَنْ يَحْبِسَهُ عَلَيَّ، وَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِي، وَسَأَلْتُهُ عَمَّا يَكُونُ، وَقُلْتُ لَهُ: عُدَّ لِي خُلَفَاءَ بَنِي مَرْوَانَ وَاحِدًا وَاحِدًا. فَعُدَّ لِي خُلَفَاءَ بَنِي مَرْوَانَ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَتَجَاوَزَ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَقُلْتُ لَهُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ ابْنُكَ ابْنُ الْحَارِثِيَّةِ، وَهُوَ الْيَوْمَ حَمَلٌ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمَّيَّةِ أَلْبٌ مِنْهُ فِي حَدَاثَةِ سَنَةٍ. قَالَ أَهْلُ دِمَشْقَ: هَذَا غُلَامٌ شَابٌّ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ. وَسَيَسْمَعُ مِتًّا، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَضْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، عِنْدِي نَصِيحَةٌ. قَالَ لَهُ: لَيْتَ شِعْرِي مَا هَذِهِ النَّصِيحَةُ الَّتِي ابْتَدَأْتَنِي بِهَا مِنْ غَيْرِ يَدٍ سَبَقَتْ مِنِّي إِلَيْكَ؟! قَالَ: لِي جَارٌ عَاصٍ مُتَخَلِّفٌ عَنْ ثَعْرِهِ. فَقَالَ: مَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ، وَلَا حَفِظْتَ جِوَارِكَ، إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِيمَا تَقُولُ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا لَمْ يَنْفَعَكَ ذَلِكَ عِنْدَنَا، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقَبْنَاكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَقْلَنَّاكَ. قَالَ: أَقْلِنِي، أَضْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، قَالَ: اذْهَبْ حَيْثُ لَا يَضْحَبُكَ اللَّهُ، إِنِّي أَرَاكَ شَرًّا جِيلِ رَجُلٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ دِمَشْقَ، أَمَا أَعْظَمْتُمْ مَا جَاءَ بِهِ هَذَا الْفَاسِقُ، إِنَّ السَّعَايَةَ أَحْسَبُ مِنْهُ سَجِيَّةً، وَلَوْلَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْوَالِي أَنْ يِعَاتِبَ، كَانَ لِي فِي ذَلِكَ رَأْيٌ، فَلَا يَأْتِنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِسَعَايَةٍ عَلَى أَحَدٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّ الصَّادِقَ فِيهَا فَاسِقٌ، وَالْكَاذِبَ فِيهَا بَهَّاتٌ. فَحَدَّثْتُ بِهِذَا الْحَدِيثِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ، فَقَالَ: مَا أَشْبَهَ هَذَا الْكَلَامَ بِكَلَامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ!! فَقُلْتُ: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَالَهُ^(١).

- حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّهْدِيُّ أَبُو غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جُمَيْعُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَجْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ بِمَكَّةَ، عَنْ ابْنِ لَأْبِي هَالَةَ التَّمِيمِيِّ، عَنْ

الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ خَالَي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ التَّمِيمِيَّ، وَكَانَ وَصَافًا عَنْ جَلِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ تَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحْمًا مُفْحَمًا، يَتَلَأُّ وَجْهُهُ تَلَأُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ، وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُسَدَّبِ، عَظِيمِ الْهَامَةِ، رَجُلَ الشَّعْرِ، إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ فَرَقَ، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَرُهُ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ، وَاسِعَ الْجَبِينِ، أَرْجَ الْحَوَاجِبِ، سَوَابِغٌ فِي غَيْرِ قَرْنٍ، بَيْنَهُمَا عِزْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ، أَقْنَى الْعِزْنَيْنِ، لَهُ نُورٌ يَغْلُوهُ يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمًّا، كَثَّ اللَّحْيَةِ، سَهَلَ الْخَدَّيْنِ، ضَلِيعَ الْقِمِّ، أَشْنَبَ، مُفْلَجَ الْأَسْنَانَ، ذَقِيقَ الْمَسْرَبَةِ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدٌ دُمِيَّةٌ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ، بَادِنًا مُتَمَاسِكًا، سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصُّدْرِ، عَرِيضَ الصُّدْرِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ، صَحْمَ الْكَرَادِيْسِ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرِّدِ، مُوْضُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالشُّرَّةِ بِشَعْرِ يَجْرِي كَالْخَطِّ، عَارِي اللَّدَيْنِ وَالْبَطْنَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، أَشْعَرَ الذَّارِعَيْنِ وَالْمُنْكَبَيْنِ، وَأَعَالِي الصُّدْرِ، طَوِيلَ الرُّنْدَيْنِ، رَحْبَ الرَّاحَةِ، سَبَطَ الْقَصَبِ، شَتْنُ الْكَفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ وَسَائِرِ الْأَطْرَافِ، حُمْصَانَ الْأَحْمَصَيْنِ، مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ، يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ قُلْعًا، يَخْطُو تَكْفُؤًا وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيعَ الْمَشِيَةِ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا التَّفَتَّ التَّفَتَّ جَمْعًا، خَافِضَ الطَّرْفِ، نَظْرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظْرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظْرِهِ الْمُلَاحَظَةُ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ، يَبْدُرُ مِنْ لِقَائِهِ بِالسَّلَامِ. قُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَهُ. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ السَّكْتِ، يَفْتَحُ الْكَلَامَ وَيَحْتَمِمُهُ بِأَشْدَاقِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَضْلًا، لَا فُضُولَ، وَلَا تَقْصِيرَ، دَمِيًّا، لَيْسَ بِالْجَافِي، وَلَا الْمُهِينِ، يُعْظَمُ الْمِئْتَةُ، وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، لَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُغَوِّطِي الْحَقَّ لَمْ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يَقُمْ لِعُضْبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلَا يَغْضِبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ بِكَفِّهِ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلْبُهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَضْرَبَ بِرَاحَتِهِ الْيَمْنَى بَاطِنَ إِنْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْعَمَامِ. قَالَ: فَكَتَمْتُهَا الْحَسَنَ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتُهُ، وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ، فَلَمْ يَدْعُ مِنْهَا شَيْئًا. قَالَ الْحَسَنُ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، دُخُولَهُ لِنَفْسِهِ مَا دُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جِزْأً دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ

أجزاء: جزءاً لله جل ثناؤه، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزءاً بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً. وكان من سيرته في جزء الأمة إينار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاعل بهم، ويُسْغَلُهُمْ فيما أصلحهم، والأمة من مسألتهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: لئيلع الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فإن من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إيائه، ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون رؤوداً، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخزجون أدلة. قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه، فقال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعينهم، ويؤلفهم ولا يفرفهم. أو قال: ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويؤليه عليهم، ويحدّر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه، ويسأل عما في الناس، فيحسن الحسن ويؤويه، ويقتح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجوزُهُ، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة. قال: فسألته عن مجلسه، فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس، ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويُعطي كلاً من جلسائه بنصيبه، فلا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه. من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سألته حاجة لم يردّه إلا بها، أو بميسور من القول، وقد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع عنده الأصوات، ولا تؤبّن فيه الحرم، ولا تُننى فلتاته. ترى جلساءه متعادلين، يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير، ويؤحسون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب. قال: قلت: كيف سيرته في جلسائه؟ قال: كان رسول الله ﷺ دائم الشورى، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح. يتعافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه، ولا يجيب فيه. قد ترك نفسه من ثلاث: المرء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا

يَطْلُبُ عَثْرَتَهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا رَجَا ثَوَابَهُ، إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلْسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، وَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا. وَلَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ، مَنْ تَكَلَّمَ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثٌ أَوْلَيْتِهِمْ. يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَضْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ، وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْفُدُوهُ. وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِيٍّ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَهُ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كَانَ سُكُوتُهُ؟ قَالَ: كَانَ سُكُوتُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَرْبَعٍ: الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفْكِيرِ. فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَبِإِتِّسَابِهِ النَّظَرَ بَيْنَ النَّاسِ، وَاسْتِمَاعِهِ مِنْهُمْ. وَأَمَّا تَفْكِيرُهُ، فَبِإِتِّسَابِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَجَمْعَ لَهُ الْحِلْمِ فِي الضَّبْرِ، فَكَانَ لَا يَعْصِيهِ شَيْءٌ وَلَا يَسْتَقِرُّهُ، وَجَمْعَ لَهُ الْحَذَرِ فِي أَرْبَعٍ: أَخَذَهُ بِالْحُسْنَى لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرْكِهِ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ، وَاجْتِهَادِهِ الرَّأْيَ فِيمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالْقِيَامَ فِيمَا جَمَعَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ^(١).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيزِيُّ: قَوْلُهُ: كَانَ فَخْمًا مُفَخَّمًا قَالَ: الْفَخَامَةُ فِي الْوَجْهِ وَهُوَ تَبْلُهُ وَامْتِلَاؤُهُ مَعَ الْجَمَالِ وَالْمَهَابَةِ. وَالْمَرْبُوعُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي بَيْنَ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ، وَالْمَشْدَبُ: الْمَفْرُطُ فِي الطَّوْلِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ جَرِيرٌ: أَلْوَى بِهَا شَدْبُ الْعُرُوقِ مُشْدَبٌ فَكَأَنَّمَا وَكُنْتُ عَلَى طَرْبَالٍ وَقَوْلُهُ رَجُلٌ الشَّعْرُ: فَالرَّجُلُ الَّذِي لَيْسَ بِالسَّبِطِ الَّذِي لَا تَكْشُرُ فِيهِ، وَالْقَطْطُ: الشَّدِيدَةُ الْجُعُودَةِ، يَقُولُ: فَهُوَ جَعْدٌ بَيْنَ هَذَيْنِ، وَالْعَقِيقَةُ: الشَّعْرُ الْمَعْقُوضُ، وَهُوَ نَحْوُ مِنَ الْمَضْفُورِ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ: مَنْ لَبَدَ أَوْ عَقَصَ أَوْ ضَفَّرَ فَعَلَيْهِ الْحَلْقُ. وَقَوْلُهُ أَرْجُ الْحَاجِبِينَ: سَوَابِعُ، الرَّجَجُ فِي الْحَوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ تَقْوُسٌ مَعَ طَوْلٍ فِي أَطْرَافِهَا، وَهُوَ التَّبُوعُ فِيهَا، قَالَ جَمِيلٌ: إِذَا مَا الْعَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَرَجَجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعِيُونََا وَقَوْلُهُ: فِي غَيْرِ قَرْنٍ: الْقَرْنُ، التَّقَاءُ الْحَاجِبِينَ حَتَّى يَتَّصِلَا. يَقُولُ: فَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ. يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ أَبْلَجَ، وَالْعَرَبُ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى حديث رقم: ١١٢٠، والبلاذري في أنساب الأشراف حديث رقم: ٢٧٣، والعقيلي في الضعفاء الكبير حديث رقم: ١٣٣١، وابن حبان في الثقات حديث رقم: ٢٨، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال حديث رقم: ٨٦٧٧، وأبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم: ٦٠٦٨ - بتحقيقنا - وابن عساكر في تاريخ دمشق حديث رقم:

تَسْتَحِبُّ دَرَّ الْعَرَقِ الَّذِي بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ. وَدُرُورُهُ: غَلِظُهُ. نُتُوهُ: امْتِلَاؤُهُ. وَقَوْلُهُ: أَفَنَى
الْعَزِينِ يَعْني الْأَنْفَ، وَالْقَنَا أَنْ تَكُونَ فِيهِ دَقَّةٌ مَعَ اِرْتِفَاعٍ فِي قَصَبَتِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: رَجُلٌ أَفَنَى
وَأَمْرَأَةٌ فَنَوَاءٌ، وَالْأَشْمُ: أَنْ يَكُونَ الْأَنْفُ دَقِيقًا لَا قَنَا فِيهِ، وَقَوْلُهُ: كَثَّ اللَّحِيَةِ الْكُثُوثَةُ أَنْ
تَكُونَ اللَّحِيَةُ غَيْرَ دَقِيقَةٍ، وَلَا طَوِيلَةٍ، وَلَكِنْ فِيهَا كَثَاثَةٌ مِنْ غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا طَوِيلٍ. وَقَوْلُهُ:
أَشْنَبَ هُوَ الَّذِي فِي أَسْنَانِهِ رِقَّةٌ وَتَحَدُّدٌ، وَالْمُفْلَجُ: هُوَ الَّذِي فِي أَسْنَانِهِ تَفَرُّقٌ، وَالْمَسْرَبَةُ:
الشَّعْرُ الَّذِي بَيْنَ اللَّبَّةِ إِلَى الشَّرَّةِ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: مَا بَيْنَ الشَّرَّةِ إِلَى شَعْرِ يَجْرِي كَالْحَطِّ،
وَقَوْلُهُ: جِيدٌ دُمِيَّةٌ الْجِيدُ: الْعُنُقُ، وَالْدُمِيَّةُ: الصُّورَةُ، وَقَوْلُهُ، ضَحَمَ الْكَرَادِيسُ: الْكَرَادِيسُ:
الْعِظَامُ، أَيَّ أَنَّهُ عَظِيمُ الْأَلْوَابِ، وَقَوْلُهُ: شَنَّ الْكَفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ: يُرِيدُ أَنْ فِيهِمَا بَعْضُ
الْغَلِظِ. وَالْأَحْمَضُ مِنَ الْقَدَمِ فِي بَاطِنِهَا مَا بَيْنَ صَدْرِهَا وَعَقِبِهَا، وَهُوَ الَّذِي لَا يَلْصِقُ
بِالْأَرْضِ مِنَ الْقَدَمَيْنِ فِي الْوَطءِ. وَقَوْلُهُ: حُمَصَانٌ: يَعْني أَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ مِنْ قَدَمِهِ فِيهِ
تَجَافٍ عَنِ الْأَرْضِ وَارْتِفَاعٌ، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ حُمُوصَةِ الْبَطْنِ، وَهُوَ ضَمْرُهَا، يُقَالُ مِنْهُ:
رَجُلٌ حُمَصَانٌ، وَأَمْرَأَةٌ حُمَصَانَةٌ، وَقَوْلُهُ مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ: يَعْني أَنَّهُمَا مَلْسَاوَانٍ لَيْسَ فِي
ظُهُورِهِمَا تَكْسُرٌ وَلَا عُرُوقٌ، وَلِهَذَا قَالَ: يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ يَعْني أَنَّهُ لَا ثَبَاتَ لِلْمَاءِ عَلَيْهِمَا.
وَقَوْلُهُ: إِذَا تَخَطَّ تَكْفًا: يَعْني التَّمَايُلَ، أَخَذَهُ مِنْ تَكْفِي الشُّغْنِ، وَقَوْلُهُ: ذَرِيحَ الْمَشِيَّةِ: يَقُولُ
هُوَ وَاسِعَ الْحُطَّا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ. أَرَاهُ يُرِيدُ أَنَّهُ مُقْبِلٌ عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ. غَاضٌ
بَصْرُهُ: لَا يَرْفَعُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ الْمُنْحَطُّ: ثُمَّ فَسَّرَهُ، فَقَالَ: خَافِضَ الطَّرْفِ،
نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَوْلُهُ: إِذَا التَّتَمَّتْ جَمِيعًا: يُرِيدُ أَنَّهُ لَا
يَلْوِي عُنُقَهُ دُونَ جَسَدِهِ، فَإِنَّ فِي هَذَا بَعْضَ الْحِفَّةِ وَالطَّيِّشِ، وَقَوْلُهُ: دَمْتًا: هُوَ اللَّيْنُ
السَّهْلُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلرَّمْلِ دَمْتٌ وَمِنْهُ حَدِيثُهُ: أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبُولَ فَمَالَ إِلَى دَمْتٍ، وَقَوْلُهُ:
إِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، الْإِشَاحَةُ: الْجَدُّ، وَقَدْ يَكُونُ الْحَذَرُ، وَقَوْلُهُ: وَيَفْتَرُّ عَنِ مِثْلِ
حَبِّ الْعَمَامِ: الْإِفْتِرَارُ يَكُونُ أَنْ يَكْثَرَ الْأَسْنَانُ صَاحِكًا مِنْ غَيْرِ فَهْفَهَةٍ، وَحَبِّ الْعَمَامِ:
أَرَادَ الْبَرْدَ، شَبَّهَ بِيَاضِ أَسْنَانِهِ بِهِ. وَقَوْلُهُ: يَدْخُلُونَ رُودًا، الرُّودُ: الطَّالِبُونَ وَاحِدُهُمْ رَائِدٌ.
وَمِنْهُ قَوْلُهُ: الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَقَوْلُهُ: لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ: يَعْني عُدَّةً قَدْ أُعِدَّ لَهُ، لَا
يُوطِنُ الْأَمَاكِينَ: لَا يَجْعَلُ لِنَفْسِهِ مَوْضِعًا يُعْرَفُ، إِنَّمَا يَجْلِسُ حَيْثُ يُمَكِّنُهُ فِي الْمَوْضِعِ

الَّذِي تَكُونُ فِيهِ حَاجَتُهُ، ثُمَّ فَسَّرَهُ، فَقَالَ: يَجْلِسُ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَقَوْلُهُ: لَا تُنْتَى فَلَتَاثَةُ: الْفَلَتَاثُ السَّقَطَاتُ، يُقَالُ مِنْهُ: نَتَوْتُ أَنْتُو، وَالِاسْمُ مِنْهُ التَّنَا^(١).

- حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، سُئِلَ عَنِ الْحَطِّ، فَقَالَ: عَلِمَ أَوْتِيَهُ نَبِيٌّ، فَمَنْ وَافَقَ عِلْمُهُ عَلِمَ ذَلِكَ النَّبِيُّ فَقَدْ عَلِمَ، وَمَنْ لَمْ يُصِبْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ^(٢).

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ، قَالَ: خُصِّتِ الْعَرَبُ بِخِصَالٍ: بِالْكَهَانَةِ وَالْقِيَافَةِ وَالْعِيَافَةِ وَالنُّجُومِ وَالْحِسَابِ، فَهَدَمَ الْإِسْلَامُ الْكَهَانَةَ وَثَبَّتَ الْبَاقِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ.

- حَدَّثْتُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، قَالَ: اشْتَرَكْتُ ثَلَاثَةً فِي ظَهْرِ امْرَأَةٍ، فَوَلَدَتْ، فَجَاءَتْ بِغُلَامٍ، فَتَنَازَعَهُ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ يَدْعِيهِ، فَدَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثَلَاثَةً مِنَ الْقَافَةِ، وَكَانَ عُمَرُ قَائِفًا، فَأَمَرَ الصَّبِيَّ فَوَضِعَ قَدَامَهُ عَلَى صَعِيدٍ أَوْ رَمَادٍ، وَوَطِئَ الْقَوْمُ ذَلِكَ الصَّبِيَّ، ثُمَّ قَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَافَةِ: انظُرْ. فَيَنْظُرُ فَيَقُولُ: قَدْ أَخَذَ الشَّبَهَ مِنْهُمْ جَمِيعًا فَمَا أُدْرِي لِأَيِّهِمْ هُوَ، فَنَظَرَ عُمَرُ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ كَانَتْ الْكَلْبَةُ يَنْزُو عَلَيْهَا الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْلَقُ وَالْأَثْمَرُ، فَتَوَدِّي إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُشَابِهَةً، وَلَمْ أُدْرِ أَنْ هَذَا الْأَمْرُ فِي النَّاسِ، فَجَعَلَهُ عُمَرُ لَهُمْ، يَرْتَهُمْ وَيَرْتُونَهُ، وَهُوَ لِلْبَاقِي مِنْهُمْ.

- حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ، بِإِسْنَادٍ، قَالَ: قَدِمَ قَادِمٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ عِنْدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الْخَبْرِ، فَقَالَ: نُخْبِرُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ ثَلَاثَةً نَفَرُوا تَقَدَّمُوا إِلَيْهِ، وَقَدْ اشْتَرَكُوا فِي ظَهْرِ امْرَأَةٍ، فَقَالَ: أَنْتُمْ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ، وَقَدْ جَاءَتْ بِوَلَدٍ فَكُلُّهُمْ يَدْعِيهِ، فَأَقْرَعَ بَيْنَهُمْ، فَوَقَعَتِ الْفُرْعَةُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَالْحَقَّةُ بِهِ، وَأَعْرَمَ الْآخَرَيْنِ ثُلْثِي الدِّيَةِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) انظر: الطبقات.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم: ١١، والدارمي في سننه حديث رقم: ٢٦٤٧، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين حديث رقم: ٣١٧.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ابْنٌ أَسْوَدٌ، فَتَفَاهَهُ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْقَافَةِ، فَتَزَلَّ قَرِيْبًا مِنْهُمْ، فَقَالَ أَبُو الْغُلَامِ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: إِنَّ فِي نَفْسِي مِنْ هَذَا الْغُلَامِ شَيْئًا، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ فُلَانًا الْقَائِفَ، فَأَسْأَلُهُ. قَالَ: فَهُوَ وَاللَّهِ مِنْكَ قَرِيْبٌ، أَنَا آتِيكَ بِهِ، فَاتَاهُ بِهِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: هُوَ ابْنُكَ. قَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَا أَعْلَمُهُ. وَلَدِي أَسْوَدٌ؟ قَالَ: فَهُوَ ابْنُكَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُهُ، إِذْ خَرَجَ أَسْوَدٌ مِنَ الدَّارِ، فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ أَبُوكَ، فَدَخَلَ إِلَى أُمِّهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا ذَاكَ إِلَّا عُقُوبَةٌ بِنَفْسِكَ ابْنِكَ، أَيِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَعَ عَلَيَّ وَقَعَةٌ وَهُوَ شَابٌّ رَأَيْتُهُ فَأَعْجَبَنِي فَعَلِمْتُ بِكَ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمٍ: قَالَ: قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَافَةِ: كَيْفَ أَنْتُمْ فِي الْأَقْدَامِ؟ قَالَ: ذَلِكَ أَيْسَرُ الْأَشْيَاءِ عَلَيْنَا، إِنَّ السُّرَّاقَ لَيَجْرُونَ الْأَكْبَسَةَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ لِيُخْفُوا آثَارَهُمْ فَتَعْرِفَهُمْ.

حَدَّثَنِي عَمِي مِ مِضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ لِي رَجُلٌ: شَرَدْتُ لَنَا إِبِلٌ فَأَتَيْتُ حَلْبَسًا الْأَسَدِيَّ، فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ لِبَيْتِهِ لَهُ: خَطِي. فَحَطَّطْتُ وَنَظَرْتُ، ثُمَّ تَقَبَّضْتُ وَقَامْتُ، وَنَظَرَ حَلْبَسٌ فَضَحِكَ، فَقَالَ: أَنْدَرِي لِمَ قَامْتُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: رَأَتْ أَنَّكَ تَجِدُ إِبِلَكَ، وَأَنَّكَ تَتَزَوَّجُهَا، فَاسْتَحَيْتَ فَقَامْتُ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَأَصَبْتُ إِبِلِي، ثُمَّ تَزَوَّجْتُهَا بَعْدُ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَائِدٍ، قَالَ: قَالَ شَرِيْحُ بْنُ الْأَقْعَسِ الْعَنْبَرِيُّ: عَزَبَتْ لِي إِبِلٌ وَأَتَيْتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَقُلْتُ: انظُرْ لِي. قَالَ: فَحَطَّطْتُ خُطُوطًا، فَقَالَ: تُصِيبُ إِبِلَكَ بِكُنَاسَةِ الْكُوفَةِ. فَقُلْتُ: بَيْنَ. قَالَ: وَتَذْهَبُ عَيْنُكَ. قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: وَتَزَوَّجُ امْرَأَةً أَشْرَفَ مِنْكَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ وَمَا شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ إِبِلِي، لِيَكْذِبَ فِيْمَا قَالَ. فَأَتَيْتُ الْكُنَاسَةَ، فَأَصَبْتُ إِبِلِي، وَخَرَجْتُ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَذَهَبَتْ عَيْنِي، وَحَجَجْتُ مَعَ ابْنَةِ قَيْسِ بْنِ الْحَشْحَاشِ الْعَنْبَرِيِّ. فَقَالَتْ لِي مَوْلَاةٌ لَهَا فِي الطَّرِيقِ: هَلْ لَكَ أَنْ تَزَوَّجَ مَوْلَانِي؟ قُلْتُ: وَدِدْتُ. قَالَتْ: فَاخْطُبْهَا إِذَا قَدِمْتَ. فَفَعَلْتُ، فَأَبُوا ذَلِكَ، لَمْ أَزَلْ حَتَّى زَوَّجُونِيهَا.

حَدَّثَنِي عَمِي مِ مِضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ سَلَمٌ بْنُ قُتَيْبَةَ: لَقِينِي إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا يَعْرِفُنِي، فَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَنْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: عَرَفْتُكَ بِشَبِّهِ عَمِّكَ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ. قَالَ: قُلْتُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، وَأَيْنَ أَنَا مِنْ عَمِّي، وَعَمِّي رَجُلٌ ضَخْمٌ أَمْعَزٌ، وَأَنَا أَدَمٌ نَحِيفُ الْجِسْمِ؟. قَالَ: فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: لَيْسَ الْقِيَّاسُ عَلَى هَذَا.

حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوْقَةَ: أَقْبَلْنَا مِنْ مَكَّةَ مِنْ حَجِّ أَوْ عُمْرَةٍ، فَلَمَّا كُنَّا بِالثَّغْلَبِيَّةِ أَتَى رَجُلٌ مِنَّا حَلْبَسًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَحَطَّ لَهُ وَنَظَرَ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَا تَدْخُلُ الْكُوفَةَ حَتَّى تُصِيبَ مَا لَا. فَلَمَّا صِرْنَا بِالنَّجَفِ، تَلَقَّاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ: أَنَّ أَخَاهُ مَاتَ فَوْرَثَهُ مَا لَا كَثِيرًا، وَرَوَاهُ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ أَبِي الْيَقْطَانِ: تُصِيبُ مَا لَا مَعَ مُصِيبَةٍ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ عُيَيْنَةَ اللَّهُ بْنُ مَعْمَرٍ، وَمَالِكُ بْنُ خِدَاشِ الْخُرَاعِيِّ، غَارِبِينَ، فَمَرَا بِامْرَأَةٍ وَعَلَيْهَا جَمَاعَةٌ، وَهِيَ تَحُطُّ لَهُمْ، فَتَنَظَرُ إِلَيْهَا وَضَحَكَ مُسْتَهْزِئًا بِهَا، فَقَالَتْ: أَيُّهَا الضَّاحِكُ، أَمَا وَاللَّهِ لَا تَخْرُجُ مِنْ سَجِسْتَانَ حَتَّى تَمُوتَ، فَيَتَزَوَّجُ هَذَا الرَّجُلُ امْرَأَتَكَ، وَأَشَارَتْ إِلَى عُمَرَ، فَمَاتَ بِسَجِسْتَانَ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ عُمَرُ، وَهِيَ رَمْلَةٌ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخُرَاعِيِّ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ شَيْخٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ: مَرَّ زَيْدُ بْنُ الْأَخْنَسِ بِرَجُلٍ يَضْرِبُ امْرَأَةً، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ فَقَالَتْ أُمُّ الرَّجُلِ: إِنَّهَا أَتَتْهُ بِأَسْوَدَ ثُمَّ أَسْوَدَ، وَلَمْ يَكُ فِي جَنْبِهِ أَسْوَدُ، فَتَنَظَرُ إِلَيْهَا وَإِلَى ابْنِهَا، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: لَا تَضْرِبِ الْمَرْأَةَ، إِنَّمَا أُتِيَتْ مِنْ قَبْلِ أَمِّكَ، أَبُوكَ عَبْدُكَ الَّذِي يَزْعَى عَلَيْكَ، ثُمَّ مَضَى. قَالَ: فَسَأَلَ أُمَّهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَقْرَتْ لَهُ أَنَّهُ أَبُوهُ. وَمَرَّ زَيْدُ بْنُ الْأَخْنَسِ وَإِفْدًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَرَأَى صَبِيَّةً عَلَى مَاءٍ مِنَ الْمِيَاهِ، فَقَالَ: بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ. فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا بَنِيَّةٌ لَكَ؟ مَرَزْتُ بِمَاءٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا هِيَ بِهِ؟ فَسَأَلَ عَنْهَا، فَوُجِدَتْ مِنْ أُمَّةٍ كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَطِئَهَا ثُمَّ خَرَجَتْ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ. عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ، قَالَ: أَتَى قَاضٍ مِنْ قُضَاتِنَا بِصَبِيٍّ قَدْ شَكَّ فِيهِ أَبُوهُ، فَدَعَا لَهُ الْقَافَةَ، فَقَالُوا: شَرِكٌ فِيهِ بَرْبَرِيٌّ، فَسَأَلُوا أُمَّهُ، فَقَالَتْ: اشْتَرَانِي الْبَرْبَرِيُّ، ثُمَّ وَقَعَ بِي، ثُمَّ اشْتَرَانِي هَذَا، فَوَقَعَ بِي. فَقَالَ الْقَاضِي: لَوْ كُنْتُمَا اجْتَمَعْتُمَا لِأَلْحَقْتُهُ بِكُمَا، فَأَمَا إِذَا كُنْتُ وَحَدَّكَ فَقَدْ أَلْحَقْتُهُ بِكَ.

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: حَجَجْتُ، فَصَحِبَنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِي ابْنُ أَشْكَ فِيهِ، فَبَعَثَ إِلَيَّ مَلَأَهُ، فَلَمْ يَثْرُكْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا أَثَرَ فِيهَا أَثْرَةٌ وَأَثَرَ الْمَشْكُوكِ فِيهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا التُّسُكَ بَعَثَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَتَنَظَرُ، فَقَالَ: هَذَا أَثْرُ الْمَشْكُوكِ فِيهِ، وَهَذَا أَبُوهُ، وَهَذِهِ أُمَّهُ، وَهَذَا أَخُوهُ حَتَّى أَلْحَقَهُ بِقَرَابَتِهِ مِنْ أَبِيهِ وَأَلْحَقَهُ بِأَبِيهِ.

سَمِعْتُ الْمَدَائِنِيَّ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَلِيُّ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الْمَدِينَةَ،

ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَعَزَلَهُ وَبِعَتْ أَمْوَالُهُ، فَاشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أُمَّةً لَهُ، فَلَمَّا أَرَادَهَا، قَالَتْ: إِنَّ ابْنَ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ قَدْ وَقَعَ بِي، وَبِي حَمْلٌ، فَكَفَّ عَنْهَا، فَوَضَعَتْ غُلَامًا، فَخَرَجَ بِهِ إِلَى وَلَدِ الْحَسَنِ، فَخَرَجُوا جَمِيعًا، فَأَتَوْا وَالِيَّ مَكَّةَ، فَبَعَثَ إِلَى شَيْخٍ مِنَ الْقَافَةِ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ لَهُ نَسَبٌ يُلْحِقُهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ تَنْفِيهِ مِنْهُ. قَالَ: فَخَرَجَ الشَّيْخُ يَتَخَطَّى النَّاسَ وَيُفَرِّقُ، فَأَخَذَ بِيَدِ الْغُلَامِ، فَقَالَ: هَذَا عَمُّهُ فَصِيحٌ بِهِ فَتَرَكَهُ، ثُمَّ أَتَى آخَرَ، قَالَ: هَذَا عَمُّهُ. فَصِيحٌ بِهِ فَتَرَكَهُ، حَتَّى عَدَّدَ وَلَدَ الْحَسَنِ غَيْرَ أَبِيهِ، وَأَرَاهُ مُتَكِنًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا أَبُو الْغُلَامِ فَأَلْحَقَ بِهِ.

- حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: دَخَلَ ابْنُ السَّمَاكِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ، حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَزْمَكِيِّ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: يَا ابْنَ السَّمَاكِ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يَذْكُرُكَ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ وَوَلِيَ عَهْدَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَحَبَّ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ قَرِيبًا، لِمَا بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَلَاحِكَ فِي نَفْسِكَ، وَحُسْنِ ذِكْرِكَ. فَقَالَ ابْنُ السَّمَاكِ: أَمَا مَا ذَكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَلَاحِنَا فِي أَنْفُسِنَا، فَذَلِكَ سِئْرُ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ يَطَّلِعُ النَّاسُ مِنَّا عَلَى ذَنْبٍ وَاحِدٍ، مَا ثَبَتَ لَنَا قَلْبٌ عَلَى مَوَدَّةٍ، وَلَا لِسَانٌ عَلَى مَدْحَةٍ، وَقَدْ خِفْتُ مِنَ السِّرِّ الْفِتْنَةَ، وَمِنَ الْمَدْحِ الْغِرَّةَ، فَأَنَا خَائِفٌ أَنْ أَهْلَكَ بَيْنَهُمَا، وَأَنْ أَعْطَبَ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ سَكَتَ ابْنُ السَّمَاكِ. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: تَكَلَّمْ يَا ابْنَ السَّمَاكِ. قَالَ: وَقَدْ هَيَّأْتُ لَهُ كَلَامًا كَانَ عِنْدِي مَضُونًا، فَذَهَبَ وَاللَّهُ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَرْضَ لِحِلَافَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، غَيْرَكَ فَلَا تَرْضَ لِلَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِكَ، وَبِمَا يُرْضِيهِ عَنكَ، فَإِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِذَلِكَ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ عَمِلَ فِي فِكَاكٍ رَقَبَتِهِ فِي أَيَّامِ مَهْلِهِ مِنْ قَبْلِ حُضُورِ أَجَلِهِ كَانَ خَلِيقًا أَنْ يُعْتَقَ نَفْسَهُ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ أَذَاقَتْهُ الدُّنْيَا حِلَاوَتَهَا بَرُكُونٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، أَذَاقَتْهُ الْآخِرَةَ مَرَارَتَهَا بِتَجَافِيهِ عَنْهَا، وَمَا اسْتَوَى الطَّعْمَانِ فِي عُدُوبَتَيْهِمَا، وَمَرَارَتَيْهِمَا. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَنشِدُكَ اللَّهَ، أَنْ تُقَدِّمَ عَدَا عَلَى جَنَّتِهِ، عَرْضَهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ. إِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ دُعِيتَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَنُدِبْتَ إِلَيْهَا فَلَا تُفْصِرَنَّ بِنَفْسِكَ فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ الْحُجَّةَ لَكَ الزَّمُ وَهِيَ عَلَيْكَ أَعْظَمُ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَوَاضَعَ لِلَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، خَرَجَ وَهُوَ

يُرِيدُ قُبَاءً فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا مَعَهُ إِنَاءٌ فِيهِ لَبَنٌ قَدْ خَاصَ فِيهِ عَسَلًا فَنَاوَلَهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَدَوَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: طَعَامَانِ وَشَرَابَانِ فِي إِيْنَاءٍ وَاحِدٍ، لَا حَاجَةَ لِي بِهِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَحْرَمُهُ، وَلَكِنْ أَحِبُّ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ مُتَوَاضِعًا، فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهِ لَوْ لَبَسْتَ الْعَلِيظَ لَكَانَ أَحْسَنَ عَلَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ، دَعِ مَوَالِيكَ فَلْيَجْرُوا الْخُرُوزَ وَالْبُرُوزَ، وَكُنْ عَلَى التَّوَاضُعِ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. وَاللَّهُ إِنْ أَكْبَادًا بَاتَتْ تَخْفِقُ جَوْعًا أَشْبَعْتَهَا وَأَزَوَيْتَهَا، إِنَّ ذَلِكَ لَسَرِيعٌ فِي الْخَبَرِ، هُمْ رَعِيَّتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، فَأَلِنْ عِطْفَكَ، وَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَانْحَسِ الْعُرَاةَ، وَأَشْبِعِ الْبُطُونَ، فَإِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا تَمُوتُ وَحَدِّكَ، وَتُقْبَرُ وَحَدِّكَ، وَتُبْعَثُ وَحَدِّكَ، وَتَحَاسِبُ وَحَدِّكَ، وَادْكُرِ الْمَقَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ، وَالْوُقُوفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَإِنَّكَ لَا تُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى نَادِمٍ مُشْغُولٍ، وَلَا تُخَلِّفُ إِلَّا جَاهِلًا مَغْرُورًا، وَإِنَّا وَإِيَّاكَ فِي دَارِ سَفَرٍ، وَحَيْرَانَ طَعْنٍ، وَقَدْ أَبْلَغَ الرِّيقُ وَأَرْجَحِيَ الْخِنَاقُ، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فِيمَا مَضَى مِنْ أَجَلِهِ، فَلْيَسْتَدْرِكْ فِي قَلِيلٍ مَا بَقِيَ مِنْ رَمَقِهِ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ ثَلَاثَةَ مِنْ الْعِبَادِ اجْتَمَعُوا، قَدْ أَنْحَلَتْهُمْ الْعِبَادَةَ، وَبَيَّسَتْ جُلُودَهُمْ عَلَى أَعْظَمِهِمْ مِنْ حَرِّ الصَّوْمِ، فَقِيلَ لِأَحَدِهِمْ: فِيمَ عِبَادَتِكَ، رَحِمَكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: شَوْقًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَدْ أَهْلَكَنِي الشَّوْقُ إِلَيْهَا لَا أَنْتَفِعُ بِشَيْءٍ حَتَّى أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَيْهَا. وَقِيلَ لِلْآخَرِ: فِيمَ عِبَادَتِكَ؟ قَالَ: فَرَقًا مِنَ النَّارِ، قَدْ أَهْلَكَنِي الْفَرَقُ مِنْهَا، لَا أَنْتَفِعُ بِشَيْءٍ مِنْهَا حَتَّى أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ نَجَوْتُ مِنْهَا. وَقِيلَ لِلثَّلَاثِ: فِيمَ عِبَادَتِكَ؟ قَالَ: اسْتَحْيَاءً مِنَ اللَّهِ، وَمِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، لِمَا عِنْدِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ، لَا أَنْتَفِعُ بِشَيْءٍ حَتَّى أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ نَجَوْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَوْتَ أَصْرًا بِالدُّنْيَا، وَفَضَحَ أَهْلَهَا، فَبَيْنَمَا الْمَرْءُ مَهِيْبٌ عَزِيْزٌ إِذْ صَارَ فِي الثَّرَابِ مَهِيْنًا ذَلِيْلًا، بَيْنَمَا هُوَ ذُو الْجَمْعِ وَالْتَّبَعِ، إِذْ تَفَرَّقَ عَنْهُ ذَلِكَ أَجْمَعُ، إِنَّمَا هُوَ دَيْبٌ مِنْ سَقَمٍ حَتَّى يُوْخَذَ بِالْكَظْمِ وَتَرْتَلُ الْقَدَمُ، وَيَقَعُ النَّدْمُ، فَلَا تَوْبَةَ تُنَالُ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُ، وَلَا يُقْبَلُ فِدَاءٌ بِمَالٍ، إِنَّمَا هِيَ لَحْظَةٌ حَتَّى يُخْرَسَ اللِّسَانُ، وَيُصَمَّ السَّمْعُ، وَيُعْمَى الْبَصَرُ، وَيَذْهَلُ الْعَقْلُ، فَكَمْ مِنْ مُعَايِنٍ لِرُسُلِ رَبِّهِ، قَدْ صَعُرَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ جَنْبَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، نَدِمَ الْمُسْكِينُ، فَلَمْ يَنْفَعَهُ نَدْمُهُ، فِي مِنْهَاجِهِ، فَقَالَ: فِي كِتَابِهِ جَلُّ ثَنَائِهِ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، مَا يَضْنَعُ بِالرَّجْعَةِ الْمُسْكِينِ؟، أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى دَارِهِ فَيَبْدَدَ مَا جَمَعَ مِنْ مَالِهِ، فَأَبَى عَلَيْهِ ذَلِكَ. يَا

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُمْ نَدِمُوا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: نَدِمُوا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَنَدِمُوا وَهُمْ فِي الشُّورِ، وَنَدِمُوا وَهُمْ فِي النَّيْرَانِ، فَقَالَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] فَأَخْبَرَكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ. وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ. وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُمْ فِي الشُّورِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. وَقَالُوا: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فَظَنَّ امْرُؤٌ لِنَفْسِهِ، وَبَادَرَ امْرُؤٌ بِعَمَلِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ بِالْكَظْمِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا مِنْ مَاتَ وَأُدْخِلَ النَّارَ، وَعَايَنَ بَلَايَاهَا ثُمَّ سَأَلَ الرَّجْعَةَ، وَأَجِيبتُ دَعْوَتَهُ، وَرَجَعَ إِلَى ذُنْبَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلْيَفْعَلْ. قَالَ: فَبَكَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بُكَاءً شَدِيدًا، فَقَالَ ابْنُ السَّمَاكِ: إِنَّا بَعْدُ لَمْ نَخْرُجْ مِنَ الدُّورِ، وَإِنَّا بَعْدُ لَمْ نَصِرْ إِلَى الْقُبُورِ، وَإِنَّا بَعْدُ لَمْ نَحْتَبِزْ عِظَائِمَ تِلْكَ الْأُمُورِ، وَرَسُولُ رَبِّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَيْنَا سَرِيعٌ، وَكُنَّا بِسُرْعَتِهِ جَاهِلٌ مَغْزُورٌ. قَالَ: فَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ، قُمْ يَا ابْنَ السَّمَاكِ، فَقَدْ شَقَقْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَتَهَضُّتُ وَأَنَا أَسْمَعُ شَهيقَهُ وَبُكَاءَهُ، حَتَّى خَرَجْتُ وَاتَّبَعَنِي يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّمَاكِ، أَنْتَ مُتَكَلِّمُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَلَوْ قُلْتُ: إِنَّكَ مُتَكَلِّمُ أَهْلِ الدُّنْيَا لَصَدَقْتُ، دَخَلْتَ عَلَى مَلِكٍ حَدَّثَ السِّنَّ لَمْ يَخْرُنْ قَطُّ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَمُوتُ لَهُ الْوَلَدُ النَّفِيسُ فَيَرَى مُبْتَهَجًا، وَلَا يُظْهَرُ حُرْنَا، فَدَخَلْتَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ فَذَكَرْتَهُ الْحِسَابَ وَالْمَوْتَ وَالْبُعْثَ وَالْمِيزَانَ، فَكَلَّمْتُ قَلْبَهُ، فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِ فَارْتُقِ بِهِ. قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي مَوْضِعٍ قَدْ كَانَ فِيهِ قَبْلَكَ، وَهُوَ كَائِنٌ فِيهِ قَوْمٌ بَعْدَكَ، وَقَدْ مَضَى الْقَوْمُ بِالْمَدَائِحِ وَالْمَعَائِبِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِذْ صِرْتَ بِالْمَنْصِبِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا يَكْرُمُ مَدْخِرُهُ، وَيَحْسُنُ مُتْسِرُهُ، فَافْعَلْ. قَالَ: ثُمَّ انصرفتُ.

- حَدَّثَنِي أَبُو غَزِيَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: لَقَدْ غَدَوْتُ فِي غَدَاةٍ شَاتِيَّةٍ جَائِعًا خَصِيرًا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ كَانَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، طَعَامٌ لَأُطْعِمْتُ

منه، وقد أخذت إهاباً مطعوناً فحنت وسطه، ثم سدذته عليّ بحوصٍ لبيد فيني التمس كسباً لعلّي أجد شيئاً أكله، فمزرت بيهودي، وهو في حائط له، ينزع منه بيده يسقيه، فأطلعت عليه من ثلمة في الحائط. قال: يا أعرابي ما لك؟ هل لك في كل دلو بتمرة؟ فقلت: نعم افتح الباب. ففتحه لي، فدخلت، فأعطاني دلو، فجعلت كلما نزع دلواً أعطاني تمرة، حتى إذا امتلأت كفي طرحت إليه دلو، وقلت: حسبي ثم أكلتهن، وحمدت الله، وشربت من الماء الذي نزع بكفي حتى رويت، ثم أقبلت حتى جئت رسول الله ﷺ فوجدته في المسجد جالساً مع الناس، فجلست إليه، فبينما نحن عنده إذ طلع مضعب بن عمير في بريدة له خلق مزقوعة بزمرو. قال: فجاء وهو مستح يتقصى الناس، حتى جلس في أدناهم، ورآه رسول الله ﷺ فذكر ما كان فيه من التعمه، وذكر ما أصابه من الجهد في الإسلام. قال: فذرفت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال: توشكون أن يعدوا أحدكم في حلة، ويروح في أخرى، وأن يعدا على أحدكم بجفنة، ويروح عليه بأخرى، ويستربته كما يستركعبة، أفأنكم يومئذ خير، أم أنتم اليوم؟ قلنا: يا نبي الله، نحن يومئذ خير منا اليوم، كفيينا المؤمنة، فنفرغنا للعبادة. قال: بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ ^(١).

- حدثني أبو عزيّة، عن إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج، عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: قالت لي مولاة لنا: ما يمنعك من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فإنها تحطب إليه؟ قال علي عليه السلام: فوالله ما زالت بي حتى دخلت على رسول الله ﷺ من الإجلال ما ليس لأحد، فجلست بين يديه، وأفحمت فلم أقدر على الكلام، فقال لي: ما لك يا أبا الحسن؟ هل لك من حاجة؟ فسكت، حتى أعاد ذلك ثلاث مرات، ثم قال: فلعلك تريد فاطمة؟ قال: فقلت: نعم. قال: فقال رسول الله ﷺ: ما فعلت درع كنت سلحتكها؟ فقلت: عندي. قال: فاذهب بها إليها فاستحلها بها ^(٢).

- وذكر ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قال علي بن أبي طالب

(١) ذكره الحافظ في «الإصابة» (٤٠١/٣).

(٢) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤٣٧.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ فَاطِمَةَ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْرًا مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: ابْتِغِ بِهَذَا طَعَامًا لِوَلِيِّمَتِكَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى مَحَافِلِ الْأَنْصَارِ، فَجِئْتُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي جَرِينٍ لَهُ، قَدْ فُرِّغَ مِنْ طَعَامِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: بَعْضِي بِهَذَا الْمِصْرِ طَعَامًا، فَأَعْطَانِي، حَتَّى إِذَا جَعَلْتُ طَعَامِي، قَالَ: مَنْ أَنْتِ؟ قُلْتُ: عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهَذَا الطَّعَامِ؟ قُلْتُ: أُعْرِسُ. فَقَالَ: وَبِمَنْ؟ فَقُلْتُ: بِابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَهَذَا الطَّعَامُ، وَهَذَا الْمِصْرُ الذَّهَبُ، فَخُذْهُ، فَهَمَّا لَكَ. فَأَخَذْتُهُ وَرَجَعْتُ، فَجَمَعْتُ أَهْلِي إِلَيَّ، وَكَانَ بَيْتُ فَاطِمَةَ لِحَارِثَةَ بْنِ الثُّغَمَانَ، فَسَأَلْتُ فَاطِمَةَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنْ يَحْوِلَهُ. فَقَالَ لَهَا: لَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ حَارِثَةَ مِمَّا يَتَحَوَّلُ لَنَا عَنْ بُيُوتِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ حَارِثَةَ انْتَقَلَ مِنْهُ، وَأَسْكَنَهُ فَاطِمَةَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فِي دُورِهِمْ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ، فَيُذَكِّرُهُمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُنذِرُهُمْ، وَيَأْتُونَهُ بِصِنَابِيهِمْ^(١).

أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي الزِّنَادِ يُنْشِدُ لِكِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ الْيَهُودِيَّ:

أَرَقْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الْفِرَاشِ مِنْ حَرْبِ قَوْمِي وَمِنْ مَعْرَمِ
وَمَنْ سَفَهَ الرَّأْيَ بَعْدَ الْهُدَى وَعَمَهُ الرَّشَادِ فَلَمْ يُفْهَمِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحَلِيمَ لَمْ يَتَعَدَّ وَلَمْ يَظْلَمِ
وَلَكِنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْغَوَا هَ حَتَّى تَعَكَّسَ أَهْلُ الدَّمِ
وَأَوْدَى السَّفِيهِ بِأَمْرِ الْحَلِيمِ فَأَنْشَرَ الْأَمْرَ لَمْ يُبْرَمِ
وَأَنْشَدَنِي لِأَبِي هَمَّامَةَ:

إِحْوَةٌ مَا حَضَرْتُ سَرُونَ بَرُونَ فَإِنْ غِبْتُ فَالَسْبَاغُ الْجِيعُ
يَأْبُونِي حَتَّى إِذَا عَايُنُونِي بَانَ فِيهِمْ تَضَاوُلٌ وَاحْتِشَاغُ
فَهُمْ يَغْمِزُونَ مِنِّي قَنَاةً لَ لَيْسَ يَأْلُونَ غَمْرَهَا مَا اسْتَطَاعُوا
مَا كَذَا يَفْعَلُ الْكِرَامُ وَلَكِنَّ هَكَذَا يَفْعَلُ اللَّسَامُ الرِّضَاعُ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى حديث رقم: ٣٠٢٩.

وَأَنْشَدَنِي لِلْحَزِينِ الدُّلَيْبِيِّ:

كَأَمَّا خُلِقْتَ كَفَاهُ مِنْ حَجَرٍ
يَرَى التَّيْمَمَ فِي بَرٍّ وَفِي بَحْرِ
وَأَنْشَدَنِي لِلْحَزِينِ أَيْضًا:

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي كَعْبٍ وَمَجْلِسِهِمْ
لَا يَدْرُسُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ

أَنْشَدَنِي التَّيْمِيُّ فِي الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ الْحَاجِبِ:
لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
تَرَى عَظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشْعًا
تَوَاضَعُ لِلَّهِ لَمَّا زَادَهُ رِفْعَةً
وَأَنْشَدَنِي الزُّبَيْرِيُّ:

لَمْ يَكُنْ حَادِثٌ يُشْتَتُّ شَعْبًا
فَتَعَالَوْا نَرُدُّ حُلُومَ التَّصَافِي
أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى بَنَانًا مُحَضَّبًا
وَمَا بِالْمَوَالِي مِنْ دَنَاءَةٍ تَعِيْبُهُمْ
يَقُولُونَ مَوْلَاةٌ فَلَا تَقْرَبْنَهَا

أَنْشَدَنِي الزُّبَيْرِيُّ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ دَاوُدَ الْكَاتِبِ:
إِنَّ الَّتِي فَحَرَّتْ عَشِيَّةَ زُرْتَهَا
فَحَرَّتْ عَلَيْكَ بِأَهْلِ عَرَبِيَّةٍ
فَأَجَبْتُهَا إِنِّي ابْنُ كِسْرَى وَابْنُ مَنْ
فَتَطَّأَتْ وَتَضَاءَلَتْ مِنْ زَهْوِهَا
بِكَلَامِهَا الْفَتَانُ وَالْإِعْرَاضِ
فَتَعَرَّضْتُ لِمَفَاخِرٍ نَقَّاضِ
دَانَ الْمُلُوكِ لَهُ بَغَيْرِ تَرَاضِ
لِفَعَّارِ أَصِيدَ لِلذَّرَى خَفَّاضِ

وَلَقَدْ أَقْبَى عَرَضِي بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
وَأَرَى الْعَرُوضَ وَقَايَةَ الْأَعْرَاضِ
أَنْشَدَنِي الْكَثِيرِيُّ:

الْمَوْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ حُطَّةِ
فِي النَّاسِ خَوْفَ شِنَارِهَا يَتَقَعُّ
شَتَانَ مَنْ أَعْطَى الرَّجَالَ ظِلَامَةً
حَذَرَ الْبَلَاءِ وَآخِرًا لَا يَخْضَعُ
لَيْسَ الْجَزُوعُ بِمُفْلِتٍ مِنْ يَوْمِهِ
وَالْحُرُّ يَصْبِرُ وَالْأَنْوْفُ تَجْدَعُ
فَتَحُ الْإِلَهَ عَدَاوَةً لَا تُتَقَى
وَقَرَابَةً يُدْلِي بِهَا لَا تَنْفَعُ

أَنْشَدَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَثِيرِيُّ، قَالَ:

وَدِدْتُ وَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ قَلْبِي
تُقَلِّبُهُ يَدَاكَ فَتَنْظُرِينَا
إِلَى أَثَرِ الْعِلَاقَةِ فِي فُؤَادِي
وَصَدْعِ الْحُبِّ فِي كَفِّي مُبِينَا
وَأَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي هَذَا:

وَدِدْتُ وَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ أَلِّي
وَمَنْ أَهْوَى بِمُنْقَطِعِ الثَّرَابِ
نَعِيشُ الدَّهْرِ مَا عَشْنَا جَمِيعًا
وَتُقَرَّنَ يَوْمَ نُبَعْتُ لِلْحِسَابِ

أَنْشَدَنِي الْمُسَاحِقِيُّ عَبْدَ الْجَبَّارِ بْنَ سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ لِلْمَخْنُونِ:

فَلَوْ تَلَقَيْتُ أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
وَمِنْ دُونَ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ مَنَكَبُ
لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَلَوْ كُنْتُ رَمَةً
لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرَبُ

أَنْشَدَنِي الْمُسَاحِقِيُّ:

تَقُولُ سُلَيْمِي حَلَّ أَهْلُكَ فَارْتَحِلْ
وَمَا لِي أَهْلٌ غَيْرُ ظَهْرِ مَطِيئِي
وَهَلْ لَكَ هَلْ تَدْرِينِ وَيَحَكَ مَنْ أَهْلِي
تَرُوحُ وَتَغْدُو مَا يَحِلُّ لَهَا رَحْلِي

أَنْشَدَنِي حَسَنُ بْنُ دَاوُدَ الْجَعْفَرِيُّ لِعِرَارَةَ الْخَيْطِ:

صَحْبَتِكَ عَشْرًا بَعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً
عَلَى غَيْرِ تَجْرِبٍ لَقَدْ كُنْتُ جَاهِلًا
فَلَمَّا فَتَحْتُ الْكَفَّ عَمَّا طَوَّبَتْهَا
عَلَيْهِ وَمَا أَمَلْتُ لَمْ أَلْفِ طَانِلًا

وَأَنْشَدَنِي لِحَمِيدِ بْنِ ثَوْرٍ:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ الشُّبَابَ وَقَوْلَنَا إِذَا مَا صَبَوْنَا صَبَوَةٌ سَنُتُوبُ
لِيَالِي أَبْصَارُ الْعَوَانِي وَسِمْعَهَا إِلَيَّ وَإِذْ رِيحِي لَهْنٌ جَنُوبُ
وَإِذْ مَا يَقُولُ النَّاسُ شَيْءٌ مُهَوَّنٌ عَلَيْنَا وَإِذْ غُصْنُ الشُّبَابِ رَطِيبُ

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَلَامِ الْجَمْحِيِّ، يَقُولُ: قَدِمَ عُمَانُ بْنُ عُمَارَةَ أَخُو أَبِي الْهَيْذَامِ
الْمُرِّي، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى سَجِسْتَانَ أَيَّامَ الرَّشِيدِ، فَحَسِبَ بِخَمْسِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَسَبْعِينَ
أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَدِمَ يَزِيدُ بْنُ مَرْزُوقٍ مِنْ أَرْمِينِيَّةٍ، فَأَخْبَرُوهُ، فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ، فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِهَا، ثُمَّ
قَالَ: وَلَكِنْ أَحْمِلْ لِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، فَأَوْصَلَهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ:

أَغْشَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَظْرَةٍ تَزُولُ بِهَا الْمَخَافَةُ وَالْأَزَلُ
فَفَضْلِكَ أَرْجُو لَا الْبَرَاءَةَ إِلَهُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَا أَكُنْ أَهْلًا لِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ أَهْلُ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَيْنَا
الرُّبَيْزِيُّ فِي بَعْضِ مَعَارِيهِ إِذْ اضْطَفَى جَارِيَةٌ. قَالَ: فَتَخَلَّفَ عَنِ الْعَسْكَرِ. فَقَالَ مِنَ الْجَارِيَةِ،
ثُمَّ رَكِبَ يُرِيدُ الْجَيْشَ فَعَرَّضَ لَهُ لِصَانٍ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَا: أَطْعَمْنَا، فَرَمَى إِلَيْهِمَا بِسُفْرَتَيْهِ،
فَقَالَا: اكْسَنَا، فَرَمَى إِلَيْهِمَا بِثَوْبَيْنِ كَانَا مَعَهُ، فَقَالَا: خَلِّ عَنِ الطَّعِينَةِ، فَقَالَ لَهَا: تَنَحَّيْ، ثُمَّ
شَدَّ عَلَيْهِمَا فَأَبَانَهُمَا بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: وَقَدْ الصَّقَبُ التُّهْدِيُّ عَلَى التُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ مِنْ
قَوْمِهِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْبَرَاءُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْآخَرَ الْحَارِثُ بْنُ مَازِنٍ، وَكَانَا شَرِيفَيْنِ، وَكَانَ
الصَّقَبُ قَصِيرًا أَفْوَهَ دَمِيمًا أَسْوَدَ أَعْوَرَ، فَجَلَسُوا بِفِنَاءِ قَصْرِ التُّعْمَانِ، وَقَدْ سَمِعَ التُّعْمَانُ
بِشْرِفِ الصَّقَبِ وَمَنْزِلَتِهِ فِي قَوْمِهِ. فَقَالَ لِأَذْنِهِ: ائْتِنِي لِلصَّقَبِ. قَالَ: فَخَرَجَ وَاعْتَمَدَ رَجُلًا
عَظِيمًا جَسِيمًا، فَقَالَ: ادْخُلْ وَهُوَ يَطْنُكُ الصَّقَبُ، فَدَخَلَ فَقَالَ لَهُ التُّعْمَانُ: أَأَنْتَ الصَّقَبُ؟
قَالَ: لَا وَلَكِنِّي الْبَرَاءُ بْنُ عَمْرٍو التُّهْدِيُّ. فَقَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ، وَدَعَا لَهُ بِلَبْنٍ، فَشَرِبَهُ. ثُمَّ
قَالَ: لِلأَذْنِ: ائْتِنِي لِلصَّقَبِ. فَخَرَجَ، فَاعْتَمَدَ آخَرَ جَمِيلًا جَسِيمًا. فَقَالَ: ادْخُلْ فَدَخَلَ،
فَقَالَ: أَأَنْتَ الصَّقَبُ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنِّي الْحَارِثُ بْنُ مَازِنِ التُّهْدِيُّ. قَالَ: اجْلِسْ وَدَعَا بِلَبْنٍ
فَشَرِبَ، ثُمَّ قَالَ: نَوْهُ بِإِذْنِ الصَّقَبِ. فَنَوَّهُ بِهِ، فَدَخَلَ فَلَمَّا رَأَهُ التُّعْمَانُ أزدَرَاهُ، وَنَبَتْ عَيْنُهُ

عنه، فقال: أأنت الصقب؟ ثلاث مرّات. قال: نعم. قال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. قال: أبيت اللعن، الرجال ليس بمسوك يستقى فيها الماء، وإنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، إذا نطق نطق ببيان، وإذا قاتل قاتل بجنان. قال: إنه لكما تقول، فكيف نظرك في الأمور؟ قال: أنقض فيها المفتول، وأبرم منها المسحول، وأحلها إلى أن تحول، ثم أنظر إلى ما تحول، وليس لها بصاحب من لم يكن له نظر في العواقب. قال: فأخبرني عن الفقر الحاضر، والعجز الظاهر. قال: الفقر الحاضر، المرء لا تستغني نفسه، وإن كان ذهباً جليسه، فأما العجز الظاهر، فالشاب الضعيف، اللزوم للحليلة، الشبوع لها، الذي يحوم حولها، إن غضبت أرضاها، وإن رصيت فداها، فذاك الذي لا كان، ولا ولدت النساء مثله. قال: فأخبرني عن السوءة السوءة والداء العياء. قال: السوءة السوءة الحليلة السليطة، السلفع القصيرة، التي تغضب من غير غضب، وتغضب من غير عجب، فصاحبها لا ينعم باله، ولا يضلح حاله، إن كان مقبلاً غيرته، وإن كان ذا مال لم ينفعه ماله، فتلك التي أراح الله منها بعلها، ولا متع بها أهلها، وأما الداء العياء، فجار السوء، الذي إن خالطته ظلمك، وإن غبت عنه سبعتك، وإن قاوتته بهتك. فإذا كان ذلك جارك، فأخل له دارك، وعجل منه فرارك، فإن ضمنت كنت كالكلب الهرار، فأقمت بذل وصغار. وقال معاوية بن أبي سفيان لصحار العبيدي، وكان أزرق: يا أبا عبد القيس. قال: على ذلك قطع سيري، يعني: قلاته، وما عبد القيس عليّ بعار. قال: يا أحمر. قال: الذهب أحمر. قال: يا أزرق. قال: البازي أزرق. قال: أنتم أخطب العرب؟ قال: إن ذلك ليقل. قال: فما الخطيب فيكم؟ قال: من ردّ بقليل الجواب كثير النطق. قال: ما هذه البلاغة فيكم؟ قال: كلام يعتلج على قلوبنا فنقدفه كما يقدف البحر الموج. قال: فما الإبلاغ؟ قال: أن تشرع فلا تبطن، وتقول فلا تخطئ.

حدّثني محمد بن سلام، قال: كان يقال: اتق القرشي ما لم تكن له عندك يد، فإذا كانت له عندك يد فأمنه فإنه لا يكدرها.

حدّثني محمد بن سلام، قال: كان عبّاد بن منصور التاجي قاضيًا، فتقدّم إليه رجلان، ادعى أحدهما على صاحبه كفاً، فقال: إنما أنا كفيّل، وليس الحق عليّ. قال: أقول لك ما قال العربي، وما قال الفارسي، قال العربي: إذا ما المرء كان له كفيّل فأفلس أو لوى غريم الكفيّل وقال الفارسي: بانياز دست الريش.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَهُ مَخْجَنٌ يَسْرِقُ بِهِ مَتَاعَ الْحَاجِّ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: تَسْرِقُ الْحَاجَّ؟ قَالَ: مَا أَسْرَقُ إِنَّمَا يَسْرِقُ مَخْجَنِي. قَالَ حَمَادٌ: لَوْ كَانَ هَذَا حَيًّا الْيَوْمَ، كَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ أَبِي الْيَقْطَانِ، قَالَ: قَالَ عَزْرِي خَالِدٌ عَلَى رِبْعِيِّ ابْنِهِ، فَتَمَثَّلَ أَبِياتِ أَبِي خِرَاشِ الْهُذَلِيِّ:

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَى قَتِيلًا رَزَيْتُهُ بِجَانِبِ قُوسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
قَالَ: فَعَلِمَ وَاللَّهِ أَنَّهُ سَيَكْذِبُ، فَقَالَ:

عَلَى أَهْبَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِمَامَا نُوكَلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ طَلْحَةَ، قَالَ: قَالَ خَشْرَمٌ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُ فِيهَا مَوْلَى. قَالَ: قُلْتُ: صَعِدْتَ الْعُرْفَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: الْمَوَالِي فِي الْعُرْفِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ يُونُسَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ الْمُهَلَّبُ، قَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ:

لَقَدْ ذَهَبَ الْعَزْوُ الْمُعْرَبُ لِلْغَنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهَلَّبِ
أَقَامَا بِمَرُو الرُّودِ رَهْنِي حَفِيرَةَ وَقَدْ غُيِبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ

فَلَمَّا كَانَ قَتِيْبَةُ بِخِرَاسَانَ، وَفَتَحَ مَا فَتَحَ، قَالَ:

مَا كَانَ مُذْ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيمَا بَعْدَنَا كَابِنِ مُسْلِمِ
أَشَدُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِينَا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرُ فِينَا مَقْسَمًا بَعْدَ مَقْسِمِ

قَالَ: أَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِكَ: لَقَدْ ذَهَبَ الْعَزْوُ؟ قَالَ: ذَلِكَ كَانَ عَزْوًا وَهَذَا حَشْرٌ. فَلَمَّا وَلِيَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ، آتَاهُ خَلْفَ الْأَفْطَحِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، فَقَالَ:

نَهَارَ أَمَاتَ الْجُودَ حِينًا وَلَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِنَا عِلْمٌ بِمَا فِي الْمُغَيْبِ
لَقَدْ رَجَعَ الْعَارُونَ وَاسْتَوْنَفَ الْغَنَى بِنَصْرِ وَعَاشَ الْجُودُ بَعْدَ الْمُهَلَّبِ

قَالَ: خِلَادَةُ الْأَرْقَطُ، قَالَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ لِحَلْفِ: اضْطَقْنِي عَنْ شِعْرِي، فَإِنَّ النَّاسَ يَغْلَطُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَالنَّاسُ يَلْقَوْنِي بِمَا أَحِبُّ، فَاضْطَقْنِي عَنْ نَفْسِي، فَأَنْشُدُهُ

فَصِيدَتْهُ هَذِهِ:

حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلَ حَيْلِهِ جَيْحَانَ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رِعَالَهَا

فَقَالَ: أَنْتَ فِيهَا أَشْعَرُ مِنَ الْأَعْشَى فِي قَصِيدَتِهِ:

رَحَلْتُ سُمِيَّةَ غَدْوَةَ أَجْمَالَهَا^(١)

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُمَحِيِّ، عَنْ عَوْفٍ، قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الشَّامِ مِنْ آلِ أَبِي صُفْرَةَ، فَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهِنْدِ ابْنَةَ رَبِيعَةَ، وَأَبِي سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَانَ، إِلَى أَنْ قَالَ لِي رَجُلٌ: مَا تَقُولُ فِي كَذَا؟ فَقُلْتُ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ كَذَا. وَقَالَ: وَسَأَلَنِي آخَرَ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي كَذَا؟ فَقُلْتُ قَالَ الْحَسَنُ. فَتَعَرَّضُوا إِلَيَّ وَتَرَكُوهُ، فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ، أُحَدِّثُهُمْ عَنْ هِنْدٍ، وَأَبِي هِنْدٍ، وَرُوحِ هِنْدٍ، وَهَذَا يَحْدِثُهُمْ عَنْ عَجَلَيْنِ مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ، فَيَقُومُونَ إِلَيْهِ وَيَتْرَكُونَنِي. أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ:

بَأَيِّ الْحَلَّتَيْنِ عَلَيْكَ أَنْبِي فَإِنِّي عِنْدَ مَنْصَرَفِي مَسْتَوِلٌ

أَبَا الْحُسَيْنِي فَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءٌ عَلَيَّ فَمَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ؟

دَخَلَ جَدِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُضْعَبٍ عَلَى الْمَهْدِيِّ، فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ، فَلَمَّا انصَرَفَ لَقِيَهُ مَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، اكْتَبِنِي ذَلِكَ الْكَلَامَ الَّذِي تَكَلَّمْتَ بِهِ، قَالَ: مَا أَحْفَظُهُ، وَلَا أَعْرِفُهُ، إِنَّمَا كَانَ كَلَامًا عَنْ فَنٍّ.

- حَدَّثَنِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ سَعِيدٍ الْمُسَاحِقِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرُّبَيْرِ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَانَ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ، فِيهِمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، فَأَوْسَعَ لَهُ مُعَاوِيَةُ، فَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى سَرِيرٍ، فَلَمَّا انصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرُّبَيْرِ، أَقْبَلَ مَرْوَانَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ:

لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ رَئِيسِ قَبِيلَةٍ تَضَعُ الْكَبِيرَ وَلَا تُرَبِّي الْأَصْغَرَ

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا

- حَدَّثَنِي أَبُو ضَمْرَةَ، عَنْ أُسَامَةَ، عَنْ بِنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِذَا زَنَتْ أُمَّةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا، وَلَا يَثْرَبْ عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّ زَنْتَ الرَّابِعَةَ فَلْيَبِيعْهَا، وَلَوْ بِضَفِيرٍ مِنْ شَعْرٍ.

- حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ عَامِرَ بْنَ صَالِحٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: هَلْ لَكَ أَنْ أُبِيعَكَ نَعْمًا مِنْ نَعْمِ الصَّدَقَةِ، وَأُنْسِتَكَ النِّصْفَ؟ قَالَ: فَقَالَ عُرْوَةُ: وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنْ صَدَقَاتِ مُضَرَ الْحَمْرَاءِ كُلَّهَا لِي، لَشَهِدْتُ أَبَاكَ يَغْنِي مَرْوَانَ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ أَمْرًا لِلنَّاسِ بِنِصْفِ عَطَائِهِمْ. وَقَالَ: إِنَّ الْمَالَ قَصْرٌ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِالنِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنْ صَدَقَاتِ مَالِ الْيَمَنِ. قَالَ: فَوَثِبَ النَّاسُ فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ، ذَاكَ مَالِ الصَّدَقَةِ، وَإِنَّمَا مَالُنَا مَالُ الْخَرَاجِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ مُعَاوِيَةَ بِمَالِ الْخَرَاجِ.

كَانَ عِنْدِي سَيْفٌ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، اشْتَرَيْتُهُ، فَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ يَطْلُبُهُ مِنِّي بِمَنْ، فَأَهْدَيْتُهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ عِنْدَ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ السَّيْفِ الَّذِي يُسَمَّى الْعُرْجُونَ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ سَيْفَ ابْنِ جَحْشٍ انْقَطَعَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُرْجُونَ نَحْلَةً، فَصَارَ فِي يَدِهِ سَيْفًا، يُقَالُ: إِنَّ قَائِمَتَهُ مِنْهُ، فَبِيعَ مِنْ بَعَا التُّرْكِيِّ بِمَا تَبَيَّ دِينَارًا.

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْدَرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُثْبَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، فَإِذَا هُوَ كَالْمُعْتَاطِ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَامِلِكُمْ أَنفًا، يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَسَلَّمْتُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَقُلْتُ:

مُسَا تُرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَعْجَبَا أَنْ تُؤْتِيَا فَتُكَلَّمَا فَمَا حُشِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبْرِ

فَلَوْ شِئْتُ أَدْلَىٰ فِيكُمْ غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي السِّرِّ
فَإِنْ أَلَا لَمْ أَمْرٌ وَلَمْ أَنَّهُ عَنْكُمْ ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّىٰ تَلَجَّ وَيَسْتَشْرِي

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: فَقُلْتُ لَهُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمِثْلُكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فِي سِتِّكَ وَفَضْلِكَ
يَقُولُ الشَّعْرُ؟ قَالَ: إِنَّ الْمَصْدُورَ إِذَا نَفَثَ بَرَأَ.

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْمَاهِرِ،
يَقُولُ: قَدِمَ الْمَنْصُورُ لِلْحَجِّ، فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ دَارِ النَّدْوَةِ إِلَى الطَّوَافِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ
مُسْتَتِرًا مِنَ النَّاسِ، فَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَيُصَلِّي وَيَدْعُو، لَا يُعْرِفُ مَوْضِعَهُ، فَإِذَا أَضَاءَ الْفَجْرُ
عَادَ إِلَى دَارِ النَّدْوَةِ، وَجَاءَ الْمُؤَدِّثُونَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَخْرُجُ فَيُصَلِّي
بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حِينَ أُسْحِرَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ، فَسَمِعَ رَجُلًا فِي الْمُلْتَرَمِ، يَقُولُ:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظَهْورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنْ
الطَّمَعِ. قَالَ: فَاقْتَصَدَ الْمَنْصُورُ فِي مَشِيهِ حَتَّى مَلَأَ مَسَامِعَهُ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ
الطَّوَافِ، فَجَلَسَ نَاحِيَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ، فَقَالَ لَهُ: أَجِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ، وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: مَا هَذَا
الَّذِي سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ مِنْ ظَهْورِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَبَيْنَ
أَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَرْمَضَنِي وَأَقْلَفَنِي. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
إِنْ أَمْتَنِي عَلَى نَفْسِي أَنْبَأْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَصُولِهَا، وَإِلَّا احْتَجَزْتُ مِنْكَ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى
نَفْسِي، فَفِيهَا شَاغِلٌ عَنِ سِوَى ذَلِكَ. قَالَ الْمَنْصُورُ: فَأَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الَّذِي دَخَلَهُ الطَّمَعُ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِّ، فَأَظْهَرَ طَمَعَهُ فِي الْأَرْضِ
وَالْفَسَادَ وَالْبَغْيَ لِأَنْتَ. قَالَ: وَيَحَاكَ، وَكَيْفَ يَدْخُلُنِي الطَّمَعُ وَالصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ فِي
قَبْضَتِي، وَالْحُلُوُّ وَالْحَامِضُ فِي يَدِي!! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَلْ دَخَلَ أَحَدًا مِنْ
الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ؟! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اسْتَرَعَاكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْرَالَهُمْ فَأَغْلَمْتَ
أُمُورَهُمْ، وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ، وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنْ جِصٍّ وَاجْرٍ،
وَأَبْوَابًا مِنْ حَدِيدٍ، بَعْضُهَا عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ، وَحِجَبَةٌ عَلَيْهَا فِي أَيْدِيهِمُ السِّلَاحُ، ثُمَّ سَجَنْتَ

نفسك فيها، واحتجبت بها عنهم، وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وحسرها إليك، وقويتهم بالرجال والكراع، وأمزت بالأيدى يدخل عليك من الناس إلا فلانا وفلانا، لتفر يسير، ونهيتهم أن يوصلوا إليك مظلوماً أو ملهوقاً أو جائعاً أو غارياً أو فقيراً، له في هذا المال الذي قبلك حق، فجبى عمالك الأموال وجمعوها وحسروها إليك، فأودعتها الخزائن بمدينتك، ولم تعطها أهلها، فلما رآك يا أمير المؤمنين هؤلاء النفر الذين استخلفتهم لنفسك، وخصصتهم بربك، وأزنتهم على رعيتك، تجم الأموال وتجمعها، وتستأثر بها، فلا تقسمها على أهلها، وتمنعهم حقوقهم منها، قالوا: هذا قد خان الله فمالنا لا نخونه، وقد سجن نفسه، وأمكنا منه الفُرصة، واطلغنا منه على العورة! فتأزرؤوا يا أمير المؤمنين على أن لا يصل إليك من علم خبر الناس إلا ما أحبوا، وأن لا تطلع من أمورهم إلا على ما أرادوا، وأن لا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم، ويطلع رأيهم، إلا قصبوه عندك، واغتابوه، حتى تسقط منزلة، ويتضح أمره، فأجمع رأيهم وأمرهم على ذلك، وانتشر لهم بذلك يا أمير المؤمنين عند الخاصة والعامّة من رعيتك أنهم يضرون وينفعون عندك من شاءوا، وأنت تقبل قولهم، وتعمل برأيهم، فأعظمهم من وراء بابك، وخافوهم فكان أول من صانعهم من الناس وداراهم عمالك، فأرسلوا إليهم بالهدايا، ليقبوا بها على ظلم رعيتك، فامتلات الأرض من طمعك الحاجز بينك وبين الحق، بغيا وفسادا، وصار يا أمير المؤمنين هؤلاء النفر الذين سجنك نفسك لهم بطمعك شركاءك في سلطانك، يكسبون لك الأثام، ويطوفونك الخطايا، ويحملونك الأوزار، وأنت غافل أو متعافل، كأنك لا تعلم أنه إذا ظلم أحد من عمالك أحداً من رعيتك، أو قويت من جندك غصب ضعيفاً من ذوي العهد، فجاءك متظلماً، أنه يحال بينك وبينه، وإن أراد أن يرفع إليك قضية عند ظهورك، وجدك قد نهيت عن ذلك، ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن أتى ذلك الرجل بمظلمة لمسلم أو معاهد، وبلغ ذلك بطانتك، أتوا الرجل فسألوه أن لا يرفع مظلمته، فإن الذي يتظلم منه له به حرمة. وما حزمته قدم خيانتيه، فأجابهم صاحب المظالم إلى ذلك، واختلف المظلوم أياماً يلوذ به، ويشكو إليه، فيعتل عليه، ويدفعه

وَيْمَتِيهِ، فَإِذَا ظَهَرَتْ صَرَخَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُسْتَعِينًا، فَضْرِبْ وَجْعَلْ نِكَالًا لِعَیْرِهِ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَتَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِأَنَّكَ قَدْ وَقَفْتَ لَهُ رَجُلًا يَنْظُرُ فِي ظَلَامَتِهِ، فَمَا بَقَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُهُ عَلَى هَذَا؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ كَانَتْ بَنُو أُمِّيَّةَ عَلَى مَا كَانَ فِيهِمْ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ بِطَانَتِهَا، لَا تَنْتَهَى مَظْلُومًا عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَةٍ، وَلَقَدْ كَانَ يَأْتِي الْمَظْلُومُ فِي عَضْرِ بَنِي أُمِّيَّةَ مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى بَابِ سُلْطَانِهِمْ نَادَى: يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَيَقُولُونَ: مَا لَكَ؟ مَا لَكَ؟ لَيْسَ فِي ذَلِكَ طَلَبُ ثَوَابٍ إِلَّا التَّمَاسُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ أَخِي إِلَيَّ فِي الْإِسْلَامِ كَذَا وَكَذَا، فَيَبْتَدِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْمُنْطَقَ عِنْدَ سُلْطَانِهِمْ، فَيَقُولُونَ: بِالْبَابِ رَجُلٌ يَشْكُو كَذَا وَكَذَا، فَيَنْظُرُ فِي ظَلَامَتِهِ وَيُنْصَفُ. وَقَدْ كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسَافِرُ إِلَى أَرْضِ الصِّينِ، فَقَدِمْتُهَا فِي بَعْضِ أَسْفَارِي، وَقَدْ أَصِيبَ مَلِكُهُمْ بِسَمْعِهِ، فَبَكَى يَوْمًا بَيْنَ يَدَيَّ وَزُرَائِهِ، فَقَالُوا لَهُ: مَا أَبْكَاكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا بَكَتَ عَيْنَاكَ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكَِي لِلْبَلِيَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِي، وَلَكِنِّي أَبْكَِي لِمَظْلُومٍ يَضْرُخُ وَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِذَا ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصْرِي لَمْ يَذْهَبْ، نَادُوا فِي النَّاسِ: أَلَا يَلْبَسُ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُومٌ، ثُمَّ كَانَ يَزْكُبُ الْفَيْلَ طَرْفِي النَّهَارِ فَيَنْظُرُ هَلْ يَرَى مَظْلُومًا. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا مُشْرِكٌ بِاللَّهِ، قَدْ غَلَبَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ شُحَّ نَفْسِهِ، وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ، ثُمَّ أَنْتَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا يَغْلِبُنِكَ شُحُّ نَفْسِكَ، فَتَدْعُ الرَّأْفَةَ بِالْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لَوَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثٍ. إِنْ قُلْتَ: أَجْمَعُهُ لَوْلَدِي، فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مَا لَهُ مَالٌ، وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا عَلَيْهِ يَدٌ حَاطِيَةٌ، وَدُونَهُ يَدٌ شَحِيحَةٌ عَلَيْهِ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يَلْطَفُ بِذَلِكَ الطِّفْلِ حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَلَسْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي تُعْطِي، بَلِ اللَّهُ الَّذِي يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا أَجْمَعُ الْأَمْوَالَ لِتَشْيِيدِ مُلْكِي، فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي بَنِي أُمِّيَّةَ، مَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا جَمَعُوا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَا اسْتَعَدُّوا مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالْكَرَاعِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ، وَمَا ضَرَّكَ وَوَلَدُ أَبِيكَ مِنَ الضَّعْفِ وَقِلَّةِ الْجِدِّ، وَالْحُمُولِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ مَا أَرَادَ؟ وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا أَجْمَعُ الْأَمْوَالَ لِطَلْبِ غَايَةِ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ غَايَاتِ الدُّنْيَا غَايَةٌ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، وَلَا بَعْدَهَا غَايَةٌ هِيَ أَجْسَمُ مِنْهَا،

لا تَنْجُو إِلَّا بِمَا تَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ تَعَاقِبُ مَنْ عَصَاكَ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِأَشَدِّ مِنَ الْقَتْلِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَلِكِ الْجَبَّارِ الَّذِي خَوَّلَكَ مُلْكَ الدُّنْيَا، وَهُوَ لَا يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ، وَلَكِنْ يُعَاقِبُهُمْ بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ؟! وَقَدْ رَأَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا قَدْ عَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبَكَ، وَأَضْمَرْتُهُ جُورِ حُكِّكَ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِصُرُوكَ، وَاجْتَرَحْتَهُ يَدَاكَ، وَمَسَّتْ إِلَيْهِ رِجْلَاكَ، وَمَا حَمَلْتَ عَلَى ظَهْرِكَ، فَمَاذَا تَقُولُ إِذَا انْتَرَعَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ مُلْكَ الدُّنْيَا مِنْ يَدِكَ، وَدَعَاكَ إِلَى الْحِسَابِ فِيمَا خَوَّلَكَ؟ هَلْ يُغْنِي عَنْكَ مَا شَحَحْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا؟ فَبَكَى الْمَنْصُورُ، وَقَالَ: لَيْتَنِي لَمْ أُحَلِّقْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ أَحْتَالُ لِنَفْسِي؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ أَضْرَرْتَ بِآخِرَتِكَ، فَنَلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ، فَاضْرُرْ بِدُنْيَاكَ تَتَلَّ مِنْ آخِرَتِكَ. قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ فِيمَا خَوَّلْتُ وَلَمْ أَرِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَائِنًا؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِلنَّاسِ أَغْلَامًا يُفْرَعُونَ إِلَيْهِمْ، فَاجْعَلْهُمْ بِطَانَتِكَ يُزْشِدُوكَ، وَشَاوِرُهُمْ فِي أُمُورِكَ يُسَدِّدُوكَ. قَالَ الْمَنْصُورُ: قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْهِمْ، فَهَرَبُوا مِنِّي. قَالَ: هَرَبُوا مَخَافَةَ أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا ظَهَرَ مِنْ فِعْلِ عُمَّالِكَ، وَلَكِنْ افْتَحِ الْأَبْوَابَ، وَسَهِّلِ الْحُجَّابَ، وَانْتَصِرْ لِلْمَظْلُومِ، وَأَقِمَّعِ الظَّالِمَ، وَخُذِ الْفَيْءَ وَالصَّدَقَاتِ، مِمَّا حَلَّ وَطَابَ، وَأَقْسِمُهُ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ، وَأَنَا الضَّامِنُ عَلَى الَّذِينَ هَرَبُوا مِنْكَ أَنْ يَأْتُوكَ وَيَشَايِعُوكَ عَلَى صَلَاحِ أُمُورِهِمْ وَأُمُورِكَ، وَصَلَاحِ رَعِيَّتِكَ. فَقَالَ الْمَنْصُورُ: اللَّهُمَّ وَفَّقْنِي لِأَنْ أَعْمَلَ بِمَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ. وَجَاءَ الْمُؤَدِّثُونَ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَطَلَبَ الرَّجُلَ فَلَمْ يُوْجَدْ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: نَظَّنُّهُ رَجُلًا مِنَ الْأَبْدَالِ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: نَظَّنُّهُ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضَعَبٍ، قَالَ: قَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ لِأَبِي جَعْفَرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَسَمَ أَقْسَامَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، لَمْ يَرْضَ لَكَ مِنْهَا إِلَّا بِأَعْلَاهَا وَأَسْنَاهَا، فَلَمْ يَجْعَلْ فَوْقَكَ فِي الدُّنْيَا أَحَدًا، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ إِذْ فَعَلَ بِكَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فَوْقَكَ فِي الْآخِرَةِ أَحَدٌ، وَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ، إِلَيْكُمْ جَاءَتْ، وَمِنْكُمْ قَبِلَتْ، وَإِلَيْكُمْ تُرُدُّ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ:

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ لِابْنِهِ: يَا بَنِيَّ، إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ نِعْمَةً، فَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَإِذَا أَحْزَنَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَإِذَا أَبْطَأَ عَلَيْكَ رِزْقٌ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ.

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بَنِيَّ لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لِاثْنَتَيْنِ: لَا تَعْلَمُوهُ لِلتَّمَارِي، وَلَا لِلتَّبَاهِي، وَلَا تَدْعُوهُ رَغْبَةً عَنْهُ، وَلَا اسْتِحْيَاءً مِنْ تَعْلَمِهِ.

حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: لَا يَكُونُ الْمَعْرُوفُ مَعْرُوفًا إِلَّا بِاسْتِضْغَارِهِ وَتَعْجِيلِهِ وَكَيْفَانِهِ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: كَانَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ، يَقُولُ: لَا أَشْتُمُ أَحَدًا، وَلَا أَفْتَنُ سَائِلًا أَعِدُّ عَلَى إِعْطَائِهِ، فَإِنَّمَا يَشْتُمُنِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ: كَرِيمٌ كَانَ شَتْمُهُ إِثْمًا زَلَّةً مِنْهُ، فَأَنَا أَحَقُّ مَنْ عَفَرَ لَهُ، أَوْ لَيْتِمٌ قَادَهُ إِلَيَّ لُؤْمُهُ، فَلَا أَرَى عِزِّي لِعِزْضِهِ خَطْرًا، وَإِنَّمَا يَسْأَلُنِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ: كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ حَلَّةٌ، فَأَنَا أَحَقُّ مَنْ أَعَانَهُ، أَوْ لَيْتِمٌ أَفْتَدِي مِنْهُ عِزِّي.

حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: كَتَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى الْمَنْصُورِ يُعْزِيهِ، أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، مَنْ كَانَ إِمَامًا بَعَدَ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِمَامٌ إِلَّا اللَّهُ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَثْرَمُ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَقَايَا عَادٍ مِمَّنْ نَجَا مَعَ هُودٍ عليه السلام، يُقَالُ لَهُ: حِمَارُ بْنُ مُوَيْلِعٍ، وَكَانَ أَشَدَّ أَهْلَ زَمَانِهِ وَأَمْنَعِهِ، وَكَانَ قَدْ حَمَى جَوْفًا مِنْ أَرْضِ عَادٍ، يُنْبِتُ حُرَّ الشَّجَرِ، وَكَانَ يَزْرَعُ فِي نَوَاحِيهِ، وَكَانَ أَخْصَبَ وادٍ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَبِهِ مَاءٌ مَعِينٌ، وَكَانَ يُكْرِمُ الضَّيْفَ، وَيَزْعَى مِنَ اسْتِرْعَاةِ، فِي ذَلِكَ الْجَوْفِ، وَكَانَ طَوْلُهُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَعَرْضُهُ فَرْسَخَيْنِ لِلرَّاكِبِ الْمُجِدِّ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ، وَمِنْ أَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ، فَهُوَ فِيمَا شَاءَ مِنْ رَعِيٍّ وَشَجَرٍ، وَكَانَ مُؤَمَّنًا مُوَحِّدًا أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَهُ بَنُونَ عَشْرَةٌ، وَمَعَهُ نَفِئَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَخَرَجَ بَنُوهُ فِي سَفَرٍ لَهُمْ، فَأَصَابَتْهُمْ صَاعِقَةٌ، فَمَاتُوا كُلُّهُمْ، فَأَسْفَ وَغَضِبَ وَقَالَ: لَا أَعْبُدُ اللَّهَ أَبَدًا، فَرَجَعَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكَفَرَ كُفْرًا عَظِيمًا، وَمَنَعَ الضِّيَافَةَ مِمَّنْ مَرَّ بِهِ مِنَ النَّاسِ، وَدَعَا مَنْ أَرْعَاهُ مِنَ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَمَنْ أَجَابَهُ تَرَكَهُ وَأَقْرَبَهُ،

وَمَنْ أَبِي عَلَيْهِ قَتْلَهُ وَأَخَذَ مَالَهُ، وَقَدْ أَدْرَكَهُ أَوَائِلُ قَبَائِلِ مَهْرَةَ، وَهِيَ كُورَةٌ مِنْ كُورِ الْيَمَنِ، فَأَقْبَلَتْ نَارًا مِنْ أَسْفَلِ الْجَوْفِ بِرِيحِ عَاصِفٍ، فَأَحْرَقَتْ الْجَوْفَ بِمَا فِيهِ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، قَالَ: امْرُؤُ الْقَيْسِ:

وَوَادِ كَجَوْفِ الْعِيرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الذُّبُّ يَعْوِي كَالْحَلِيعِ الْمُعِيلِ
وَقَالَ عَوَاءُ بْنُ ضَمْضَمِ الْمَهْرِيُّ:

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لِأَسْمَاءَ دَارِسٍ أَسْأَلُهُ وَلَيْسَ فِي الدَّارِ مَأْسُ
تَحْمَلُ مِنْهَا سَاكِنُوهَا فَأَصْبَحَتْ كَجَوْفِ الْحِمَارِ لَيْسَ فِيهَا مَعْرَسُ
وَقَدْ كَانَ جَوْفُ الْعِيرِ لِلْعَيْنِ مَنْظَرًا أَنْيَقًا وَفِيهِ لِلْمَجَاوِرِ مَنَفَسُ
وَقَالَ كَفَّارَةُ بْنُ مَيْسَاكِ الْكِنْدِيِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ:

مَرَرْتُ بِجَوْفِ الْعِيرِ وَهِيَ حَيْثَى وَقَدْ خُلِّقَتْ بِالْأَمْسِ مَحَلَّ الْقَرَاضِمِ
تُخَافُ مِنَ الْمَصْلَى عَدُوًّا مُكَاشِحًا وَدُونَ بَنِي الْمَصْلَى هُدَيْلُ بْنُ ظَالِمِ
وَمَالِي بِجَوْفِ الْعِيرِ مِنْ مُتَلَدِّدٍ مَسِيرَةَ يَوْمٍ لِلْمَطِيِّ الرَّوَاسِمِ

الْقَرَاضِمُ: مِنْ مَهْرَةَ، حَيْثُ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو قَرْضِمٍ، وَمَصْلَى بَطْنٌ، وَمُتَلَدِّدٌ مُتَلَفِّتٌ، وَيُقَالُ لِنَاحِيَّتِي الْعُنُقِ: اللَّدِيدَانِ، وَقَالَ عِيَاضُ بْنُ عَدِيٍّ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ حَاءٍ وَحَكَمٍ، وَهُمْ حَيْثُ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ: حَاءٌ وَحَكَمٌ حَيَّانٍ مِنَ الْعَرَبِ، وَهُمْ خَلْفُ الْحَكَمِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، وَكَانُوا عَلَى أَرْضٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهَا: الْبُؤْيَاةُ، وَكَانُوا يَبْغُونَ فِيهَا فَأَحْرَقَتْ فَقَالَ عِيَاضُ:

أَلَمْ تَرَ لِلْبُؤْيَاةِ كَيْفَ تَتَكَّرَتْ مَعَالِمَهَا مِنْ حَيْثُ حَاءٍ وَمِنْ حَكَمِ
وَصَبَّحَهَا يَوْمَ عَصِيبٍ فَأَصْبَحَتْ كَجَوْفِ الْحِمَارِ جَدْبَةً مَا بِهَا عِلْمُ
حَرَابًا يَبَابًا لَيْسَ فِيهِ مَعْرَسٌ لِمُقْتَبِسِ نَارًا إِذَا نَازِلٌ أَرْمُ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: خَرَجَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي

العاص بن أمية بن عبد شمس، ومعه سيد الحيرة في عير له، يريد العراق في تجارة له، وكان سوق الحيرة سوقاً تجتمع إليها العرب كل سنة، وكان الثعمان بن المُنذر قد جعل لبني لأم من طيئ رُبُع الطريق طعمة لهم، وذلك لأن ابنة سعد بن حارث من لأم كانت عند الثعمان، فكانوا أضهاره فمرَّ الحَكَم بن أبي العاص بحاتم بن عبد الله، فسأله الجوار في أرض طيئ حتى يصل إلى الحيرة، فأجاره، وأمر حاتم بجزور فنحرت، ثم طبخت أعضاء فأكلوا، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج، وهو ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحَكَم من طيئه ذلك، فمرَّ حاتم بسعد بن حارثة بن لأم، وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتم على ظهر راحلته، ومعه فرسه يقاد، فاتاه بنو لأم، فوضع حاتم سفرته، فقال: أطعموا حياكم الله. فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جبراني، فقال له سعد: فأنت تُجير علينا في بلادنا؟! فقال: أنا ابن عمكم، وأحق من لم تخفروا ذمته. فقالوا: لست هناك، وأرادوا أن يفضحوه كما فضح عامر بن جوين، فوثبوا عليه، فتناول كندي بن حارثة بن لأم حاتمًا، فأهوى إليه حاتم بالسيف. فأطار أرنبة أنفه، فوقع السُّر حتى تحاجرُوا، فقال حاتم:

وَدِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَنْفَهُ هَوَاءٌ فَمَا تِ الْمَخَاطِ مِنَ الْعَظْمِ
وَلَكِنَّمَا لَاقَاهُ سَيْفُ ابْنِ عَمِّهِ فَأَبْقَى وَمَرَّ السَّيْفُ مِنْهُ عَلَى الْحَظْمِ

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة، فمأجذك بها، ونضع الرهن، ففعلوا، ووضعوا تسعة أفراس رهنا، على يدي رجل من كلب يقال له: امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من جناب، ووضع حاتم فرسه، ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي، فخاف أن يعينهم الثعمان بن المُنذر، ويقربهم بماله وسلطانه، للضهر الذي بينهم وبينه، فجمع إياس بن قبيصة رهطه من بني حية، وقال: يا معشر بني حية، إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم حاتمًا، ويضنعوا به كما صنعوا بعامر بن جوين، وحاتم وحده معه رجل من قومه، فأعينوا ابن عمكم في مجاده، فقام رجل من بني حية فقال: عندي مائة ناقة سوداء، ومائة ناقة حمراء، ومائة ناقة أدماء. وقام آخر فقال: عندي عشرة حُصن على كل

حِصَانٍ مِنْهَا فَارِسٌ مُدَجَّجٌ، لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ. وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْخَيْرِ: قَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ عَلَيَّ كَلًا كَثِيرًا، وَلَكِنْ عَلَيَّ كُلُّ خَمْرٍ وَطَعَامٍ وَلَحْمٍ يُبَاعُ فِي سُوقِ الْحِيرَةِ. ثُمَّ قَالَ إِيَّاسُ: عَلَيَّ مِثْلُ جَمِيعِ مَا أُعْطَيْتُمْ، وَمَا فِي سُوقِ الْحِيرَةِ. قَالَ: وَلَا يَعْلَمُ حَاتِمٌ بِشَيْءٍ مِمَّا صَنَعُوا، وَذَهَبَ حَاتِمٌ إِلَى مَالِكِ بْنِ جَبَّارٍ، ابْنِ عَمِّ لَهُ بِالْحِيرَةِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ: أَعْنِي فِي مُحَايَلَتِي وَأَنْشُدَهُ:

يَا مَالِ إِحْدَى خُطُوبِ الدَّهْرِ قَدْ طَرَقَتْ يَا مَالِ مَا أَنْتُمْ عَنْهَا بِزَحْزَاحِ
يَا مَالِ جَاءَتْ حِيَاضُ الْمَوْتِ وَارِدَةٌ مِنْ بَيْنِ غَمْرِ فُخْضَتَاهُ وَضَحْضَاحِ

فَقَالَ لَهُ مَالِكُ: مَا كُنْتُ لِأَحْرِمَ نَفْسِي وَلَا عِيَالِي، وَأُعْطِيكَ. فَانصَرَفَ عَنْهُ، وَأَتَى حَاتِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهُ: وَهُمْ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ مُصَارِمًا لَهُ يَوْمِيذٍ، لَا يُكَلِّمُهُ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: أَيُّ وَهْمٍ، وَاللَّهِ أَبُو سَفَانَةَ، حَاتِمٌ قَدْ طَلَعَ. فَقَالَ: مَا لَنَا وَلِحَاتِمِ، أَنْبِي النَّظَرَ. فَقَالَتْ: هُوَ وَاللَّهِ هُوَ، لَا شَكَّ فِيهِ. فَقَالَ: وَيَحْكُ هُوَ لَا يُكَلِّمُنِي، فَمَا جَاءَ بِهِ إِلَيَّ؟ فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ عَلَيْهِ، فَوَحَّ بِه، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا حَاتِمُ؟ فَقَالَ: أَخْطَرْتُ عَنْ حَسْبِي وَحَسْبِكَ. فَقَالَ: الرَّحْبُ وَالسَّعَةَ. هَذَا مَالِي وَعِنْدَهُ يَوْمِيذٍ سَبْعُ مِائَةٍ بَعِيرٍ، فَخُذْهَا مِائَةً مِائَةً حَتَّى تَذَهَبَ الْإِبِلُ، أَوْ تُصِيبَ الَّذِي تُرِيدُ. فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: إِي وَهْمٍ، أَتُخْرِجُنَا مِنْ مَالِنَا فَنَبْقَى عَالَةً؟ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ مَا عِنْدَكَ لِيُرِدْنِي عَمَّا قَبْلِي، فَقَالَ حَاتِمٌ:

أَلَا أَبْلَغَا وَهْمَ بَنِ عَمْرٍو رِسَالَةً فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْءُ بِالْخَيْرِ أَجْدَرُ
رَأَيْتُكَ أَدْنَى مِنْ أَنْاسِ قَرَابَةٍ وَغَيْرِكَ مِنْهُمْ كُنْتُ أَحْبُو وَأَلْصُرُ
إِذَا مَا أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا بِمَوْتٍ فَكُنْ يَا وَهْمُ ذُو تَتَأَخَّرُ

ثُمَّ قَالَ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ: أَحْمِلُونِي إِلَى الْمَلِكِ، وَكَانَ بِهِ نَفْرَسٌ، فَحَمَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْعِمْ صَبَاحًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ. فَقَالَ لَهُ التُّعْمَانُ: حَيَّاكَ إِلَهَكَ. فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ: أَتَمُدُّ أَحْتَانَكَ بِالْمَالِ، وَالْخَيْلِ، وَجَعَلْتَ بَنِي ثُعَلٍ فِي قَعْرِ الْكِنَانَةِ؟ أَظَنَّ أَحْتَانُكَ أَنْ يَصْنَعُوا بِحَاتِمِ مَا صَنَعُوا بِعَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ، وَلَمْ يَشْعُرُوا أَنَّ بَنِي حَيَّةٍ بِالْبَلَدِ. فَإِنْ شِئْتَ وَاللَّهِ نَاجِرُنَاكَ حَتَّى تَسْفَحَ الْأُودِيَةَ دَمًا فَلْيُحْضِرُوا مِجَادِهِمْ عِنْدَ مَجْمَعِ الْعَرَبِ، فَعَرَفَ التُّعْمَانُ الْعُضْبَ فِي وَجْهِهِ وَكَلَامِهِ، فَقَالَ لَهُ التُّعْمَانُ: يَا حَلِيمَنَا لَا تَعْضِبْ. فَأَرْسَلَ التُّعْمَانُ إِلَى

سَعِيدُ بْنُ حَارِثَةَ وَأَصْحَابِهِ: انظُرُوا ابْنَ عَمِّكُمْ حَاتِمًا فَأَرْضُوهُ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أُعْطِيكُمْ مَالِي تُبَدِّدُونَهُ، وَمَا أُطِيقُ بِنِي حَيْثَ. فَخَرَجَ بَنُو لَأْمٍ إِلَى حَاتِمٍ، فَقَالُوا: أَعْرَضَ عَن هَذَا الْمَجَادِ وَنَدَعَ لَكَ أَرْشَ ابْنِ عَمِّكَ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ حَتَّى تَتْرَكُوا أَفْرَاسَكُمْ، وَيُغْلَبَ مِجَادُكُمْ، فَتْرَكُوا أَفْرَاسَهُمْ، وَأَرْشَ أَنْفِ صَاحِبِهِمْ، وَقَالُوا: أَبْعَدَهَا اللَّهُ فَإِنَّمَا هِيَ مَقَارِيفُ، فَعَمِدَ حَاتِمٌ إِلَيْهَا، فَعَقَرَهَا، وَأَطْعَمَهَا النَّاسَ، وَسَقَاهُمُ الْخَمْرَ، فَقَالَ حَاتِمٌ يُخَاطِبُ أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ:

هَإِنَّمَا مُطِرَتْ سَمَاوُكُمْ دَمًا	وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الْأَصِيدِ
لِيَكُونَ جِيرَانِي أَكْالًا بَيْنَكُمْ	بُحْلًا لِكِنْدِيِّ وَسَيِّ مَرْتَدٍ
وَإِبْنُ النَّجُودِ إِذَا غَدَا مُتْبَاطِنًا	دَخَنَ الْقُدُورِ وَذِي الْعِجَانِ الْأَرْبَدِ
وَلِثَابِ عَيْنِي حَرِّ مُتَمَاتٍ	وَالْمِعْطِ أَوْسٍ إِذْ عَرَا الْمَقْلَدِ
بَلَّغَ بَنِي لَأْمٍ بَأَنَّ جِيَادَهُمْ	عَقَرَى وَأَنَّ مِجَادَهُمْ لَمْ يَرشُدِ
أَبْلَغَ بَنِي ثَعْلٍ بِأَنِّي لَمْ أَكُنْ	أَبَدًا لِأَفْعَلَهَا طِوَالَ الْمُسْنَدِ
لَأَجِيَهُمْ فَلَا وَأَثْرَكَ صُحْبَتِي	نَهْبًا وَلَمْ تَعُدْ بِقَائِمَةِ يَدِي

كِنْدِيُّ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ، وَمَرْتَدُ بْنُ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ.

ابْنُ النَّجُودِ: الْأَفْوهُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ، وَالثُّجُودُ بِنْتُ ثُورٍ مِنْ بَنِي رَيْفِ بْنِ مَالِكٍ، وَالْعِجَانُ: سَعْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ^(١).

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَرَّرِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنِ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ الْوَلِيدُ جَدُّهُ وَهُوَ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، سَمِعْتُ مُحَرَّرَ بْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْخَيْبَرِيِّ، مَرَّ مُسَافِرًا وَنَفَرَ مِنْ قَوْمِهِ بِقَبْرِ حَاتِمٍ، بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: تَبْعَةُ، حَوْلَهُ أَنْصَابٌ نَوَاحٍ مِنْ حِجَارَةٍ كَأَنَّهِنَّ نِسَاءٌ، فَزَلُّوا بِهِ، فَبَاتَ أَبُو الْخَيْبَرِيِّ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا يُنَادِيهِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَبَا جَعْفَرٍ أَقْرَ أَضْيَافِكَ، أَبَا جَعْفَرٍ أَقْرَ أَضْيَافِكَ.

(١) انظر: الأغاني (١٧/٢٦٩).

استهزأ به وسخرية. قال: فينادى في سواد الليل: مهلا ما تكلم من رمة بالية! والرمة: العظم البالي، وجمعا: رمم. فحجبت المنادي رداً عليه فيقول: إن طيناً تزعم أنه لم ينزل به أحد إلا قرأه، فأجيب: ازفد فإنه سوف يقريك، فلما كان من آخر الليل قام أبو الحخيرى حتى إذا كان في السحر هب فرعاً وهو يضرح بأعلى صوته: راحلتاه، راحلتاه، فقال له أصحابه: ونلك، ما دهاك؟ قال: خرج والله حاتم من قبره بالسيف، وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقتي. قالوا: كذبت والله لا يخرج ميت من بطن قبر مرسوس عليه. قال: بلى، والله لقد فعل. فنظروا إلى راحلته فوجدوها عقرى لا تنبعث، فقالوا: فقد والله قرأك، فعمدوا إليها فنحروها، فظلوا يؤمهم ومن عندهم معرسين عليها يأكلون من لحمها، ثم ساروا عند آخر النهار، وأزدفوه خلف أحدهم، وهم ساؤرون في بلاد طبي، فساروا ما شاء الله، فنظروا إلى ركب قد أقبل كأنه يريدهم، فلما انتهى إليهم، فإذا هو عدي بن حاتم، وهو ركب بغيرا، قارن جملا أسود، وقد قرنه بحبل يقوده، حتى إذا دفع إليهم، قال: إنكم القوم الذين نزلوا بقبر حاتم؟ قالوا: نعم. قال: فأيكم أبو الحخيرى؟ قالوا: هذا. قال: إن حاتم أتاني في منامي، فدكر لي تنقصك له، وسئمك إياه، وأخبرني: أنه قرى راحلتك أصحابك، وأنشدني في النوم أبياتا ورددها علي مرارا حتى حفظتها، وقد أحلفك مكان راحلتك هذا الجمال الأسود، فاقطعه. فقالوا: أنشدنا ما قال من الشعر، وما حفظت عنه، فأنشدهم:

أبا حخيرى وأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها
فماذا أردت إلى رمة بداوية صخب هامها
تبغي أذاهما وتغتابها وحولك غوث وأنعامها
وإنا لنطعم أضيافنا من الكوم بالسيف نعامها

الكوم: الإبل العظام الأسنمة، وأخذ أبو الحخيرى من عدي الجمال واقطعه^(١).

- حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ جَمَاعَةٌ، فَتَدَاكُرُوا الْجُودَ وَالسَّخَاءَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَجُودُ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا حَاتِمٌ. قَالَ مُعَاوِيَةُ: فَكَيْفَ ذَلِكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ قُرَيْشٍ لِيُعْطِي فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَاتِمٌ يَمْلِكُ مِثْلَهُ وَلَا قَوْمُهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَخْبِرْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِجُودِ حَاتِمٍ، أَمَا حَيًّا فَقَدْ بَلَغَكَ، وَأَمَا مَيِّتًا، فَإِنَّ نَفْرًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ مَرُّوا بِقَبْرِ حَاتِمٍ مُسَافِرِينَ وَرَأْسُهُمْ رَجُلٌ يُكْنَى أَبَا الْخَيْبَرِيِّ، فَتَزَلُّوا بِقَبْرِهِ مُعْرِسِينَ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لِنُبْخِلَنَّهُ، وَلَنُحْبِرَنَّ الْعَرَبَ أَنَّا نَزَلْنَا بِحَاتِمٍ فَسَأَلْنَا الْقَرِيَّ فَلَمْ يَقْرِنَا، وَأَرَادُوا عَيْنِيهِ وَتَهَجِيئَهُ، فَجَعَلُوا يَنَادُونَهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ: أَيَا حَاتِمَ أَلَا تَقْرِي أَضْيَافَكَ، فَإِذَا هُمْ بِصَوْتِ مُنَادٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ:

أَبَا خَيْبَرِيٍّ وَأَلْتِ امْرُؤُ
ظَلُّومُ الْعَشِيرَةِ لَوَامَهَا
فَمَاذَا أَرَدْتَ إِلَيَّ رِمَّةٍ
بِدَاوِيَّةٍ صَخِبِ هَامَهَا
تُبْغِي أَذَاهَا وَتَعْتَابِيهَا
وَحَوْلِكَ غَوْتُ وَأَنْعَامَهَا
وَأَنَا لَنُطْعِمُ أَضْيَافَنَا
مِنَ الْكُومِ بِالسَّيْفِ يَغْتَامَهَا

فَهَبُّوا مِنَ اللَّيْلِ يَنْظُرُونَ، فَوَجَدُوا نَاقَةَ أَحَدِهِمْ تَكُوسُ عَقِيرًا، فَعَجِبَ مُعَاوِيَةُ مِنْ حَدِيثِهِ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ^(١).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعِيُّ الْعَرَبِيُّ تَتَحَدَّثُ بِأَشْيَاءَ هِيَ عِنْدَهَا صَحِيحَةٌ، وَقَدْ نَطَقَتْ بِذَلِكَ أَشْعَارُهَا، وَتَمَثَّلَتْ بِهِ وَلَا تَكَادُ النَّفْسُ تُصَدِّقُ بِهَا، وَأَحْسَبُ أَمْرَ حَاتِمٍ حِيلَةً مِنْ وَرَثَتِهِ وَنَسْبُوهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ، أَوْ مِنَ الْجِنِّ، وَهُوَ عِنْدِي أَشْبَهُ، وَقَدْ كَانَ حَاتِمٌ شَاعِرًا وَجَوَادًا، وَكَانَ شِعْرُهُ يُشْبِهُ جُودَهُ، وَكَانَ حَيْثُ مَا نَزَلَ لَمْ يَخْفَ مَنَزَلُهُ، لِيَبْذِلَهُ الطَّعَامَ، وَكَانَ شَجَاعًا مُظْفَرًا كَرِيمًا، وَآلِي أَنْ لَا يَقْتُلَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَلَا يَأْسِرُهُ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

أَمَاوِيَّيَّ إِنِّي رَبُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
أَجَرْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ

وَكَانَتْ قُدُورُهُ الَّتِي يَطْبُخُ فِيهَا الْجُرْزَ مِنْ نُحَاسٍ عَظَمًا لَا تَزُولُ عَنِ الْأَثَانِي،
وَلَهَا أَسْمَاءٌ، فَاسْمُ إِحْدَاهُنَّ نَقَالٌ، وَالْأُخْرَى مُشْبَعَةٌ، وَالْأُخْرَى رَبَلَةٌ، وَالْأُخْرَى هَوَادٍ.
وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ الْأَصْمُ، وَهُوَ رَجَبٌ، الَّذِي كَانَتْ مُضْرٌ تُعْظَمُهُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا، كَانَ
يَنْحَرُ كُلَّ يَوْمٍ جُرُورًا، وَيَطْعِمُهَا النَّاسَ وَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِيهِ. وَكَانَتْ أُمُّهُ التَّوَارُ، رَأَتْ فِي
مَنَامِهَا، وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ، فَقِيلَ لَهَا: غُلَامٌ سَمَحَ يُقَالُ لَهُ: حَاتِمٌ الْأَقْلُ، أَيُّ يَكُونُ وَاحِدًا فِي
جُودِهِ، أَحَبُّ إِلَيْكَ، أَمْ غِلْمَةٌ عَشْرَةٌ كَالنَّاسِ، لِيُوثَّ سَاعَةَ الْبَأْسِ لَيْسُوا بِأَوْعَالٍ وَلَا
أَنْكَاسٍ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: الْأَوْعَالُ: الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مَعَ الْقَوْمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعَوْا،
فَيَشْرَبُونَ. وَالْأَنْكَاسُ: الْجُبْنُ الضَّعَافُ. قَالَتْ: بَلْ حَاتِمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَوَلَدَتْ حَاتِمًا، فَلَمَّا
سَبَّ وَتَرَعَرَ أَقْبَلَ يَخْرُجُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ وَجَدَ أَحَدًا يَأْكُلُ مَعَهُ أَكَلَ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا
يَأْكُلُهُ مَعَهُ أَلْقَاهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ مِنْ فِعْلِهِ، وَأَنَّهُ يَبِيدُ طَعَامَهُ، قَالَ لَهُ: الْحَقُّ بِالْإِبْلِ،
فَخَرَجَ إِلَيْهَا لِيَقُومَ فِي رَعِيهَا، وَوَهَبَ لَهُ أَبُوهُ جَارِيَةً وَفَرَسًا وَقَلُوهَا، وَكَانَ اسْمُ أَبِيهِ
عَبْدُ اللَّهِ، فَلَمَّا أَتَى الْإِبِلَ، وَصَارَ فِيهَا، طَفِقَ يَلْتَمِسُ النَّاسَ لِيَقْرِئَهُمْ، فَلَا يَجِدُهُمْ، وَيَأْتِي
الطَّرِيقَ فَيَقِفُ عَلَيْهَا، فَلَا يَجِدُ عَلَيْهِ أَحَدًا، فَبَيْنَا هُوَ فِي تَلْمُسِهِ النَّاسَ إِذْ بَصُرَ بَرَكِبٍ
مُقْبِلِينَ، فَاتَّاهُمْ، فَلَمَّا بَصُرُوا بِهِ قَالُوا: يَا فَتَى هَلْ مِنْ قِرَى؟ قَالَ: أَتَسْأَلُونِنِي الْقِرَى وَقَدْ
تَرَوْنَا الْإِبِلَ؟! نَعَمْ وَكَرَامَةٌ أَنْزَلُوا، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ يُرِيدُونَ التُّعْمَانَ بِنَ الْمُنْدَرِ بِالْحِيرَةِ،
وَهُمْ: عَبِيدُ بَنُ الْأَبْرَصِ، وَبِشْرُ بَنُ أَبِي خَازِمِ الْأَسَدِيَّانِ، وَزِيَادُ بَنُ جَابِرِ الْقَيْسِيِّ، وَهُوَ
التَّابِعَةُ نَابِعَةُ بَنِي دُبْيَانَ، فَتَزَلُّوا فَانْتَحَرَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ جُرْزٍ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جُرُورًا، فَقَالَ
عَبِيدُ بَنُ الْأَبْرَصِ: إِنَّمَا سَأَلْنَاكَ الْقِرَى اللَّبَنَ، وَالَّذِي كُنَّا نَكْتَفِي بِهِ بِكَرَّةٍ إِذَا كُنْتُ لَا بُدَّ
أَرَدْتُ بِقِرَانَا الطَّعَامَ. قَالَ حَاتِمٌ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ وَجُوهًا لَا يُشْبِهُ بَعْضُهَا
بَعْضًا، وَأَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً، فَظَنَنْتُ الْأَنْسَابَ مُفْتَرِقَةً، وَالْبَلَدَ غَيْرَ جَامِعٍ لَكُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَذْكَرَ
كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ إِذَا هُوَ أَتَى قَوْمَهُ مَا رَأَى، فَإِنْ مَرَّ بِي نَزَلَ. فَلَمَّا أَكَلُوا وَشَرِبُوا مِنَ اللَّبَنِ
وَسَبِعُوا وَارْتَوَوْا، قَالَ عَبِيدُ بَنُ الْأَبْرَصِ فِيهِ شِعْرًا يَمْتَدِحُهُ فِيهِ، فَيَذْكَرُ حُسْنَ فِعَالِهِ،
وَحُسْنَ إِضَافَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَقَالَ بِشْرُ بَنُ أَبِي خَازِمِ أَيْضًا يَمْتَدِحُهُ، وَقَالَ التَّابِعَةُ أَيْضًا يَمْتَدِحُهُ.
فَلَمَّا سَمِعَ مَا قَالُوا قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ إِكْرَامَكُمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ فَلَكُمْ الْآنَ الْفَضْلَ، أَقْسِمُ
بِاللَّهِ لِأَضْرِبَنَّ عَرَاقِيهَا مِنْ آخِرِهَا أَوْ تَقُومُوا إِلَيْهَا فَتَقْسِمُوهَا، بَيْنَكُمْ أَثْلَاثًا عَلَى مَا أَحْبَبْتُمْ،

فَقَامُوا إِلَيْهَا فَاقْتَسَمُوهَا، فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ تَسْعٌ وَثَلَاثُونَ نَاقَةً، وَمَضَوْا فِي سَفَرِهِمْ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى النُّعْمَانِ بِالْحِيزَةِ، وَإِنَّ أَبَا حَاتِمٍ عَبْدَ اللَّهِ بَلَغَهُ مَا فَعَلَ حَاتِمٌ بِالْإِبِلِ فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ مَا فَعَلْتَ بِالْإِبِلِ؟ قَالَ: يَا أَبَتِ طَوَّقْتَ بِهَا طَوَّقَ الْحَمَامَةِ، وَحَوَيْتَ بِهَا مَجْدَ الدَّهْرِ، لَا يَزَالُ رَجُلٌ يَحْمِلُ فِيْنَا بَيْتَ شِعْرِ بِمَكَانِ إِبِلِكَ. قَالَ: أَبِيْلِي أَرَدْتَ الْمَجْدَ؟ قَالَ حَاتِمٌ: نَعَمْ. فَقَالَ أَبُوهُ: وَاللَّهِ لَا أَسْكُنُ مَعَكَ فِي بَلَدٍ أَبَدًا. قَالَ حَاتِمٌ: إِذَا وَاللَّهِ لَا أَبِيْلِي ذَلِكَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ وَتَرَكَ حَاتِمًا وَمَعَهُ جَارِيَتُهُ وَفَرَسُهُ وَفُلُوهَا، وَأَقْبَلَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَمِنْ قَيْسِ يُرَيْدُونَ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ، فَلَقُوا حَاتِمًا، فَقَالُوا: إِنَّا تَرَكْنَا قَوْمًا يُثْنُونَ عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرْسَلُوا مَعَنَا إِلَيْكَ بِرِسَالَةٍ. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ فَأَنْشَدَهُ الْأَسَدِيُّونَ شِعْرًا لَعْبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ وَلِشَيْبَانَ بْنِ أَبِي حَارِثِ الْأَسَدِيِّينَ، يَمْتَدِحَانِهِ فِيهِ، وَأَنْشَدَ الْقَيْسِيُّونَ شِعْرَ الثَّابِعَةَ يَمْتَدِحُهُ فِيهِ، فَلَمَّا أَنْشَدُوهُ، قَالَ: حَاجَتُكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّ لَنَا لِحَاجَةً. قَالَ حَاتِمٌ: وَمَا هِيَ؟ قَالُوا: صَاحِبُ لَنَا قَدْ أَرْجَلَ، وَإِنَّا لَنَرَاكَ مُعْسِرًا مِنَ الْمَالِ يَعْجُونَ مِنَ الْإِبِلِ فَقَالَ حَاتِمٌ: خُذُوا فَرَسِي هَذَا فَاحْمِلُوا عَلَيْهَا صَاحِبَكُمْ، فَاخْذُوهَا، فَعَمَدَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى فُلُوهَا فَزَبَطَتْهَا بِثُوبِهَا، كَيْ لَا يَتَّبِعَ أُمُّهُ، فَأَفَلْتُ وَتَبَعَ أُمُّهُ، فَاتَّبَعْتُهُ الْجَارِيَةُ لِتُرَدَّهُ، فَقَالَ حَاتِمٌ: مَا لِحَقِّكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَكُمْ فَذَهَبُوا بِالْفَرَسِ وَفُلُوهَا وَبِالْجَارِيَةِ، وَمَضَوْا فِي مَسِيرِهِمْ ذَلِكَ فَمَرُّوا بِعَبْدِ اللَّهِ أَبِي حَاتِمٍ، فَعَرَفَ الْفَرَسَ وَفُلُوهَا وَالْجَارِيَةَ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَصَبْتُمْ هَذَا الَّذِي مَعَكُمْ؟ وَمَنْ أَعْطَاكُمْ؟ قَالُوا: مَرَزَنَا بَغْتَى كَرِيمِ جَوَادٍ وَسِيمٍ، فَسَأَلْنَاهُ فَأَعْطَانَا، وَأَعْطَانَا مَا لَمْ نَسْأَلْهُ. قَالَ: وَأَيْنَ تَرَكْتُمُوهُ؟ قَالُوا: بِمَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا سَالِمًا. وَقَالَ حَاتِمٌ فِي مَسِيرِ أَبِيهِ وَتَحْوِيلِهِ عَنْهُ، وَمَا صَنَعَ بِالْإِبِلِ:

وَأَيْ لَعْفُ الْفَقْرِ مُلْتَمِسُ الْغِنَى	وَتَارِكُ شَكْلِ لَا يُوَافِقُهُ شَكْلِي
وَشَكْلِي شَكْلٌ لَا يَقُومُ بِمِثْلِهِ	مِنَ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ مِثْلِي
وَلِي ثِقَةٌ فِي الْمَجْدِ وَالْبَدْلِ لَمْ يَكُنْ	تَأْتِقَهَا فِيمَنْ مَضَى أَحَدٌ قَبْلِي
وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عَرَضِي جُنَّةً	لِنَفْسِي وَأَسْتَعْنِي بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِي
وَمَا ضَرَّنِي إِنْ سَارَ سَعْدٌ بِأَهْلِهِ	وَأَفْرَدَنِي فِي الدَّارِ لَيْسَ مَعِيَ أَهْلِي

سَيَكْفِي ابْتِنَائِي الْمَجْدَ سَعْدُ بْنُ حَشْرَجٍ وَأَحْمِلُ عَنْكُمْ كُلَّ مَا ضَاعَ مِنْ ثِقَلٍ
وَلِي مَعَ بَذْلِ الْمَالِ وَالْجُودِ صَوْلَةٌ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ نَوَاجِدِهَا الْعُصْلُ^(١)

- حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَثْرَمُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى، قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ
مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَوْمٌ فَتَذَاكَرُوا مُلُوكَ الْعَرَبِ حَتَّى ذَكَرُوا الرَّبَّاءَ بِنْتَ عَفْزَرَ، فَقَالَ
مُعَاوِيَةُ: إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثَ حَاتِمِ طَيْمِ وَمَاوِيَةَ بِنْتِ عَفْزَرَ، وَكَانَتْ تَلْقُبُ
بِالرَّبَّاءِ، وَكَانَ اسْمُهَا مَاوِيَةَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَفَلَا أَحَدَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ:
بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ مَاوِيَةَ بِنْتَ عَفْزَرَ كَانَتْ مَلِكَةً، وَكَانَتْ تَتَزَوَّجُ مَنْ أَرَادَتْ، وَأَنَّهَا بَعَثَتْ
غُلَمَانًا لَهَا، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يَأْتُوها بِأَوْسَمِ مَنْ يَجِدُونَهُ بِالْحِجْرَةِ، فَجَاءَهَا بِحَاتِمِ، فَقَالَتْ لَهُ:
اسْتَقْدِمِ إِلَيَّ الْفِرَاشِ، فَقَالَ: حَتَّى أَتَيْتُكَ بِحَالِي. فَفَعَدَّ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: إِنِّي أَنْتَظِرُ
صَاحِبَيْنِ لِي. فَقَالَتْ: ذُونُكَ فَاسْتَدْخِلِ الْمِجْمَرَ. فَقَالَ حَاتِمٌ: اسْتَيْ لَمْ تُعَوِّدِ الْمِجْمَرَ،
فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا وَارْتَابَتْ بِهِ، وَسَقَتْهُ خَمْرًا، فَجَعَلَ يُهْرِيقُهُ تَحْتَ الْبَابِ وَلَا تَرَاهُ، تَحْتَ
اللَّيْلِ. ثُمَّ قَالَ: مَا أَنَا بِقَارٍ وَلَا دَائِقٍ خَمْرًا حَتَّى أَنْظُرَ مَا فَعَلَ صَاحِبَابِي. فَقَالَتْ: إِنَّا
سَنُرْسِلُ إِلَيْهِمَا بِقَرَى. فَقَالَ: لَيْسَ بِنَافِعِي شَيْئًا حَتَّى آتِيَهُمَا، فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ: أَفْتَكُونَانِ
عَبْدَيْنِ لِابْنَةِ عَفْزَرَ يَزْعِمَانِ عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمَا أَمْ تَتَّقُلُكُمَا؟ فَقَالَا: كُلُّ هَذَا نَقْضُهُ، أَيُّ نَتَّبِعُ
أَثْرَهُ، وَلِبَعْضِ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ. فَقَالَ حَاتِمٌ: فَسَأَلْتُكُمْ وَالرَّحِيلَ وَالنَّجَاءَ فِي الْبِلَادِ
عَنْهَا هَرْبًا، فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ فِي ذَلِكَ يَذْكُرُهَا فِي شِعْرِهِ وَمَا حَبَسَ نَفْسَهُ عَنِ الرَّيْبَةِ، وَأَنَّهُ
عَفِيفٌ لَيْسَ مِمَّنْ يَأْتِي الرَّيْبَ. وَابْنَةُ عَفْزَرَ كَانَتْ بِالْحِجْرَةِ، وَكَانَ التُّعْمَانُ مَنْ يَأْتِيهِ يُرِيدُ
كَرَامَتَهُ أَنْزَلَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ:

حَنَّتْ إِلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالَ طَيْمِ وَجُنَّتْ جُنُونًا أَنْ رَأَتْ سَوَاطِ أَحْمَرَ

أَحْمَرُ: قَالَ عَمِّي: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ يَسُوقُ لِحَاتِمِ إِذَا وَقَدَ إِلَى الْمُلُوكِ، وَقَالَ
أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى: أَحْمَرُ: اسْمُ رَجُلٍ كَانَ يَعْمَلُ السِّبَاطَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الطَّرِيقَ أَمَامَنَا وَإِنَّا لَمُحْيُو أَرْضِنَا إِنْ تَيْسَرَا

تُسَامَانِ ضَيْمًا مُسْتَيْبًا فَتَنْظُرَا
 أَرَاهُ وَقَدْ أُعْطِيَ الْمَقَادَةَ أَوْجَرَا
 وَمَا أَنَا مِنْ خِلَانِكِ ابْنَةَ عَفْرَا
 بِلَحْيَانٍ حَتَّى خِفْتُ أَنْ أَتَنْصُرَا
 حِصَانَيْنِ مُشْتَالَيْنِ جَوْنًا وَأَشْقُرَا
 إِذَا مَا انْتَشَيْتُ وَالْكُمَيْتِ الْمُصَدَّرَا
 أَنَادِي بِهِ أَهْلَ الْكَبِيرِ وَجَعْفَرَا
 إِذَا قُلْتُ مَعْرُوفًا لَهُ قَالَ مُنْكَرَا
 أَرَاهُ لِعَمْرِي بَعْدَنَا قَدْ تَغَيَّرَا
 وَلَا قَائِلٍ يَوْمًا لِذِي الْعُرْفِ مُنْكَرَا
 أَحَا الْحَرْبِ إِلَّا سَاهِمَ الْوَجْهِ أَعْبَرَا
 وَإِنْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا
 مَعَ الشَّنِّ مِنْهُ بَاقِيًا مُتَأَثَّرَا
 لِأَعْدَائِنَا رِذَاءًا دَلِيلًا وَمُنْذَرَا
 إِذَا الْحَيْلُ جَالَتْ فِي قَنَا قَدْ تَكَسَّرَا
 إِذَا مَا الْمَطِيِّ بِالْفَلَاةِ تَضَوَّرَا
 إِذَا وَرَقُ الطَّلْحِ الطُّوَالِ تَحَسَّرَا
 وَيُصْبِحُ ضَيْفِي سَاهِمَ الْوَجْهِ أَعْبَرَا
 تَخْفِنِي وَتُضْمِرُ بَيْنَهَا أَنْ تُجْزَّرَا

فَيَا أَحْوَيْنَا مِنْ جَدِيدَةَ إِئْمَا
 فَمَا نَكْرَاهُ غَيْرَ أَنْ ابْنَ مَلْقَطِ
 وَإِنِّي لَمَزْجَاءُ الْمَطِيِّ عَلَى الْوَجَا
 وَمَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَ نَابٍ وَدَارَةِ
 وَحَتَّى حَسِبْتُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحَ إِذْ بَدَا
 وَإِنِّي لَوَهَّابٌ قَطُوعِي وَنَاقِئِي
 لَشِعْبٍ مِنَ الرِّيَّانِ أَمْلِكُ بَابَهُ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَطِيبٍ لَقِيئَتُهُ
 تُنَادِي إِلَيَّ جَارَاتِهَا: إِنْ حَاتِمَا
 تَغَيَّرْتُ إِيَّيْ غَيْرُ آتٍ دَنِيَّةُ
 رَأَيْتَنِي كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ وَلَنْ تَرَى
 أَحَا الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا
 مَتَى تَبْعِ وَدَا مِنْ جَدِيدَةَ تَلْقَهُ
 فَلَا يُعَاوَدُنَا جَهَارًا ثَلَاثِيهِمْ
 فَلَا تَسْأَلِنِي وَأَسْأَلِي أَيَّ فَارِسِ
 وَلَا تَسْأَلِنِي وَأَسْأَلِي بِي صُحْبَتِي
 وَلَا تَسْأَلِنِي وَأَسْأَلِي أَيَّ يَاسِرِ
 فَلَا هِيَ مَا تَرَعَى جَمِيعًا عِشَارَهَا
 مَتَى تَرِنِي أَمْشِي بِسَيْفِي وَسَطَهَا
 أَيُّ لَا تَخْتَرِطُ مِنَ الْفَرْقِ.

إِذَا حَالَ دُونِي مِنْ سُلَامَانَ رَمَلَةً وَجَدْتُ تَوَالِي الْوَصْلِ عِنْدِي أَبْتَرًا^(١)

إِنَّ حَاتِمًا دَعَنَهُ نَفْسُهُ إِلَيْهَا بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ عِنْدِهَا، فَأَتَاهَا فَحَطَبَهَا، فَوَجَدَ عِنْدَهَا التَّابِغَةَ الذُّبْيَانِيَّ، وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ النَّبِيِّ، وَهُمْ مِنَ الْأَوْسِ، فَقَالَتْ: انْقَلِبُوا إِلَيَّ رِحَالِكُمْ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ غَيْرُ أَبِي عُبَيْدَةَ فِيمَا حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ طَيْبٍ، قَالُوا: كَانَتْ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا: مَاوِيَّةُ نَذَرَتْ نَذْرًا، لَا يُحْطَبُهَا كَرِيمٌ إِلَّا تَزَوَّجَتْهُ، وَلَا يُحْطَبُهَا لَيْثٌ إِلَّا جَدَعَتْهُ، فَتَنَادَرَهَا النَّاسُ، فَقَدِمَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَبَلَيْنِ، جَبَلِي طَيْبٍ، أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمِ الْجَدِيلِيِّ، وَزَيْدُ الْخَيْلِ الثَّبَهَانِيُّ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ طَيْبٍ، وَحَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الْحَشْرَجِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ أَحْزَمَ بْنِ أَبِي أَحْزَمٍ، وَاسْمُهُ هُزُومَةٌ، وَهُوَ ابْنُ رَيْبَعَةَ بْنِ جَزُولِ بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَوْثِ بْنِ طَيْبٍ، فَقَالَتْ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: أَتَيْنَاكَ خُطَابًا. قَالَتْ: وَمَا الَّذِي قَدْ بَلَغَ مِنْ فِعَالِكُمْ أَنْ اجْتَرَأْتُمْ عَلَى خِطْبَتِي؟ فَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ: إِنِّي أَخَذْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ شَارِبِي، فَقَالَتْ لِي سَعْدَى أُمِّي: إِنَّ لِأَخِيكَ مِنْ شَعْرِ شَارِبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَتَلَقَطْتُ مَا كَانَ سَقَطَ مِنْ شَعْرِ شَارِبِي فَأَعْتَقْتُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَبِيَّةً مِنَ الْعَرَبِ. وَلِي أَرْبَعَةٌ أَبَاءٌ قَدْ رَبَعُوا الْعَوْثَ وَجَدِيلَةَ، وَلِي أَرْبَعَةٌ بَنِينَ كُلُّهُمْ مِنِّي خَلْفٌ. قَالَتْ: أَمْسِكْ. ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى زَيْدِ الْخَيْلِ، فَقَالَتْ: مَا الَّذِي جَرَأَكَ عَلَى خِطْبَتِي؟ قَالَ: أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ، وَبِاسْمِي تُغَيْرُ طَيْبٍ عَلَى الْعَرَبِ، وَلِي مِزْبَاعٌ كُلِّ عَارَةٍ، أَخَذْتُ طَرِيقِي، وَلَمْ أَلَحْ جَاهِلًا، وَلَمْ أَمْنَعْ سَائِلًا. قَالَتْ: أَمْسِكْ. ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى حَاتِمِ فَقَالَتْ: مَا الَّذِي جَرَأَكَ عَلَى خِطْبَتِي؟ قَالَ: أَنَا حَاتِمُ طَيْبٍ الثَّغْلَبِيُّ، وَفَدْتُ عَلَى الْحَيِّينَ: الْعَوْثَ وَجَدِيلَةَ، وَأَنْهَبْتُ مَالِي ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَحَكَمْتَنِي طَيْبٌ فِي أَمْوَالِهَا. فَقَالَتْ: قُولُوا شِعْرًا، وَادْكُرُوا فِيهِ كَرِيمَ فِعَالِكُمْ مَا يُصَدِّقُ فِيهِ قَوْلَكُمْ، وَاتُّنُونِي بِهِ. فَقَالَ: زَيْدُ الْخَيْلِ:

هَلَا سَأَلْتَ بَنِي ثَبَهَانَ مَا حَسَبِي عِنْدَ الطَّعَانِ إِذَا مَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ

وَأَبَتِ الْحَيْلُ مُبْتَلَا سَوَالِفَهَا
قَدْ أَطْعَنُ الْفَارِسَ الْحَامِي حَقِيقَتُهُ
وَأَطْعَنُ الْكَبْشَ وَالْحَيْلَانَ وَأَقْفَةَ
بِالْمَاءِ يَسْفَحُ مِنْ لَبَاتِهَا الْعَرَقُ
نَجْلَاءَ يَذْهَبُ فِيهَا الزَّيْتُ وَالْحَرْقُ
يَوْمَ الْأُكْسِ بِهِ مِنْ نَجْدَةِ رَوْقُ
الأُكْسُ: الْقَصِيرُ الْأَسْنَانِ، وَالرَّوْقُ: الطُّوْلُ فِي الْأَسْنَانِ.

وَالْحَيْلُ تَعْلَمُ أَلِّي كُنْتُ فَارِسَهَا
إِذْ قَالَ أَوْسٌ أَمَا مِنْ طِيٍّ رَجُلٌ
وَالْجَارُ يَعْلَمُ أَلِّي غَيْرُ حَاذِلِهِ
إِذْ لَا أَرَى الْمَالَ رَبًّا بَلْ أَرَى غَبْنَا
هَذَا رِضَائِي فَإِنْ تَرْضَى فِرَاضِيَةً
وَالْهَامُ مِنَّا وَمِنْ أَعْدَائِنَا فَلَقُ
يَحْمِي الذَّمَّارَ وَبِيضُ الْقَوْمِ تَأْتَلِقُ
إِنْ نَابَ دَهْرٌ لِعَظْمِ الْجَارِ مُعْتَرِقُ
بُحْلًا بِهِ وَمَنَايَا الْقَوْمِ تُعْتَلِقُ
أَوْ تَسْحَطِي فَإِلَى مَنْ تُعْطَفُ الْعُتْقُ

فَقَالَ أَوْسٌ: وَاللَّهِ يَا زَيْدُ لَقَدْ أَطْرَيْتَ نَفْسَكَ بِالثَّنَاءِ، وَخَصَّصْتَهَا بِالْكَرَمِ، وَلَسْتُ أَقُولُ مِثْلَ مَقَالَتِكَ، وَلَكِنِّي أَقُولُ:

أَمَاوِيٌّ لَمْ يَخْطُبِكَ مِنْ حَيٍّ مَذْحِجٍ
فَإِنْ تَنْكِحِي زَيْدًا فَفَارِسُ طِيٍّ
وَمَعْقَلٌ نَبَهَانَ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ
وَإِنْ تَنْكِحِي مَاوِيَّةَ الْخَيْرِ حَاتِمًا
فَتَى لَا يَزَالُ الدَّهْرُ أَعْظَمُ هَمَّهُ
رَأَى أَنْ مَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ هَالِكٌ
وَإِنْ تَنْكِحِي تَنْكِحِي غَيْرَ فَاخِشٍ
وَلَا مُتَّقٍ يَوْمًا إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ
وَإِنْ طَرَقَ الْأَضْيَافُ لَيْلًا وَعَرَّسُوا
كَأَوْسِ بْنِ لَأْمٍ أَوْ كَزَيْدِ وَحَاتِمِ
إِذَا الْحَرْبُ يَوْمًا أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ
رَدَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ الْمُتَفَاهِمِ
فَمَا مِثْلُهُ فِينَا وَلَا فِي الْأَعَاجِمِ
فِكَأَكِ أَسِيرٍ أَوْ مَعُونَةٍ غَارِمِ
فَأَعْطَى وَلَمْ يَحْفَلْ مَلَامَةً لِائِمِ
وَلَا حَافِرٍ جَرَفِ الْعَشِيرَةِ هَادِمِ
بِأَنْفَسِهَا نَفْسِي فِعَالِ الْأَشَائِمِ
وَجَدْتُ ابْنَ سَعْدَى بِالْقِرَى غَيْرَ عَاتِمِ

فَأَيُّ امْرِئٍ أَهْدَى لَكَ اللهُ فَأَقْبَلِي فَإِنِّي كَرِيمٌ مِنْ عُرُوقِ الْأَكَارِمِ
وَقَالَ حَاتِمٌ طَيِّبٌ فِي ذَلِكَ:

سَلِي الْأَقْوَامَ يَا مَاوِيَّ عَنِّي وَإِنْ تَسْأَلِيهِمْ فَاسْأَلِيْنِي
تُحِبُّ بِرَكَ الْمَعَاشِرُ وَالْمَصَافِي وَذُو الرَّحِمِ الَّذِي قَدْ يَجْتَدِيْنِي
بَأْسِي لَا يَهْرُ الْكَلْبُ ضَيْفِي وَلَا تُقْضَى نَجِي الْقَوْمِ دُونِي
أَيُّ لَا يَتَنَاجُونَ فِي الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَشْهَدَهُمْ.

وَلَا أَعْتَلُ مِنْ قَنَعٍ بَمَنْعٍ إِذَا نَابَتْ نَوَائِبُ تَعْتَرِيْنِي
الْقَنَعُ: الطَّعَامُ الْكَثِيرُ.

وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ إِزَاءَ طَيِّبِي وَتَأْبَى طَيِّبِي أَنْ تَسْتَطِيْبِي
إِزَاؤُهَا: الْقَائِمُ بِأَمْرِهَا.

إِذَا عَوْرَاءُ مِنْ جَنْبِ أَتْنِي عَنِ الْأُذُنَيْنِ قُلْتُ لَهَا انْقُدِيْنِي
الْجَنْبُ: الْبَعِيدُ، وَيُقَالُ: الْقَرِيبُ.

عُنَيْتُ بِهَا كَأَنَّ قِيلَتْ لِغَيْرِي وَلَمْ يَعْرِقْ لَهَا مَتْنِي جَبِيْنِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَرِ ابْنَ الْعَمِّ فَوْقِي فَإِنِّي لَا أَرَى ابْنَ الْعَمِّ دُونِي

وَمِنْ كَرَمٍ يَجُورُ عَلَيَّ قَوْمِي وَأَيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ يَحْسِدُونِي
وَذُو الْوَجْهِينِ يَلْقَانِي طَلِيْقًا وَلَيْسَ إِذَا تَغَيَّبَ يَأْتَلِيْنِي

بَصُرْتُ بِعَيْنِهِ فَصَفَحْتُ عَنْهُ مُحَافِظَةً عَلَى حَسِي وَدِيْنِي
وَلَيْسَتْ شِيْمَتِي شَتْمُ ابْنِ عَمِّي وَلَا أَنَا مُخْلِْفٌ مَنْ يَرْتَجِيْنِي

فَأَطْرَقَتْ مَاوِيَّةُ تُفَكِّرُ طَوِيْلًا فِي مَدْحِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، لَا تُجِيْبُهُمْ، ثُمَّ دَفَعَتْ رَأْسَهَا، فَقَالَتْ: انْصَرِفُوا حَتَّى أَفَكِّرَ فِي نَقَائِبِكُمْ وَتَطَرِيْبَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ، فَاَنْصَرِفُوا عَنْهَا. ثُمَّ إِنَّ حَاتِمًا دَعَتْهُ نَفْسُهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا، فَوَجَعَ فَحَطَبَهَا إِلَى نَفْسِهَا، فَوَجَدَ عِنْدَهَا التَّابِغَةَ

وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ النَّبِيِّ، وَهُمْ قَبِيلَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَتْ لَهُمْ: انْقَلِبُوا إِلَى رِحَالِكُمْ، وَلْيَقُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شِعْرًا يَذْكُرُ حُسْنَ فِعَالِهِ وَكَرَمَهُ، وَخَلَاتِقَهُ، وَمَنْصِبَهُ، فَإِنِّي لَا أَتْرُوجُ إِلَّا أَكْرَمَكُمْ حَسَبًا، وَأَعْلَاكُمْ مَنْصِبًا، وَأَشْعَرَكُمْ شِعْرًا، فَأَنْصَرَفُوا، وَنَحَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جُزُورًا، وَبَلَغَ مَاوِيَّةَ ذَلِكَ، فَلَبِسَتْ ثِيَابًا لِأُمَّةٍ لَهَا وَاتَّبَعْتَهُمْ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ مُتَّكِرَةً، وَاسْتَطَعَمَتْهُ مِنْ جُزُورِهِ فَأَطَعَمَهَا ثِيْلَ جُزُورِهِ، وَالثَّيْلُ: الْقَضِيبُ. فَأَخَذَتْهُ. ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى النَّابِغَةِ، نَابِغَةَ بَنِي دُبْيَانَ، فَاسْتَطَعَمَتْهُ، فَأَطَعَمَهَا ذَنْبَ جُزُورِهِ، فَأَخَذَتْهُ، ثُمَّ أَتَتْ حَاتِمًا، فَوَجَدَتْهُ قَدْ نَصَبَ قَدْرَهُ، فَاسْتَطَعَمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: اضْبِرِّي أُعْطِيكَ مَا يُبْهِجُكَ. فَانْتظَرَتْ حَتَّى بَلَغَتْ قُدُورَهُ، فَأَطَعَمَهَا مِنْ عَجْزِ الْجُزُورِ، وَقِطْعَةً مِنَ السَّنَامِ، وَمِثْلَهَا مِنَ الْمَخْدَشِ، وَهُوَ عِنْدَ الْحَارِكِ. ثُمَّ انْصَرَفَتْ، وَأَهْدَى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَيْهَا ظَهْرَ جَمَلِهِ، وَأَهْدَى إِلَيْهَا حَاتِمَ مِثْلَ مَا أَهْدَى إِلَى جَارَاتِهِ. وَكَانَ حَاتِمٌ إِذَا هُوَ نَحَرَ وَأَطْبَخَ لَا يَدْعُ جَارَاتِهِ إِلَّا بِهَدْيِيَّةٍ، وَصَبَّحُوهَا جَمِيعًا، فَاسْتَشَدَّتَّهُمْ، فَأَنْشَدَهَا النَّبِيُّ:

هَلَا سَأَلْتَ بَنِي النَّبِيِّ مَا حَسَبِي عِنْدَ الشِّتَاءِ إِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ
وَرَدَّ جَارُورَهُمْ حَرَفًا مُصْرَمَةً فِي الرَّأْسِ مِنْهَا وَفِي الْأَطْلَاءِ تَمْلِيحُ
وَقَالَ رَائِدُهُمْ سَيِّانَ مَا لَهُمْ مِثْلَانِ مِثْلَ لِمَنْ يِرْعَى وَتَسْرِيحُ

الصِّرَارُ: الَّذِي يُشَدُّ عَلَى ظَهْرِ النَّاقَةِ لِيَضْرَّ لَبَنَهَا فِي ضِرْعِهَا لِيَجْتَمَعَ مَحْفُوظًا.

إِذَا اللَّقَاحُ غَدَتْ مُلْقَى أَصْرَتِهَا وَلَا كَرِيمٌ مِنَ الْوَلْدَانِ مَصْبُوحُ
فَقَالَتْ: لَقَدْ ذَكَرْتَ مَكْرَمَةً إِنْ صَدَّقَ قَيْلَكَ فِعْلَكَ. ثُمَّ اسْتَشَدَّتِ النَّابِغَةَ، فَأَنْشَدَهَا يَقُولُ:

هَلَا سَأَلْتَ بَنِي دُبْيَانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا
الْبَرَمُ: الَّذِي لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي أَيْسَارِ جُزُورِهِمْ، وَجَمْعُهُ أَبْرَامٌ.
وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ ذِي أَرْلِ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صِرَادِهَا صِرَمًا
إِنِّي أَسَامِحُ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَشْنَى الْأَيَْادِي وَأَكْسُو الْجَفْنََةَ الْأَدَمَا

فَلَمَّا أَنْشَدَهَا، قَالَتْ: مَا يَنْفُكُ النَّاسَ بِخَيْرٍ مَا حَبِيتَ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَتْ لِحَاتِمٍ: يَا أَخَا

طَيِّبِ أُنْشَدَنِي، فَأَنْشَدَهَا:

أَمَاوِيٌّ قَدْ طَالَ التَّجَبُّبُ وَالْهَجْرُ
 أَمَاوِيٌّ إِمَّا مَانِعٌ فَمَمِينٌ
 أَمَاوِيٌّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِسَائِلِ
 أَمَاوِيٍّ مَا يُعْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى
 أَمَاوِيٌّ إِنْ يُصْبِحَ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ
 تَرِي أَنْ مَا أَنْفَقْتُ لَمْ يَكْ ضَرَّرَنِي
 أَمَاوِيٌّ إِنِّي رُبٌّ وَاحِدٍ أُمِّهِ
 وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا
 وَإِنِّي لَا أَلُو بِمَالِي صَنِيعَةً
 يُفَكُّ بِهِ الْعَانِي وَيُؤْكَلُ طَيِّبًا
 وَلَا أَلْطَمُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي
 وَلَا آخِذُ الْمَوْلَى لِسُوءِ بَلَائِهِ
 غَيْنَا زَمَانًا بِالثَّصْعَلِكِ وَالْغِنَى
 فَمَا زَادَنَا بَغِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ
 إِذَا أَنَا دَلَانِي الَّذِينَ أَحَبُّهُمْ
 وَأَثَنُوا بِمَا قَدْ يَعْلَمُونَ وَغَيْرَهُ
 وَقَامُوا عَلَى أَرْجَائِهِ يَدْفِنُونِي
 وَرَاخُوا سِرَاعًا يَنْفُضُونَ أَكْفَهُمْ
 إِذَا الْمَرْءُ أَثَرَى ثُمَّ لَمْ يَكْ مَالُهُ

وَقَدْ عَذَّرْتَنِي فِي طِلَابِكُمْ الْعُدْرُ
 وَإِمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ
 إِذَا جَاءَ يَوْمًا: حَلٌّ فِي مَالِنَا نَذْرُ
 إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهِ الصَّدْرُ
 مِنَ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَيَّ وَلَا حَمْرُ
 وَأَنْ يَدِي مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ
 أَجَرْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ
 أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفُرُ
 فَأَوْلَاهُ زَادَ وَآخِرُهُ ذُخْرُ
 وَمَا إِنْ تَعَرَّثَهُ الْقِدَاحُ وَلَا الْحَمْرُ
 شُهُودًا وَقَدْ أَوْدَى يِإِخْوَتِهِ الدَّهْرُ
 وَإِنْ كَانَ مَخْنُوعَ الصُّلُوعِ عَلَى عُمُرُ
 وَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ
 غِنَانًا وَلَا أَرَزَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ
 لَمَلْحُودَةٍ زُلْجِ جَوَانِبِهَا غُبْرُ
 وَمَا إِنْ نَدَى مَا تَرِينَ وَلَا سُحْرُ
 يَقُولُونَ: قَدْ أَوْدَى السَّمَاحَةَ وَالذِّكْرُ
 يَقُولُونَ: قَدْ أَدَمَى أَظْفِرِنَا الْحَفْرُ
 غِنَى لِأَدَانِيهِ فَحَالَفَهُ الْعُسْرُ

فَلَمَّا فَرَّغَ حَاتِمٌ مِنْ إِنْشَادِهِ الشَّعْرَ، دَعَتْ لَهُمُ بِالْعَدَاءِ، وَقَدْ كَانَتْ أَمَرَتْ إِمَاءَهَا أَنْ يُقَدِّمْنَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُنَّ مَا كَانَ أَطْعَمَهَا حَيْثُ اسْتَطَعَمَتْهُنَّ، فَقَدَّمَ الإِمَاءُ إِلَيْهِمْ مَا أَمَرْتَهُنَّ، فَلَمَّا وَضَعْنَ الإِمَاءُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذَلِكَ عَرَفَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُنَّ مَا كَانَ أَطْعَمَهَا، فَكَسَّ النَّبِيتِيُّ وَالتَّابِغَةُ رَأْسَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَى حَاتِمٌ ذَلِكَ رَمَى بِالذِّي قَدَّمْنَ الإِمَاءُ إِلَيْهِمَا، وَقَدَّمَ إِلَيْهِمَا مَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَتْ: إِنَّ حَاتِمًا لَأَكْرَمُكُمْ وَأَشْعَرُكُمْ وَأَجْوَدُكُمْ، رَجُلٌ كَرِيمٌ النَّسَبِ، تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ كَمَعْرِفَةِ الْخَاصَّةِ، لَهُ جُودٌ وَمَعْرُوفٌ وَبَذَلٌ، قَدْ قَبِلْتُ حَاتِمًا، وَرَضِيْتُ بِهِ، فَقَامَا مُنْصَرِفَيْنِ مُسْتَحِجِّينَ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى حَاتِمٍ، فَقَالَتْ: خَلِّ سَبِيلَ امْرَأَتِكَ، فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ، وَأَبَتْ أَنْ تُزَوِّجَهُ نَفْسَهَا حَتَّى يُطَلِّقَهَا، فَاَنْصَرَفَ عَنْهَا. ثُمَّ دَعَتْهُ نَفْسُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى تَزْوُجِهَا، وَحَلَّتْ بِقَلْبِهِ، وَمَاتَتْ امْرَأَتُهُ، فَزَوَّجَتْهُ نَفْسَهَا، فَمَكَثَ عِنْدَهَا زَمَانًا، وَابْنُ عَمِّ لِحَاتِمٍ يُقَالُ لَهُ: مَالِكٌ، قَالَ لَهَا: يَا هَذِهِ مَا تَضْعَعِينَ بِحَاتِمٍ، فَوَاللَّهِ لَيْسَ مَلِكٌ لَيْتَلْفَنُ، وَإِنْ لَمْ يَمْلِكْ لَيْتَكَلَّفَنُ، وَلَيْسَ مَاتَ لَيْتَرَكَزَنَّ وَلَدِكَ كَلَّا عَلَيْكَ وَعَيْلَا عَلَى قَوْمِكَ، وَأَنَا لَكَ نَاصِحٌ مُشْفِقٌ، وَلَكَ مُحِبٌّ وَآمِقٌ، فَطَلَّقَنِي، فَأَنَا أَنْزَوِّجُ بِكَ، وَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَاتِمٍ، لِأَنِّي أَكْثَرُ مِنْهُ مَالًا، وَأَحْسَنُ مِنْهُ حَالًا، وَأَنَا أَمْسُكُ عَلَيْكَ وَعَلَى وَلَدِكَ مَا لَهُمْ، وَتَعِيْشِينَ مَعِي عَيْشًا رَعْدًا، فَمَالِي لَكَ وَأَنَا قَعِيدٌ لَكَ. فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى طَلَّقَتْ حَاتِمًا، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتُ، وَإِنَّ حَاتِمًا لَكُمَْا ذَكَرْتُ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَكُنَّ النِّسَاءُ هُنَّ اللَّوَاتِي يُطَلِّقَنَّ الرِّجَالَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانَ طَلَاؤُهُنَّ، إِنْ كُنَّ فِي بَيْوتِ مَنْ شَعِرَ أَوْ غَيْرِهِ، حَوْلَنَّ بَابَهُ، فَإِذَا كَانَ بَابُهُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ حَوْلَنَّهُ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ حَوْلَنَّهُ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ حَوْلَنَّهُ إِلَى قِبَلِ الشَّامِ، فَإِذَا جَاءَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ وَرَأَى ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهَا طَلَّقَتْهُ، فَيَدْعُ غَشِيَانَهَا، وَكَانَتْ مَاوِيَّةُ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا، فَأَتَاهَا حَاتِمٌ فَوَجَدَهَا قَدْ حَوْلَتْ خِبَاءَهَا فَأَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهَا، فَهَبَطَ حَاتِمٌ إِلَى بَطْنِ وَاِدٍ مِنَ الْأَوْدِيَةِ فَتَزَلَّ بِهِ، وَاعْتَمَّ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، وَلَمْ تَتَّهَيْأَ لَهُ حِيلَةٌ فِيهَا. وَدَخَلَ بِهَا مَالِكٌ، وَجَاءَ قَوْمٌ سَفَرًا فَتَزَلُّوا عَلَى بَابِ الْخِبَاءِ، كَمَا كَانُوا يَنْزِلُونَ كَعَادَاتِهِمْ بِحَاتِمٍ، فَمَا زَالَ قَوْمٌ يَنْزِلُونَ بَعْدَ قَوْمٍ حَتَّى تَوَافَوْا قَرِيبًا مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا، فَضَاقَتْ بِهِمْ مَاوِيَّةُ دُرْعًا، فَقَالَتْ لَجَارِيَتِهَا: اذْهَبِي إِلَى ابْنِ عَمِّي مَالِكٍ، فَقُولِي لَهُ، إِنَّ أَضْيَاقًا لِحَاتِمٍ قَدْ نَزَلُوا بِنَا، وَهُمْ فِي عَدَادِ خَمْسِينَ رَجُلًا، فَأَرْسِلِ إِلَيْنَا بِنَابٍ نَقْرِهِمْ وَلَبِّنْ نَعْبِقُهُمْ. وَالتَّابُ: الْمُسْتَةُ مِنَ الْإِبِلِ،

وَالْعَبُوقُ: شُرْبُ اللَّبَنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ. وَقَالَتْ لِجَارِيَّتِهَا: انْظُرِي إِلَيَّ جَبِينَهُ وَفَمِهِ، فَإِنْ بَادَرَكَ بِالْقَوْلِ: أَيُّ نَعَمٍ فَأَقْبَلِي مِنْهُ، وَإِنْ ضَرَبَ بِلِخِيَّتِهِ عَلَى زُورِهِ، أَوْ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِهِ، فَأَقْبَلِي وَدَعِيهِ. قَوْلُهُ لِخِيَّتِهِ عَلَى زُورِهِ: الْمَعْنَى إِنْ نَكَّسَ رَأْسَهُ وَضَرَبَ بِدَقْنِهِ عَلَى صَدْرِهِ. فَاتَّتِ الْجَارِيَةُ مَالِكًا فَوَجَدْتُهُ مُتَوَسِّدًا وَطَبًا مِنَ اللَّبَنِ، وَتَحْتِ بَطْنِهِ وَطَبَّ آخَرَ، وَهُوَ نَائِمٌ فَأَتْبَهَتْهُ، وَبَلَّغَتْهُ الرِّسَالَةَ فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى رَأْسِهِ، فَحَكَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، وَنَكَّسَ رَأْسَهُ مُفَكِّرًا، فَقَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ: إِنَّمَا هِيَ اللَّيْلَةُ حَتَّى تُعْلِمَ النَّاسَ بِمَكَانِ حَاتِمٍ، وَيَتَلَعَّهْمُ حَالَهُ. فَقَالَ: أَقْرَبِي عَلَى مَوْلَاتِكَ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهَا هَذَا الَّذِي أَمَرْتُكَ أَنْ تُطَلِّقِي فِيهِ حَاتِمًا، وَمَا عِنْدِي نَابٌ مُسِنَّةٌ قَدْ تَرَكَتِ الْعَمَلَ، فَاسْتَحَقَّتِ النَّحْرَ، وَمَا كُنْتُ لِأَنْحَرَ صَغِيرَةً بِشَحْمٍ كَلَاهَا مُقْبِلَةً لِلْخَيْرِ. وَمَا عِنْدِي مِنَ اللَّبَنِ مَا يَكْفِي أَضْيَافَ حَاتِمٍ. فَرَجَعَتْ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا سَمِعَتْ مِنْهُ وَمَا رَأَتْ، وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: وَيْحَكَ اطْلُبِي حَاتِمًا بِالْوَادِي، فَإِنْ وَجَدْتِيهِ، فَقُولِي: إِنْ أَضْيَافَكَ قَدْ نَزَلُوا بِنَا اللَّيْلَةَ، وَهُمْ يَرُونَ أَنَّكَ فِي مَنَزِلِكَ كَمَا كُنْتُ، فَأَرْسِلْ إِلَيْنَا بِنَابٍ نُقْرِهْمُ وَلَبِنٍ نَعْبِقُهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ اللَّيْلَةُ حَتَّى يَعْرِفُوا حَالَكَ. فَاتَّتِ الْجَارِيَةُ الْوَادِي فَصَرَخَتْ بِهِ، فَسَمِعَ صَوْتَهَا، فَقَالَ مُجِيبًا لَهَا: لَبِيكَ، قَرِيبًا دَعَوْتُ، فَأَتَيْتُهَا إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: إِنْ مَاوِيَّةٌ تُقْرِتُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنْ أَضْيَافَكَ قَدْ نَزَلُوا بِنَا، فَأَرْسِلْ إِلَيْنَا بِنَابٍ نُنَحِّرُهَا لَهُمْ، وَبَلَبِنٍ نَسْقِيهِمْ، فَأَرْسَلْ إِلَيْهَا بِنَابٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْإِبِلِ فَأَطْلَقَ اثْنَيْنِ مِنْ عَقْلِهِمَا، ثُمَّ صَرَخَ بِهِمَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْخِبَاءِ، ثُمَّ بَادَرَهُمَا فَضَرَبَ عَرَاقِيْبَهُمَا، فَصَرَخَتْ مَاوِيَّةٌ مِنْ دَاخِلِ الْخِبَاءِ، تَقُولُ: لِهَذَا طَلَّقْتُكَ، وَقَالَتْ: تُبَدِّرُ مَالَكَ وَتُثَلِّفُ مَا فِي يَدِكَ وَوَلَدَكَ مِنْ بَعْدِكَ كَلَا عَلَى قَوْمِكَ. فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا الْيَوْمُ أَوْ أَمْسٍ أَوْ غَدٌ
يَرُدُّ عَلَيْنَا لَيْلَةً ثُمَّ يَوْمًا
لَنَا أَجَلٌ مَا تَنْتَاهِي أَمَامَهُ
بَنُو ثَعْلٍ قَوْمِي فَمَا أَنَا مُدْعٍ
كَذَلِكَ الزَّمَانُ بَيْنَنَا يَتَرَدَّدُ
فَمَا نَحْنُ مَا بَقِيَ وَلَا الدَّهْرُ يَنْقُدُ
فَنَحْنُ عَلَى آثَارِهِ نَتَوَرَّدُ
سِوَاهُمْ إِلَى قَوْمٍ وَلَا أَنَا مُسْنَدُ
وَيَحْنَفُ عِنَّا الْأَبْلَخُ الْمُتَعَمِّدُ
بَدَرْتِهِمْ أَغَشَى دُرُوءَ مَعَاشِرٍ

فَمَهْلًا فِدَى أُمِّي وَنَفْسِي وَخَالَتِي
 أَلَانِ إِذْ ذُكِّيتُ وَأَشْتَدَّ جَانِبِي
 فَهَلْ تُرِكَتْ قَبْلِي حَضُورَ مَكَانِهَا
 وَمُعْتَسِفِ بِالرُّمَحِ مِنْ دُونِ صَحْبِهِ
 فَحَرٌّ عَلَيَّ حَرُّ الْجَبِينِ وَدَادُهُ
 فَمَا رُمْتُهُ حَتَّى أَرْحَتُ عَوِيصَهُ
 إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ
 يُفَكُّ بِهِ الْعَانِي وَيُؤْكَلُ طَيْبًا
 إِذَا مَا الْبَخِيلُ الْخِبَاءُ أَحْمَدَ نَارَهُ
 تَوَسَّعَ قَلِيلًا أَوْ يَكُنْ ثُمَّ حَسْبُنَا
 فَإِنَّ الْجَوَادَ مَنْ تَلَفَّتْ حَوْلَهُ
 كَذَلِكَ أُمُورُ النَّاسِ رَاضٍ دَنِيَّةً
 وَدَاعٍ دَعَانِي دَعْوَةً فَاجَبْتُهُ
 وَلَا يَأْمُرُنِي بِالذَّنِيَّةِ أَسْوَدُ
 أَسَامُ الَّتِي أَعْيَيْتُ إِذْ أَنَا أَمْرُدُ
 وَهَلْ أَنَا إِنْ أُعْطِيتُ حَسَنًا مُخْلَدُ
 تَعَسَّفْتُهُ بِالرُّمَحِ وَالْقَوْمُ هُجْدُ
 إِلَى الْمَوْتِ مَطْرُورَ الْوَقِيعَةِ مِذْوَدُ
 وَحَتَّى عَلاهُ حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ
 فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدُ
 وَيُعْطَى إِذَا ضَنَّ الْبَخِيلُ الْمُصْرَدُ
 أَقُولُ لِمَنْ يَصَلِّي بِنَارِي: أَوْقِدُوا
 وَمُوقِدِهَا الْبَادِي أَعْفُ وَأَمْجَدُ
 وَإِنَّ الْبَخِيلَ نَاكِسُ الطَّرْفِ أَفْوَدُ
 وَسَامٍ إِلَى فَرَعِ الْعُلَا مُتَوَرَّدُ
 وَهَلْ يَدْعُ الدَّاعِينَ إِلَّا الْيَلْدَدُ^(١)

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مِسْكِينٍ، قَالَ: كَانَتْ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ مِنْ أَجُودِ نِسَاءِ الْعَرَبِ، وَكَانَ أَبُوهَا يُعْطِيهَا الصِّرْمَةَ مِنْ إِبِلِهِ، فَتَهْبِئُهَا وَتُعْطِيهَا النَّاسَ، فَقَالَ حَاتِمٌ: يَا بَيْتِي، إِنَّ السَّخِيَّينَ إِذَا اجْتَمَعَا فِي مَالٍ أَتْلَفَا، فِيمَا أَنْ أُعْطِيَ وَتَبْخَلِينَ، وَإِنَّمَا أَنْ تُعْطِيَ وَأَبْخَلُ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى هَذَا شَيْءٍ. وَكَانَ أَبُو جُبَيْلٍ، وَهُوَ عَبْدُ قَيْسِ بْنِ خَفَّافِ الْبُرْجُمِيِّ، أَتَى حَاتِمًا فِي دِمَاءٍ حَمَلَهَا عَنْ قَوْمِهِ، أَسْلَمُوهُ فِيهَا، وَعَجَزَ عَنْ أَذَائِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَتَيْنُ مَنْ يَحْمِلُهَا عَنِّي، وَكَانَ شَاعِرًا شَرِيفًا، فَأَتَى حَاتِمًا

فَقَالَ لَهُ: قَدْ كَانَ بَيْنَ قَوْمِي دِمَاءٍ، فَتَوَاكَلُوهَا، وَإِنِّي حَمَلْتُهَا فِي مَالِي وَإِبِلِي، فَقَدَّمْتُ مَالِي، وَكُنْتُ أَمْلِي، فَإِنْ تَحْمِلُهَا، فَرُبَّ حَقٍّ قَدْ قَضَيْتَهُ، وَهَمٌّ قَدْ كَفَيْتَهُ، وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ، لَمْ أَدَمْ يَوْمَكَ، وَلَمْ آيَسْ مِنْ عَدِكَ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

حَمَلْتُ دِمَاءً لِلْبَرَاجِمِ جَمَّةً فَجِئْتُكَ لَمَّا أَسْلَمْتَنِي الْبَرَاجِمُ
وَقَالُوا سِفَاهًا: لِمَ حَمَلْتَ دِمَاءَنَا فَقُلْتُ لَهُمْ: يَكْفِي الْحَمَالَةَ حَاتِمُ
مَتَى آتَاهُ فِيهَا يَقْلُ لِي مَرْجَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا أَحْطَأْتُكَ الْأَشَانِمُ
فِيحْمِلُهَا عَنِّي وَإِنْ شِئْتُ زَادَنِي زِيَادَةً مَن حَلَّتْ إِلَيْهِ الْمَكَارِمُ
يَعِيشُ النَّدَى مَا عَاشَ حَاتِمُ طَيِّبٍ وَإِنْ مَاتَ قَامَتْ لِلِسُخَاءِ مَاتِمُ
يُنَادِينَ مَاتَ الْجُودُ مَعَكَ فَلَا تَرَى لَهُ مُجِيبًا مَا دَامَ لِلْسَيْفِ قَاتِمُ
وَقَالَ رِجَالٌ أَنَّهُبَ الْجُودُ مَالَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي بِذَلِكَ عَالِمُ
وَلَكِنَّهُ يَعْطِي مِنْ أَمْوَالِ طَيِّبٍ إِذَا حَلَفَ الْمَالَ الْحُقُوقُ اللَّوَارِمُ
فِيَعْطِي الَّتِي فِيهَا الْغَنِيُّ كَأَنَّهُ لَتَصْغِيرِهِ تَلِكَ الْعَطِيَّةَ جَارِمُ
بِذَلِكَ أَوْصَاهُ عَدِيٌّ وَحَشْرَجُ وَسَعَدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَتَلِكَ الْقَمَاقِمُ

فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ: إِنِّي كُنْتُ لِأَجِبُ أَنْ يَأْتِيَنِي مِثْلُكَ مِنْ قَوْمِكَ، هَذَا مِزْبَاعِي مِنْ الْغَارَةِ عَلَى تَمِيمٍ، فَإِنْ وَفَّتِ الْحَمَالَةَ، وَإِلَّا كَمَلْتُهَا لَكَ، وَهِيَ مَاتَنَا بَعِيرٍ سَوَى بَنِيهَا، وَفِصَالِهَا، مَعَ أَيِّ لَأَجِبُ أَنْ لَا تُؤَيِّسَ قَوْمَكَ بِأَمْوَالِهِمْ، فَضَحِكَ أَبُو جُبَيْلٍ، ثُمَّ قَالَ: لَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ مِنَّا وَلَنَا مَا أَخَذْنَا مِنْكُمْ، وَإِيْمًا بَعِيرٍ دَفَعْتَهُ إِلَيَّ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ فِي يَدِ صَاحِبِهِ، فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيٌّ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ، وَزَادَهُ مِائَةٌ، وَانصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ حَاتِمٌ:

أَنَايِ الْبُرْجُمِيِّ أَبُو جُبَيْلٍ لَهُمْ فِي حَمَالَتِهِ طَوِيلُ
فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ دَهْرًا فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ
عَلَى حَالٍ وَلَا عَوْدَتُ نَفْسِي عَلَى غَلَاتِهَا عَلَلِ الْبُخِيلِ

فَحَذَّهَا إِهْمًا مَائِتًا بَعِيرٍ
وَلَا مَنُّ عَلَىكَ بِهَا فَإِنِّي
فَقَامَ الْبُرْجُمِيُّ وَمَا عَلَيْهِ
يَجْرُ الذُّبِيلُ يَنْفُضُ مَذْرُوبِيهِ
سِوَى النَّابِ الرَّدِيَّةِ وَالْفَصِيلِ
رَأَيْتُ الْمَنَّ يُزْرِي بِالْجَمِيلِ
مِنَ أَعْبَاءِ الْحَمَالَةِ مِنْ قَتِيلِ
خَفِيفَ الظُّهْرِ مِنْ حَمَلٍ ثَقِيلِ^(١)

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: كَانَتْ أُمُّ حَاتِمٍ ذَاتَ يَسَارٍ، وَأَسْحَى النَّاسِ، وَأَقْرَاهُمْ لِضَيْفٍ، كَانَتْ لَا تُلِيْقُ شَيْئًا تَمْلِكُهُ، وَاسْمُهَا غَيْبَةُ بِنْتُ عَفِيفِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ أَخْزَمٍ، فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتَهَا إِتْلَافَهَا حَجَزُوا عَلَيْهَا، وَمَنْعُوهَا مَالَهَا، حَتَّى إِذَا ظَنُّوا أَنَّهَا قَدْ وَجَدَتْ ذَلِكَ أَعْطَوْهَا صِرْمَةً مِنْ إِبِلِهَا، فَجَاءَتْهَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ، كَانَتْ تَأْتِيهَا كُلَّ سَنَةٍ تَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ لَهَا: دُونَكَ هَذِهِ الصِّرْمَةُ خُذِيهَا، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَضَّنِي مِنَ الْجُوعِ شَيْءٌ لَا أَمْنَعُ مَعَهُ سَائِلًا أَبَدًا، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

لَعَمْرِي لَقَدْ مَا عَضَّنِي الْجُوعُ عَضَّةً
فَمَآذَا عَسَيْتُمْ أَنْ تَقُولُوا لِأَحْنِكُمْ
فَقُولَا لِهَذَا اللَّائِمِي الْيَوْمَ: أَعْفِنِي
وَلَا مَا تَرُونَ الْيَوْمَ إِلَّا طَبِيعَةً
فَأَلَيْتُ أَلَا أَمْنَعُ الدَّهْرَ جَانِعًا
سِوَى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلِ مَنْ كَانَ مَانِعًا
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضُّ الْأَصَابِعَا
فَكَيْفَ بَتْرِكِي يَا ابْنَ أُمَّ الطَّبَائِعَا^(٢)

أَنْشَدَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِحَاتِمٍ:

وَعَادِلَةٌ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومِنِي
تُلُومٌ عَلَى إِعْطَائِي الْمَالَ ضِلَّةً
تَقُولُ: أَلَا أَمْسِكُ عَلَيْكَ فَإِنِّي
ذَرِينِي وَمَالِي إِنَّ مَالِكَ وَإِفْرٍ
وَقَدْ غَابَ عَيُّوقُ الثَّرِيًّا فَعَرَدَا
إِذَا ضَنَّ بِالْمَالِ الْبَخِيلُ وَصَرَدَا
أَرَى الْمَالَ عِنْدَ الْمُتَمَسِّكِينَ مُعْبَدًا
وَكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا

(١) انظر: الأغاني (١٧/٣٧٧).

(٢) انظر: الأغاني (١٧/٣٦٥).

إِلَى رَأْيِي مَنْ تَلَحُّنَ رَأْيِكَ مُسْتَنَدًا
وَعَزَّ الْقِرَى أَقْرِي السَّدِيفَ الْمُسْرَهْدَا
وَحَقَّهُمْ حَتَّى أَكُونَ مُسَوِّدَا
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ مُفْسِدَا
فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدَا
وَأَسْمَرَ حَطْبِيًّا وَعَضْبًا مَهْنَدَا
مَصُونًا إِذَا مَا كَانَ عِنْدِي مُتَلَدَا

وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا؟
مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْجِنَّ وَالْحَبْلَا
إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبْلَا
سُوءَ الثَّنَاءِ وَيَحْوِي الْوَارِثُ الْإِبْلَا
مَا كَانَ يَبْنِي إِذَا مَا نَعَشَهُ حُمْلَا
رَحْمًا وَخَيْرُ سَبِيلِ الْمَالِ مَا وَصَلَا
وَكُلُّ يَوْمٍ يُدْنِي لِلْفَتَى أَجْلَا
يَوْمِي وَأَصْبَحُ عَنْ دُنْيَايَ مُشْتَغْلَا
بِأَيِّ حَالٍ تُرَى أَضْحَى بَنُو ثَعْلَا
عُدُّوا الرُّوَابِيَّ وَلَا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلَا
حَامُوا عَلَى مَجْدِكُمْ وَاكْفُوا مِنْ ائْتِكَلَا
وَأَبَدَتِ الْحَرْبُ نَابَا كَالِحَا عَصِلَا

وَالَا فَكُفِّي بَعْضَ لَوْمِكِ وَاجْعَلِي
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا الضَّيْفُ نَابِي
وَأَنِّي لِأَعْرَاضِ الْعَشِيرَةِ حَافِظُ
يَقُولُونَ لِي: أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَاقْتَصِدْ
كُلُّوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْعِبَادِ وَأَبْشِرُوا
سَأَذْخُرُ مِنْ مَالِي دِلَاصًا وَسَابِحًا
فَذَلِكَ يَكْفِينِي مِنَ الْمَالِ كُلِّهِ
قَالَ: وَأَنْشَدَنِي لَهُ:

مَهْلًا نَوَارُ، أَقْلِي اللَّوْمَ وَالْعَدْلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ أَهْلِكُهُ
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً
إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَا مَاتَ يَتَّبِعُهُ
اصْدُقْ حَدِيثَكَ إِنَّ الْمَرْءَ يَتَّبِعُهُ
لَا تَعْدِلِينِي عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ
يَسْعَى الْفَتَى وَحِمَامُ الْمَوْتِ مُدْرِكُهُ
إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنِّي سَوْفَ يُدْرِكُنِي
فَلَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ غَيْرُ مُدْرِكَةٍ
اغزوا بني ثعلٍ فالغزؤ جددكم
ويها فدى لكم أمي وما ولدت
إذ غاب من غاب عنهم من عشيرتنا

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ذُو مُحَافَظَةٍ
فَإِنْ تَبَدَّلَ أَلْفَانِي أَحَا ثِقَةَ
قَالَ: وَأَنْشَدَنِي عَمِّي أَيْضًا:

أَنَا الْمُفِيدُ حَاتِمُ بْنُ سَعْدٍ
وَشِيمَتِي الْبَدَلُ وَصِدْقُ الْوَعْدِ
أُورَثَنِي الْمَجْدَ بُنَاةُ الْمَجْدِ
هَلَا سَأَلْتَ الْوَفْدَ عَنِّي وَحَدِي
وَكَيْفَ ضَرْبِي بِالْحُسَامِ الْفَرْدِ
وَكَيْفَ تَضْيَافِي وَكَيْفَ قَصْدِي
وَأَنْشَدَنِي لَهُ أَيْضًا:

لَا تَسْتَرِي قَدْرِي إِذَا مَا طَبَخْتَهَا
وَلَكِنْ بِهَذَاكَ الْيَفَاعِ فَأَوْقِدِي

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: أَغَارَتْ طَيْبِيُّ عَلَى إِبِلِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرِ الْجَنْفِيِّ،
وَقَتَلُوا ابْنًا لَهُ، وَكَانَ الْحَارِثُ إِذَا غَضِبَ حَلَفَ لِيُقْتَلَنَّ وَلَيْسِيَنَّ الذَّرَارِيُّ، فَحَلَفَ لِيُقْتَلَنَّ
مَنْ الْعَوْثُ بْنُ طَيْبٍ أَهْلَ بَيْتِ جَمِيعًا، حَتَّى لَا يَبْقِيَ مِنْهُمْ مُقَاتِلًا، عَلَى دَمٍ وَاحِدٍ. فَخَرَجَ
يُرِيدُ طَيْبًا، فَأَصَابَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ أَحْزَمٍ، قَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَأَصَابَ رِيسَهُمْ،
وَهُمْ بَنُ عَمْرٍو، وَأَصَابَ رَهْطَ حَاتِمٍ، وَحَاتِمٌ يَوْمئِذٍ بِالْحَيْرَةِ، عِنْدَ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ،
فَأَصَابَتْهُمْ مُقَدِّمَاتُ خَيْلِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ حَاتِمُ الْجَبَلَيْنِ، حَمَلَتِ الْمَرْأَةُ الصَّبِيَّ مِنْ وَلَدِهَا،
فَتَقُولُ: يَا حَاتِمُ أَسِرْ أَبُو هَذَا، وَجَعَلَتِ النِّسَاءُ تُكْتَبُ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَلِثْ إِلَّا لَيْلَةً حَتَّى سَارَ
إِلَى الثُّعْمَانِ، وَمَعَهُ مِلْحَانُ بْنُ حَارِثَةَ، وَكَانَ لَا يُسَافِرُ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ، فَقَالَ حَاتِمٌ:

إِلَّا أَنِّي قَدْ هَاجَنِي اللَّيْلَةُ الذُّكْرُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ حُبِّ النِّسَاءِ وَلَا الْأَشْرُ

وَلَكِنَّهُ مِمَّا أَصَابَ عَشِيرَتِي
 لِيَالِي تُمَسِّي بَيْنَ جَوْ وَمِسْطَحٍ
 فَيَا لَيْتَ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا
 فَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْعَزَاءُ فَإِنَّا
 سَقَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ سَحًّا وَدِيمَةً
 بِلَادَ امْرِئٍ لَا يَعْرِفُ الدَّمُ بَيْتَهُ
 تَذَكَّرْتُ مِنْ وَهْمِ بْنِ عَمْرٍو جَلَادَةً
 فَأَبْشِرْ وَقِرَّ الْعَيْنِ مِنْكَ فَإِنِّي
 وَقَوْمِي بِأَقْرَانٍ، حَوَالِيهِمُ الصَّيْرُ
 نَشَاوَى لَنَا مِنْ كُلِّ سَائِمَةٍ جَزْرُ
 يَقُولُ لَنَا خَيْرًا وَيَمْضِي الَّذِي انْتَمَرَ
 عَلَى وَقَعَاتِ الدَّهْرِ مِنْ قَبْلِهَا صَبْرُ
 جَنُوبِ السَّرَاةِ مِنْ مَابٍ إِلَى زُغْرٍ
 لَهُ الْمَشْرَبُ الصَّافِي وَلَا الْمَطْعَمُ الْكَدْرُ
 وَجُرْأَةٌ مَعْدَاهُ إِذَا صَارِخٌ بِكَرٍ
 أَحْيَى كَرِيمًا لَا ضَعِيفًا وَلَا حَصِرُ

قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرِ الْجَنْفِيِّ، فَأَنْشَدَهُ، فَأَعْجَبَ بِهِ، وَاسْتَوْهَبَ مِنْهُ أَسْرَى قَوْمِهِ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ، وَكَانَ مَنْ وَهَبَ لَهُ مِنْهُمْ بَنِي امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ ثُمَّ أَنْزَلَهُ عِنْدَهُ، وَأَمَرَ بِحُسْنِ ضِيَافَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَبِتَعَهُدِهِ، فَحُمِلَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ وَالْحَمْرُ. فَقَالَ لَهُ مِلْحَانُ: أَتَشْرَبُ الْحَمْرَ وَقَوْمُكَ أَسْرَى فِي الْأَعْلَالِ؟ سَلَهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ، وَيَهَبَهُمْ. فَدَخَلَ عَلَى التُّعْمَانِ الثَّانِيَةِ، وَقَالَ قَصِيدَةَ أُخْرَى، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا:

إِنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ أَضْحَتْ مِنْ صَنَائِعِكُمْ
 إِنَّ عَدِيًّا إِذَا مَلَكَتْ جَانِبَهَا
 وَعَبْدَ شَمْسٍ أَبَيْتَ اللَّعْنَ فَاصْطَبِعِ
 مَنْ أَمْرٍ غَوِثٍ عَلَى مَرَأَى وَمُسْتَمَعِ
 وَقَالَ أَيضًا:

أَتْبِعْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَمْرَ إِخْوَتِهِمْ
 لَا تَجْعَلْنَا أَبَيْتَ اللَّعْنَ ضَاحِيَةً
 أَهْلِي فِدَاؤُكَ إِنْ ضَرُّوا وَإِنْ نَفَعُوا
 كَمَعَشَرَ صَلِمُوا الْآذَانَ أَوْ جَدِعُوا
 صَارَ الْجَنَاحُ لِفَضْلِ الرَّيْشِ يَتَّبِعُ
 أَوْ كَالْجَنَاحِ إِذَا شُلَّتْ قَوَادِمُهُ

فَأَطْلَقَ لَهُ التُّعْمَانُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَهُمْ بَنُو عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ أَحْزَمَ بْنِ أَبِي أَحْزَمٍ، وَبَقِي قَيْسُ بْنُ جَحْدَرِ بْنِ ثُعَلْبَةَ بْنِ عَبْدِ رَضِيٍّ بْنِ مَالِكِ بْنِ

ذُبْيَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَزْوَلِ الْأَجْيِيِّ، وَأُمَّهُ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ، وَهُوَ جَدُّ الطَّرْمَاحِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ نَفَرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَحْدَرٍ، فَقَالَ لَهُ التُّعْمَانُ: أَبَيْتِي أَحَدٌ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَنْشَدَهُ حَاتِمٌ:

فَكَكَّتْ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا فَأَفْضَلَ وَشَفَعْنِي بِقَيْسِ بْنِ جَحْدَرِ
أَبُوهُ أَبُوْنَا فَارَعٌ وَالْأُمُّ أُمْنَا فَأَنْعَمَ فَذَنْكَ النَّفْسُ نَفْسِي وَمَعَشَرِي

فَقَالَ لَهُ التُّعْمَانُ: هُوَ لَكَ، وَوَهَبَهُ لَهُ مَعَ جَمِيعِ مَنْ أَسَرَ مِنْ قَوْمِهِ. فَقَالَ حَاتِمٌ يَمْدَحُ التُّعْمَانَ بْنَ الْحَارِثِ، وَيَذْكُرُ مَا مَنَّ عَلَيْهِ مِنْ فَكَكَ قَوْمِهِ، وَهَبْتَهُ إِيَّاهُمْ لَهُ:

أَبْلَغِ الْحَارِثِ بَنَ عَمْرٍو بِأَنِّي حَافِظُ الْوُدِّ مُرْصِدٌ لِلثَّوَابِ
وَمُجِيبٌ دُعَاةِ إِنْ دَعَانِي عَجِلاً وَاحِداً وَذَا أَصْحَابِ
إِنَّمَا بَيْنَنَا وَيَيْنَكَ فَاعْلَمْ سَيْرٌ تَسْعُ لِلْعَاجِلِ الْمُنْتَابِ
فَثَلَاثٌ مِنَ الشَّرَاةِ إِلَى الْحَالَةِ لِلْحَيْلِ جَاهِداً وَالرُّكَّابِ
وَتَلَاثٌ يَرْدُنَ تَيْمَاءَ رَهْوَاً وَتَلَاثٌ يُغْرَنُ بِالْإِعْجَابِ
فَإِذَا مَا مَرَرْتَ فِي مُسَبِّطٍ فَأَجْمَحَ الْخَيْلُ مِثْلَ جَمْحِ الْكِعَابِ
يَيْنَمَا ذَاكَ أَصْبَحْتَ وَهِيَ عَضْدِي مِنْ سَبِيٍّ مَجْمُوعَةٍ وَنَهَابِ
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى قُبَّةً ذَاتَ قِلَاعٍ لِلْحَارِثِ الْحَرَّابِ
فِي يَفَاعٍ وَذَاكَ مِنْهَا مَحَلٌّ فَوْقَ مَلِكٍ يُدِينُ بِالْأَحْسَابِ
أَيُّهَا الْمُوعِدِيُّ فَإِنْ لُبُونِي بَيْنَ حَقْلِ وَبَيْنَ هَضْبِ دُبَابِ
حَيْثُ لَا أَرْهَبُ الْعَدُوَّ وَحَوْلِي مِنْ هَضَابِ مَخْضُوفَةٍ بِهَضَابِ^(١)

أَنْشَدَنِي عَمِّي مُضَعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، لِحَاتِمِ الطَّائِي:

أَلَا أَرَقْتُ عَيْنِي فَبِتُ أَدِيرُهَا
إِذَا النُّجْمُ أَمْسَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ مَائِلًا
إِذَا مَا السَّمَاءُ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ جَلْبَةٍ
إِذَا الرِّيحُ جَاءَتْ مِنْ أَمَامِ أَطَانِفِ
فَأَنَا نُهِنُ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ ضِنَّةٍ
إِذَا مَا الْبَخِيلُ الْخَبُّ هَرَّتْ كِلَابُهُ
فَأِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ بَيْتِي مُوْطَأً
وَإِنَّ كِلَابِي قَدْ أَقْرَتْ وَعُودَتْ
وَمَا تَشْتَكِي قَدْرِي إِذَا النَّاسُ أَمَحَلَتْ
وَأُبْرِرُ قَدْرِي بِالْفِنَاءِ قَلِيلَهَا
وَلَيْسَ عَلَيَّ نَارِي حِجَابٌ يَكْفُهَا
فَلَا وَأَبِيكَ مَا يَظَلُّ ابْنُ جَارَتِي
وَإِنِّي رَهْنٌ أَنْ يَكُونَ كَرِيمَهَا
وَمَا تَشْتَكِينِي جَارَتِي غَيْرَ أَنِّي
سَيِّئُهَا خَيْرِي وَيَرْجِعُ بَعْلَهَا
وَخَيْلٌ تُنَادِي لِلطَّعَانِ شَهْدَتَهَا
وَعَرَجَلَةٌ شُعْثُ الرُّءُوسِ كَأَنَّهُمْ
شَهَدَتْ وَدَعَاوَانَا أَمِيمَةَ أَلْنَا
عَلَى مُهْرَةٍ كَبْدَاءَ قَوْدَاءَ ضَامِرِ
وَعَمْرَةَ مَوْتٍ لَيْسَ فِيهَا هَوَادَةٌ

حِذَارَ غَدٍ وَأَحَجُّ أَلَا يَضِيرُهَا
وَلَمْ يَكُ بِالْأَفَاقِ بَرَقَ يُنِيرُهَا
كَجِدَّةِ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ يُنِيرُهَا
وَأَخْلَفَ نَوْءُ الشَّعْرِ بَيْنَ دُبُورِهَا
وَمَا يَشْتَكِينَا فِي السَّنِينَ ضَرِيرُهَا
وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الْعَرِيبِ عَقُورُهَا
أَجُودُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا
قَلِيلٌ عَلَى مَنْ يَعْتَرِينِي هَرِيرُهَا
أَوْثَقُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا أَمِيرُهَا
يُرَى غَيْرَ مَضْنُونٍ بِهِ وَكَثِيرُهَا
لِمُسْتَوْبِصٍ لَيْلًا وَلَكِنْ أَشِيرُهَا
يَطُوفُ حَوَالِي قَدْرَنَا مَا يَطُورُهَا
عَقِيرًا أَمَامَ الْبَيْتِ حِينَ أُثِيرُهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلَهَا لَا أُرُورُهَا
إِلَيْهَا وَلَمْ تُقْصِرْ عَلَيَّ سُورُهَا
وَلَوْ لَمْ أَكُنْ فِيهَا لَسَاءَ عَذِيرُهَا
بَنُو الْجِنِّ لَمْ تُطْبَخْ بِقَدْرِ جَزُورُهَا
بَنُو الْحَرْبِ تَصْلَاهَا إِذَا اشْتَدَّ نُورُهَا
أَمِينٍ شَطَاهَا، مُطْمَئِنِّ سُورُهَا
تَكُونُ صُدُورَ السَّمْهَرِيِّ جُسُورُهَا

بَأْسِيَا فِنَا حَتَّى يَبُوحَ سَعِيرُهَا
عَلَيْهِنَّ إِحْدَاهُنَّ قَدْ حُلَّ كُورُهَا
إِذَا أَعْلَمْتَ بَعْدَ النَّجِيِّ أُمُورُهَا
كَرِيمٍ غِنَاهَا مُسْتَعْفٌ فَقِيرُهَا
وَحَوْلِي عَدِيٌّ كَهْلُهَا وَغَرِيرُهَا

وَأُنْشَدَنِي عَمِّي لِحَاتِمٍ:

إِلَى الصُّبْحِ لَمْ تَرْقُدْ فَيَوْمَكَ سَاهِرُ
طَرُوبٌ وَلَكِنْ غَيْرُ ذَلِكَ ذَاكِرُ
وَسَنَبَسَ هَلْ حَادَرْتُمْ مَا أُحَادِرُ
تُورَتْ شَنْوَاءٌ بَيْنَهُمْ وَتُظَاهِرُ
وَذُو الْحَلِمِ قَدْ يُرْعَى إِلَى مَنْ يُؤَامِرُ
وَكَيفَ تُجِيبُ لِلدُّعَاءِ الْمَقَابِرُ
عَلَى آلَةٍ حَادِبَاءَ مِمَّا يُحَادِرُ
فَحَوْرَانُ أَذْنَى دَارِهِمْ فَأَبَايِرُ
تُدْبِرُ مِنْهَا الصُّهُو بَادٍ وَحَاضِرُ
وَحُلَّتْ جُسَدِيَّاتٌ وَحُلَّتْ مَصَاخِرُ
عَزِيْنٍ وَتَرَعَى بِالرَّدَاةِ الْعَشَائِرُ
رَوَاحِلُهُ وَالْمَوْتُ بِالنَّاسِ حَاضِرُ
وَأَفْلَتَهُمْ يَعْدُو بِهِ ثُمَّ ضَامِرُ
وَلَمْ يُنْجِهِمْ مِنْ آلِ بُوْلَانَ وَاقِرُ

صَبْرَنَا لَهَا فِي نَهْكَهَا وَمُصَابِهَا
وَحُوصِ دَقَاقٍ قَدْ حَدَوْتُ بِفِتْيَةٍ
وَقَدْ عَلِمْتَ غَوْتُ بَالًا خِيَارُهَا
وَأَنْتِي امْرُؤٌ مِنْ غُصْبَةِ ثُعَلِيَّةٍ
وَأَقْسَمْتُ لَا أُعْطِي الْمُلُوكَ ظَلَامَةَ

أَهَاجَكَ نَصَبٌ أَمْ بَعِينِكَ عَائِرُ
وَمَا هَاجَنِي ذِكْرُ النَّسَاءِ وَإِنِّي
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنَّا سَلَامَانَ مَالِكَا
أَحَادِرُ يَوْمًا أَنْ تَسِيرَ قَبَائِلُ
وَأَبْلَغُ أَبَا النُّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةَ
فَلَيْتَ أَبَا النُّعْمَانَ بُيِّنَ قَبْرُهُ
فَلَوْ كَانَ حَيًّا قَدْ أَبَاتَ عَدُوَّهُمْ
بِأَنْ بَنِيهِ قَدْ تَنَاءَوْا بِدَارِهِمْ
أَلَا هَلْ أَتَى قَوْمِي بِأَنْ مُحَارِبَا
وَحُلَّتْ بِبَلَا جَارٍ مَبَاءَةَ نَبْتَلِ
وَأَرْسَلْتَ الْأَشْوَاكُ جَنْبِي بِوَاعَةٍ
وَهُمْ سَلَبُوا زَيْدًا غَدَاةَ قُرَاقِرِ
فَلَمْ يُغْنِ زَيْدًا يَوْمَ ذَلِكَ نَفْرُهُ
بِزَحَّةٍ مِنْ جَرْمٍ يُمْنُونُ جِيْفَةَ

فَأَيْنَ بَنُو الْعِلَاتِ إِنِّي عَهْدْتُهُمْ
وَأَيْنَ بَنُو هِنْدٍ أَلَا حَيٍّ مِنْهُمْ
وَأَلْهَى بَنِي الْعِلَاتِ عَنَا وَحَارِثًا
وَحَنُوتًا إِلَى فَتٍّ بِجَنْبِي بَسِيطَةً
أَبْعَدَ بَنِي رُومَانَ شَدُّوا حِبَالَهُمْ
يَقُولُ لَهُمْ أَوْسٌ تَعَالَوْا جُنَيْبَةً
أَفْعَلْهَا فِي النَّاسِ قَوْمٌ عَمَارَةٌ
تَبَيَّنَ فَإِنَّ الْحُكْمَ يَهْدِي مِنَ الْعَمَى
فَإِنَّ لَا تُجِيبُونَا تَصِرُ خِيَامُنَا
وَيَنَائِي حَبِيبٌ عَنْ مَزَارِ حَبِيبِهِ
وَيَنَائِي قَبِيلٌ لَا قَرَابَةَ بَيْنَهُمْ
وَإِنْ تَذْهَبُوا إِلَى دِيَافٍ وَأَرْضِهَا
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي جَدِيلَةَ مَالِكََا
فَتَاللَّهِ هَلْ كُنَّا احْتَلَفْنَا وَأَنْتُمْ
وَهَلْ تَعْلَمُونَ إِذْ نَزَلْنَا وَأَنْتُمْ
عَطَاؤُكُمْ زَوْلٌ وَيُرْزَأُ مَالُكُمْ
فَلَمَّا أَحَدْتُمْ مَا أَرَدْتُمْ لِقَوْمِكُمْ
قَلْبْتُمْ لَنَا ظَهَرَ الْمَجَنُّ عَدَاوَةٌ
وَأُنشِدُنِي عَمِّي أَيْضًا لَهُ:

وَكُنْتُ أَرَاهُ عَنْهُمَا غَيْرَ صَابِرٍ
صَحَا الْقَلْبُ عَنْ هِنْدٍ وَعَنْ أُمَّ عَامِرٍ

وَدَبَّتْ وَشَاةٌ بَيْنَنَا وَتَقَادَفَتْ
 وَفَثِيَانِ صِدْقٍ ضَمَّهُمْ دَلَجُ السَّرَى
 فَلَمَّا أَتُونِي قُلْتُ: خَيْرُ مَعْرَسٍ
 وَقُمْتُ لِمَوْشِي الْمُتُونِ كَأَنَّهُ
 فَيْشَقِي بِهِ عُرْقُوبُ كَوْمَاءِ جَبَلَةٍ
 فَظَلُّ عَفَاتِي مُكْرَمِينَ وَطَابِخِي
 شَامِيَّةٌ لَمْ تُتَّخَذْ لِدَحَامِسٍ
 يُقَمِّصُ دَهْدَاقَ الْبَضِيعِ كَأَنَّهُ
 كَانَ هَبِيرَ اللَّحْمِ فِي فُورَاتِهَا
 كَانَ أَنْيَضَ اللَّحْمِ حِينَ تَغَطَّمَتْ
 إِذَا أُنْزِلَتْ كَانَتْ هَدَايَا وَطُعْمَةً
 أَلَا لَيْتَ أَنَّ الْمَوْتَ كَانَ حِمَامُهُ
 لِيَالِي يَدْعُونِي الصَّبَا فَأَجِيبُهُ
 وَدَوِيَّةٍ قَفَرٍ تَعَاوَى سِبَاعَهَا
 قَطَعْتُ بِمِرْدَاةٍ كَأَنَّ نُسُوعَهَا

وَأَنْشَدَنِي عَمِّي لِحَاتِمِ يَزْثِي مِلْحَانَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَشْرَجٍ:

لَيْبِكَ عَلَى مِلْحَانَ صَيْفٍ مُدْفَعٍ
 إِذَا ارْتَحَلَا لَمْ يَجِدَا بَيْتَ لَيْلَةٍ
 وَأَوْصَيْتَنِي أَنْ أَرْفَعَ الظَّنَّ صَاعِدًا
 فَلَا انْفِكَ رِمْسٍ بَيْنَ أَضْرَعٍ فَالْلَوَى
 وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ أَرْمَلًا
 وَلَمْ يَلْبَسَا إِلَّا بِجَادًا وَخَيْعَلًا
 وَصَاتِكَ وَأَسْتُوْدِعْتُ ثَرْبًا وَجَنْدَلًا
 يَصَبُّ عَلَيْهِ اللَّهُ وَذُقَّا مُجَلَّلًا

غَزَا حَاتِمٌ، فَأَصَابَ رَاحِلَةً لِبَعْضِ الْمُلُوكِ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: الْمِرْزَاجُ، فَقَالَ:
 فَلَوْ شَهِدْتُنَا بِالْمِرْزَاجِ لِأَيَقِنْتَ عَلَى ضُرِّنَا أَمَا كِرَامَ الضَّرَائِبِ
 عَشِيَّةَ قَالَ ابْنُ الدَّمِيمَةِ عَارِضٌ إِحْسَالُ رَيْسِ الْقَوْمِ لَيْسَ بِأَيِبِ
 وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا لِأَشْرَعَهَا فِي الْحَوْضِ قَبْلَ الرِّكَابِ
 وَمَا أَنَا بِالطَّائِرِ حَقِيبَةَ رَحْلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفَا وَأَتْرِكَ صَاحِبِي
 إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدْعُ رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبِ
 أَنْحَهَا فَأَرْدِفُهُ فَإِنْ حَمَلْتِكُمَا فَدَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبِ
 وَمَرْقَبَةٌ دُونَ السَّمَاءِ عَلَوْتُهَا أَقْلَبُ طَرْفِي فِي فِضَاءِ سَبَاسِبِ
 وَمَا أَنَا بِالْمَاشِي إِلَى بَيْتِ جَارَتِي طَرُوقًا أَحْيِيهَا كَأَخْرَجَانِبِ
 وَلَسْتُ إِذَا مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ نَكْبَةً بِأَخْضَعَ وَلا جَ بِيُوتِ الْأَقَارِبِ
 إِذَا أَوْطَنَ الْقَوْمُ الْبُيُوتَ وَجَدْتَهُمْ عَمَاءَ عَنِ الْأَحْبَارِ حُرُقَ الْمَكَاسِبِ
 أَنُشِدْنِي عَمِّي لَهُ:

وَأَشْعَثَ مِعْزَالٍ يُسَوِّقُ هَجْمَةً بِوَادٍ تَعَشْتُهُ السَّحَابَةَ مِنْ عَسَلِ
 أُتِيحَ لَهُ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ حَمَامٌ وَمَا يَأْمُرُ بِهِ اللَّهُ يَفْعَلِ
 وَكَانَ يَخَالُ الْأَرْضَ قَفْرًا بَرِيَّةً وَمَنْ لَا يَخْفُ زَوْ الْمَنِيَّةِ يَجْهَلِ
 فَمَا رَاعَهُ إِلَّا غُلُوًّا جَبِينِهِ بَعْضُ جَلَّتْ عَنْهُ مَدَاوِسُ صَيْقَلِ
 فَحَرًّا وَأَلْقَى ثُوبَهُ وَتَرَكْنُهُ لَدَى شَجَرَاتٍ كَالْعَكِيِّ الْمَجْدَلِ
 أَنُشِدْنِي عَمِّي لَهُ:

إِذَا مَا بَتُّ أَحْتَلُّ عِرْسَ جَارِي لِيُخْفِنِي الظُّلَامُ فَلَا خَفِيْتُ
 أَفْضَحُ جَارَتِي وَأَخُونُ جَارِي فَلَا وَأَبِيكَ أَفْعَلُ مَا حَيْتُ

وَأَنْشَدَنِي عَمِّي لَهُ:

وَخِرْقٍ كَنْصَلِ السَّيْفِ قَدْ رَامَ مَصْدَفِي
فَخَرَّ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ بِضَرْبَةٍ
فَمَا رُمْتُهُ حَتَّى تَرَكْتُ عَوِيصَهُ
وَحَتَّى تَرَكْتُ الْعَائِدَاتِ يَعْدَتَهُ
فَطَافُوا بِهِ طَوْفَيْنِ ثُمَّ نَمَوْا بِهِ
وَمَرْقَبَةٍ دُونَ السَّمَاءِ طَمْرَةٍ
وِسَادِي بِهَا جَفَنُ السَّلَاحِ وَتَارَةٌ
عَلَى عُدْوَاءِ الْجَنْبِ غَيْرُ مُوسِدِ

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضَعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا وَقَعَ حَزْبُ الْفَسَادِ، خَرَجَ حَاتِمٌ حَتَّى نَزَلَ فِي بَنِي بَدْرِ بْنِ عَمْرٍو زَمَنَ احْتَرَبَتْ جَدِيلُهُ وَتُعَلُّ، وَكَانَ ذَلِكَ زَمَنَ الْفَسَادِ، وَكَانَ نَزُولُ حَاتِمٍ فِي بَنِي بَدْرِ بْنِ عَمْرٍو عَلَى عَيْنِنَةَ بْنِ حَضَنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ، فَأَحْسَنُوا جَوَارَ حَاتِمٍ، وَأَكْرَمُوهُ، فَقَالَ حَاتِمٌ فِي ذَلِكَ:

إِنْ كُنْتُ كَارِهَةً لِعَيْشَتِنَا
جَاوَزْتُهُمْ زَمَنَ الْفَسَادِ فَنِعْمَ
هَاتِي فَحُلِّي فِي بَنِي بَدْرِ
سَمَ الْحَيِّ فِي الْعَوْصَاءِ وَالْيَسْرِ
أَثْرُكَ أَوَاطِسَ حَمَاءِ الْجَفْرِ
يُنْظَرُ إِلَيَّ بِأَعْيُنِ حُزْرِ
وَالطَّاعِنُونَ وَخَيْلُهُمْ تَجْرِي
وَالْحَالِطُونَ نَحِيَّتَهُمْ بِنُضَارِهِمْ

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ الدَّرَاوَرْدِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا بَعْضُ نِسَائِهِ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَنَا لِكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا حَدِيثُ أَبِي

زَرَعٍ وَأُمِّ زَرَعٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ قَرِيْبَةً مِنْ قُرَى الْيَمَنِ كَانَ بِهَا بَطْنٌ مِنْ بَطُونِ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَكَانَ مِنْهُمْ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَإِنَّهُنَّ خَرَجْنَ إِلَى مَجْلِسٍ لِهِنَّ، فَقَالَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ: تَعَالَيْنَ فَلْنَذْكُرْ بُعُولَتَنَا بِمَا فِيهِنَّ، وَلَا نَكْذِبْ، فَتَبَايَعْنَ عَلَى ذَلِكَ، فَقِيلَ لِلأُولَى: تَكَلِّمِي بَنَعْتَ زَوْجِكَ. فَقَالَتْ: اللَّيْلُ لَيْلٌ تِهَامَةٌ، وَالْعَيْثُ عَيْثُ عَمَامَةٍ، لَا حَرٌّ وَلَا وَخَامَةٌ. وَقِيلَ لِلثَّانِيَةِ: تَكَلِّمِي، وَهِيَ عَمْرَةُ ابْنَةُ عَمْرٍو، فَقَالَتْ: الْمَسُّ مَسُّ أَرْزَبٍ، وَالرَّيْحُ رِيْحُ زَرْزَبٍ، أَغْلِبُهُ وَالنَّاسُ يَغْلِبُ، وَقِيلَ لِلثَّلَاثَةِ: تَكَلِّمِي، وَهِيَ حُبَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، فَقَالَتْ: مَا لَكَ وَمَا مَالُكَ، ذُو إِبِلٍ كَثِيرَاتٍ الْمُبَارِكِ، قَرِيْبَاتٍ الْمَسَارِحِ، إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمَرْهَرِ، أَيْقَنَنَّ أَنَّهُنَّ هُوَالِكُ، وَقِيلَ لِلرَّابِعَةِ: تَكَلِّمِي: وَهِيَ مَهْرَدُ ابْنَةُ أَبِي هَزُومَةَ، فَقَالَتْ: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ عَيْثٌ، عَلَى جَبَلٍ وَعَرٍ، لَا سَهْلٌ فَيُزْتَقَى، وَلَا سَمِيْنٌ فَيُنْتَقَى، وَقِيلَ لِلخَامِسَةِ: تَكَلِّمِي، وَهِيَ كَبْشَةُ، قَالَتْ: زَوْجِي رَفِيْعُ الْعِمَادِ، عَظِيْمُ الرَّمَادِ، قَرِيْبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِي، وَقِيلَ لِلسَّادِسَةِ: تَكَلِّمِي، وَهِيَ هِنْدٌ، فَقَالَتْ: زَوْجِي كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَوَاءٌ، إِنْ حَدَّثْتُهُ مَسَكَ، وَإِنْ مَا رَحْتُهُ فَلَكَ، وَالْأَجْمَعُ كُلُّا لِكَ، وَقِيلَ لِلسَّابِعَةِ: تَكَلِّمِي، وَهِيَ بِنْتُ أَوْسِ بْنِ عَنَدٍ، فَقَالَتْ: زَوْجِي إِذَا أَكَلَ لَفٌّ، وَإِذَا شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِذَا رَفَدَ التَّفَّ، وَلَا يَدْخُلُ الْكَفَّ فَيَعْرِفُ الْبَثَّ، وَقِيلَ لِلثَّمَانِيَةِ: تَكَلِّمِي، وَهِيَ حُبَيْبَةُ بِنْتُ عَلَقَمَةَ، فَقَالَتْ: زَوْجِي إِذَا خَرَجَ أَسَدٌ وَإِذَا دَخَلَ فَهَدَى، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدَ، وَلَا يَزْفَعُ الْيَوْمَ لِعَدِ. وَقِيلَ لِلتَّاسِعَةِ: تَكَلِّمِي، فَقَالَتْ: زَوْجِي لَا أَذْكُرُهُ، وَلَا أَبْتُ خَبْرَهُ، أَحَافُ أَنْ لَا أَذْرَهُ. إِنْ أَذْكُرُهُ أَذْكُرُ عَجْرَهُ، وَبُجْرَهُ. وَقِيلَ لِلْعَاشِرَةِ: تَكَلِّمِي، وَهِيَ كَبْشَةُ ابْنَةُ الْأَرْقَمِ، فَقَالَتْ: نَكَحْتُ الْعَشْتَقَ، إِنْ سَكَتُ عَلَّقَ، وَإِنْ تَكَلَّمْتُ طَلَّقَ. قِيلَ لِأُمِّ زَرَعٍ وَهِيَ أُمُّ زَرَعٍ بِنْتُ أُكَيْمِلِ بْنِ سَاعِدِ: تَكَلِّمِي، فَقَالَتْ: أَبُو زَرَعٍ وَمَا أَبُو زَرَعٍ، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غَنِيْمَةَ بِشَقِّ فَتَقَلَّبَنِي إِلَى أَهْلِ صَهِيْلٍ وَأَطِيْطٍ وَدَائِسٍ وَمُنْتَقٍ، مَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضْدِيهِ، وَأَنَاسَ مِنْ حُلِيِّ أَدْنِيهِ، وَبَجَحَ نَفْسِي فَتَبَجَّحْتُ إِلَيْهِ، وَأَنَا أَنَامُ وَأَنْصَبِحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَمَّمُحُ، وَأَقُولُ وَلَا أَقْبَحُ، بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ، وَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ، مِلْءُ إِزَارِهَا، وَصُفْرُ رِدَائِهَا، وَزَيْنُ أُمَّهَاتِهَا وَنِسَائِهَا، خَرَجَ مِنْ عِنْدِي أَبُو زَرَعٍ، وَالْأَوْطَابُ تُمَخَضُّ، فَإِذَا هُوَ بِأَمِّ غَلَامِيْنَ كَالْفَهْدِيْنَ، تَرْمِي مِنْ تَحْتِ خَضْرَاهَا بِالرَّمَاتِيْنِ، فَتَزَوِّجُهَا وَطَلَّقَنِي، فَاسْتَبَدَلْتُ بَعْدَهُ، وَكُلُّ بَدَلٍ أَعَوْرُ، فَتَزَوَّجْتُ شَابًا سَرِيًّا، رَكِبَ أَعْوَجِيًّا، وَأَخَذَ خَطِيًّا، وَأَرَاخَ نِعْمًا ثَرِيًّا. وَقَالَ: كُلِّي أُمَّ زَرَعٍ وَمِيرِي أَهْلَكَ،

فَجَمَعْتُ أَوْعِيَتَهُ، فَمَا تَعْدِلُ وَعَاءً وَاحِدًا مِنْ أَوْعِيَةِ أَبِي زُرْعٍ^(١).

لَمَّا قَدِمَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْكُوفَةَ، دَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبُ: أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ؟ قَالَ: فَوَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ:

إِلَى رَجَبٍ أَوْ غُرَّةِ الشَّهْرِ بَعْدَهُ ثَوَافِيكُمْ بِيضُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا
ثَمَائُونَ أَلْفَا دِينَ عُثْمَانَ دِينُهَا مُسُومَةٌ جَبْرِيلُ فِيهَا يَقُودُهَا
قَالَ: قَدْ كَانَ ذَاكَ. قَالَ: فَإِنَّا قَدْ عَفَرْنَا لَكَ ذَنْبَكَ، وَأَمَرْنَا لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.
قَالَ: فَخَرَجَ، وَهُوَ يَقُولُ:

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مُصْعَبًا إِنَّ خَيْرَهُ يُنَالُ بِهِ الْجَانِي وَمَنْ لَيْسَ جَانِيَا
وَيَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي يَعْلَمُونَهُ وَيُعْطِي مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا لَيْسَ فَانِيَا
قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، اجْتَارَ بَابِنِ ظَبْيَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَقَدْ عَمِيَ، فَقَالَ لِقَائِهِ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ ظَبْيَانَ، قَالَ: بَلِّغْنِيهِ. فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِ، قَالَ:

أَبَا مَطَرٍ شَلَّتْ يَمِينٌ تَقَرَّعَتْ بِسَيْفِكَ رَأْسَ ابْنِ الْحَوَارِيِّ مُصْعَبِ
وَلَا ظَفِرَتْ كَفَّاكَ بِالْخَيْرِ بَعْدَهُ وَلَا زِلْتَ تَسْعَى فِي تَبَابٍ مُتَبَّبِ
قَتَلْتَ امْرَأً كَأَنْتَ نَوَافِلُ فَضْلِهِ تَجُودُ عَلَى مَنْ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
أَغْرُكَ أَنَّ الْبَدْرَ سُنَّةٌ وَجِهَهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي الْجَحْفَلِ الْمُتَكْتَبِ

قَالَ: قَدْ كَانَ ذَاكَ فَمَا أَفْلَحْنَا، وَلَا أَنْجَحْنَا، فَهَلْ مِنْ مَخْرَجٍ؟ قَالَ:

سَبَقَ السَّيْفُ الْعُدْلَ^(٢).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الأسماء المبهمة والأبناء المحكمة حديث رقم: ٦٢٨، وفي الفصل للوصل المدرج في النقل حديث رقم: ١٦٣، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين حديث رقم:

حَدَّثَنِي الْعُثْبِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: وَقَعَ مِيرَاثٌ بَيْنَ نَاسٍ مِنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ وَبَيْنِي مَرْوَانَ، فَتَشَاخَوْا فِيهِ، وَتَضَايَقُوا فَلَمَّا قَامُوا، أَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ عُثْبَةَ عَلَى وَلَدِهِ، فَقَالَ: إِنَّ لِقُرَيْشٍ دَرَجًا تَزُلُّ عَنْهَا أَقْدَامُ الرِّجَالِ، وَأَفْعَالًا تَحْشَعُ لَهَا رِقَابُ الْأَمْوَالِ، وَالنَّسْنَا تَكُلُّ مَعَهَا الشِّفَارُ الْمَشْحُودَةَ، وَغَايَاتٍ تَقْضِرُ عَنْهَا الْحَيَاةُ الْمُنْسُوبَةَ، فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُمْ، لَصَاقَتْ عَنْ سَعَةِ أَخْلَاقِهِمْ، وَلَوْ اخْتَلَّتِ الدُّنْيَا مَا تَزَيَّنَتْ إِلَّا بِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ أَنَا سَا مِنْهُمْ تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الْعَوَامِ، فَصَارَ لَهُمْ رَفَقٌ بِاللُّؤْمِ، وَخُرْقٌ بِالْحِرْصِ، فَلَوْ أَمَكْنَهُمْ فَاسْمُوا الطَّيْرَ أَرْزَاقَهَا، إِنْ خَافُوا مَكْرُوهًا تَعَجَّلُوا لَهُ الْعَمَّ، وَإِنْ عَجِلَتْ لَهُمْ نِعْمَةٌ أَخْرَوْا عَلَيْهَا الشُّكْرَ، أَنْضَاءُ ذِكْرِ الْعَجْزِ، وَعَجْزَةٌ حَمَلَةُ الشُّكْرِ.

وحدثني أبو عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قَطَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ أَشْيَاءَ كَانَ يُجْرِيهَا عَلَيْهِمْ، لِتَبَاعُدِ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُثْبَةَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْنَى حَقِّكَ مُثَعَبٌ، وَتَقْصِيهِ فَادِحٌ، وَلَنَا مَعَ حَقِّكَ عَلَيْنَا حَقٌّ عَلَيْكَ، لِقَرَابَتِنَا مِنْكَ، وَإِكْرَامِ سَلْفِنَا لَكَ، فَانظُرْ إِلَيْنَا بِالْعَيْنِ الَّتِي نَظَرُوا بِهَا إِلَيْكَ، وَضَعْنَا بِحَيْثُ وَضَعْتَنَا الرَّحِمَ مِنْكَ، وَزِدْنَا بِقَدْرِ مَا زَادَكَ اللَّهُ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَفْعَلُ، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ عَطِيَّتِي مَنْ اسْتَعْطَاهَا، فَأَمَّا مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَسْتَعْنِي بِنَفْسِهِ فَسَنَكِلُهُ إِلَى ذَلِكَ. يُعَرِّضُ بِخَالِدِ، ثُمَّ أَقْطَعَ عَمْرًا هِرَارِدَرًا. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، فَقَالَ: أَبَا الْجَزْمَانِ يَهْدِي؟ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ يَدِهِ مَانِعَةٌ، وَعَطَاؤُهُ دُونُهُ مَبْدُولٌ، فَأَمَّا عَمْرُو فَقَدْ أَعْطَى مِنْ نَفْسِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ. كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ مِنَ الْحَبِيسِ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، صَاحِبِ الدَّوْلَةِ: مِنَ الْأَسِيرِ فِي يَدَيْهِ بِلَا ذَنْبٍ إِلَيْهِ، وَلَا خِلَافٍ عَلَيْهِ، أَمَا بَعْدُ، فَاتَاكَ اللَّهُ حِفْظَ الْوَصِيَّةِ، وَمَمَحَكَ نَصِيحَةَ الرَّعِيَّةِ، وَأَلْهَمَكَ عَدْلَ الْقَضِيَّةِ، فَإِنَّكَ مُسْتَوْدِعٌ وَدَائِعَ، وَمَوْلَى صَنَائِعَ، فَاحْفَظْ وَدَائِعَكَ، وَأَصْلِحْ صَنَائِعَكَ، فَإِنَّ الْوَدَائِعَ عَارِيَّةٌ، وَالصَّنَائِعَ رَعِيَّةٌ، فَلَا النِّعَمَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ بِمَنْذُورٍ نَدَاهَا، وَلَا مَبْلُوغٍ مَدَاهَا، فَبِتَّةٍ لِلتَّفَكُّرِ قَلْبِكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ، وَأَعْطِ مِنْ نَفْسِكَ مَنْ هُوَ تَحْتَكَ مِنَ الْعَفْوِ مَا تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ مِنَ الْعَدْلِ وَالرُّأْفَةِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْمَخَافَةِ، فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِأَنْ فَوَّضَ أُمُورَنَا إِلَيْكَ، فَاعْرِفْ لَنَا حَقَّنَا، فَإِنَّ عَلَيْنَا مِنْ نَقْلِ الْحَدِيدِ وَثِقَلِهِ أَدَى شَدِيدًا، مَعَ مُعَالَجَةِ الْأَغْلَالِ، وَقِلَّةِ رَحْمَةِ الْعُمَّالِ، الَّذِينَ تَسْهِيْلُهُمُ الْغِلْظَةُ، وَتَيْسِيْرُهُمُ الْفِظَاظَةُ، وَإِيْرَادُهُمْ عَلَيْنَا الْعُمُومُ،

وَتَوَجَّيْهِهِمْ إِلَيْنَا الْهُمُومُ، وَزِيَادَتُهُمْ الْحِرَاسَةُ، وَبِشَارَتُهُمُ الْإِيَّاسَةُ، فَإِلَيْكَ نُزْفَعُ كُرْبَةَ الشُّكُوى، وَنَشْكُو شِدَّةَ الْبُلُوى، وَمَتَى تَمَلْ إِلَيْنَا طَرْفًا، وَتَرِدْنَا مِنْكَ عَطْفًا، تَجِدْ عِنْدَنَا نُضْحًا، وَوُدًّا صَرِيحًا، لَا يَنْصَبُ مِثْلَكَ مِثْلَهُ، وَلَا يَنْفِي مِثْلَكَ أَهْلَهُ، فَارْعَ حُرْمَةَ مَنْ بِحُرْمَتِهِ أَذْرَكَتْ، وَاعْرِفْ حُجَّةَ مَنْ بِحُجَّتِهِ فَلَجَتْ، فَإِنَّ النَّاسَ مِنْ حَوْضِكَ رِوَاءً، وَنَحْنُ مِنْهُ ظَمَاءٌ، يَمْشُونَ فِي الْأَبْرَادِ وَنَحْجُلُ فِي الْأَقْيَادِ، بَعْدَ الْخَيْرِ وَالسَّعَةِ وَالْحَفْضِ وَالِدَّعَةِ، وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ، صَرِيخُ الْأَخْيَارِ، وَمُنْجِي الْأَبْرَارِ، النَّاسُ فِي دَوْلَتِنَا فِي رَحَاءٍ، وَنَحْنُ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ، حَيْثُ أَمِنَ الْخَائِفُونَ، وَرَجَعَ الْهَارِبُونَ، رَزَقَنَا اللَّهُ مِنْكَ التَّحْنُنَ، وَظَاهَرَ عَلَيْنَا مِنْكَ التَّمَنُّنَ، فَإِنَّكَ أَمِينٌ مُسْتَوْدَعٌ، وَرَائِدٌ مُضْطَنَعٌ. فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ خَافَهُ فَقَتَلَهُ.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْةِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي، مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْةِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا ظَهَرَتْ الْمَسْوَدَةُ، فَقَالَ لِي: يَا عَمْرُو أَقْتَلِ مَرْوَانَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: يَا عَمْرُو إِنَّكَ خَلْفٌ فَلَا تَخْلِفْ، إِنَّهُ قَدْ آتَانِي مَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أُخِرْتُ عَنْهُ، وَأُخِرْتُ أَنْتَ لَمَّا أَرَاكَ سَتَمْتَنِي الْمَوْتَ مَعَهُ، وَتَخَافُ الْهَلَكَ مِنْهُ، وَقَدْ وَقَعْتَ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ، شَدِيدِ الْوُضُولِ إِلَى السَّاحِلِ، وَالسَّاحِلُ وَعَرٌّ مَهُولٌ، وَمَنْ وَقَعَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالْوَعْرِ كَانَتْ رَاحَتُهُ أَنْ مَوْتَ، وَهَذِهِ أَيَّامُ حَاجَتِكَ إِلَى نَفْسِكَ، وَحَاجَةُ حُرْمِكَ إِلَيْكَ، فَافِدِ حُرْمَكَ بِنَفْسِكَ، وَافِدِ نَفْسَكَ بِمَالِكَ، وَعَشْ حُرًّا عَنْ مَلِكِ الطَّمْعِ، وَإِنْ رَدَدْتَ الْجُوعَ بِالْمَاءِ. قَالَ عَمْرُو: فَلَمَّا هَلَكَ أَبِي، وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ مُنْتَشِرُ الضِّيَاعِ، فَكُنْتُ لَا أَنْزِلُ فِي قَبِيلَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ إِلَّا شَهْرٌ أَمْرِي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ عَزَمْتُ عَلَى لِقَاءِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ طَارِقُ مَوْلَى عَمْرٍو بْنِ مُعَاوِيَةَ: فَوَافَيْتُ عَمْرًا عَلَى بَابِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، وَهُوَ يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ سَرَاوِيلُ يُمْنَةٍ، وَطِيلَسَانُ أبيض، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ مُتَكْرِّرًا، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ، قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ مَا تَصْنَعُ الْحَدَاثَةَ بِصَاحِبِهَا! أَهَذِهِ الشِّيَابُ مِنْ لِبَاسِ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا طَارِقُ مَا تَرَكْتُ فِي مَنْزِلِي شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ أَشْهَرُ مِمَّا تَرَى. قَالَ طَارِقُ: فَأَخَذْتُ طِيلَسَانَهُ وَأَعْطَيْتُهُ طِيلَسَانِي وَسَمَّرْتُ سَرَاوِيلَهُ حَتَّى بَلَغَتْ بِهِ كَعْبَهُ، ثُمَّ دَخَلُ وَجَلَسْتُ أَنْظِرُهُ، فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لَهُ: أَخْبَرَنِي بِمَا جَرَى بَيْنَكُمَا. قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُنِي وَلَا أَعْرِفُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْبَلَاءَ لَفَظَنِي إِلَيْكَ وَفَضَّلَكَ ذَلَنِي عَلَيْكَ، وَأَقَامَنِي رَجَاؤُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنَّمَا أَنْ قَبِلْتَنِي غَانِمًا، وَإِنَّمَا رَدَدْتَنِي سَالِمًا. قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا عَمْرُو بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. قَالَ: اجْلِسْ، فَتَكَلَّمْ أَمِنًا غَانِمًا، مَرْحَبًا بِكَ، فَمَا حَاجَتُكَ؟ قُلْتُ: إِنَّ الْحُرَمَ اللَّاتِي أَنْتَ أَحَقُّ بِهِنَّ مِنَّا، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِنَّ، بَعَدْنَا قَدْ خِفْنَا لِحَوْفِنَا، وَمَنْ خَافَ خِيفَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَوَضَعَ وَسَادَتَهُ، وَمَا أَجَابَنِي إِلَّا بِدُمُوعِهِ عَلَى خَدَّيْهِ. ثُمَّ قَالَ: تُصَانُ وَاللَّهِ حُرْمُكَ، وَيُحَقَّقُ ذَمُّكَ، فَكُنْ أَمِنًا كَمَا سَتُخَفُ، وَمُسْتَحْفِيًا كَأَمِنٍ، فَلَوْ أَمَكَّنْتَنِي ذَلِكَ فِي سَائِرِ قَوْمِكَ فَعَلْتُ. قَالَ طَارِقٌ: فَذَهَبْتُ لِأَلْتَمِي عَلَيْهِ طِيلَسَانَهُ، وَأَخَذْتُ طِيلَسَانِي، فَقَالَ: مَهْ، إِنَّ ثِيَابَنَا إِذَا زَايَلْتَنَا لَمْ تَعُدْ إِلَيْنَا. ثُمَّ كَتَبَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ قَدْ وَفَدَ إِلَيَّ وَافِدٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَإِنَّمَا قَاتَلْنَاهُمْ عَلَى عُقُوبِهِمْ لَا عَلَى أَرْحَامِهِمْ، ثُمَّ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ عَبْدٌ مَنَافٍ، فَحَقُّ الرَّحِمِ أَنْ تُبَلَّ وَلَا تُؤَسَّسَ، وَتُوصَلَ وَلَا تُقَطَّعَ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَهَبَهُمْ لِي مُمْتَنًا، وَيَجْعَلَ ذَلِكَ كِتَابًا عَامًّا فِي بُلْدَانِ خِلَافَتِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ، عِنْدَنَا فَعَلْ. قَالَ: فَأَجَابَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى مَا سَأَلَ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ أَمَانِ بَنِي أُمَيَّةَ^(١).

لَمَّا نَزَلَ بِهِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَوْتُ نَظَرَ إِلَى وَلَدِهِ يَتَكُونُ حَوْلَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالْدُنْيَا، وَجَدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ، وَتَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ، وَتَرَكَتُمْ عَلَيْهِ مَا اكْتَسَبَ، مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ.

وَقَفَّتْ عَائِشَةُ عَلَى قَبْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَتَمَثَّلَتْ:

وَكُنَّا كِنْدَمَائِي جَدِيمَةَ حِقْبَةَ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكََا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا^(٢)

وَمَرَّ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِقَبْرِ طَلْحَةَ، فَتَمَثَّلَ:

وَمَا تَدْرِي وَإِنْ أَرَمَعْتَ أَمْرًا بِأَيِّ الْأَرْضِ يُدْرِكُكَ الْمَقِيلُ

(١) انظر: البيان والتبيين (٢/٣٤٢).

(٢) انظر: الكامل (١١٩٨).

وَتَمَثَّلَ:

فَتَّى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَعْنَى وَبِئِدُهُ الْفَقْرُ
 وَقَفَتْ امْرَأَةُ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ أُمُّ كَثِيرِ الْحَارِثِيَّةُ، فَقَالَتْ:
 الْجَلُّ يَحْمِلُهُ الثَّفَرُ قَرْمٌ كَرِيمٌ الْمُعْتَصِرُ
 أَبْكَي وَأَلْدُبُ صَاحِبًا لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أَنْثَرُ
 قَدْ خَفْتُ بَعْدَكَ أَنْ أَضَامَ وَأَنْ أَسَاءَ وَلَا أَسْرُ
 أَوْ أَنْ أَسَامَ بِخَطْبِي ضَئِيمًا فَأُخْذُ أَوْ أَدْرُ
 لِلَّهِ دُرُكٌ قَدْ غَنَيْتَ وَأَنْتَ بَاقِعَةُ الْبَشْرِ

وَوَقَفَ عَلَيْهِ مَضَقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي، فَقَالَ: إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْمًا وَعَزْمًا
 وَحَصِيمًا أَلَدًا مِغْلَاقِ حَيَّةٍ فِي الْوَجَارِ أَرْيَدُ لَا يَنْفَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْتُ الرَّاقِي ثُمَّ قَالَ: أَمَا
 وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِمَنْ عَادَيْتَ، كَرِيمَ الْأُخُوَّةِ لِمَنْ آخَيْتَ^(١).

وَوَقَفَ الْحَجَّاجُ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ أَبَانَ فْتَمَثَّلَ قَوْلَ زِيَادِ الْأَعْجَمِ:

الآنَ لَمَّا كُنْتُ أَكْمَلُ مَنْ مَشَى وَأَفْتَرُّ نَابِكَ عَنِ شَبَابَةِ الْقَارِحِ
 وَتَكَامَلْتُ فِيكَ الْمُرُوءَةَ كُلَّهَا وَأَعْنَتْ ذَلِكَ بِالْفِعَالِ الصَّالِحِ^(٢)

وَوَقَفَتْ جَارِيَةٌ لِلْحَجَّاجِ عَلَى قَبْرِهِ، فَقَالَتْ: الْيَوْمَ يَزْحَمُنَا مَنْ كَانَ يَغْبِطُنَا وَالْيَوْمَ
 نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ: ثَلَاثَةٌ لَوْ أَدْرَكْتُهُمْ
 لَقَتَلْتُهُمْ: مُقَاتِلُ بْنُ مَسْمَعٍ، فَإِنَّهُ أُعْطِيَ مَا لَا كَثِيرًا بِفَارِسَ، فَأَجْفَلَ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَقَالَ:
 ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١]. تَأَوَّلَ الْفَاسِقُ كِتَابَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ،
 وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ الشَّيْمِيُّ، فَإِنَّهُ صَعِدَ الْمُنْبَرِ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ أَعْجَبَ قَوْمَهُ، فَقَالُوا:

(١) انظر: الأغاني (١٤٤/١٤).

(٢) انظر: العقد الفريد (٣/٢).

أَكْثَرَ اللَّهِ فِينَا مِثْلَكَ. قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتُمْ رَبُّكُمْ شَطَطًا. وَأَبُو سَمَالِ الْأَسَدِيِّ، فَإِنَّ نَاقَتَهُ شَرَدَتْ، فَقَالَ: لَيْنٌ لَمْ يَزُدْهَا رَبُّكُمْ لَا أَصْلِي صَلَاةً، فَتَعَلَّقَ خِطَامُهَا بِعَرْفَجَةٍ، فَجَاءَ حَتَّى أَخَذَهَا، فَقَالَ: عَلِمَ رَبُّكُمْ أَنَّهَا مِنِّي صِرِي.

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَسَنِ مَوْلَى الرَّبِيعِ بْنِ يُونُسَ، قَالَ: قَدِمَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَصَلَّى عِنْدَهُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ وَتَبَ وَرَكِبَ الْوَلِيدُ، فَمَشَى الْحَجَّاجُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ دِرْعٌ وَتِرْسٌ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: ازْكَبْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، دَعْنِي أَسْتَكْثِرُ مِنَ الْجِهَادِ، فَإِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَابْنَ الْأَشْعَثِ شِعْلَانِي عَنِ الْجِهَادِ، زَمْنَا طَوِيلًا، فَعَزَمَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ فَرَكِبَ، وَدَخَلَ مَعَ الْوَلِيدِ فَبَيْنَا هُوَ يَتَحَدَّثُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَعَلْتُ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ، وَفَعَلْتُ، أَقْبَلْتُ جَارِيَةً فَسَارَتْ الْوَلِيدُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَتَدْرِي مَا قَالَتِ الْجَارِيَةُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَرْسَلْتُ إِلَيَّ أُمَّ الْبُنَيْنِ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ: إِنَّ مُجَالَسَتَكَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ، وَهُوَ فِي سِلَاحِهِ، وَأَنْتَ فِي غِلَالَةٍ عَزْرٌ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا: إِنَّهُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ، فَرَاغَهَا ذَلِكَ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَأَنْ يَخْلُوَ بِكَ مَلِكُ الْمَوْتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ بِكَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ، وَقَدْ قَتَلَ أَحْبَاءَ اللَّهِ، وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا الْمَرْأَةُ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ، لَا تُطْلَعُهُنَّ عَلَى أَمْرِكَ، وَلَا تُطْمَعُهُنَّ فِي سِرِّكَ، وَلَا تَسْتَعْمِلُهُنَّ بِأَكْثَرِ مِنْ زِينَتِهِنَّ، وَلَا تَكُونَنَّ لِمُجَالَسَتِهِنَّ بِلَزُومٍ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُنَّ صَعَارٌ وَذَلَّةٌ. ثُمَّ نَهَضَ وَخَرَجَ، فَدَخَلَ الْوَلِيدُ عَلَى أُمِّ الْبُنَيْنِ، فَأَخْبَرَهَا بِمَقَالَتِهِ. فَقَالَتْ: فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَأْمُرَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّلَامِ عَلَيَّ، فَسَيَلُغُكَ الَّذِي يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَعَدَا الْحَجَّاجُ عَلَى الْوَلِيدِ، فَقَالَ: ائْتِ أُمَّ الْبُنَيْنِ. قَالَ: اعْفِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: لَتَفْعَلَنَّ. فَأَتَاهَا فَحَجَبَتْهُ طَوِيلًا. ثُمَّ قَالَتْ: يَا حَجَّاجُ، أَأَنْتَ الْمُمْتَرُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنَ الْأَشْعَثِ؟ وَكُنْتَ الْمَوْلَى غَيْرَ الْمُسْتَعْلَى، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّكَ أَهْوَنُ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، مَا ابْتَلَاكَ بِرَفِي الْكَعْبَةِ، وَبِقَتْلِ ابْنِ ذَاتِ النَّطَاقِينَ، ابْنِ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَّا ابْنُ الْأَشْعَثِ فَلَعَمْرِي لَقَدْ اسْتَعْلَى عَلَيْكَ حَتَّى عَجَّعْتَ، وَوَالَى عَلَيْكَ الْهَزَائِمَ، حَتَّى غَوَّثَتْ. فَلَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَادَى فِي أَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَنْتَ فِي أَضْيَقِ مِنَ الْقُرُونِ فَأَطْلُتْكَ رِمَاحَهُمْ، وَعَلَاكَ كِفَاحَهُمْ لَكُنْتَ مَأْسُورًا فِيهِمْ، قَدْ أَخَذَ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ

نِسَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَفَضْنَ الْعِطْرَ عَنْ غَدَائِرِهِنَّ وَبَعْنَهُ فِي أَعْيُنِهِ أَوْلِيَائِهِ، وَأَمَّا مَا أَشْرَتْ بِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَطْعِ لَدَائِهِ، وَبُلُوغِ أَوْطَارِهِ مِنْ نِسَائِهِ، فَإِنْ يَكُنْ إِنَّمَا يَنْفَرُ جَنْ عَنْ مِثْلِ مَا أَنْفَرَجَتْ بِهِ أُمُّكَ الْبَطْرَاءُ، مِنْ ضَعْفِ الْغَرِيْزَةِ، وَقُبْحِ الْمُنْظَرِ، فِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ يَا لُكْعُ، فَمَا أَحَقُّهُ أَنْ يَفْتَدِيَ بِقَوْلِكَ، قَاتِلَ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ، وَسِنَانُ غَزَالَةَ الْحُرُورِيَّةِ بَيْنَ كَيْفَيْكَ:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ رِبْدَاءُ تَنْفِرُ عَنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الْوَعْيِ؟ أَمْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ
صَدَعَتْ غَزَالَةَ قَلْبَهُ بِفَوَارِسِ تَرَكْتَ نَوَاطِرَهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ

ثُمَّ أَمَرْتُ جَارِيَةَ لَهَا فَأَخْرَجْتُهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ، قَالَ: مَا كُنْتُ فِيهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا سَكَنْتُ حَتَّى كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ ظَهْرِهَا. إِنَّهَا ابْنَةُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: هُنَّ رَجُلٌ رَجُلًا فِي مَجْلِسِ الْحَسَنِ بِمَوْلُودٍ، فَقَالَ: هُنَاكَ اللَّهُ، وَهَنَاهُوكَ

حَتَّى تَكُونَ كَهُ وَيَكُونُ كَكَ، فَقَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا يُبَالِي رَجُلٌ، أَطْمَطَمَ بِالْفَارِسِيَّةِ، أَمْ تَكَلَّمَ بِمِثْلِ كَلَامِكَ.

- حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: دَخَلَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ الرَّبِيدِيَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعِنْدَهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ، وَشَرِيكُ بْنُ الْأَعْوَرِ الْحَارِثِيَّانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرَامُ بَنُو مَخْرُومٍ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا ثَوْرٍ؟ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى خَالِكَ أَبِي سُلَيْمَانَ يَعْنِي خَالَدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَأَتَانِي بِثَوْرٍ وَقَوْسٍ وَكَعْبٍ، فَأَطْعَمَنِيهِ. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَسَعَةً. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَكَ أَوْلِي، قَالَ: بَلْ لِي وَلَكَ. قَالَ: كَلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَكُلُ الْجُدْعَةَ حَتَّى أَنْقَهَا عَظْمًا عَظْمًا، وَأَشْرَبُ اللَّبَنَ مِنَ اللَّبَنِ، رَيْثَةً وَصَرِيْفًا. قَالَ: فَظَنَرْتُ عُمَرَ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ كَأَلْمُتَعَجَّبٍ مِنْ قَوْلِهِ. فَقَالَ الرَّبِيعُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَكَذَاكَ، وَإِنَّ الْخَيْلَ لَتَسْقِي ذَرَاهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ الصَّفِينِ وَانْتَعَلَتِ الْخَيْلُ الدِّمَاءَ، عَلَى أَنَّهُ

قَدْ نَقَصَ إِلْنَا، وَقَطَعَ أَوَاصِرْنَا، فَقَالَ عَمْرُو: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَاوَزْتُ هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي
الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَشْرِينَ سَنَةً فَمَشَوْا إِلَيَّ بِالضَّرَاءِ، وَدَبُّوا إِلَيَّ الْحَمْرَ، فَلَمَّا بَدَتْ لِي
ضَبَابٌ صُدُورِهِمْ، وَحَسَكُ قُلُوبِهِمْ، أَوْجَزْتُهُمْ أَمْرًا مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ، فَقَالَ شَرِيكُ بْنُ
الْأَعْوَرِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ هَذَا أَعْجَزْنَا لَمَّا أَخَذْتَهُ أَتْيَابَنَا، وَكَلَّمْتَهُ أَظَافِرْنَا. فَقَالَ عَمْرُو:
إِلَيْكَ يَا بَنَى الْأَعْوَرِ، فَإِنِّي لَا أَجْلِسُ عَلَى الدُّبْرِ، وَلَا أَغْمَزُ غَمَزَ التَّيْنِ، وَلَا يُعَقِّعُ لِي
بِالسِّنَانِ. قَالَ: فَلَمَّا حَشِيَ عُمَرُ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمْ، وَيَخْرُجُوا إِلَيَّ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ
هَذَا. قَالَ: عَلَيْهَا عَنْكُمْ الْآنَ. فَأَقْبَلَ عَلَى عَمْرٍو، فَقَالَ: يَا أَبَا ثَوْرٍ، لَقَدْ حَدَّثْتَ عَن نَفْسِكَ
بِمَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ، وَلَقَدْ لَقِيتَ النَّاسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، فَأَخْبِرْنِي: هَلْ صَدَفْتَ عَن
فَارِسٍ قَطُّ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ الْكُذْبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا مُشْرِكٌ، فَكَيْفَ
إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ؟ وَلَقَدْ قُلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَيْلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ: هَلْ لَكُمْ فِي الْغَارَةِ؟
قَالُوا: عَلَى مَنْ؟ قُلْتُ: عَلَى بَنِي الْبُكَاءِ. قَالُوا: مَعَاذَ بَعِيدٍ، عَلَى شِدَّةِ كَلْبٍ وَقِلَّةِ سَلْبٍ.
قُلْتُ: فَعَلَى مَنْ؟ قَالُوا: عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ كِنَانَةَ، فَإِنَّهُ بَلَعَنَا أَنَّ رِجَالَهُمْ خُلُوفٌ.
فَخَرَجْتُ فِي خَيْلٍ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى وَادٍ مِنْ أَوْدِيَّتِهِمْ، فَدَفَعْتُ إِلَى قَوْمِ سُرَاةٍ. فَقَالَ عَمْرُو:
وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهُمْ سُرَاةٌ؟ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى قُبَابٍ عَظِيمَةٍ مِنْ أَدَمَ، وَقُدُورٍ مُثْفَأَةٍ، وَإِبِلٍ وَعَنَمٍ.
فَقَالَ عَمْرُو: هَذَا لِعَمْرِي عِلَامَةُ الْيُسْرِ. وَقَالَ عَمْرُو: فَانْتَهَيْتُ إِلَى أَعْظَمِهَا قُبَّةً. فَأَكْشَفْتُهَا
عَنْ جَارِيَةٍ مِثْلِ الْمَهَابَةِ، فَلَمَّا رَأَيْتِي ضَرَبَتْ يَدَهَا عَلَى صَدْرِهَا، وَبَكَتْ. فَقُلْتُ: مَا يَبْكِيكَ؟
قَالَتْ: مَا أَبْكِي لِنَفْسِي وَلَا عَلَى الْمَالِ. فَقُلْتُ: عَلَامَ تَبْكِينَ؟ قَالَتْ: عَلَى جَوَارِ أَتْرَابٍ
لِي، قَدْ أَلْفُتُهُنَّ، وَهُنَّ فِي هَذَا الْوَادِي. قَالَ: فَهَبَطْتُ الْوَادِيَّ عَلَى فَرَسِي، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
قَاعِدٍ يَخْصِفُ نَعْلًا لَهُ، وَإِلَى جَانِبِهِ سِنْفٌ مَوْضُوعٌ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ عَلِمْتُ أَنَّ الْجَارِيَةَ قَدْ
خَدَعْتَنِي، وَمَا كَرْتَنِي. فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ قَامَ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ، ثُمَّ عَلَا رَأْيِي، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ
قُبَابِ قَوْمِهِ مُطْرِحَةً، حَمَلَ عَلَيَّ وَهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ إِذْ مَنَحْتَنِي فَاهَا وَلَحِقْتَنِي بِكُرَّةٍ رَدَاهَا
أَلِي سَاحِمِي الْيَوْمَ مِنْ حِمَاهَا يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي ذَاهَا

قَالَ: فَقُلْتُ مُجِيبًا لَهُ:

عَمَرُو عَلِيَّ طُولِ السَّرَى دَهَاها بِالْحَيْلِ يُزَجِّها عَلِيَّ وَجاها

حَتَّى إِذا حَلَّ بِها اِحْتَوَها

ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَيْهِ وَأنا أَقول:

أنا ابنُ عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ الشَّيْمِ مُؤْتَمِنُ الغَيْبِ وَفِيَّ بِالذَّمِّ

مِنْ خَيْرِ مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ وَقَدَمِ

فَحَمَلْ عَلِيَّ وَهُوَ يَقُولُ:

أنا ابنُ ذي الأَقْيَالِ أَقْيَالِ البُهَمِ مَنْ يَلْقَني يودِ كما أودتِ إِرَمَ

أثْرُكُهُ لَحَمًّا عَلَيَّ ظَهَرَ وَضَمِّ

قال: فاختلفنا ضربتين، فأضربه أهدر من العتق، ويضربني أثقف من الهر، فوق سيفه في قربوس سرجي فقطع القربوس، وعض بكائبة الفرس، فوثبت علي رجلي قائمًا، وقلت: يا هذا، ما كان ليلقاني من العرب إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم ليسن والتجربة، وعامر بن الطفيل للشرف والتجدة، وربيعه بن مكرم للحياء والبأس، فمن أنت، ثكلتك أمك؟ قال: بل من أنت، ثكلتك أمك؟ قلت: أنا عمرو بن معديكرب، قال: وأنا ربيعة بن مكرم. قلت: فاخترت مني إحدى ثلاث خصال: إما أن تضطرب بسيفينا حتى يموت الأعجل منا، وإما أن تضطرع، فأينا صرع صاحبه قتله، وإما المسالمة. قال: ذاك إليك. فاختر. قلت: إن بقومك إليك حاجة، وبقومي إلي حاجة، والمسالمة خير لي ولك. ثم أخذت بيده فأتيت به أصحابي، وقلت لهم: خلوا ما بأيديكم، فلوا رأيتم ما رأيتم لحائثهم وزدتم. سلوني عن فرسي ما فعل. قال: فتركتنا ما بأيدينا وانصرفنا راجعين^(١).

- حدثني محمد بن الضحاك الحزامي، قال: حدثني أبي، عن عبد الرحمن بن

أبي الزناد، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت، عن أبي بكر بن معمر بن عبد الله بن

زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ أَخِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، عَمَّا تَكَلَّمَ بِهِ جَدُّهُ زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ بَعْدَ مَا مَاتَ وَعَظًا، قَالَ: قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْصِتُوا. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أَحْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، صَدَقَ صَدَقَ، ثُمَّ قَالَ: جِيفَتَانِ قَدْ أَصَلَّتَا، وَهُمَا يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ، أَبُو بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الضَّعِيفُ جِسْمُهُ، الْقَوِيُّ فِي نَفْسِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَقْوَى الرِّجَالِ، الْقَوِيُّ الْأَمِينُ، الَّذِي لَا يَبَالِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، ثُمَّ ذَكَرَ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: أَمِيرُكُمْ الْيَوْمَ، لَهُ عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا أَيُّهَا النَّاسُ، أَقْبِلُوا عَلَى أَمِيرِكُمْ، ثُمَّ أَعَادَ ذَكَرَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، أَمِيرُكُمْ، لَهُ عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، أَنْتُمْ عَلَى مِنْهَاجِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، اسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، اللَّيْنُ يُعَافِي النَّاسَ، وَيُنْفِقُ الْمَالَ، فَمَنْ تَوَلَّى فَلَا يَعْهَدَنَّ. ثُمَّ قَالَ: بِنْتُ أَرِيْسٍ وَمَا بِنْتُ أَرِيْسٍ. ثُمَّ ذَكَرَ الصَّحِيفَةَ الَّتِي كَتَبَ بِهَا عَمْرُو بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ إِلَى عُثْمَانَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ خَبْرَهُ عَنْ فَتْحِ فَتْحِ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَنَصْرِهِ إِيَّاهُمْ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ النَّاسُ سَوَاءً، وَلَكِنَّمَا يُفَضَّلُ بَيْنَ النَّاسِ أَعْمَالُهُمْ. وَقَالَ: جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ، يُرَى مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ أُمَّتُهُ جِيئًا. وَقَالَ: هَذِهِ الْجَنَّةُ وَهَذِهِ النَّارُ. ثُمَّ قَرَأَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَاتٍ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى نَزَاعَةٌ لِلشُّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: ١٥-١٧] وَقَالَ: جَاءَتِ الْفِتْنَةُ ثُمَّ ذَكَرَ الشُّهَدَاءَ، ثُمَّ كَبَّرَ: فَقَالَ خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَخَلَادُ بْنُ سُوَيْدٍ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: خَلَبَتْ اثْنَتَانِ، وَبَقِيَتْ أَرْبَعٌ، انْفَضَّ النَّاسُ فَلَا نِظَامَ لَهُمْ وَأَكَلَ قُوَّيُهُمْ ضَعِيفُهُمْ، وَقَالَ النَّاسُ: هَذَا أَمْرُ اللَّهِ، وَقَامَتِ السَّاعَةُ.

قَالَ: وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَأَخْبَرْتَنِي جَدِّي أُمُّ سَعْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ: أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ زَيْدِ بْنِ خَارِجَةَ حِينَ تُوْفِّي، وَحِينَ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ، فَأَخْبَرْتَنِي بِبَعْضِ مَا أَخْبَرْتَنِي أَبُو بَكْرُ بْنُ مَعْمَرٍ، وَلَمْ تَعِ ذَلِكَ كُلَّهُ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَكَانَ أَبُو الزِّنَادِ يُحَدِّثُ نَحْوَ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى، إِلَّا أَنَّ أَبَا الزِّنَادِ كَانَ يَقُولُ: صَدَقَ صَدَقَ. وَكَانَ يَقُولُ: كُنَّا أُخُوَّةً ثَلَاثَةً، جِيفَتَانِ قَدْ أَصَلَّتَا، وَالثَّلَاثَةُ يَنْتَظِرُ رَحْمَةَ رَبِّهِ، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَمَنْ خَالَفَهُ فَلَا يَعْهَدَنَّ بِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، هَلْ رَأَيْتَ لِي خَارِجَةَ وَسَعْدًا، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَأَنَّهُ رَأَاهُمْ، فَقَالَ: هَذَا فُلَانٌ وَفُلَانٌ، لِلنَّفَرِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: جَاءَتِ الْفِتْنَةُ كَأَنَّهَا قَطَعَ اللَّيْلَ. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا رَدَّدَهَا

ثلاثاً، وأنه كان يزيد في صفة عمر، أن يقول: الذي يمنع الناس أن يأكل قوتهم ضعيفهم، وأنه كان يقول: مضت أربع وبعيت ثمان قال: قال أبو الزناد: توفّي في ذلك الزمان بعد وفاة زيد رجل آخر، فكبر فيما بلغنا، بعد وفاته، فاستمعوا له. فقال: صدق زيد بن خارجة. لم يبلغنا أنه زاد على ذلك.

وتوفّي رجل ثالث، فقال فيما بلغني: لقيت ربي، ولقيني بروح وريحان، ورباً غير غضبان، والأمر أيسر مما تظنون، فلا تعثروا.

حدثني ميمون الحضرمي، قال: أردت الحج، فقالت لي امرأة كنت أتحدث إليها: أقم فطف بيني سبعة أشواط كما يطوفون بالبيت، واركض بعيرك به كما يركضون إبلهم، واخلق رأسك كما يخلقون رؤوسهم، وازم جارنا التي تسعى بنا كما يزومون الجمار، وقبلي كما يقبلون الركن، قال: ففعلت، فقلت في ذلك:

قَدْ كُنْتُ أَجْمَعْتُ حَجَّ الْبَيْتِ أَطْلُبُهُ وَالْقَلْبُ عَنْ حَجِّ ذَاكَ الْبَيْتِ مُشْتَجِرُ
أَرَى خِلافاً ذَهَابَ الْبَيْتِ أَطْلُبُهُ وَهَمُنَا بَيْتُ جَمَلٍ مَا لَهُ سِتْرُ
لِلَّهِ سَبْعَةُ أَطْوَافٍ أَطُوفُ بِهِ كَمَا يَطُوفُونَ شِدًّا لَسْتُ أَقْتَصِرُ
وَرَمَيْ جَارَتِهَا جَهْدِي كَرَمِيهِمْ رُؤْسَ الْجِمَارِ الَّتِي تُرْمَى وَتُبْتَدِرُ
فَسَوْفَ أَخْلِقُ رَأْسِي مِثْلَ حَلِقِهِمْ حَتَّى يَكْبُرُوا وَرَأْسِي مَا لَهُ شَعْرُ
وَسَوْفَ أَرْكُضُ نِضْوِي مِثْلَ رَكْضِهِمْ حَتَّى يَكْبُرُوا وَهُوَ مُسْتَقْصٌ دَبْرُ
كَانَتْ مَنَاسِكُهُمْ تَقْبِيلُهُمْ حَجْرًا وَمَنْ يُقْبَلُكَ لَا يَعْرِضُ لَهُ حَجْرُ
لَوْ كَانَ أَدْرَكَهَا عُثْمَانُ أَوْ عَمْرُ مَا حَجَّ غَيْرَكَ عُثْمَانُ وَلَا عَمْرُ

قال: فلقيني أبو بكر بن محمد بن موسى بن عمران البكري، فقال: ما حملك رحمك الله على أن أخرجت أبا بكر مما أدخلت فيه الشيخين؟ قال: قلت: يزحمك الله، إني لم أخرجهُ مما يتنافس الناس فيه.

حدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال: كنت مع أبي باليمامة، وقد وفد على السري بن عبد الله، فأنشدنا

ابنُ هَزْمَةَ:

هَجَوْتُ الْأَدْعِيَاءَ فَنَاصَ بَيْنِي مَعَاشِرُ خَلِشَهَا عَرَبًا صِحَاحًا
 فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا جَمِيعًا عَلَيَّ فَلَمْ أَجِبْ لَهُمْ نَبَاحًا
 أَلَيْسَ مِنْهُمْ فَأَصْدُ عَنْكُمْ وَأَنْسَبِكُمْ لِنِسْبَتِهِمْ صُرَاحًا
 وَإِلَّا فَاحْمَدُوا رَأْيِي فَإِنِّي أَرْحِزُ عَنْكُمْ الْإِبْنَ الْقُبَاحَا
 وَحَسْبُكَ تُهْمَةٌ لِصَحِيحِ قَوْمٍ يَمُدُّ عَلَيَّ أَخِي سَقَمَ جَنَاحَا

حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزَّهْرِيُّ، عَنْ رَجُلٍ قَدْ أَسْمَاهُ نَسِيئُهُ كَانَ مَعَ السَّرِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ السَّرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: لَوِ دِدْتُ أَنَّ ابْنَ هَزْمَةَ أَتَانِي، فَأَقُولُ لَهُ: لَوْ كَتَبْتَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَكْرَهُ أَنْ يُكَلِّفَنِي مَا لَا أَطِيقُ، فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَى ابْنِ هَزْمَةَ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ إِلَّا أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ، ثُمَّ غَلِبَ صَبْرُهُ، فَشَخَّصَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمَ دَخَلْتُ عَلَى السَّرِيِّ، فَأَخْبَرْتُهُ فُسْرَ بِذَلِكَ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ هَزْمَةَ، وَكَانَ دَمِيمًا، فَقَعَدَ وَقَعَدَ رَاوِيئَهُ ابْنُ زَبْنَجٍ، وَكَانَ جَمِيلًا وَسِيمًا. فَقَالَ لَهُ ابْنُ هَزْمَةَ: إِنِّي قَدْ مَدَخْتُكَ أَضْلَحَكَ اللَّهُ. فَأَنْشُدْ. فَقَالَ: هَذَا ابْنُ زَبْنَجٍ يُنْشُدُ. فَأَنْشُدَ ابْنُ زَبْنَجٍ، فَقَالَ لَهُ: مَرْحَبًا يَا أَبَا إِسْحَاقَ، مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: جِئْتُكَ عَبْدًا مَمْلُوكًا. قَالَ: بَلْ حُرٌّ كَرِيمٌ. قَالَ: مَا تَرَكْتُ لِي مَالًا إِلَّا رَهْنَتَهُ، وَلَا صَدِيقًا إِلَّا كَلْفَتَهُ. قَالَ: حَتَّى كَانَ لِي رِيَانٌ وَغَالِبٌ، وَهُمَا مَالَانِ عَظِيمَانِ، جَعَلَ السُّلْطَانُ غَلَّتُهُمَا لِصَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ، يُنْفِقُ عَلَيْهَا، فَمَا يَخْرُجُ يُطْعِمُهُ النَّاسَ. قَالَ: وَكَمْ دَيْنُكَ؟ قَالَ: سَبْعُ مِائَةِ دِينَارٍ. قَالَ: هُوَ عَلَيَّ. قَالَ: فَمَكَتْ ابْنُ هَزْمَةَ أَيَّامًا، ثُمَّ قَالَ لِي: لَقَدْ غَرَضْتُ. فَقُلْتُ: قُلْ شِعْرًا تَذَكُرُ فِيهِ غَرَضُكَ، وَأَنْشُدْهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ:

إِنَّ الْحَمَامَةَ فِي نَحْلِ ابْنِ هَدَاجٍ هَاجَتْ فُوَادَ سَقِيمِ الْقَلْبِ مُهْتَاجٍ
 أَمَا مُخْبِرٌ أَنْ الْغَيْثَ قَدْ نَتَجَتْ مِنْهُ عِشَارٌ تَمَامًا غَيْرَ إِحْدَاجٍ
 شَقَّتْ سَوَائِفَهَا بِالْفَرَشِ مِنْ مَلَلٍ إِلَى الْأَعَارِفِ مِنْ حَزْنٍ وَأَوْلَاجٍ

وَقَالَ فِيهَا:

هَاجَ الْعَيْيُ إِلَى شَوْقٍ فَهَيَّجَنِي فَعَجْتُ مِنْ قَلْبٍ مَاضٍ غَيْرِ مُنْعَاجٍ
وَأَبْنُ الزَّبْنَجِ مِمَّا قَدْ يَهَيِّجُنِي بِحَلْقٍ مُنْتَجِبٍ بِاللَّيْلِ نَشَاجٍ
فَأَمَرَ لَهُ بِدَيْنِهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ غَيْرِ ذَلِكَ، أَرَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أُلْفَ دِينَارًا..

- حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمَزَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُخْزُومِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَفْصٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: مَا أَشْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ^(١).

- حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَمْرٌ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم: ١٧٨٥، وأبو داود في سننه حديث رقم: ٣١٩٩، والنسائي في سننه حديث رقم: ٥٥٤٢، وفي السنن الكبرى حديث رقم: ٦٥٨١، وابن ماجه في سننه حديث رقم: ٣٣٩٢، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١١٨٧٦، والحاكم في المستدرک حديث رقم: ٥٧٤٥، وابن الجارود في المنتقى من السنن المسندة حديث رقم: ٨٤٧، والدارقطني في سننه حديث رقم: ٤٠٩٠، والبيهقي في السنن الصغير حديث رقم: ١٥٤٤، والبيهقي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٥٩٩٧، وفي معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٤٦٠٣، وعبد الله بن وهب بن مسلم في موطئه حديث رقم: ٣٥، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ١٤٧٩، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٣٩١٠، والبوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم: ٣٣١٠، وأحمد بن سلمان النجاد في مسنده حديث رقم: ٥٨، والعقيلي في الضعفاء الكبير حديث رقم: ٨٥٦، وابن حبان في المجروحين حديث رقم: ٧٣٥، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال حديث رقم: ٥١٥٩، والدارقطني في العلل الواردة في الأحاديث النبوية حديث رقم: ١٢٥، وأبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم: ٢٥٢٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق حديث رقم: ٢٢٠٧٩، ويوسف المزي في تهذيب الكمال حديث رقم: ٤١١.

(٢) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٥٥٢١، وفي السنن الكبرى حديث رقم: ٤٩٤٦، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٦٠٤٩، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٤٨٢، والدارقطني في سننه حديث رقم: ٤٠٦٢، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ١٢١١، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال حديث رقم: ٣٨٢٦، والسهمي في تاريخ جرجان حديث رقم: ٦٧٠، وأبو نعيم في أخبار أصبهان حديث رقم: ٥٢٣، وفي معرفة الصحابة حديث رقم: ٧٩٣، والنخيب

حَدَّثَنِي أَخِي هَارُونُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْمَخْزُومِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ التُّوْحَيْيِ الْقَاضِي،
 عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَرْفَجَةَ الْوَاشِجِيِّ مِنَ الْأَزْدِ مِنْ أَهْلِ حِمَاصٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَنْ كَانَ
 يَحْرُسُ خَشَبَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَدَارَتْ عَلَيَّ النَّوْبَةُ لَيْلَةً، فَبَيْنَا أَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذَا
 رَجُلٌ يَهْمِسُ هَمْسًا خَفِيًّا حَتَّى وَقَفَ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَيْهَا، فَاعْتَمَدَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ
 عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتَهُ، عَوْضَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ مِنْ قَتْلِكَ، وَأَثَابَكَ سُوءَ
 مُثْلِكَ، فَقَدْ كُنْتُ لِلْحَقِّ إِمَامًا، تَجْمَعُ بَيْنَ طَرْفِي لَيْلَتِكَ الصَّبْرَةَ قَائِمًا، وَبَيْنَ طَرْفِي يَوْمِكَ
 الْقَائِطِ صَائِمًا، تَغْضَبُ فِي اللَّهِ، وَتَرْضَى لَهُ، حَدْبًا شَفِيقًا، تُنْفَسُ كُلَّ حِطَّةٍ مَرِيَّةً، وَتَحْسِبُ
 السَّرْبَ دُونَ الْكَلَالِ الْوَيْبِلِ، إِنْ رَتَعَ لَمْ تَدْعُرْهُ، وَإِنْ سَكَنَ لَمْ تُنْفِرْهُ، وَإِنْ بَعَا كُنْتُ لَهُ
 مُرْتَادًا، تَرَامُهُ وَيَرَامُكَ عَلَى ذَلِكَ، مَا كُنَّا وَكُنْتُ حَتَّى فَعَدَ بِنَا جَدْنَا، وَنَابَكَ جَدُّكَ ﴿مَعَ
 الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
 رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] قَالَ: ثُمَّ وَلَّى وَانْدَفَعَ يَقُولُ:

أَلْحَقُّ أَمْ لَا إِنْ خَيْرَ خِيَارِنَا صَرِيحٌ عَلَى أَيْدِي الْعُدَاةِ يَنْفِلُ
 تَهَادَاهُ دُؤْبَانُ الْعِشَائِرِ بَيْنَهَا وَيَفْرِي لَهُ بِالْفَاسِ جَذَعٌ مُرْقِلُ
 أَطُودًا مَنِيْفًا مُشْمَخِرًا مُمَرِّدًا رَسَا أَصْلُهُ بِالْأَرْضِ لَا يَتَحَلُّلُ
 عَلَوْتُمْ بِهِ جِدْعًا لِيُعْرَفَ إِيْمَا يُبَانُ الَّذِي يُحْفَى وَلَا يُتَأْمَلُ
 فَلَوْلَا جَزَاءُ اللَّهِ كَلَّا بِفِعْلِهِ لَعَاشَ وَأُودِيْتُمْ وَلِلَّهِ مَوْتِلُ
 فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ خَيْرِنَا قَتِيلًا وَهَادَى النَّاسَ عُرْفًا جِبَالُ

قَالَ: فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى أَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أَنَا ابْنُ
 أَبِي ثَوْرٍ الْعَامِرِيِّ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا رُوَيْتُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ مِنْ دِمَائِنَا، فَاشْرَبُوا مَا بَدَا لَكُمْ.

قَالَ: قُلْتُ: إِنَّكَ لَمُسْتَمِيتٌ! قَالَ: فَهَلْ إِلَى الْمَيْتَةِ مِنْ سَبِيلٍ؟ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَرْفَجَةَ: فَوَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي مِنْ قَتْلِهِ إِلَّا الْإِبْقَاءَ عَلَى نَفْسِي.

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ سَلَمَةَ مَوْلَى مَثْبُودٍ، قَالَ: عَزَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَنْ مِصْرَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، فَدَخَلَ عَمْرُو الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَيْفَ تَرَكْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ؟ قَالَ: تَرَكْتُهُ أَمِيرًا عَلَى عَمَلِهِ، جَاهِلًا بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِشَرِّ عُمَّالِكَ، قَالَ: شَتَمْتَنَا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنَّ الْمَعْرُوفَ غَضِبَانُ وَلَا أَحْسَبُنِي فَعَلْتُ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرُوا عَلَيَّ فَأَخْرَجْتُ حَتَّى تَعْذُرَنِي عِنْدَهُمْ. فَخَرَجَ عَمْرُو، فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الْعَصْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ قَامَ إِلَى الْمِحْرَابِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، يَا مَعَاشِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ سَبَقَنِي فَرَأَى قَبْلِي، وَرَأَيْتُ بَعْدَهُ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ خِصَاصَةً إِلَّا أَلْصَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ دُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا عَمَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ كَذَلِكَ ذَلِكَ، وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَيْرًا. قَالَ: ثُمَّ وَلِيكُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَسَارَ بِسِيرَتِهِ، وَحَذَا حَذْوَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَشَمَّرَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فِي خَلْقِ ثَوْبٍ، مَا لَهُ رِذَاءٌ، أَفَكَذَلِكَ ذَلِكَ، وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ، وَجَزَاهُ عَنِ الْأُمَّةِ خَيْرًا. قَالَ: ثُمَّ وَلِيكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ حَنَنَةَ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فَبَعَجَتْ لَهُ الْأَرْضُ أَمْعَاءَهَا، وَفَلَدَتْ لَهُ كِبْدَهَا، وَنَكَتَتْ لَهُ مُحْتَهَا، وَأَبْرَزَتْ لَهُ شَحْمَتَهَا، وَتَرَيَنْتَ لَهُ بَرْخُوفَهَا، وَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِ جُودًا، وَوَلَدَتْ لَهُ تَمَامًا، فَدَرَّتْ لَهُ عَزْرًا، فَقَبِضَ مِنْهَا قَبْضًا، وَمَصَّ ثَدْيَهَا مَصًّا، وَمَشَى فِي ضَحْضَاحِهَا، وَتَنَكَّبَ عَمْرَتَهَا مُشَمِّرًا إِزَارَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا، وَمَا ابْتَلَتْ قَدَمَاهُ، أَوْ كَذَلِكَ ذَلِكَ. وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ، وَجَزَاهُ عَنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَيْرًا. قَالَ: ثُمَّ وَلِيكُمْ مِنْ بَعْدِهِ عُثْمَانُ، فَعَرَفْتُمْ وَأَنْكَرْتُمْ، وَقَالَ وَقُلْتُمْ، تَلُومُونَهُ وَيَعْذُرُ نَفْسَهُ. قَالُوا: فَمَهْ؟ قَالَ: فَارْفُقُوا بِهِ، فَإِنَّ الْكُسَيْرَ يُجَبِّرُ، وَإِنَّ الْحُسَيْرَ يَبْلُغُ، وَإِنَّ الْهَزِيلَ يَسْمُنُ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ. قَالَ: فِقِيلَ لِعُثْمَانَ: مَا بَلَغَ مِنْكَ أَحَدٌ مَا بَلَغَ عَمْرُو. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: يَا عَمْرُو، قِمَلْتُ فَرَوْتُكَ مُنْذُ عَزَلْنَاكَ عَنْ مِصْرَ. قَالَ: إِنَّكَ إِمَامٌ، وَلَا يَجْمُلُ بِي شَتْمُكَ،

وَلَقَدْ قُلْتُ بِأَحْسَنَ مَا حَضَرَنِي، وَلَوْ حَضَرَنِي غَيْرُ ذَلِكَ لَفَعَلْتُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ، قَالَ: لَمَّا هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَإِخْوَتُهُ مِنْ حَبْسِ الْحَجَّاجِ اسْتَجَارُوا سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ بِفِلَسْطِينَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ، فَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ آلَ الْمُهَلَّبِ خَانُوا مَالَ اللَّهِ، وَلَحِقُوا بِسُلَيْمَانَ. وَقَدْ كَانَ بَلَغَ الْوَلِيدَ هَرَبُ يَزِيدَ وَإِخْوَتِهِ، فَخَشِيَ أَنْ يَأْتِيَ يَزِيدُ خُرَاسَانَ، فَيَنْقُضَهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَكَانَهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ أَعْجَبَهُ ذَلِكَ. وَكَتَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى الْوَلِيدِ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَإِخْوَتَهُ لَجَأُوا إِلَيَّ، وَقَدْ أَمْتَهُمْ، وَخَفَرْتَهُمْ، وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ أَعْرَمَهُمْ سِتَّةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَدَّوْا مِنْهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفٍ، وَبَقِيَتْ ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَهِيَ عَلَيَّ، وَالسَّلَامُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ: أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللَّهِ لَا أُؤْمِنُ يَزِيدَ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى تَبْعَثَ بِهِمْ إِلَيَّ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّكَ إِنْ حَمَلْتَنِي عَلَى أَنْ أَبْعَثَ بِهِمْ، قَدِمْتُ عَلَيْكَ مَعَهُمْ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ: وَاللَّهِ لَئِنْ قَدِمْتُ عَلَيَّ مَعَهُمْ لَا أُؤْمِنُهُمْ أَبَدًا، فَأَبْعَثَ بِهِمْ إِلَيَّ فِي وَثَاقٍ. قَالَ: فَبَعَثَ بِهِمْ سُلَيْمَانُ مَعَ ابْنِهِ أَيُّوبَ. وَقَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِذَا أَرَدْتَ الدُّخُولَ عَلَى عَمِّكَ فَادْخُلْ أَنْتَ وَيَزِيدُ، فِي سِلْسِلَةٍ، وَاقِرْنَ نَفْسَكَ مَعَهُمْ فَفَعَلَ أَيُّوبُ ذَلِكَ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَى الْوَلِيدُ ابْنَ أَخِيهِ مَعَ يَزِيدَ فِي سِلْسِلَةٍ، قَالَ: لَقَدْ بَلَّغْنَا مَبْلَغًا شَاقًّا، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَفْسِي فِدَاؤُكَ، لَا تُخْفِزْ ذِمَّةَ أَخِيكَ، فَإِنَّكَ أَحَقُّ مَنْ مَنَعَهَا، وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَ مَنْ رَجَا السَّلَامَةَ فِي جَوَارِهِ لِمَكَانِهِ مِنْكَ، وَلَا تُدِلَّ مَنْ أَمَلَ الْعِزَّ فِي الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ بِعِزَّةٍ مِنْكَ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ سُلَيْمَانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِأَطُنُّ لَوْ اسْتَجَارَ بِي عَدُوٌّ قَدْ نَابَدَكَ، وَجَاهَدَكَ، فَأَنْزَلْتُهُ، وَأَجْرْتُهُ، أَنْكَ لَا تُدِلُّ جَارِي، وَلَا تُخْفِزُ جَوَارِي، عَلَى أَنِّي لَمْ أُجِزْ إِلَّا أَمْرًا مُسْلِمًا، سَامِعًا مُطِيعًا، حَسَنَ الْبَلَاءِ وَالْأَثَرِ فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي طَاعَتِنَا، هُوَ وَأَبُوهُ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا تَعْزُو قَطِيعَتِي، وَالْإِخْفَارِ بِذِمَّتِي، وَالْإِبْلَاحِ فِي مَسَاءَتِي، فَقَدْ قَدَرْتُ إِنْ فَعَلْتُ، وَأَنَا أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ اخْتِرَازِ قَطِيعَتِي، وَأَنْتَهَاكِ حُزْمَتِي، وَتَرْكِ بَرِّي وَصِلَتِي، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَدْرِي مَا بَقَاؤُكَ وَلَا بَقَائِي، وَلَا مَتَى يُفَرِّقُ الْمَوْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَأْتِيَ عَلَيْنَا أَجَلُ الْوَفَاةِ إِلَّا وَهُوَ لِي

وَاصِلٌ، وَلِحَقِّي مُؤَدَّةً، وَلِقَرَابَتِي حَافِظًا، وَعَنْ مَسَاءَتِي نَارِعٌ، فَلْيَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَصْبَحْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ أَسْرَ مَنِّي بِرِضَاكَ وَسُرُورِكَ، وَإِنَّ رِضَاكَ مِمَّا أَلْتَمِسُ بِهِ رِضْوَانَ اللَّهِ، فَإِنْ كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُرِيدُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ صَلَاتِي وَمَبْرَاتِي وَإِعْظَامَ حَقِّي، فَتَجَاوِزْ لِي عَنْ يَزِيدَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَكُلُّ مَا طَالَبْتُمْ بِهِ فَهُوَ عَلَيَّ، وَالسَّلَامُ. فَلَمَّا قَرَأَ الْوَلِيدُ الْكِتَابَ، قَالَ: لَقَدْ شَقَقْنَا عَلَى أَبِي أَيُّوبَ. ثُمَّ دَعَا أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ فَفَرَّبَهُ وَأَذَنَاهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَلَاءَكُمْ عِنْدَنَا، أَهْلَ الْبَيْتِ، أَحْسَنُ الْبَلَاءِ، فَمَنْ يَسْ ذَلِكَ فَلَسْنَا نَاسِيَهُ، وَمَنْ يَكْفُرُهُ فَلَسْنَا كَافِرِيهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ بَلَاتِنَا، أَهْلَ الْبَيْتِ، فِي طَاعَتِكُمْ، وَالطَّعْنِ فِي أَعْدَائِكُمْ فِي الْمَوَاطِنِ الْعِظَامِ، وَفِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، مَا الْمِنَّةُ فِيهِ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ. فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ، فَأَمَنَهُ وَكَفَّ عَنهُ، وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَرَدَّهُمْ إِلَى سُلَيْمَانَ. وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَصِلْ إِلَى يَزِيدَ وَإِخْوَتِهِ مَعَ سُلَيْمَانَ، فَلَا تَعْرِضْ لَهُمْ، وَلَا تُرَاجِعْنِي فِيهِمْ، وَالسَّلَامُ.

- حَدَّثَنِي الْعُتْبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ هِشَامِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدِ الْقَضْرِ، قَالَ: دَخَلَ يَعْلَى بْنُ مُثَنَّى عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي هَزَزْتُ ذَوَائِبَ الرِّجَالِ إِلَيْكَ، إِذْ لَمْ أَجِدْ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ، وَمَا زِلْتُ أَسْتَدِلُّ الْمَعْرُوفَ عَلَيْكَ، وَأَجْعَلُ التَّهَارَ إِلَيْكَ مَطِيئِي فَإِذَا أَلْوَى بِي اللَّيْلُ، فَقُبِضَ الْبَصْرُ، وَعَفَا الْأَثْرُ، أَقَامَ بَدَنِي وَسَافَرَ أَمْلِي، يَتَقَوَّدُنِي نَحْوَكُ رَجَاءً، وَيَسُوقُنِي إِلَيْكَ بَلْوَى، فَالْتَفَسُ مُسْتَبْطِئَةً، وَالْاجْتِهَادُ عَازِرٌ، وَإِذَا بَلَغْتِكَ فَقَطُّ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَحْطَطُّ عَنْ رَاحِلَتِكَ رَحْلَهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا كَعْبُ، أَعْطِهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا وُلِيَ سُؤَالَ، وَلِيَوْمِ الْحَمَلِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا أُخْرَى، ثُمَّ قَالَ: الْحَقُّ بِصَهْرِكَ عُثْبَةَ. وَكَانَ عُثْبَةُ مَتْرُوجًا بَابَنَةَ يَعْلَى. قَالَ: فَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُثْبَةَ، قَالَ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنِّي سَرْتُ إِلَيْكَ شَهْرَيْنِ أَحْوِضَ فِيهِمَا الْمَتَالِفَ، أَلْبَسُ أَرْدِيَةَ اللَّيْلِ مَرَّةً، وَأَسِيرُ فِي لُجَجِ السَّوَادِ أُخْرَى، مُوقِرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، هَارِبًا مِنْ دَيْنٍ قَدْ آذَنِي بَعْدَ غِنَاءٍ، جَدَعْنَا بِهِ أَنْوَفَ الْحَاسِدِينَ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا إِلَيْكَ مَهْرَبًا وَإِلَّا عَلَيْكَ مُعَوَّلًا. فَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، إِنَّ الدَّهْرَ أَعَارَكُمُ غِنَى، وَخَلَطَكُمُ بِنَا، ثُمَّ اشْتَرَدَّ مَا أَمَكَّنَهُ أَخْذَهُ، وَقَدْ أَبْقَى لَكُمْ مِنَّا مَا لَا ضَيْعَةَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ مَا بَقِيَتْ النِّعْمَةُ عَلَيْنَا، وَأَنَا رَافِعٌ

يَدِي وَيَدَكَ بِيَدِ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَمْ أَعْطَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: سِتِّينَ أَلْفًا، فَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِهَا. حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: دَخَلْتُ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهَا مَرْوَانُ: وَيْحَكَ يَا لَيْلَى أَكَانَ تَوْبَةُ كَمَا نَعَتِ؟ قَالَتْ: أَضَلَّحَكَ اللَّهُ، وَاللَّهِ مَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا، وَلَقَدْ قَصَّرْتُ، وَمَا زَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ كَانَ أَرْبَطَ جَأْشًا عَلَى الْمَوْتِ مِنْهُ، وَلَا أَقَلَّ انْجِيَاثًا حِينَ تَحْتَدِمُ بَرَكَاءُ الْحَرْبِ، وَيَحْمَى الْوُطَيْسُ وَتَهْرُ الْكُفْمَاءُ أَقْرَانَهَا، كَانَ وَاللَّهِ كَمَا قُلْتُ:

فَتَى لَمْ يَزَلْ يَزْدَادُ خَيْرًا لَدُنْ نَشَا إِلَى أَنْ عَلَاهُ الشَّيْبُ فَوْقَ الْمَسَائِحِ
شَجَاغَ إِذَا الْهَيْجَاءُ شَبَّتْ مُشَابِحُ إِذَا حَادَ عَنْ أَقْرَانِهِ كُلِّ شَائِحِ
تَرَاهُ إِذَا مَا الْمَوْتُ دَرَّ بِوَدْقِهِ ضَرُوبًا طَلَى أَقْرَانِهِ بِالْصَفَائِحِ
فَعَادَ حَمِيدًا لَا ذَمِيمًا فِعَالُهُ وَصُولا لِقُرْبَاهُ يُرَى غَيْرَ كَالِحِ

فَقَالَ لَهَا مَرْوَانُ: يَا لَيْلَى كَيْفَ يَكُونُ تَوْبَةُ كَمَا تَقُولِينَ، وَكَانَ خَارِبًا؟ قَالَتْ: أَضَلَّحَكَ اللَّهُ، مَا كَانَ خَارِبًا وَلَا لِلْمَوْتِ هَائِبًا، وَلَكِنَّهُ فَتَى كَانَتْ فِيهِ جَاهِلِيَّةٌ، وَلَوْ طَالَ عُمُرُهُ وَأَنْسَأَهُ الْمَوْتُ لَارْعَوَى قَلْبُهُ، وَلَقَضَى مِنْ لَهْوِ نَحْبِهِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَمِيهِ سَلَمَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ:

لِلَّهِ قَوْمٌ غَادَرُوا ابْنَ حَمِيرَ أَحَاهُمْ صَرِيحًا بِالسُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ
لَقَدْ غَادَرُوا حَزْمًا وَحِلْمًا وَنَائِلًا وَصَبْرًا عَلَى الْيَوْمِ الْعَمَاسِ الْقَمَاطِرِ
إِذَا هَابَ وَرَدَ الْمَوْتُ كُلُّ صَفْنَدَدٍ عَظِيمِ الْحَوَايَا خَيْرُهُ غَيْرُ حَاضِرِ
مَضَى قَدَمًا حَتَّى يُعَامِسَ حَمِيَهُ وَجَادَ بِسَيْبٍ فِي السِّنِّينِ الْقَوَاسِرِ
يَرَى الْجُودَ مَا لَا يَحْتَوِيهِ وَصَبْرَهُ عَلَى الْمَوْتِ حَقًّا فَاعْتَلَى كُلِّ فَاحِرِ

فَقَالَ لَهَا مَرْوَانُ: أَبَى اللَّهُ يَا لَيْلَى إِلَّا مَا أَرَادَ، فَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَسَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ هَلَكَ تَوْبَةُ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ فِتْيَانِ الْعَرَبِ وَسِبَاعِهِمْ، وَلَكِنَّهُ أَدْرَكَهُ الشَّقَاءُ فَهَلَكَ، وَهُوَ ذَمِيمُ الْفِعَالِ، وَتَرَكَ لِقَوْمِهِ عَدَاوَةً أُخْرَى اللَّيَالِي، ثُمَّ

بَعَثَ إِلَى أَنَاسٍ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ، فَقَالَ لَهُمْ: وَاللَّهِ لَئِن بَلَغَنِي عَنْكُمْ أَمْرٌ أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ تَوْبَةِ
لَأُضَلِّبَنَّكُمْ، عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ، فَإِيَّاكُمْ وَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَالشُّبُهَةَ بِأَهْلِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
قَدْ جَاءَ بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَإِنَّ تَوْبَةَ قَتَلِ، وَكَانَ لِلَّهِ عَدُوًّا خَارِبًا، لَا يَأْمَنُ جَارُهُ
بَوَائِقَهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَى الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُ، ثُمَّ قَالَ:

مَضَى لَا حَمِيدًا يَرْتَجِيهِ صَدِيقُهُ وَلَا حَائِفًا مِنْهُ الْعَدُوُّ الْمُحَارِبُ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيزِيُّ: وَهَذَا الْبَيْتُ لِابْنِ الْبُرَيْصَاءِ الْمُرِّيِّ، قَالَهُ لِأَحْمَرَ بْنِ سَالِمِ
الْمُرِّيِّ الَّذِي يَقُولُ:

مُقِلٌّ رَأَى الْإِقْلَالَ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ حَتَّى تَمَّوَلَا

إِذَا جَابَ أَرْضًا أَوْ ظِلَامًا رَمَتْ بِهِ مَهَامِهِ أَحْرَى عَيْسُهُ مُتَقَلِّبًا

وَلَكِنْ مَضَى قُدَمَا وَمَا كَانَ مُسْبِلًا وَلَمْ يَثْنِهِ عَمَّا أَرَادَ مَهَابَةً

فَلَمَّا أَفَادَ الْمَالَ جَادَ بِفَضْلِهِ لِمَنْ جَاءَهُ يَرْجُو جَدَاةً مُؤَمَّلًا

وَأَعْطَى جَزِيلًا مَنْ أَرَادَ عَطَاءَهُ وَذُو الْبُخْلِ مَذْمُومًا يَرَى الْبُخْلَ أَفْضَلًا

كَيْبًا فَمَا يُرْجَا بِخَيْرٍ وَلَا يُرَى بِجُودٍ لِمَنْ يَرْجُو جَدَاهُ تَفْضُلًا

إِذَا ذُكِرَا أَوْ نَارَعَا الْمَجْدَ مَخْفَلًا فَشْتَانَ ذُو الْبُخْلِ الذَّمِيمُ وَذُو النَّدَى

يُقَالُ ذَمِيمٌ لَيْسَ يُرْجَا فُضُولُهُ يَقْتُوبُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَوَسَّلًا

فَمَا يَسْتَطِيعُ الْجُودَ إِلَّا كَلَا وَلَا بَدَاكَ بِلَا وَالْبُخْلُ مِنْهُ سَجِيَّةٌ

وَذُو الْجُودِ يُعْطِي ضَاحِكًا مُتَبَرِّعًا إِذَا جَاءَ أَمْسَى لِلتَّبَرُّعِ أَجْمَلًا

يَرَى الْحَقُّ بَدَلَ الْمَالِ وَالْجُودَ بِالنَّدَى إِذَا الْبَاخِلُ الْهَيَّابُ عَنْ ذَاكَ أَجْبَلًا

فَلِلَّهِ مَفْقُودٌ جَوَادٌ بِمَالِهِ لَقَدْ مَاتَ مَحْمُودَ الْفِعَالِ مُرْقَلًا

فَلَا زَالَ يُسْتَقَى مُسْتَهْلًا سَحَابُهُ يَدَ النَّهْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قُرْمَلًا

وَلَا زَالَ مَذْكُورًا بِخَيْرٍ وَصَالِحٍ حَمِيدًا ثَنَاهُ مَجْدُهُ لَمْ يُحْلَحَلَا

وَلَا زَالَ ذُو الْبُحْلِ الضَّنِينُ بِمَالِهِ ذَمِيمًا إِذَا سَامَ الرَّجَالَ مُذَلَّلًا
مَضَى وَبَقِيَ مَا كَانَ حَازًا لَوَارِثٍ فَأَعْطَى ذَوِي الْأَرْحَامِ يَوْمًا وَأَفْضَلًا
فَقِيلَ جَزَى الرَّحْمَنُ خَيْرًا أَحَا النَّدَى وَلَا زَالَ مَلْعُونًا أَحَا الْبُحْلِ مُثْبَلًا

قَالَ: فَدَخَلَ الْأَحْمَرُ بْنُ سَالِمِ الْمُرِّيِّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَحْمَرُ كَيْفَ قُلْتَ:

مِقْلٌ رَأَى الْإِقْلَالَ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ حَتَّى تَمُوتَا
فَأَنْشَدَهُ، فَأَضَعَى إِلَيْهِ مُطْرِقًا فَلَمَّا فَرَّغَ، قَالَ لَهُ: حَاجَتُكَ؟ قَالَ: أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَعْلَى بِالْجَمِيلِ عَيْنًا، فَافْعَلْ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، فَإِنِّي لَمَّا أَوْلَيْتَنِي غَيْرُ كَافِرٍ. فَأَمَرَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ
بِعَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، وَأَلْحَقَهُ فِي الشَّرَفِ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ يَقُولُ:

بَكَفُّ ابْنِ مَرْوَانَ حَيِّتُ وَنَاشِنِي إِلَهِي مِنْ دَهْرٍ كَثِيرِ الْعَجَائِبِ
فَأَذْرَكْنِي وَالرُّكْنَ مِنِّْي مُضَعَّضِعٌ وَقَدْ أَشْرَفَ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَقَالُوا هُوَ الْمُرِّيُّ سَيِّدُ قَوْمِهِ غُرُوقُ نَمَتِهِ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبِ
فَقُلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا حَمْدَ غَيْرِهِ وَحَمْدِ ابْنِ مَرْوَانَ نَجْوَتُ وَصَاحِبِي
مِنَ اللَّيْثِ إِذْ نَحَى إِلَيَّ بَنَانَهُ وَكَانَ أَلِيمًا أَحْذُهُ لِلْمَحَارِبِ
فَأَقُلْتُ مِنْهُ بَعْدَمَا قَدْ تَشَبَّثَ بِشِلْوِي مِنْهُ مُوجِدَاتِ الْمَخَالِبِ
وَكَانَ ابْنُ مَرْوَانَ يَرَأْبُ الثَّأْيِ وَيُشْعِبُ مَا أَعْيَا بِهِ كُلُّ شَاعِبِ
وَيُعْطِي الْمُنَى مَنْ جَاءَهُ مُتَنَصِّفًا وَفَوْقَ الْمُنَى وَرَغْبَةَ الْمُتْرَاعِبِ
وَكَمَّ لَا بِنِ مَرْوَانَ عَلَى النَّاسِ مِنْ يَدِ إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ تُحْزَرْ فِي الْمَحَاصِبِ
تَدَارِكُ دِينَ اللَّهِ إِذْ هُدِّدَ رُكْنُهُ وَأَطْمَعَ فِيهِ كُلُّ نَكْسٍ وَجَانِبِ
بِحَزْمٍ وَجِدًّا لَا يُجَارَى وَجِدَّةً وَصَبْرٍ عَلَى وَقْعِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
وَحِلْمٍ عَنِ الْجُهَالِ إِذَا شَنَفُوا لَهُ وَسَارُوا بِجَمْعِ مُطْلَحِمِ الْكُتَابِ

فَنَارَ لَهُمْ بِالسَّيْفِ صَلْتَنَا وَنَاصِرٌ
قَوْلَى جُمُوعِ الْمُلْحِدِينَ وَأَدْبَرُوا
وَقَوْمَ دِينَ اللَّهِ مَرُوانَ وَابْنَهُ
هُمَا صَدَقَا الْأَعْدَاءَ فِي مُرْجَحِنَةٍ

الشُّرْمَحِيُّ مِنَ الرِّجَالِ: التَّامُّ الْجَمِيلُ الْكَرِيمُ.

وَلَوْ وَقَفُوا صَارُوا حَدِيثًا لِحَلْفِهِمْ
وَقَامَ لَنَا مِنْ بَعْدِ مَرُوانَ وَابْنَهُ
فَدَوْخٌ مَنْ عَادَى الْإِلَهَ بِصَوْلَةٍ
يُصْبِصُ مِنْهَا كُلُّ خِرْقٍ مُحَارِبٍ

فَلَمَّا أَنْشَدَ عَبْدَ الْمَلِكِ، قَالَ: أَحْسَنْتَ، وَيْحَكَ يَا ابْنَ سَالِمٍ هَلْ كُنْتَ هَيَّاتَ شَيْئًا
مِمَّا قُلْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: وَيْحَكَ، فَقَدْ أَمَكَّنَكَ الْقَوْلُ، فَلَا تُكْثِرْ، وَقَلِيلٌ كَافٍ
خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِخُلْعَةٍ، وَأَرْبَعَةَ آلافٍ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ. فَقَالَ: الزُّمُّ بَابِي،
وَإِيَّاكَ وَأَعْرَاضَ النَّاسِ، فَإِنِّي أَرَى لَكَ لِسَانًا لَا يَدْعُكَ حَتَّى يُوقِعَكَ فِي وَرْطَةٍ يَوْمًا،
فَاحْذَرْ أَنْ يورِدَكَ شِعْرُكَ مُورِدٌ سُوءٍ يُصَيِّرُكَ تَحْتَ كُلِّ هَزْبٍ أَبِي شِبْلٍ يُضْغَمُكَ ضَغْمًا
لَا بَقِيَّةَ بَعْدَ ضَغْمِهِ فِيكَ. فَلَمْ يَلْبَثِ الْأَحْمَرُ بْنُ سَالِمٍ أَنْ قَدِمَ الْعِرَاقَ فَهَجَا الْحَجَّاجَ بْنَ
يُوسُفَ، قَالَ فِي هِجَائِهِ لَهُ:

ثَقِيفٌ بَقَايَا مِنْ ثُمُودٍ وَمَالِهِمْ
إِذَا انْتَسَبُوا فِي قَيْسِ عَيْلانَ كُذِّبُوا
هُمُ وَلَدُوكُمْ غَيْرَ شَكٍّ فِيمُمُوا
وَأَلْتَ دَعِيٌّ يَا ابْنَ يُوسُفَ فِيهِمْ
أَبٌ مَاجِدٌ مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ يُنْسَبُ
وَقَالُوا: ثُمُودٌ جَدُّكُمْ وَالْفَخْرَتُبُ
بِلَادِ ثُمُودٍ حَيْثُ كَانُوا وَأَعْدَبُوا
زَنْيِمٌ إِذَا مَا حُصِّلُوا تَتَدَبَّدَبُ

فَطَلَبَهُ الْحَجَّاجُ، وَأَجْعَلَ فِيهِ وَتَقَدَّمَ إِلَى سَائِرِ عَمَالِهِ أَنْ لَا يُفْلِئَهُ، فَأَخَذَهُ صَاحِبُ
هَيْتٍ، وَوَجَّهَ بِهِ مُقَيَّدًا، فَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَى الْحَجَّاجِ. قَالَ: مَا جَزَاؤُكَ عِنْدِي إِلَّا أَنْ أُعَذِّبَكَ
بِمَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ مِنْ أَلِيمٍ عَذَابِهِ، فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ. وَقَالَ الْحَجَّاجُ مَتَمِّثًا بِقَوْلِ ابْنِ

مَخْلَاةَ الْكَلْبِيِّ يَهْجُو هَمَامَ بْنَ قَبِيصَةَ التَّمِيرِيَّ، وَكَانَ هَمَامٌ ضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ ضَرْبَةً شَتَرَ عَيْنَهُ، فَلَمْ يَزَلْ أَشْتَرَ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ:

بِمَا جَرَمْتَ كَفَّاكَ لَاقَيْتَ مَا تَرَى فَلَا يُبْعَدُ الرَّحْمَنُ غَيْرَكَ هَالِكَا
 غَمَصْتَ نَعِيمًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ أَهْلُهُ فَصَادَفْتَ لَيْلًا مَوْجُهُ الرُّكْنُ تَامِكَا
 فَقَضَقَصَ رَكْنًا طَالَ مَا كَانَ آيًّا وَأَصْبَحَ تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ سَوَامِكَا
 فَبُعْدًا لِمَنْ يُنْكِيكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَسُحْقًا فَقَدْ لَاقَيْتَ لَيْثًا مُعَارِكَا

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعِيُّ: وَكَانَ الْأَحْمَرُ بْنُ سَالِمٍ وَالْعَلَاءُ بْنُ عَثْوَارَةَ اللَّيْثِيُّ مَعَ ابْنِ الرَّبِيعِيِّ، فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الرَّبِيعِيِّ لَحِقَ الْأَحْمَرُ بِبِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، فَطَلَبَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَرَبِيِّ فَظَفَرَ بِهِ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ فِيهِ، فَأَمَّنَهُ، وَأَمَّا ابْنُ عَثْوَارَةَ فَقَتَلَهُ، بَعْدَ ذَلِكَ شَيْبُ الْحُزُورِيِّ مَعَ الْحَجَّاجِ، وَكَانَ ابْنُ عَثْوَارَةَ شُجَاعًا وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

مَا أَبَالِي إِذَا لَبِسْتُ سِلَاحِي وَرَكِبْتُ الْجَوَادَ مَا قُلْتُمَا لِي
 مَا سَأَمْتُ الْقِتَالَ مُذْ كُنْتُ غَرًّا يَافِعًا لَدَتِي مَعَ الْجُهَّالِ
 أَحْسَبُ الْمَوْتَ شَرِبَةً مِنْ عَقَارٍ شَعِشَعْتُ لِي بِمَاءِ عَذْبِ زُلَالِ
 فَانْقَضَتْ شِرَّتِي وَوَلَّاحَ بَيَاضٌ وَاضِحٌ عَمَّ مَفْرَقِي وَقَدَالِي
 وَتَجَنَّنَيْتُ بَعْدَ حُسْنِ قَوَامٍ بَعْدَمَا كُنْتُ رَائِعًا لِلرَّجَالِ
 رَبُّ قَرْنٍ رَأَيْتُهُ مُسْلِحًا فَوْقَ عَرْنِينِهِ سِفَاهُ الشَّمَالِ
 مُجْلَعًا بَأْسًا حَشَوْتُهُ أَرْزَاقِيَا صَادِقًا وَقَعُهُ غَدَاةَ النَّزَالِ

أَنْشَدَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِلنَّيْلِ الْأَخْيَلِيَّةِ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ ﷺ:

قُتِلَ ابْنُ عَفَّانِ الْإِمَامِ فَضَاعَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ
 وَتَشَتَّتْ سُبُلُ الرُّشَا دِ بِي صَادِرِينَ وَوَارِدِينَ
 فَانْهَضَ مَعَاوِيَ نَهْضَةً تُشْفِي بِهَا الدَّاءَ الدَّفِينَا

أَلَّتِ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ تُدْعَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنْشَدَنِي عَمِّي لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي قَتْلِ عُمَانَ رضي الله عنه:

قَتَلْتُمْ وَلِيَّ اللَّهِ فِي جَوْفِ دَارِهِ وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ جَائِرٍ غَيْرِ مُهْتَدِي

فَلَا ظَفَرَتْ أَيْمَانُ قَوْمٍ تَظَاهَرَتْ عَلَى قَتْلِ عُمَانَ الرَّشِيدِ الْمُسَدَّدِ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي قَتْلِ عُمَانَ رضي الله عنه:

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَيَقِنَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ

وَقَالَ لِأَهْلِ الدَّارِ أَلَا تَقَاتِلُوا عَفَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلْ

فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ أَلْقَى عَلَيْهِمُ الـ عَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصُلِ

وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْحَيَرَ أَدْبَرَ بَعْدَهُ عَنِ النَّاسِ إِدْبَارَ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ

سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: أَتَرْجُو الْأَجْرَ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَرَأَيْتَ لَوْ فَعَلْتَ شَيْئًا وَهُوَ حَرَامٌ، أَكُنْتَ تَخَافُ الْإِثْمَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَارْجُ الْأَجْرَ فِيمَا أَحَلَّ لَكَ، كَمَا تَخَافُ الْإِثْمَ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ.

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْوَاقِدِيَّ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو شَرِيحِ الْخُرَاعِيٍّ مِنْ عُقَلَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَكَانَ، يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمُونِي أَبْلُغُ بِمَنْ أَنْكَحْتُهُ أَوْ نَكَحْتُ إِلَيْهِ السُّلْطَانَ فَاعْلَمُوا أَنِّي مَجْنُونٌ فَاكُونُونِي، وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَمْنَعُ جَارِي أَنْ يَضَعَ خَشَبَةً فِي حَائِطِي فَاعْلَمُوا أَنِّي مَجْنُونٌ فَاكُونُونِي، وَمَنْ وَجَدَ لِأَبِي شَرِيحِ سَمْنًا أَوْ لَبَنًا أَوْ جَدَايَةً فَهُوَ لَهُ حِلٌّ فَلْيَأْكُلْهُ وَلْيَشْرَبْهُ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَكَانَ لَهُ مَالٌ بِالْمَدِينَةِ فِيهِ مَا ذَكَرَ فَكَانَ النَّاسُ يَرْعَوْنَ فِيهِ.

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَيَاشِ السَّعْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو وَجْرَةَ، قَالَ:

لَقِيتُ النَّسَابَةَ الْبَكْرِيَّ بِمِثْيَ، فَسَأَلْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّ الشُّعْرَاءِ أَغْزَلُ؟ قَالَ: أَضَدُّهُمْ وَجَدًّا، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَ شِعْرَهُ أَوَيْتَ لِقَائِلِهِ، أَمَا يَقِفُ فِي سَمْعِكَ قَوْلُ حُجَازِ بْنِكُمْ عَمْرٍو بْنِ عَجَلَانَ، وَاسْتَحْفَهْ مَرَّةً الْوَجْدُ فَهَرَبَ، فَوَقَعَ فِي أَرْضِ بَنِي فَرَازَةَ، فَقَالَ:

بَكِي فَبَكَتْ لَهُ أَجْبَالُ صُبْحِ
حِجَازِيُّ الْهَوَىٰ عَلِقَ بِنَجْدِ
فَتَرَدَّعُهُ الدُّبُورُ لَهَا أَحْيَجُ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ كَفَمَا طَرِيدِ
لِهِنْدٍ مِنْكَ عَيْنٌ ذَاتَ سَجَلِ
إِذَا اكْتَنَفَا بِضَرْهِمَا سَقِيمًا
وَأَسْعَدَتِ الْجِبَالُ بِهَا مَرُوتُ
ضَمِينٌ مَا يَعِيشُ وَلَا يَمُوتُ
وَيُسَلِّمُهُ إِلَى الْوَجْدِ الْمَبِيتُ
كَأَنَّهُمَا بِشَاطِئِ الْبَحْرِ حُوتُ
وَقَلْبٌ سَوْفَ يَأْلُمُ أَوْ يَفُوتُ
يُعَادِي الدَّاءَ لَيْسَ لَهُ مَقِيتُ

وَأَتَسَدَنِي لِلْمُقْتَعِ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ أَبِي شَمْرَةَ الْكِنْدِيِّ:

وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
وَلَيْسُوا إِلَيَّ نَصْرِي سِرَاعًا وَإِنْ هُمْ
إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ
يُعِيرُنِي بِالذِّئْبِ قَوْمِي وَإِنَّمَا
وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
دَعَوْنِي إِلَى نَصْرٍ أَتَيْتُهُمْ شَدَا
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا
ذِيونِي فِي أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا

وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجْهًا، وَأَتْمَمَهُمْ قَامَةً، فَكَانَ إِذَا كَشَفَ
وَجْهَهُ لَطَمَ، فَكَانَ مُقْتَعًا دَهْرَهُ، فَسَمِّيَ بِذَلِكَ الْمُقْتَعُ. ثَلَاثٌ مِنَ الْجَنَّةِ: الْمُصِيبَةُ وَالصَّدَقَةُ
وَالْمَرَضُ. وَقَالَ: لَيْسَ الْحَلِيمُ مَنْ ظَلِمَ فَحَلِمَ، وَصَبَرَ حَتَّى إِذَا قَدَرَ انْتَقَمَ، وَلَكِنْ مَنْ ظَلِمَ
فَحَلِمَ حَتَّى إِذَا قَدَرَ عَفَا. وَقَالَ: ضُنَّ عَقْلُكَ بِالْحَلِمِ، وَمُرُوءَتُكَ بِالْعَفَافِ، وَنَجْدَتُكَ
بِمُجَانَبَةِ الْخِيَلَاءِ، وَوَجْهَكَ بِالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ. وَقَالَ: مَا حُصِنَتِ النَّعْمُ بِمِثْلِ
الْمُشَاوَرَةِ، وَلَا اكْتَسِبَتِ الْبُغْضَاءُ بِمِثْلِ الْكِبْرِ.

أَرَى لَكَ أَخْلَاقًا حَسَنًا قَبِيحَةً
سَخِيٌّ بِخَيْلٍ أَحْمَقٍ مُتْظَرِّفٌ
كَذَلِكَ إِنِّي عَالِمٌ بِكَ جَاهِلٌ
تَلَوْتُ حَتَّى لَسْتُ أَذْرِي مِنَ الْعَمَى
فَأَنْتَ يَقِينًا مِثْلُ مَا أَنَا وَأَصِيفُ
جَبَانٌ شَجَاعٌ مُسْتَقِيمٌ مُخَالِفٌ
كَمَا أَنَّ قَلْبِي مُنْكَرٌ لَكَ عَارِفٌ
أَرِيحُ سُكُونِ أَلْتِ أَمْ أَلْتِ عَاصِفٌ؟

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَلَمْ أَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الْكُفْرُ، فَاعْفُزْ لِي مَا بَيْنَهُمَا - حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ: صَلَّى بِنَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَوَجِمَ بَعْدَ الصَّلَاةِ سَاعَةً. فَقَالَ النَّاسُ: لَقَدْ حَدَّثَ نَفْسَهُ. ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: لَا يَبْعُدُنْ ابْنُ هِنْدٍ إِنْ كَانَتْ فِيهِ لَمَحَارِجٌ لَا تَجِدُهَا فِي أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنُكْفِرُفَهُ فَيَتَفَارَقُ لَنَا، وَمَا اللَّيْثُ الْحَرْبُ عَلَى بَرَائِثِهِ، بِأَجْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ كُنَّا لَنُخَدَعُهُ وَمَا ابْنُ لَيْلَةَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بِأَدْمَى مِنْهُ، فَيَتَخَادَعُ لَنَا، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَا مُتَّعِنَا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا الْجَبَلِ حَجْرًا، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ، لَا يَتَحَوَّنُ لَهُ عَقْلٌ، وَلَا تَنْقُضُ لَهُ مَرَّةً، فَقُلْنَا أَوْحَشَ وَاللَّهِ الرَّجُلَ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَصِلُ بِهِذَا: كَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ بَطْحَاءُ، وَبَطْحَاءُ رَجُلٌ مِنْ عُذْرَةَ كَانَ مَدَحَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ:

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَثَابَهَُا مُعِينٌ بِخَطْبِ تِهِ مُجْهِرُ
تَرْبِعُ إِلَيْهِ فُصُوصُ الْكَلَامِ إِذَا خَطَلَ الثُّرَّ الْمُهْمَرُ

ثُمَّ يَقُولُ: كَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَتْ رُفَيْقَةُ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ أَسَدِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ أَوْ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ:

أَلَا أَبِكِيهِ أَلَا أَبِكِيهِ أَلَا كُتِلَ الْفَتَى فِيهِ

حَدَّثَنِي أَبُو ضَمْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ شَيْخَةً بِالْمَدِينَةِ، وَإِنَّ عَلَيْهِمُ الْعَدَائِرَ وَإِنَّ عَلَيْهِمُ الْمَمَصَّرَ وَالْمُورَدَ، وَفِي أَيْدِيهِمُ الْمَخَاصِرُ، وَفِي أَيْدِيهِمُ أَثَرُ الْجَنَاءِ فِي هَيْئَةِ الْفَتَيَانِ وَدِينُ أَحَدِهِمْ أَبْعَدُ مِنَ الثُّرَيَّا إِنْ أُرِيدَ عَلَى دِينِهِ^(١).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هُبَيْرَةُ بْنُ مَرَّةَ الْقَشِيرِيُّ، قَالَ: كَانَ لِي

غَلَامٌ يَسُوقُ نَاطِحًا لِي، فَكَانَ يَزُطُنُ بِالرِّزْنِجِيَّةِ بِشَيْءٍ شَبِهَ الشِّعْرَ وَلَا أَعْرِفُهُ، فَجَاءَنَا رَاعٍ يَنْفَضُّحُ. فَقُلْتُ لَهُ: تَرَوِي مَا يَقُولُ هَذَا، وَأَخْبَرْنَا بِهِ. قَالَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ:

فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي اهْتَدَيْتُ لِفَتْيَةٍ أَنَاخُوا بِعَجَعَاجٍ قَلَائِصَ سَهْمًا
فَقَالَتْ كَذَلِكَ الْعَاشِقُونَ وَمَنْ يَخْفَى عُيُونَ الْأَعَادِي يَجْعَلِ اللَّيْلَ سَلْمًا

أَنْشَدَنِي عَمِّي مُضْعَبٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ:

قَالَ عُثْمَانُ زُرْ حَبَابَةَ بِالْعُرْصَةِ تُحَدِّثُ تَحِيَّةً وَسَلَامًا
قُلْتُ زُرْهَا وَأَنْتِ أُمُّ عَدِيٍّ تَرْتَدِي لَيْلَةً إِلَيْنَا الظَّلَامَا
ثُمَّ نَلُّهُوَ إِلَى الصَّبَاحِ وَلَا تَقْرَبُ فِي اللَّهْوِ وَالْحَدِيثِ حَرَامَا
وَصَفُوهَا فَلَمْ أَزَلْ عَلِمَ اللَّهُ إِلَيْهَا مُسْتَوْلَهَا مُسْتَهَامَا
هَلْ عَلَيْهَا فِي نَظْرَةٍ مِنْ جُنَاحٍ مِنْ فَتَى لَا يَزُورُ إِلَّا لِمَامَا
حَالَ فِيهَا الْإِسْلَامُ ذُونَ هَوَاهُ فَهُوَ هَوِيٌّ وَيَرْقُبُ الْإِسْلَامَا
وَيَمِيلُ الْهَوَى بِهٍ ثُمَّ يَخْشَى أَنْ يُطِيعَ الْهَوَى فَيَلْقَى أَنَامَا

أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَضْفُوهُوَ لِأَحَدٍ عَيْشَ يَوْمًا. ثُمَّ قَالَ: لَا تُخْبِرُونِي غَدًا بِشَيْءٍ. وَجَلَسَ مَعَ حَبَابَةَ، فَأَكَلَا ثُمَّ أَكَلَتْ حَبَابَةُ زَمَانًا فَشَرِقَتْ بِحَبَّةٍ فَمَاتَتْ. فَمَكَثَتْ ثَلَاثًا لَا تُدْفَنُ، ثُمَّ عُشِلَتْ وَأُخْرِجَتْ، فَمَرَّ يَزِيدُ فِي جَنَازَتِهَا فَلَمَّا دُفِنَتْ، قَالَ:

فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعَ الصَّبَا فَبِالْيَأْسِ يَسْأَلُو عَنكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
وَكُلُّ حَمِيمٍ رَأَيْتَنِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ: هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

أَنْشَدَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ لِيَزِيدَ بْنِ مَارِيَةَ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ:

وَرَأَتْ عُثَيْمَةَ أَنِّي مُتَبَدِّلٌ نَسْوَانٌ قَدْ أَهْلَكْتَ مَالِي أَجْمَعُ
فَتَجَهَّمْتَنِي ثُمَّ كَانَ جَوَابَهَا ارْجِعْ بِغَيْظِكَ لَيْسَ فِيهَا مَطْمَعُ

إِذَا قَدِ اطَّرَفْنَا سِوَاكَ مُحَدِّثًا سَمَحًا، سَجِيئُهُ مَرِيٌّ مَرْتَعٌ
 قَدْ طَالَ مَا مَنَيْتَنَا وَخَدَعْتَنَا فَادْهَبْ بِشِعْرِكَ فَابْتَغِ مَنْ تَخْدَعُ
 حَتَّى مَتَى تَهْذِي بِشِعْرِكَ عِنْدَنَا قَدْ مَلَ سَمْعِي لَيْتَ شِعْرِكَ يَنْفَعُ
 تَأْتِي فَتُخْبِرُنَا بِأَلْسِنَتِكَ شَاعِرٌ وَالشَّعْرُ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلْجُوعِ
 اجْعَلْ مَكَانَ قَصِيْدَةٍ هَيَأْتِيهَا لِلْقَوْمِ أَقْرَنَ ذَا قَوَائِمِ أَرْبَعُ
 أَمَّا الْإِهَابُ فَقِرْبَةٌ تَسْقِيهِمْ وَاللَّحْمُ يُجْعَلُ لِلْقَدِيدِ وَيُخْلَعُ
 وَالشَّحْمُ تَحْمِلُهُ جَمِيعًا كُلُّهُ فَيَكُونُ لِلْمِصْبَاحِ شَهْرًا يَنْفَعُ
 وَالرَّأْسُ فِي كَرَشٍ فَيُصْبِحُ عِنْدَنَا فَهُنَاكَ يُرَوَى مَا تَقُولُ وَيُسْمَعُ
 وَالصُّوفُ يُجْعَلُ فِي الْوَسَائِدِ نَافِعٌ وَتَرَى الْأَكَارِعَ فِي الْحَشِيشِ تُزْلَعُ
 وَالْقَرْنُ تُجْعَلُهُ نِصَابًا جَيِّدًا فَإِذَا الَّذِي أَهْدَيْتَ كُلَّ يَنْفَعُ
 أَكْثَرَ لَهْنٍ مِنَ اللَّذِيقِ وَزَيْتِهِ وَالتَّمْرُ أَوْصَفُ بِالْعِيَالِ وَأَشْبَعُ
 فَتَكُونُ فِيْنَا سَيِّدًا مَا زُرْتَنَا وَتَرَى عُثَيْمَةَ عِنْدَ قَوْلِكَ تَقْنَعُ

حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي قُدَامَةُ بْنُ
 إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيُّ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:
 حَضَرْتُ رَجُلًا مِنْ رِبِيعَةَ الْوَفَاءَةِ، فَقَالَ لِابْنِهِ: يَا بَنِيَّ، إِذَا حَزَبَكَ أَمْرٌ فَاحْكُوكَ رُكْبَتَيْكَ بِرُكْبَةِ
 مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ ثُمَّ اسْتَشِرَّهُ. قَالَ: فَمَاتَ أَبِي، فَأَرَدْتُ التَّزْوِيجَ، فَجِئْتُ شَيْخًا مِنْ قَوْمِي،
 فَجَلَسْتُ فِي نَادِيهِ، فَلَمَّا قَامَ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ يَا بَنَ أَخِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَمُّ، إِنِّي
 أَرَدْتُ التَّزْوِيجَ. قَالَ: أَطْوِيلَةُ النَّسَبِ أَمْ قَصِيرَتُهُ؟ قُلْتُ: فَوَاللَّهِ مَا اخْتَرْتُ وَلَا أَدْبْتُ. فَقَالَ:
 إِنِّي أَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا عَرَفْتُ، وَأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا أَنْكَرْتُ، وَأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا لَمْ
 تَعْرِفْ، وَلَمْ تُنْكَرْ. فَأَمَّا إِذَا عَرَفْتَ فَإِنَّهَا تُحَاوِضُ لِلْمَعْرِفَةِ، وَأَمَّا إِذَا أَنْكَرْتَ فَإِنَّهَا تَجْحَظُ
 لِلنُّكْرَةِ، وَإِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَلَمْ تُنْكَرْ فَإِنَّهَا تَسْجُوا سَجْوًا. يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ أَنْ تَرَوِّجَ إِلَى قَوْمِ
 أَهْلِ دِنَاءَةٍ، أَصَابُوا مِنَ الدُّنْيَا غُتْرَةً، فَشَرَكُهُمْ فِي دِنَاءَتِهِمْ، وَيَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْكَ بِدُنْيَاهُمْ.

فَقَمْتُ وَقَدْ اِكْتَفَيْتُ. سَمِعْتُ عَمِّي مُضَعَبًا، يَقُولُ: قَالَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ لِهِنْدٍ: أَعْطِنِي صَفَةَ مُسُوحِكِ. قَالَتْ: لَا أَعْطِيكَه تَعْلَمُهُ جَوَارِيكَ وَلَا حَيَاءَ لَهْنٍ، فَالْحَّ عَلَيَّهَا. فَقَالَتْ: مَا أَخَذْتُهُ إِلَّا مِنْ شِعْرِكَ، حَيْثُ تَقُولُ:

أَطِيبُ الطَّيِّبِ طِيبٌ أُمُّ أَبَانٍ فَأَرُ مِسْكَ بِزَنْبِقٍ مَفْتُوقِ
خَلَطَتْهُ بَعْبَرٍ وَبِنْدٍ فَهُوَ أَحْوَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقِ

قَالَ لِي عَمِّي: وَهِيَ مُسُوحُ أَمِّكَ أَخْبَرَنِي ثَابِتُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ، قَالَ: قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ خُرَّاسَانَ مَعَهُ بِشَاعِرٍ، فَلَقِيَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ: مَنْ أَشْعَرُ أَنَا أَوْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنْتَ أَشْعَرُ وَأَوْلَى بِالْتَّقْدِيمَةِ، وَوَقَّرَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ: كَمْ تَقُولُ فِي اللَّيْلَةِ مِنْ بَيْتٍ؟ قَالَ: رُبَّمَا أَقَمْتُ عَلَى الْقَصِيدَةِ لَا تَكُونُ ثَلَاثِينَ بَيْتًا شَهْرًا. قَالَ: فَأَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ، رُبَّمَا دَعَوْتُ الْجَارِيَةَ، فَأَمَلَيْتُ عَلَيْهَا خَمْسَ مِائَةِ بَيْتٍ. قَالَ: فَحَبِي الْخُرَّاسَانِي، وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَرْضَى مِثْلَ شِعْرِكَ لَقُلْتُ فِي لَيْلَةٍ خَمْسَةَ آلَافِ بَيْتٍ. قَالَ: مِثْلَ أَيِّ شِعْرٍ؟ قَالَ: مِثْلَ قَوْلِكَ:

أَلَا يَا عَتَبَةَ السَّاعَةِ أُمُوتُ السَّاعَةِ السَّاعَةِ

قَالَ: فَاسْتَضَحَكَ الْقَوْمُ مِنْهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْرُومِي، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِي مِنَ الزُّهَادِ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَجُلٍ مِنَ الْعُبَادِ، يُقَالُ لَهُ: دَهْمٌ، وَالْأَرْضُ تَكَادُ تَخْشَعُ لِخُشُوعِهِ، فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يَضْرِبُ عَبْدًا لَهُ بِسَوْطٍ، فَوَعظَهُ دَهْمٌ، فَقَلَبَ السَّوْطَ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَأَسْرَعْنَا وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَبْلُغَ مِنْهُ. فَقَالَ لَنَا دَهْمٌ: مَهَلًا فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ رَضِيَ وَصِيَّةَ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، فَقَدْ أَمَرْنَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَدَعُونِي أَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَنِي.

حَدَّثَنِي ظَبِيئَةُ مَوْلَاةُ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ مُضَعَبٍ، قَالَتْ: خَرَجْتُ أَنَا وَدَهْيَةُ مَوْلَاةُ مُحَمَّدِ بْنِ مُضَعَبٍ إِلَى مَسْجِدِ الْفَتْحِ، فَوَجَدْنَا فِيهِ ابْنَ جُنْدُبٍ قَدْ صَلَّى فِيهِ ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّ عَمٍّ. فَقَالَ:

وَإِذَا دَعَاكَ عَمُّهُنَّ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ حَبَالًا

قَالَتْ: وَأَطَّلَعْتُ لَهُ يَدِي، وَقُلْتُ لَهُ: هَذَا الَّذِي قُلْتُ:

يَمْشِي إِلَيَّ مَسْجِدِ الْأَخْزَابِ مُحْتَضِبًا

فَقَالَتْ لِي صَاحِبَتِي: أَطْمَعْتِهِ فِي الدُّنْيَا وَاللَّهِ فِينَا. قُلْتُ لَهَا: إِنَّمَا يُطْمَعُ فِي أَهْلِ

الشَّرِّ. قَالَتْ: فَصَلَّيْنَا ثُمَّ خَرَجْنَا، فَوَجَدْنَاهُ قَدْ عَرَّضَ يَدَيْهِ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ:

أَيُّ مَنْ يَجْمَعُ الْمَوَاسِمَ أَنْتُمْ حَدِيثِنَا حَقًّا وَلَا تَكْذِيبِنَا

قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ:

نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا

قَالَ: أَلَا تَجْلِسُنَ تُحَدِّثُنَ وَنُحَدِّثُكَ، كَمَا قَالَ:

رَطَّبُ السُّؤَالِ لَهُ نَعْلَانٍ مِنْ بَقَرٍ حَلُّو الْمُرَاحَةَ مَعْسُولِ الْأَمَائِلِ

قَالَتْ: فَأَيُّنَا فَدَهَيْنَا.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: لَمَّا كَانَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ اسْتَشَارَ

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ الْحَكَمِيِّ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَمُنَاجَزَةِ

مُضْعَبِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ وَالَيْتَ بَيْنَ عَامَيْنِ تَعْرُوهُمَا، وَقَدْ خَسِرْتَ

خَيْلَكَ وَرِجَالَكَ، وَعَامُكَ هَذَا عَامُ جَذْبٍ، فَأَرِخْ نَفْسَكَ وَجَسَدَكَ، ثُمَّ تَرَى رَأْيَكَ. قَالَ:

إِنِّي أَبَادِرُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: الشَّامُ أَرْضُ الْمَالِ بِهَا قَلِيلٌ، وَأَخَافُ أَنْ يَنْفِدَ مَا مَعِيَ، وَأَشْرَافُ

أَهْلِ الْعِرَاقِ قَدْ كَتَبُوا إِلَيَّ يَدْعُونَنِي إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ كَلَا وَلَا. وَثَلَاثَةٌ مِنْ

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَدْ كَبُرُوا، وَنَفِدَتْ أَعْمَارُهُمْ، فَأَنَا أَبَادِرُ بِهِمُ الْمَوْتَ، أَحِبُّ أَنْ

يَحْضُرُوا مَعِيَ. ثُمَّ دَعَا يَحْيَى بْنَ الْحَكَمِ، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَمْرًا فَلْيُشَاوِرْ يَحْيَى، فَإِذَا

أَشَارَ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ فَلْيَعْمَلْ بِخِلَافِهِ. فَقَالَ: يَا يَحْيَى، مَا تَرَى فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ؟ قَالَ:

أَرَى أَنْ تَرْضَى بِالشَّامِ، وَتُقِيمَ بِهَا، وَتَدَعَ مُضْعَبًا وَالْعِرَاقَ، فَلَعَنَ اللَّهُ الْعِرَاقَ. فَضَحِكَ

عَبْدُ الْمَلِكِ، وَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أَسْنِدِ فَشَاوَرَهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ غَزَوْتَ

مَرَّةً فَنَضَرَكَ اللَّهُ، ثُمَّ غَزَوْتَ الثَّانِيَةَ فَزَادَكَ اللَّهُ عِزًّا، فَأَقِمَّ عَامَكَ هَذَا. فَقَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ

مَرْوَانَ: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرْجُو أَنْ يَنْضَرَكَ اللَّهُ، أَقَمْتَ أُمَّ غَزَوْتَ، فَأَغْزُ عَدُوَّكَ وَسَمِّرْ، فَإِنَّ

الله ناصرك. فَأَمَرَ النَّاسَ، فَاسْتَعَدُّوا لِلْمَسِيرِ، فَلَمَّا أَجْمَعَ قَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجْهَ الْجُنُودِ، وَأَقِمْ فَلَيْسَ مِنَ الرَّأْيِ أَنْ يَبَاشِرَ الْخَلِيفَةُ الْحَزْبَ بِنَفْسِهِ، قَالَ: لَوْ وَجَّهْتُ أَهْلَ الشَّامِ كُلَّهُمْ، فَعَلِمَ مُضْعَبٌ أَنِّي لَسْتُ مَعَهُمْ، لَهْلَكَ الْجَيْشُ كُلُّهُ، وَتَمَثَّلَ:

وَمُسْتَحِيرٌ عَنَّا يُرِيدُ بِنَا الرُّدَى وَمُسْتَحِيرَاتٌ وَالْعِيُونَ سَوَاكِبُ

قَالَ: فَقَدَّمَ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ، وَبِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ، وَنَادَى مُنَادٍ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ سَيِّدَ النَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، وَبَلَغَ مُضْعَبُ بْنُ الرَّبِيعِ مَسِيرَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَأَرَادَ الْخُرُوجَ، فَأَبَى عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَقَالُوا: عَدُونَا مُطَّلٌ عَلَيْنَا، يَغْتُونُ الْخَوَارِجَ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ بِالْمَوْصِلِ، غَامِلُهُ عَلَيْهَا، فَوَلَاهُ قِتَالَ الْخَوَارِجِ، وَخَرَجَ مُضْعَبٌ، فَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ، وَكَانَ مُضْعَبٌ يَخْرُجُ إِلَى بَاجِمِيْرَا يُرِيدُ الشَّامَ ثُمَّ يَرْجِعُ، وَأَوْلَاهَا: أَيَّتَ يَا مُضْعَبُ إِلَّا سِيرًا.

أَكُلْ عَامٌ لَكَ بَاجِمِيْرَا تَغْزُو بِنَا وَلَا تُفِيدُ حِيْرَا

فَأَقْبَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى نَزَلَ الْأَخْضَوَيْيَّةَ، وَنَزَلَ مُضْعَبٌ بِمَسْكِنٍ إِلَى جَنْبِ أَوَانَا، وَخَنْدَقٍ خَنْدَقًا، ثُمَّ تَحَوَّلَ، وَنَزَلَ دَيْرَ الْجَائِلِيِّ، وَهُوَ بِمَسْكِنٍ، وَبَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ ثَلَاثَةٌ فَرَسِيخَ، وَيُقَالُ: فَرَسِيخَانٍ. فَقَدَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، وَبِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى جُنْدٍ، وَالْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ. وَوَجَّهَ مُضْعَبٌ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ. وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أَشْرَافِ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَفْسِهِ، وَيُمَيِّنُهُمْ، فَأَجَابُوهُ وَاسْتَرْطَوْا عَلَيْهِ شُرُوطًا، وَسَأَلُوهُ وَلايَاتٍ، وَسَأَلَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَضْبَهَانَ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا أَضْبَهَانَ هَذِهِ؟ تَعَجُّبًا مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَطْلُبُهَا. وَكَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ: لَكَ وَلايَةٌ مَا سَقَى الْفُرَاتِ إِنْ بَايَعْتَنِي، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بِالْكِتَابِ إِلَى مُضْعَبٍ، فَقَالَ: هَذَا كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيَّ، وَلَمْ يَخْصِنِي بِهِذَا دُونَ غَيْرِي مِنْ نَظْرَائِي، فَأَطْعِنِي فِيهِمْ. قَالَ: أَضْعُ مَاذَا؟ قَالَ: تَدْعُو بِهِمْ فَضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ. قَالَ: أَقْتُلُهُمْ عَلَى ظَنِّي ظَنَّتُهُ؟ قَالَ: فَأَوْقِزُهُمْ حَدِيدًا، وَابْعَثْ بِهِمْ إِلَى أَبِيضِ الْمَدَائِنِ حَتَّى تَنْقَضِيَ الْحَزْبُ. قَالَ: إِذَا نَفْسُدَ قُلُوبُ عَسَائِرِهِمْ، وَيَقُولُ النَّاسُ: عَبَثَ مُضْعَبٌ بِأَصْحَابِهِ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ وَاحِدَةً مِنْ

هَاتَيْنِ، فَلَا تَمُدَّنِي بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَالْمَوْمِسَةِ تُرِيدُ كُلَّ يَوْمٍ خَلِيلًا، وَهُمْ يُرِيدُونَ كُلَّ يَوْمٍ أَمِيرًا. وَأَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَجُلًا إِلَى مُضْعَبٍ، فَقَالَ: أَقْرَبِي ابْنَ أُخْتِكَ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَدْعُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى أَخِيهِ، وَأَدْعُ أَنْ أَدْعُوَ إِلَى نَفْسِي، وَأُصَيِّرُ الْأَمْرَ سُورَى. فَأَنَاهُ فَأَبْلَغَهُ فَأَبَى، فَقَدَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ انْصُرْ مُحَمَّدًا، اللَّهُمَّ إِنَّ مُضْعَبًا يَدْعُوَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَدْعُوَ إِلَى نَفْسِي، اللَّهُمَّ انْصُرْ خَيْرَنَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ. وَقَدَّمَ مُضْعَبَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ فَالْتَقَتِ الْمُقَدَّمَتَانِ، وَبَيْنَ عَسْكَرِ مُضْعَبٍ وَبَيْنَ ابْنِ الْأَشْتَرِ فَرْسَخٌ، وَدَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ فَصَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَسْكَرِ مُحَمَّدٍ فَنَنَاقَشُوا، فَقُتِلَ رَجُلٌ عَلَى مُقَدَّمَةِ مُحَمَّدٍ، يُقَالُ لَهُ: فِرَاسٌ. وَقُتِلَ صَاحِبُ لِيَاءِ بَشْرٍ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: أُسَيْدٌ. فَأَرْسَلَ مُحَمَّدٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلًا، فَقَالَ: قُلْ لَهُ إِنَّ بَشْرًا ضَيَّعَ لِيَاءَهُ فَصَيَّرَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْأَمْرَ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَكَفَّ النَّاسَ، وَتَوَاقَفُوا، وَجَعَلَ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْتَرِ يَهْمُونَ بِهِمْ، وَمُحَمَّدٌ يَكْفُهُمْ، فَأَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مُحَمَّدٍ: نَاجِزْهُمْ. فَأَبَى، فَزَدَّ إِلَيْهِ رَسُولًا آخَرَ يَشْتُمُ مُحَمَّدًا. فَأَمَرَ مُحَمَّدٌ رَجُلًا، فَقَالَ: قِفْ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَلَا تَدْعَنَّ أَحَدًا يَا بُنَيَّ مِنْ قَبْلِ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَوَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَرْسَلُوا إِلَى مُحَمَّدٍ: هَذَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ، فَقَالَ: رُدُّوهُ بِأَشَدِّ مَا رَدَدْتُمْ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ. فَلَمَّا كَانَ قُرْبُ الْمَسَاءِ. قَالَ مُحَمَّدٌ لِلنَّاسِ: حَرِّكُوهُمْ. فَتَهَاجَرَ النَّاسُ، وَوَجَّهَ مُضْعَبٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيِّ، فَعَجَزَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ، قَالَ: قَدْ قُلْتُ لَهُ. لَا تَمُدَّنِي بِأَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ. وَاقْتَتَلُوا، وَأَرْسَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: لَا تَنْصَرِفُوا حَتَّى يَنْصَرِفَ أَهْلُ الشَّامِ عَنْكُمْ. فَقَالَ عَتَّابٌ: وَلِمَ لَا نَنْصَرِفُ؟ فَانْصَرَفَ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ حَتَّى أَتَوْا مُضْعَبًا، وَصَبَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَمَرَ مُحَمَّدٌ رَجُلًا، فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى عَسْكَرِ مُضْعَبٍ، فَانظُرْ كَيْفَ تَرَاهُمْ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الْأَشْتَرِ. قَالَ: لَا أَعْرِفُ مَوْضِعَ عَسْكَرِهِمْ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَرَبِيِّ الْكِنَانِيِّ: انْطَلِقْ فَإِذَا رَأَيْتَ التُّحْلَ فَاجْعَلْهُ مِنْكَ مَوْضِعَ سَيْفِكَ يَعْنِي يَسَارِكَ، فَانْطَلِقْ حَتَّى تَطَّلَعَ الْعَسْكَرَ. فَمَضَى الرَّجُلُ حَتَّى أَتَى عَسْكَرَ مُضْعَبٍ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُمْ مُنْكَسِرِينَ. وَأَصْبَحَ مُضْعَبٌ فَدَنَا، وَدَنَا مِنْهُ مُحَمَّدٌ حَتَّى التَّقُوا، فَتَرَكَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ مُضْعَبٍ مُضْعَبًا، وَأَتَوْا مُحَمَّدًا، فَدَنَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لِمُضْعَبٍ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، إِنَّ الْقَوْمَ حَادِلُوكَ فَأَبَى. فَدَعَا ابْنَهُ عَيْسَى، فَقَالَ لَهُ: انْظُرْ

مَا يُرِيدُ مُحَمَّدٌ. فَدَنَا فَقَالَ: إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، إِنَّ الْقَوْمَ خَادِلُوكُمْ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ الْأَمَانُ. وَنَاشِدُهُ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: إِنِّي أَظُنُّ الْقَوْمَ سَيَفُونَ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ فَأْتِهِمْ. فَقَالَ: لَا تُحَدِّثْ نِسَاءَ قُرَيْشٍ أَنِّي خَدَلْتُكَ، وَرَغِبْتُ بِنَفْسِي عَنْكَ. قَالَ: فَتَقَدَّمَ حَتَّى أَحْتَسِبَكَ. فَتَقَدَّمَ، وَتَقَدَّمَ نَاسٌ مَعَهُ، فَقُتِلَ وَقُتِلُوا، وَتَرَكَ النَّاسُ مُضْعَبًا حَتَّى بَقِيَ فِي سَبْعَةِ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لِيَحْتَرَّ رَأْسَ عَيْسَى، فَشَدَّ عَلَيْهِ مُضْعَبٌ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ شَدَّ عَلَى النَّاسِ فَأَنْفَرُوا، ثُمَّ رَجَعَ فَفَعَدَ عَلَى مِرْفَقَةِ دِيبَاجٍ، ثُمَّ جَعَلَ يَشُدُّ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَيَنْفَرُ جُونَ عَنْهُ، ثُمَّ يَزْجَعُ فَيَقْعُدُ عَلَى الْمِرْفَقَةِ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، وَأَتَاهُ غُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ، فَدَعَاهُ إِلَى الْمُبَارَاةِ، فَقَالَ: اغْرُبْ يَا كَلْبُ. وَشَدَّ عَلَيْهِ مُضْعَبٌ فَضْرَبَهُ عَلَى الْبَيْضَةِ، فَهَشَمَهَا وَجَرَحَهُ، فَرَجَعَ غُبَيْدُ اللَّهِ، فَعَصَبَ رَأْسَهُ، وَجَاءَ ابْنُ أَبِي فُرُوزَةَ، مَوْلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ كَاتِبًا لِمُضْعَبٍ، فَقَالَ لِمُضْعَبٍ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَدْ تَرَكَكَ النَّاسُ، وَعِنْدِي خَيْلٌ مُقَدَّحَةٌ فَارْكَبْهَا وَانْجُ بِنَفْسِكَ. فَدَثَّ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: لَيْسَ أَنَا كَالْعَبْدِ أَخِيكَ. وَرَجَعَ ظَبْيَانُ إِلَى مُضْعَبٍ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ، وَزَرَقَ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ مُضْعَبًا، وَنَادَى: يَا لَثَارَاتِ الْمُحْتَارِ، فَضْرَعَهُ. وَقَالَ غُبَيْدُ اللَّهِ لِعُغْلَامٍ لَهُ دَيْلَمِيٌّ: احْتَرَّ رَأْسُهُ. فَتَزَلَّ فَاحْتَرَّهُ. فَحَمَلَهُ غُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ. وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الرِّقَاعِ الْعَامِلِيُّ، وَكَانَ شَاعِرَ أَهْلِ الشَّامِ يَذْكُرُ قَتْلَ مُضْعَبٍ، وَإِبْرَاهِيمَ وَمُسْلِمٍ:

وَنَحْنُ قَتَلْنَا ابْنَ الْحَوَارِيِّ مُضْعَبًا أَحَا أَسَدٍ وَالْمَذْحِجِيِّ الْيَمَانِيَا
وَمَرَّتْ عُقَابُ الْمَوْتِ مِنَّا بِمُسْلِمٍ فَأَهْوَتْ لَهُ ظَفْرًا فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا

قَالَ أَبُو غُبَيْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: وَهَذَا الشَّعْرُ يُرَوَى لِلْبَعِيثِ الْيُسْكُرِيِّ. وَقَالَ غُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَاتِ يَزِيدِي مُضْعَبًا، وَيَذُمُّ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ بَكْرِ وَتَمِيمٍ:

لَقَدْ أَوْرَثَ الْمِصْرَيْنِ حِزْبًا وَذَلَّةً قَتِيلٌ بِدَيْرِ الْجَائِلِيْقِ مُقِيمٌ
فَمَا قَاتَلْتِ فِي اللَّهِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَلَا صَبَرْتَ عِنْدَ اللَّقَاءِ تَمِيمٌ
فَلَوْ كَانَ قَيْسِيًّا تَعَطَّفَ حَوْلَهُ كَتَابُ تَرْدِي تَارَةً وَتَحُومٌ
وَلَكِنَّهُ رَامَ الْقِيَامَ فَلَمْ يَكُنْ بِهَا مُضْرِيًّا يَوْمَ ذَاكَ كَرِيمٌ

وَقَالَ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيْتَاتِ، أَيْضًا: إِنَّ الرُّزْيَةَ يَوْمَ مَسْكِنَ وَالْمُصِيبَةَ وَالْفَجِيعَةَ.
 يَا ابْنَ الْحَوَارِيِّ الَّذِي لَمْ يَعُدْهُ يَوْمَ الْوَقِيعَةَ
 يَا لَهْفٍ لَوْ كَانَتْ لَهُ بِالذَّيْرِ يَوْمَ الذَّيْرِ شِيعَةً^(١)
 قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرُّبَيْرِيُّ: وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِ النَّسَبِ مِنْ مَرَاتِيهِ شَيْئًا، وَنَحْنُ
 ذَاكِرُونَ مَا لَمْ نَذْكُرْهُ فِي كِتَابِ النَّسَبِ.
 وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ الْمَخْرُومِيِّ فِي هِجَائِهِ بَنِي خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ، وَيَمْدَحُ آلَ
 الرُّبَيْرِيِّ، وَيَذْكُرُ صَبْرَهُمْ فِي الْحَرْبِ:
 هَلَا صَبَرْتُمْ بَنِي السُّودَاءِ أَنْفُسَكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا كَمَا مَاتَ بَنُو أَسَدِ
 حَامَتِ بَنُو أَسَدٍ عَنْ مَجْدِ أَوْلِيهَا وَأَنْتُمْ كَنَعَامِ الْقَاعَةِ الشَّرْدِ
 وَقَالَ سُوَيْدُ بْنُ مَنجُوفٍ السُّدُوسِيُّ، مِنْ أَهْلِ الْبُضْرَةِ، يُحَدِّثُ مُضْعَبًا أَهْلَ الْكُوفَةِ
 وَغَدْرَهُمْ:
 فَأَبْلَغَ مُضْعَبًا عَنِّي رَسُولًا وَلَا تَلْقَى النَّصِيحُ بِكُلِّ وَادِ
 تَعْلَمُ أَنْ أَكْثَرَ مَنْ تَنَاجَى وَإِنْ أَدْنَيْتَهُمْ فَهُمْ الْأَعَادِي
 وَصَبَرَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ وَحَدَهُ، فَقَالَ: الْأَقْيَسُ:
 سَأَبْكِي وَإِنْ لَمْ يَبْكِ فِتْيَانُ مَذْحِجِ فَتَاهَا إِذَا اللَّيْلُ التَّمَامُ تَأَوَّبَا
 فَتَى لَمْ يَكُنْ فِي مَرَّةِ الْحَرْبِ حَامِلًا وَلَا بِمُطِيعٍ فِي الْوَعَى مَنْ تَهَيَّبَا
 أَمَالَ بِحَوَارِ الْعِينَانَ لِحَامَهُ وَقَالَ لِمَنْ خَفَّتْ نِعَامَتُهُ ارْكَبَا
 أَبَانَ أَلُوفَ الْحَيِّ قَحْطَانَ قَتْلُهُ وَأَنْفَ نِزَارٍ قَدْ أَبَانَ فَأَوْعَبَا
 فَمَنْ كَانَ أَمْسَى حَائِنًا لِأَمِيرِهِ فَمَا حَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْحَرْبِ مُضْعَبَا
 وَصَبَرَ مَعَهُ يَحْيَى بْنُ مُبَشِّرٍ، أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَزْبُوعِ التَّمِيمِيِّ حَتَّى قُتِلَ. فَقَالَ

أَبُو السَّفْحاحِ بُكَيْرُ بْنُ مَعْدَانَ بْنِ عُمَيْرَةَ بْنِ طَارِقِ الْيَزْبُوعِيِّ يَزْثِي يَحْيَى، وَيَذْكَرُ صَبْرَهُ،
حِينَ قُتِلَ:

صَلَّى عَلَى يَحْيَى وَأَشْيَاعِهِ	رَبُّ غُفُورٍ وَشَفِيعِ مُطَاعٍ
يَا سَيِّدًا مَا أَلْتِ مِنْ سَيِّدٍ	مُوطَأَ الْبَيْتِ رَحِيبِ الدَّرَاعِ
قَوَالٍ مَعْرُوفٍ وَفَعَالِهِ	عَقَارٍ مَثَى أُمّهَاتِ الرِّبَاعِ
الْوَاضِعِ الشَّيْزَى لِأَضْيَافِهِ	كَأَنَّهَا أَعْضَادُ نَهْيِ بَقَاعِ
يَعْدُو فَلا تَكْذِبُ شِدَائِهِ	كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بِوَادِي السَّبَاعِ
يَجْمَعُ حِلْمًا وَأَنَاةً مَعًا	ثُمَّتَ يَنْبَاعِ ابْتِيعِ الشُّجَاعِ
لَمَّا جَفَا الْمُصْعَبَ خِلَانُهُ	أَدَى إِلَيْهِ اللَّيْلُ صَاعًا بِصَاعِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ سَاءً فَقَدْ سَاءَنِي	تَرَكْتُ أَبْيَتِكَ إِلَيَّ غَيْرِ رَاعِ
إِلَى أَبِي طَلْحَةَ أَوْ وَاقِدِ	وَدَاكَ عِنْدِي حَقُّ عَيْنِ الضِّيَاعِ

أَبُو طَلْحَةَ وَوَاقِدٌ مَوْلِيَانِ لِيَحْيَى كَانَ أَوْصَى إِلَيْهِمَا، وَأَبُو طَلْحَةَ هَذَا جَدُّ أَبِي
النُّضْرِ يَحْيَى بْنِ كَثِيرٍ صَاحِبِ الْحَسَنِ الْبُصْرِيِّ، وَكَانَ يَحْيَى بْنُ مُبَشَّرٍ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ
حَضْبَةَ بْنِ أَرْقَمِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثُعَلْبَةَ بْنِ يَزْبُوعِ. وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْبُصْرَةِ وَكَانَ
خَلِيفَةَ بْنِ حِصْنِ الثُّعَلْبِيِّ صَاحِبِ شَرْطِ ابْنِ زِيَادٍ بِالْبُصْرَةِ، فَلَمَّا أُتِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِرَأْسِهِ لَمْ
يَعْرِفْهُ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَصْحَابَهُ، فَعَرَفَهُ الْحَكَمُ بْنُ نُهَيْكِ الْهُجَيْمِيِّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
هَذَا وَاللَّهِ الْوَفِيُّ الْكَرِيمُ، هَذَا يَحْيَى بْنُ مُبَشَّرِ الْيَزْبُوعِيِّ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُجِنَّ، فَقَالَ جَرِيرُ بْنُ
الْحَطَفِيِّ يَزْثِيهِ:

صَلَّى إِلَيْهِ عَلَيْكَ يَا ابْنَ مُبَشَّرِ	أَمَا ثَوَيْتَ بِمُلْتَقَى الْأَجْنَادِ
وَالْحَيْلُ سَاطِعَةُ الْغُبَارِ كَأَنَّهَا	قَصَبٌ يُحَرِّقُ أَوْ رَعِيلُ جَرَادِ

ثَبِتُ الطَّعَانِ إِذَا الْكَمَاءُ أَزَلَهَا عَرَقَ الْمَنُونِ يَجْلُنَ بِالْأَلْبَادِ
مَأْوَى الْجِيَاغِ إِذَا السَّنُونُ تَتَابَعَتْ وَفَتَى الطَّعَانِ عَشِيَّةَ الْعَصَوَادِ^(١)

وَقَالَ سَالِمُ بْنُ وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ يَمْدَحُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، وَيَذَكُرُ قَتْلَهُ إِبْرَاهِيمَ

وَمُضَعَبًا:

أَبْلَغَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً لَيْسَ الْمُحَامِرُ كَالْجَوَادِ الْمُسَهَبِ
فَاذْكُرْ وَلَا تَجْعَلْ بِلَاءَ مُحَمَّدٍ وَالْخَاذِلِيكَ لَدَى الْخُرُوبِ كَجُنْدَبِ
يُدْعَا إِذَا مَا الْجَيْشُ أَحْسَنَ أَدْمُهُ وَإِذَا يَكُونُ كَرِيهَهُ لَمْ يُنْدَبِ
لَا تَجْعَلَنَّ مُؤْثَلًا ذَا أَسْرَةٍ ضَحْمًا سُرَادِقُهُ وَطِيءَ الْمَرْكَبِ
يَعْدُو إِذَا مَا الْحَرْبُ أُطْفِئَ نَارَهَا وَيَرُوحُ مَزْهَوًّا عَظِيمَ الْمَوْكَبِ
كَأَغْرٍ يَتَّخِذُ السُّيُوفَ سُرَادِقًا يَمْشِي بِرَايَتِهِ كَمَشْيِ الْأَنْكَبِ
فَتَحَ الْإِلَهِ بِشِدَّةٍ لَكَ شَدَّهَا مَا بَيْنَ مَشْرِقِهَا وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ
لَمَّا لَقِينَا أَهْلَ مَسْكِنِ غُدْوَةٍ كَالطُّودِ فِي مُتَهَوِّلٍ مُتَنَكِّبِ
تَعْدُو جِيَادَهُمْ بِكُلِّ مُقْصَصٍ جُدُدِ الثِّيَابِ وَحَنْظَلِيٍّ مُذَنْبِ
وَمَحَزْرَزِينَ لِحَاهُمْ حَشِييَّةٍ قَتَلَاهُمْ مَجْهُولَةً لَمْ تُنْسَبِ
وَأَلَى ابْنِ مَرْوَانَ الْأَغْرَ مُحَمَّدٍ مَا بَيْنَ أَشْتَرِهِمْ وَبَيْنَ الْمُصْعَبِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَوْمَ ذَلِكَ مِنْ فِتْيِ يَكْفِي بِمَشْهَدِهِ مَكَانَ الْغُيِّبِ

- حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالشَّرْقِيِّ بْنِ

الْقَطَامِيِّ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: لَمَّا أَتَى
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بِقَتْلِ مُضَعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَضْرَبَ عَنْ ذِكْرِهِ أَيَّامًا، حَتَّى تَحَدَّثَ بِهِ

إِمَاءَ مَكَّةَ فِي الطَّرِيقِ، ثُمَّ صَعَدَ الْمُنْبَرِ، فَجَلَسَ مَلِيًّا لَا يَتَكَلَّمُ، فَتَطَرْتُ إِلَيْهِ، فَلِذَا
 بُدِئَ الْكُتَابَةُ عَلَى وَجْهِهِ، وَإِذَا جَبِينُهُ يَزْشُحُ عَرَقًا. فَقُلْتُ لِأَخْرَ إِلَى جَنْبِي: مَا لَهُ،
 أَتَرَاهُ يَهَابُ الْمُنْطِقِ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ خَطِيبٌ أَرِيْبٌ، وَإِنَّهُ لَتَهُونَ عَلَيْهِ ذُهَاهُ الرَّجَالِ عِنْدَ
 الْجِدَالِ وَالنِّزَالِ فَمَا يَهَابُ؟ قَالَ: أَرَاهُ يُرِيدُ ذِكْرَ مَقْتَلِ سَيِّدِ الْعَرَبِ الْمُضْعَبِ، فَهُوَ
 يُقْطَعُ بِذِكْرِهِ، وَغَيْرُ مَلُومٍ. فَقَامَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَمُلْكُ
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ،
 وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ. أَلَا وَإِنَّهُ يَذِلُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ، وَإِنْ كَانَ فَزْدًا لَا
 نَاصِرَ لَهُ، وَلَمْ يُعِزِّرِ اللَّهَ مَنْ كَانَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ مَعَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ
 وَالْكَثْرَةِ. وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: وَإِنْ كَانَ الْأَتَامُ طُرًا مَعَهُ. إِنَّهُ أَنَا خَبَرْتُ مِنَ الْعِرَاقِ،
 أَهْلَ الْغَدْرِ وَالشَّقَاقِ، سَرْنَا وَسَاءْنَا، أَنَا أَنْ مُضْعَبًا قُتِلَ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتُهُ،
 فَأَمَّا الَّذِي أَخْرَجْنَا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لِدَعَةً، يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ
 الْمُصِيبَةِ، ثُمَّ يَزْعَوِي مَنْ بَعْدَ ذُو الرَّأْيِ وَالِدَيْنِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ، وَأَمَّا الَّذِي
 سَرْنَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنْ قَتَلَهُ شَهَادَةً، وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَاعِلٌ لَنَا وَلَهُ
 ذَلِكَ خَيْرَةً، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَسْلَمُوهُ وَبَاعُوهُ بِأَقْلٍ ثَمَنٍ كَانُوا يَأْخُذُونَ
 مِنْهُ، وَأَخْبَيْهِ، أَسْلَمُوهُ إِسْلَامَ النَّعَامِ الْمُخْطَمِ فُقُتِلَ، وَلَيْسَ قُتِلَ لَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ
 وَأُخُوهُ، وَكَانُوا الْخِيَارَ الصَّالِحِينَ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ حَبْجًا، وَمَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا
 قَتْلًا، فَعَصَا فَعَصَا بَيْنَ قَضِدِ الرِّمَاحِ، وَتَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، لَيْسَ كَمَا يَمُوتُ
 بَنُو مَرْوَانَ، وَاللَّهِ مَا قُتِلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ قَطُّ. إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَةٌ
 مِنَ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ، الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ وَلَا يَبِيدُ مُلْكُهُ، فَإِنْ ثَقِبِلِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لَا
 أَخْذَهَا أَخَذَ الْأَشْرَ الْبَطْرِي، وَإِنْ تُدْبِرَ عَنِّي لَا أَبْكُ عَلَيْهَا بَكَاءَ الْحَرِيفِ الْمُهْتَبِرِ.
 فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ عَدْوَانَ، مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، يَأْمُرُهُ بِالصَّبْرِ وَالْجِدِّ فِي مُنَاهِضَةِ
 عَدُوِّهِ:

لَئِنْ مُضْعَبٌ حَلَّى عَلَيْكَ مَكَانَهُ لَقَدْ عَاشَ عِنْدَ النَّاسِ غَيْرَ مُلِيمٍ
 وَإِنْ مُضْعَبٌ حَلَكَ وَالْحَرْبُ بَعْدَهُ فَأَنْتَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ سَنُومٍ

فَشَمَّرَ إِلَى الْأَعْدَاءِ وَالنَّهْضُ بِقُوَّةٍ فَإِنَّكَ عِنْدَ الْبَاسِ غَيْرُ ذَمِيمٍ
وَتَقِ بُولِيِّ الْمُؤْمِنِينَ فَإِمَامًا يُحَامِي عَلَيَّ الْأَحْسَابِ كُلَّ كَرِيمٍ^(١)

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى فِي قَتْلِ مُضْعَبٍ لَمَّا بَلَغَهُ:

رَحِمَ اللَّهُ مُضْعَبًا إِنَّهُ مَا تَ كَرِيمًا وَعَاشَ فِينَا كَرِيمًا
طَلَبَ الْمُلْكَ ثُمَّ مَاتَ حِفَاطًا لَمْ يَعِشْ بَاخِلًا وَلَا مَذْمُومًا
لَيْتَ مَنْ عَاشَ بَعْدَهُ مِنْ بَنِي الْعَوَامِ مَاتُوا وَعَاشَ فِينَا سَلِيمًا
لَنْ تَرَى مِثْلَهُ لَدَى الدَّهْرِ نَدًّا أَوْ نُزِيلُ الرِّيَّاحُ دُرُورًا يَسُومًا
كَمْ لَهُ مِنْ يَدٍ عَلَى النَّاسِ بَيْضًا ءَ قَدْ أَحْيَا بِهَا عِظَامًا رَمِيمًا
وَيَدٍ غَادَرَتْ حَرِيًّا سَلِيمًا ذَا غِنَاءٍ فَعَادَ وَغَدَا لَيْمًا

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ يَهْجُو آلَ الزُّبَيْرِ غَيْرَ مُضْعَبٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يُمْدَحُهُ، وَيَمْدَحُ بَنِي
أُمَيَّةَ، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ قَتْلِ مُضْعَبٍ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ فِيهِ. فَقَالَ: اغْفِنِي. قَالَ:
هَاتِ فَلَسْنَا نَتَّهِمُكَ، فَأَنْشَدَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ، هُوَ كَمَا وَصَفْتَ:

وَلَكِنَّهُ رَامَ النَّبِيَّ لَا يَنَالُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ حَرْقٍ مُعَمَّمٍ
أَرَادَ أُمُورًا لَمْ يُرِدْهَا إِلَهُهُ فَحَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِّ

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى يَزُثِي مُضْعَبًا:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مِنَّا لَمَوْلَعٍ بِكُلِّ فِتْيٍ رَحْبِ الدَّرَاعِ أَرِيبِ
فَإِنَّ يَكُ أَمْسَى مُضْعَبٌ نَالَ حَتْفَهُ لَقَدْ كَانَ صُلْبَ الْعُودِ غَيْرَ هَيُوبِ
جَمِيلَ الْمُحْيَا يَرْهَبُ الْقِرْنَ دَرَاهُ وَإِنْ عَضُّهُ دَهْرٌ فَعَيْرٌ قَطُوبِ

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة حديث رقم: ٨٣٨، والطبري في تاريخه حديث رقم: ٨١٢،
وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني حديث رقم: ٦٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق حديث رقم:

أَتَاهُ حِمَامُ الْمَوْتِ وَسَطَ جُنُودِهِ فَطَارُوا سَلَالًا وَاسْتَقَى بِذُنُوبِ
 وَلَوْ صَبَرُوا نَالُوا الْحَيَاةَ وَسُوْدُودًا وَلَكِنَّهُمْ طَارُوا بِغَيْرِ قُلُوبِ
 وَقَالَ الْبَيْهِيُّ بَنُ مُرَّةَ بْنِ وَدِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ عَنَمِ بْنِ
 حَبِيبِ بْنِ كَعْبِ بْنِ يَشْكُرَ:

نَحْنُ قَتَلْنَا ابْنَ الْحَوَارِيِّ مُضْعَبًا وَأَحَا أَسَدًا وَالْمَذْحِجِيَّ الْيَمَانِيَا
 وَاللَّوْتِ عَقَابُ الْمَوْتِ مِنَّا بِمُسْلِمٍ فَأَهْوَتْ لَهُ ظُفْرًا فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا
 سَقَيْنَا ابْنَ سَيْدَانَ بِكَاسٍ رَوِيَّةٍ كَفَتْنَا وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا كَانَ كَافِيَا
 وَمَرَّتْ عَلَيَّ الْجَبَّارِ مِنَّا سَحَابَةٌ سَقْتَهُ دُعَافِيَا مِنْ الْمَوْتِ قَاضِيَا
 طَوَاعِيَتُهُمْ كَانُوا الصَّنَادِيدَ إِذَا بَدَتْ نَوَاجِدُ حَرْبٍ تُمَطِّرُ الْمَوْتَ صَافِيَا
 وَقَالَ أَيضًا:

سَقَيْنَا بَنِي الْعَوَامِ كَاسًا مَرِيرَةً مُسْكِرَةً أَمَسَتْ عَلَيْهِمْ أَمْرَتِ
 لَمَّا اكْتَسَبَتْ أَيْدِيَهُمْ وَصُدُّورُهُمْ مَرَيْنَا لَهُمْ حَرْبًا عَوَانَا فَدَرَّتِ
 إِذَا مَا رَجَوْا أَنْ تَحْمَدَ الْحَرْبُ عَنْهُمْ شَبِينَا لَهُمْ نِيرَانَهَا فَاسْتَعْرَتِ
 بِفَيْثِيَانِ حَرْبٍ لَفْحُوهَا فَأَصْبَحَتْ أَصَابَتْ بَنِي الْعَوَامِ حَتَّى أَصْرَتِ
 أَقْمَنَا لَهُمْ سُوقًا بِهَا قَدْ تَسُوءُهُمْ وَقَدْ نَبَحَتْ مِنْهَا قُرَيْشٌ وَهَرَّتِ

وَقَدْ كَانَ الْمُضْعَبُ لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ سَأَلَ عُرْوَةَ بَنَ الْمُغِيرَةَ بِنِ شُعْبَةَ عَنِ
 الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام مَا وَقْتْلِهِ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ مُضْعَبٌ مُتَمَثِّلًا بَيْنَتْ قَالَهُ
 سُلَيْمَانَ بْنَ قُتَيْبَةَ:

إِنَّ الْأَلَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّؤُوا فَاسْتُؤُوا لِلْكَرَامِ التَّأَسِّيَا
 قَالَ عُرْوَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّ مُضْعَبًا لَا يَفِرُّ أَبَدًا، فَكَانَ كَذَلِكَ. وَلَمَّا أَجْمَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ
 السَّيْرَ إِلَى مُضْعَبٍ نَهَتْهُ عَائِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ، فَأَبَى عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَتْ جِدَّهُ فِي الْخُرُوجِ بَكَتْ،

فَتَمَثَّلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِشَعْرِ كَثِيرٍ:

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوَ لَنْ تُشْنِ هَمُّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا
نَهْتُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا عَرَاهَا قَطِينُهَا^(١)

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ:

أَنَّ زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو الْعَتَكِيَّ عَدَرَ بِمُضْعَبٍ، وَلِحَقِّ بَعْبِدِ الْمَلِكِ، فَأَقْطَعَهُ، وَلَمَّا بَلَغَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَزَامِ السَّلْمِيِّ قَتَلَ مُضْعَبٍ. قَالَ: أَشْهَدُهُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ؟ قَالُوا: لَا،
قَالَ: أَفَشْهَدُهُ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ:

حُدَيْهِ فَجُرِيهِ سِبَاغٌ وَأَبْشِرِي بِلِحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ إِصْرُهُ
ثُمَّ قَالَ:

هُمَا مَانِ لَوْ ذَارَتْ رَحَا الْحَرْبِ بَرَكَهَا لَقَامَا وَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى الْجَمْرِ^(٢)

قَالَ أَبُو الْحَكَمِ بْنُ خَلَادِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ خَالِدِ السَّدُوسِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ
السَّبْحَةِ حِينَ عَسَكَرَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفٍ يُرِيدُ شَبِيئًا الْحَزُورِيَّ، قَالَ لَهُ النَّاسُ: أَصْلَحَ اللَّهُ
الْأَمِيرَ، لَوْ تَنَحَّيْتَ عَنْ هَذِهِ الْعِدْرَةِ. فَقَالَ لَهُمُ الْحَجَّاجُ: مَا تُنْحَوْنِي إِلَيْهِ أَنْتُمْ. وَاللَّهِ مَا
تَرَكَ مُضْعَبٌ لِكَرِيمٍ مَفْرًا ثُمَّ تَمَثَّلَ بَيْتًا قَالَهُ كَلْحَبَةُ الْعَزْنِيَّةُ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْشَ الْمَكَارِهِ أَوْشَكَتْ حِبَالُ الْهُوَيْنَى بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَا^(٣)

وَقَالَ أَعْشَى هَمْدَانَ فِي قَتْلِ مُضْعَبٍ، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ، وَعَدَرَ أَهْلَ الْعِرَاقِ بِهِ، وَاسْمُ
الْأَعْشَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ:

أَلَا مَنْ لِهِمْ آخِرَ اللَّيْلِ مُنْصَبٍ وَأَمْرٍ جَلِيلٍ فَادِحٍ لِي مُشَيَّبٍ
أَرَقْتُ لِمَا قَدْ غَالِي وَتَبَادَرْتُ سَوَاكِبُ دَمْعِ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ مَسْكَبٍ

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٤/٣٢٤).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٦/١٥٨).

(٣) انظر: الأغاني (١٧/١٦٦).

فَقُلْتُ وَقَدْ بَلَّتْ سَوَابِقُ عِبْرَتِي
 أَلَا بَهْلَةٌ اللَّهِ الَّذِي عَزَّ جَارُهُ
 جَزَى اللَّهُ عَنْهُ جَمَعَ قَحْطَانَ كُلِّهَا
 وَجَمَعَ مَعَهُ قَوْمَهُ غَابَ نَصْرُهُمْ
 جَزَاهُمْ إِلَهُ النَّاسِ شَرُّ جَزَائِهِ
 إِمَامِ الْهُدَى وَالْحِلْمِ وَالسَّلْمِ وَالتَّقَى
 لَحَى اللَّهُ أَشْرَافَ الْعِرَاقِ فَإِنَّهُمْ
 هُمْ مَكَّرُوا بِابْنِ الْحَوَارِيِّ مُصْعَبٍ
 دَعَاهُمْ بِأَنْ ذُوذُوا الْعِدَى عَنِ بِلَادِكُمْ
 فَوَلَّوْا يُنَادِي الْمَرْءَ مِنْهُمْ عَشِيرَهُ
 جَزَى اللَّهُ حَجَّارًا هُنَاكَ مَلَامَةً

حَجَّارُ بْنُ أَبِجَرَ الْعَجَلِيُّ كُوفِيٌّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرِ بْنِ عَطَارِدِ الدَّارِمِيِّ كُوفِيٌّ.
 وَمَا كَانَ عَتَابٌ لَهُ بِمَنَاصِحِ
 عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ الرِّيَّاحِيِّ كُوفِيٌّ.

وَلَا قَطَنٌ وَلَا ابْنُهُ لَمْ يَنَاصِحَا
 وَلَا الْعَتَكِيُّ إِذْ أَمَالَ لِوَاءَهُ
 زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ.

وَلَا ابْنُ رُوَيْمٍ لَا سَقَى اللَّهُ قَبْرَهُ
 يَزِيدُ بْنُ أَبِي رُوَيْمٍ شَيْبَانِيٌّ كُوفِيٌّ.

وَمَا سَرَّنِي مِنْ هَيْثُمْ فَعَلُ هَيْثُمْ
 الْهَيْثُمْ بْنُ الْأَسْوَدِ النَّخَعِيُّ.

رِدَائِي مَقَالَ الْمُوجِعِ الْمُتَحَوِّبِ
 عَلَى التَّاكِيثِينَ الْغَادِرِينَ بِمُصْعَبِ
 جَزَاءَ مُسِيءٍ قَاسِطِ الْفِعْلِ مُذْنِبِ
 غَدَاةٍ إِذِ عَنَّهُ وَرَبُّ الْمُحَصَّبِ
 بِخُذْلَانَ ذِي الْقُرْبَى الْأَرِيبِ الْمُدْرَبِ
 وَذِي الْحَسَبِ الزَّاكِي الرَّفِيعِ الْمُهْدَبِ
 هُمْ شَرُّ قَوْمٍ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
 وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلصَّرِيخِ الْمُتَوَّبِ
 وَأَمْوَالِكُمْ فِي كُلِّ أَيْبَضٍ مِقْضَبِ
 أَلَا خَلَّ عَنْهُمْ لَا أَبَا لَكَ وَأَذْهَبِ
 وَفَرَّخَ عُمَيْرٍ مِنْ مُنَاجٍ مُؤَلَّبِ

وَلَا كَانَ عَنْ سَعْيِ عَلَيْهِ بِمَغْرِبِ

فَتَبًّا لِسَعْيِ الْحَارِثِيِّ الْمُتَسَبِّبِ
 فَوَلَّى بِهِ عَنْهُ إِلَى شَرِّ مَوْكِبِ

فَبَاءَ بِجَدْعِ آخِرِ الدَّهْرِ مُوعَبِ

وَإِنْ كَانَ فِيْنَا ذَا غَنَاءٍ وَمَنْصِبِ

سَأْتِنِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَمْ يُكَذَّبِ
 لِيَمْنَعَهُ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُجْلَبِ
 لِحَارٍ بِلا شَكٍّ وَمَاوَى الْمُعْصَبِ
 أَلَا ارْفَعْ بِهِدْلَاءِ الْمَشَافِرِ تَنْعَبِ
 إِلَى أَهْلِ بَطْحَاءِ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبِ
 يُزَجِّي الخُيُولَ مِقْنَبًا بَعْدَ مِقْنَبِ
 إِلَى بَطَلٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مُخْلَبِ
 يُجِيئُ إِلَيْهِمْ سَبَسَبًا بَعْدَ سَبَسَبِ
 صِينَا بِنَوْعٍ مِنْ غَرَامٍ مُعَذِّبِ
 رَفِيعِ الرُّوَابِي مِخْرَبِ وَأَبْنِ مِخْرَبِ
 إِذَا شَدَّ يَوْمًا شَدَّةً لَمْ يُكَذَّبِ
 فَعَاقِبِ بِوَقْعٍ مَنْ بَدَأَ لَكَ مُرْهَبِ
 وَأَعْنَاقَهُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ فَضْرَبِ
 إِلَى أَنْ يُفَيِّقَ النَّاسُ تُصْحِبِ وَتُرْقِبِ
 وَغَادِرُهُمْ فِي مَحْبَسِ كَالْمُؤَدِّبِ
 وَمَا جَاهِلٌ بِالْأَمْرِ مِثْلُ الْمُجْرَبِ
 وَنَاجِزِ وَقَارِعِ وَاصْدُقِ الْقَوْمَ تَغْلِبِ
 بَعْدِرِ فَفِي التَّقْوَى وَفِي الدِّينِ فَارْغَبِ
 فَتَاهَضَهُمْ وَالْحَرْبُ ذَاتُ تَلْهَبِ
 وَأَقْدَمَ لَمْ يَنْكُلْ وَلَمْ يَتَهَيَّبِ

وَلَكِنْ عَلَى فَيَاضِ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ
 دَعَا ابْنَ الْحَوَارِيِّ الْهَمَامِ إِمَامَهُ
 فَأَضْحَى ابْنُ تَيْمِ اللاتِ أَمْتَعِ مَانِعِ
 فَيَا سَائِرًا نَحْوَ الْمَشَاعِرِ لَا يَنِي
 أَلَا وَائِعَ خَيْرِ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا
 فِدَا لَكَ فَادْكَرْ زَخْفَهُ وَمَسِيرَهُ
 سَمَا مُصْعِدًا بِالْجَيْشِ يَسْرِي أَمَامَهُ
 غَزَا بِجُنُودِ الشَّامِ يُكَبِّدُ كَبْدَهَا
 فَلَمَّا تَوَافَيْنَا جَمِيعًا بِمَسْكِنِ
 بِمَقْتَلِ سَادَاتٍ وَمَهْلِكِ مَاجِدِ
 هُوَ الضَّيِّعُ التَّهْدُ الرَّئِيسُ ابْنُ مَالِكِ
 أَتَى مُصْعَبًا فَقَالَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ
 وَشَدَّ عَلَى الْأَشْرَافِ شَدَّةً مَاجِدِ
 وَإِلَّا فَكَبِّبْ فِي السُّجُونِ سَرَاتِهِمْ
 وَدَعْنِي وَأَهْلَ الْقُرَيْتَيْنِ أَسْرَ بِهِمْ
 مَلَامَ مُلِحٍّ قَدْ أَمِنْتَ اغْتِيَالَهُ
 فَقَالَ لَهُ سِرَّ بِالْجِيُوشِ إِلَى الْعِدَى
 فَإِنِّي بِحَقِّ لَسْتُ أَبْدَأُ مُسْلِمًا
 فَسَارَ إِلَى جَمْعِ ابْنِ مَرْوَانَ مُعْلَمًا
 وَجَاهَدَ فِيهِ فِرْسَانَهُ وَرَجَالَهُ

فَلَا قَى أَسِيدَ يَوْمَ ذَلِكَ حَنَفَهُ
أَشْمُ نَرَاهُ عَالِي الْجِسْمِ صَقْعًا
وَكَادَتْ جُمُوعُ الشَّامِ يَشْمُلُهَا الرَّدَى
فَلَمَّا رَأَى أَبْنَاءَ مَرْوَانَ وَقَعَهُ
وَأَذْبَرَ عَنْهُ الْغَادِرُ ابْنَ الْقَبْعَرَى
عَضْبَانُ بْنُ الْقَبْعَرَى شَيْبَانِي كُوفِي.
وَقَدْ نَقَضَ الصَّفَّ ابْنُ وَرْقَاءَ ثَانِيًا
فَنَابَ إِلَيْهِ كُلُّ أَرْوَاعٍ مَا جَدِ
فَضَارِبَ حَتَّى حَرَّ غَيْرَ مُوَائِلِ
وَصُرِّعَ أَهْلُ الصَّبْرِ فِي الصَّفِّ كُلُّهُمْ
وَلَمَّا أَتَى قَتْلُ ابْنِ الْأَشْتَرِ مُصْعَبًا
فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ لَسْتُ بِهَارِبِ
فَقَالَ: تَقَدَّمْ أَحْتَسِبُكَ فَأَقْبَلْتِ
فَقَالَ لِفُجَّارِ الْعِرَاقِيِّينَ أَقْدِمُوا
وَشَدُّوا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ فَلَمْ يَرْمُ
فَضَارِبَهُ يَحْيَى وَعَيْسَى أَمَامَهُ
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى أَرَارَهُمُ الْقَنَا
فَبَكَ قَتَى دُنْيَا وَذَا الدِّينِ مُصْعَبًا
لَقَدْ رَحَلَ الْأَقْوَامُ عَدْرًا وَعَادَرُوا
صَرِيحَ قَتَى تَسْفِي عَلَى وَجْهِ الصَّبَا

وَقَطْرَهُ مِنَّا فَتَى غَيْرُ جَائِبِ
وَبِالسَّيْفِ مَقْدَامًا نَجِيًّا لِمُنْجِبِ
غَدَاةَ إِذِ فَاسْمَعَ أَحَدُكَ تَعَجَّبِ
بِجَمْعِهِمْ ظَلُّوا بِيَوْمٍ عَصَبِ
وَمَا كَانَ بِالْحَامِي وَلَا بِالْمُذَبِّ
وَعَادِرَهُ يَدْعُو إِلَى جَانِبِ النَّبِيِّ
صَبُورٍ عَلَى مَا نَابَهُ مُتَلَبِّ
إِلَى جَانِبِ مِنْهُ عَزِيزٍ وَمُنْكَبِ
وَأَجْفَلَ عَنْهُ كُلُّ وَإِنْ مُحَوِّبِ
دَعَا عِنْدَهَا عَيْسَى فَقَالَ لَهُ أَهْرَبِ
أَأَهْرَبُ إِنْ دَهَرْنَا حَانَ عَنْ أَبِي
إِلَيْهِ جُمُوعٌ مِنْ كِلَابٍ وَأَذْوَبِ
فَوَلُّوا شِلَالًا كَالنِّعَامِ الْمُحَضَّبِ
كَلَيْثِ الْعَرِينِ الْخَادِرِ الْمُتَحَرَّبِ
وَضَارِبَ تَحْتَ السَّاطِعِ الْمُتَّصَّبِ
شَعُوبٌ وَمَنْ يَسْلُبُ وَجَدَّكَ يُسْلَبِ
وَأَعُولٌ عَلَيْهِ وَاسْفَحِ الدَّمْعَ وَالْحَبِ
بِمَسْكِنِ أَشْلَاءِ الْهَمَامِ الْمُحَجَّبِ
وَرِيحُ شَمَالٍ بَعْدَهَا رِيحُ أَجْنَبِ

وَأَضْحَى بِدَيْرِ الْجَائِلِيْقِ مُلْحَبًا
 سَقَى السَّارِيَاتُ الْجُونُ جُثْمَانَ مُصْعَبٍ
 وَفَثِيَانَ صِدْقٍ صُرْعُوا ثُمَّ حَوْلَهُ
 أَمْصَعَبُ مَنْ يَخْرِبُ وَيُذَمُّ فِعَالُهُ
 لَقَدْ عَشْتُ ذَا حَزْمٍ وَجُودٍ وَنَائِلٍ
 أَلَمْ تَكُ مِعْطَاءَ الْجَزِيلِ وَنَاعِشٍ
 وَكُنَّا مَتَى نَعْتَبُ عَلَيْكَ وَنَلْتَمَسُ
 فَقَدْ جَاءَنَا مِنْ بَعْدِكَ الْمَعْشَرُ الْعِدَى
 وَإِنْ نُلْتَمَسُ مِنْهُ الزُّبَادَةُ وَالْجَدَا
 وَتَسْمَرُ بِلَا ذَنْبٍ أَكْفُ غَزَاتِنَا
 فَيَا دَهْرَنَا مِنْ قَبْلِ مَقْتَلِ مُصْعَبٍ
 وَبِالْأَمْنِ وَالْعَيْشِ الَّذِي حَلَّ دُونَهُ
 فَبُعْدًا لِقَوْمٍ أَسْلَمُوا أَمْسٍ مُصْعَبًا
 وَلِلسَّيْفِ نَعْشَاهُ وَيَفْرِي شُئُونَهُ
 وَذَائِلُوا لَطَاغٍ قَدْ أَرَاكَ دِمَاءَهُمْ
 وَقَالَ لَهُمْ ذُوقُوا جَنِّي مَا غَرَسْتُمْ
 كَانَ دَاوُدُ بْنُ قَحْذَمٍ، أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، أَوَّلَ مَنْ غَدَرَ بِمُصْعَبٍ مِنْ أَهْلِ
 الْعِرَاقِ. وَقَالَ ابْنُ ظَبْيَانَ:

لَيْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ مَا ظَنَّ مُصْعَبُ
 وَمَا لَاحَ فِي شَرْقٍ مِنَ الْأَرْضِ كَوَكَبُ

سَطَوْتَ عَلَيْهِ ظَالِمًا فَقَتَلْتَهُ فَقَصْرُكَ مِنِّي.....

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، عَنِ ابْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ وَهُوَ مَعَ مُضْعَبِ كِتَابًا، فَأَتَى بِهِ مُضْعَبًا قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ، فَفَضَّه مُضْعَبٌ فَقَرَأَهُ. فَقَالَ: يَا أَبَا التُّغْمَانَ، أَوْ مَا تَدْرِي مَا فِيهِ؟ قَالَ: لَا، وَمَا فِيهِ؟ قَالَ: يَغْرُضُ عَلَيْكَ دِجْلَةَ وَمَا سَقَّتْ، أَوْ الْفُرَاتَ وَمَا سَقَى، فَإِنْ أَبَيْتَ جَمَعَهُمَا لَكَ جَمِيعًا. قَالَ: أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى وَأَنَا أَجْدَمُ! لَاهَا اللَّهُ إِذَا. فَقَالَ مُضْعَبٌ: إِنَّ هَذَا لَمَا يُرْغَبُ فِيهِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: مَا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَحَدٍ أَيَّاسَ مِنْهُ مِنِّي. وَمَا تَرَكَ أَحَدًا مِمَّنْ مَعَكَ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ، فَأَبَعْتُ إِلَيْهِمْ، فَضَرِبَ أَعْنَاقَهُمْ. قَالَ: كَيْفَ، وَلَمْ أَسْتَيْقِنْ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَا إِذَا أَبَيْتَ ذَلِكَ فَأَبَعْتُ فَأَوْقَرَهُمْ حَدِيدًا، وَأَطْرَحُهُمْ فِي أْبْيَضٍ كِسْرَى، وَوَكَّلَ بِهِمْ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ، فَإِنْ ظَلَمْتَ عَفَوْتُ، أَوْ عَاقَبْتُ، وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى ضَرِبَ أَعْنَاقَهُمْ. قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَحْتَجُّوا عَلَيَّ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُونَ: حَسَبْنَا وَفَعَلْنَا بِنَا. دَعُ هَذَا عَنْكَ يَا أَبَا التُّغْمَانَ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا هُوَ غَيْرِي أَوْ غَيْرِكَ، إِمَّا أَنْ تَسِيرُوا، وَإِمَّا أَنْ أُسِيرَ. قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِصَاحِبِ خَيْلٍ، إِنَّمَا صَاحِبُ الْخَيْلِ مَنْ كَرَّ وَفَرَّ، وَإِنَّمَا أَنَا صَاحِبُ مُرَاحِفَةٍ. قَالَ: وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا لَقِيَ الْحَزْبَ كَانَ مَعَهُ كُرْسِيَّانِ، يَحْمِلُ أَحَدَهُمَا فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَيَقْدِمُ الْآخَرَ، فَإِذَا زَحَفَ الْقَوْمُ جَلَسَ عَلَى ذَا وَقَدَّمَ الْآخَرَ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَنْتَ غَدًا مَقْتُولٌ بِمُضْعِبَةٍ. فَقَالَ مُضْعَبٌ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا أَقْدِفَ بِنَفْسِي فِي الْبَحْرِ بُغْضًا لِأَهْلِ الشَّامِ لَفَعَلْتُ، وَلَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا النَّمْلَ، لَقَاتَلْتُ بِهِمْ أَهْلَ الشَّامِ. فَتَقَدَّمَ، فَلَمَّا اضْطَفَّ النَّاسُ مَالَ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ بِالْخَيْلِ فَذَهَبَ بِهِمْ إِلَى الْكُوفَةِ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لِرَجُلٍ رَجُلٍ: تَقَدَّمَ. فَيَأْبُونَ عَلَيْهِ، فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ الصَّفَّ مُضْعَبٌ فَخَذَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لِحَجَّارِ بْنِ أَبَجَرَ الْعِجْلِيِّ: تَقَدَّمَ يَا أَبَا أُسَيْدٍ، قَالَ: إِلَى هَذِهِ الْعُدْرَةِ؟ قَالَ: مَا تَتَّخِرُ إِلَيْهِ أَتْنُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعُضْبَانِ بْنِ الْقَبْعَثَرِيِّ، فَقَالَ: تَقَدَّمَ يَا أَبَا السَّمْطِ. فَقَالَ: مَا أَرَى ذَاكَ. فَالْتَفَتَ إِلَى قَطَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ، وَهُوَ عَلَى مَدْحِجٍ وَأَسَدٍ. فَقَالَ: تَقَدَّمَ. قَالَ: أُسْفِكُ دِمَاءَ مَدْحِجٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ. فَقَالَ مُضْعَبٌ: أَفِ لَكُمْ. ثُمَّ أَقْبَلَ فِي عِدَّةٍ. فَلَمَّا بَرَزَ قَالَ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَبَا الْبُخْتَرِيِّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ عُيَيْدِ اللَّهِ كَانَ صَدِيقًا لِي، وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يُقْتَلَ، فَأَمِنَهُ. قَالَ: هُوَ آمِنٌ. فَأَقْبَلَ زِيَادُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ. فَقَالَ: يَا أَبَا الْبُخْتَرِيِّ إِلَيَّ أَكَلِمَتِكَ وَأَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَأَقْبَلَ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ رَأْسًا فَرَسَيْهِمَا

وَضَعَ يَدَهُ فِي مَنْطِقَتِهِ ثُمَّ جَذَبَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ: يَا أَبَا الْمُغِيرَةَ، أُنشِدْكَ اللَّهُ أَنْ تُلِيمَ الْيَوْمَ. فَقَالَ: يَا أَبَا الْبُحْتَرِيِّ، إِنِّي أَضِنُّ بِكَ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّتَهُ، وَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ وَكَانَ عَلَى مُقَدِّمَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ لِمُضْعَبٍ: يَا ابْنَ عَمِّي، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَمِّنُكَ عَلَى كُلِّ مَالٍ وَدَمٍ أَصَبْتَهُ. قَالَ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَازِ. وَرَمِي مُضْعَبٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ. فَأُنْجِنَ. فَقَالَ لِابْنِهِ عَيْسَى: انصرف. فَقَالَ: لا وَاللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ بِذَلِكَ النِّسَاءِ. قَالَ: فَتَقَدَّمَ أَحْسَبُكَ. فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ، وَقَدْ كَانَ مُضْعَبٌ قَتَلَ أَخَاهُ النَّابِغِي، فَدَنَا مِنْ مُضْعَبٍ وَقَدْ كَانَ أَنْجِنَ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّقَدُّمَ، فَقَالَ لِفَتَيَانِ قَوْمِهِ: سُذُّوا.... مِنْ ظَهْرِي، فَتَقَدَّمَ وَمَا يُحْرَكُ مُضْعَبٌ. لَمَّا تَفَرَّقَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَنْ مُضْعَبٍ فَلَمْ يَبْتُثْ مَعَهُ إِلَّا رَجُلَانِ مِنَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: يَحْيَى بْنُ مُبَشَّرِ الْيَزْبُوعِيِّ، وَمُسْلِمُ بْنُ عَمْرِو الْبَاهِلِيِّ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ. فَقَاتَلُوا جَمِيعًا، وَبَقِيَ مُضْعَبٌ وَحَدَهُ فِي نَفْرٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى عَقِرَ بِهِ عَيْرٌ فَرَسٍ، وَصَارَ يَقْعُدُ عَلَى كُرْسِيِّ قَدْ وُضِعَ لَهُ، حَتَّى يَشُدَّ عَلَى الْقَوْمِ فَيَنْفَرُ جُونَ لَهُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْكُرْسِيِّ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ دَثُوهُ بِالْحِجَارَةِ، حَتَّى أَثْحَنُوهُ فَضَرَعٌ، فَشَدَّ عَلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ بِرَأْسِهِ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ الْبَجَلِيُّ:

نَحْنُ قَتَلْنَا مُضْعَبًا وَعَيْسَى نَحْنُ أَذَقْنَا مُضَرَ التَّبَيْسَا

وَقَدْ قَتَلْنَا مِنْهُمْ رَيْسًا^(١)

وَتَنَقَّصَ رَجُلٌ مُضْعَبًا عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ شَرِيبًا، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: اسْكُتْ لَا أُمَّ لَكَ. فَلَوْ عَلِمَ مُضْعَبٌ أَنَّ شُرْبَ الْمَاءِ يُنْقِصُ مِنْ مُرُوءَتِهِ مَا شَرِبَهُ. وَقَالَ الْوَائِدِيُّ: قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَيُّ بَنِي الرَّبِيعِ أَشْجَعُ؟ قَالَ: مَا مِنْهُمَا إِلَّا شَجَاعٌ، وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ مَشَى إِلَى الْمَوْتِ وَهُوَ يَرَاهُ^(٢).

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: أَدَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ يَوْمًا لِخَاصَّتِهِ فَأَحَدُوا مَجَالِسَهُمْ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى عَيْبِ مُضْعَبٍ بَعْدَ قَتْلِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ نَظْرَةً كَرَاهَةً لِمَا قَالَ،

(١) انظر: تاريخ الطبري (٦/١٥٩).

(٢) انظر: الكامل (٤/٣٣٣).

وَقَالَ: أُمِسِّكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَنْ صَغَرَ مَقْتُولًا صَغَرَ قَاتِلُهُ. قَالَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ: أَشْجَعُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: ابْنُ الْكَلْبِيِّ، وَأَحْمَرُ قُرَيْشٍ، وَرَاكِبُ الْبَغْلَةِ، فَأَبْنُ الْكَلْبِيِّ مُضْعَبُ بْنُ الرَّبِيعِ، أُفْرِدَ فِي سَبْعَةٍ، وَأُعْطِيَ الْأَمَانَ وَوَلَايَةَ الْعِرَاقِ، فَأَبِي وَمَاتَ كَرِيمًا. وَأَحْمَرُ قُرَيْشٍ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، مَا لَقِيَ خَيْلًا قَطُّ إِلَّا كَانَ فِي سَرْعَانِهَا، وَرَاكِبُ الْبَغْلَةِ عَبَّادُ بْنُ حُصَيْنِ الْحَبْطِيِّ، مَا كُنَّا فِي كُرْبَةٍ قَطُّ إِلَّا فَوْجَهَا. قَالَ: فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ، وَكَانَ حَاضِرًا: وَيْحَكَ فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَازِمِ السَّلَمِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ؟ قَالَ: وَيْحَكَ إِنَّمَا ذَكَرْنَا الْإِنْسَ، فَأَمَّا الْجِنُّ فَلَمْ نَذْكُرْهُمْ.

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَدْنَ لِلنَّاسِ إِذْنَا عَامًا، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَجِئَتْهُ عَمْرُو فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ تَكَلَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ، فَقَالَ: ازْمُوا بِأَبْصَارِكُمْ نَحْوَ مَصَارِعِ أَهْلِ الْمُعْصِيَةِ، وَاجْعَلُوا سَلْفَهُمْ لِمَنْ عَبَّرَ مِنْكُمْ عِظَةً، وَلَا تَكُونُوا أَغْفَالًا مِنْ حُسْنِ الْاِعْتِبَارِ، فَتَنْزِلَ بِكُمْ جَانِحَةُ السُّطُورِ، وَتَجُوسَ جِلَالِكُمْ بَوَادِرُ النِّقْمَةِ، وَتَطَّأَ رِقَابِكُمْ بِثِقَلِهَا الْمُعْصِيَةُ، فَتَجْعَلَكُمْ هَمْدًا رُفَاتًا، وَتَشْتَمِلَ عَلَيْكُمْ بَطُونُ الْأَرْضِ أَمْوَاتًا. إِيَّايَ مَنْ قَوْلِ قَائِلٍ، وَسَفَهَ جَاهِلٍ، فَإِنَّمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَنْ أَسْمَعَ النَّعْرَةَ، فَأُصَمِّمَ تَضْمِيمَ الْحُسَامِ الْمَطْرُورِ، وَأُصُولِ صِيَالِ الْحَنِقِ الْمَوْثُورِ، إِنَّمَا هِيَ الْمُصَافِحَةُ وَالْمُكَافِحَةُ، بِطَبَاتِ الشُّيُوفِ، وَأَسَنَةِ الرِّمَاحِ، وَالْمَعَاوِدَةَ لَكُمْ بِسُوءِ الصَّبَاحِ، فَتَابَ تَائِبٌ، أَوْ هَلَكَ خَائِبٌ، وَالتَّوْبُ مَقْبُولٌ، وَالْإِحْسَانُ مَبْدُولٌ، لِمَنْ أَبْصَرَ حِظَّهُ، وَعَرَفَ رُشْدَهُ، فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ، وَأَقْبِلُوا عَلَى حُطُوظِكُمْ، وَلْيَكُنْ أَهْلُ الطَّاعَةِ مِنْكُمْ يَدًّا عَلَى ذِي الْجَهْلِ مِنْ سَفَهَائِكُمْ، وَاسْتَدِيمُوا النِّعْمَةَ الَّتِي ابْتَدَأْتَكُمْ بِرَعْدِ عَيْشِهَا، وَنَفِيسِ زِينَتِهَا، فَإِنَّكُمْ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ فَضِيلَتَيْنِ، عَاجِلِ الْخَفْضِ وَالِدَّعَةِ، وَآجِلِ الْجَزَاءِ وَالْمُثُوبَةِ، عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَتِهِ وَنَزْعِهِ، وَأَيَّدَكُم بِحُسْنِ مَعُونَتِهِ وَحِفْظِهِ، انْهَضُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ لِقَبْضِ أَعْطِيَاتِكُمْ، غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ، وَلَا مُكَدَّرَةٍ عَلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: فَحَرَجَ الْقَوْمُ مِنْ عِنْدِهِ بِدَارًا، كُلُّهُمْ يَخَافُ

أَنْ تَكُونَ السُّطُوَّةُ بِهِ^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُتْبِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَلَسَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مَجْلِسًا فِي زَمَانِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالْوَلِيدُ يَوْمَئِذٍ وَلِيَّ عَهْدٍ، وَحَضَرَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَتَمَازَحَا سَاعَةً، وَتَذَاكَرَا الشِّعْرَ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ، حَتَّى أَفْضَى بِهِمَا الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ إِلَى الْمُنَافَرَةِ وَالْمُفَاخَرَةِ فِي مَجْلِسِنَا هَذَا بِكَلَامٍ يَحْسُنُ إِنْ رُوِيَ، وَيَعْذُبُ إِنْ حُكِيَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ: فَخْرِي فَخْرُكَ، وَذِكْرِي ذِكْرُكَ، وَمَا لِأَحَدٍ مِنَّا عَلَى صَاحِبِهِ فَضْلٌ، وَلَسْتُ آمِنُ أَنْ يُخْرِجَنَا ذَلِكَ إِلَى مَا لَا نُحِبُّهُ، وَلَا نُرِيدُهُ. فَقَالَ الْوَلِيدُ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ يَعْزِضَ هَذَا فِي نَفْسِكَ. فَإِنَّهُ غَيَّرَ كَائِنًا. قَالَ: فَافْتَحَرَ الْوَلِيدُ مُبْتَدَأًا، فَقَالَ: أَنَا ابْنُ يَزِيدَ السَّيِّدِ الْعَمِيدِ مَنْ أَنَا فَمَا شَرَفُهُ، وَكَرَمَ أَصْلُهُ، وَطَرَفُهُ. وَسَهْلُ بَابُهُ وَكَفَّهُ، وَاشْتَدَّ مِنَ الصَّيْمِ أَنْفُهُ، هُوَ الَّذِي قَسَمْتَ مَنَافِعُهُ، وَعَمَّتْ صَنَائِعُهُ، وَتَبَاعَتْ وَقَائِعُهُ، كَانَتْ إِلَيْهِ تَعْمُدُ الْوُفُودُ، وَبِسِيَاسَتِهِ تُرَاضُ الْجُنُودُ، وَبِأَمْرِهِ تُعْهَدُ الْغُهُودُ، وَتَتَصَاوَلُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ الْأَسُودُ. ثُمَّ لَعَبَدَ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ إِذَا سَابَقَ الْأَكْفَاءَ سَبَقَ، وَإِذَا نَطَقَ صَدَقَ، وَيَفْرِي كُلَّمَا خَلَقَ، وَتُحْيِي مَخَائِلَهُ، إِذَا وَدَقَ، وَيَزِيحُ إِذَا فُتِقَ، وَلَا يُفْتَقُ مَا رَتَقَ، كَانَ تُهْزَمُ الْجِيُوشُ بِاسْمِهِ، وَتَضِلُّ الْحُلُومُ فِي حِلْمِهِ، وَيَعِيشُ أَهْلُ الرَّأْيِ بِعِلْمِهِ، وَيَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ وَقِسْمِهِ، وَيَعْرِفُ فَضْلَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ. هُوَ الَّذِي قَارَعَ عَنِ الْمَلِكِ فَفَلَجَ، وَأَدْمَجَ حَبْلَ الْجَمَاعَةِ فَاوْتَدَمَجَ، وَأَزْتَجَ بَابَ الْبَاطِلِ فَارْتَبَجَ، وَوَلَّاقَ بِهِ الْمَلِكُ وَابْتَهَجَ. ثُمَّ لِمَرْوَانَ بَقِيَّةُ قُرَيْشٍ، وَتَالِي الْقُرْآنِ، سَمَا لِلْمَلِكِ، فَذَلَّلَ صَعْبَهُ وَرَدَّ مِنْ كُلِّ رَيْسٍ شَعْبَهُ، وَنَفَسَ عَنْ كُلِّ مَكْرُوبٍ كَرْبَهُ، وَأَيَّدَ اللَّهُ بِاللَّضَرِّ حِزْبَهُ، وَوَرَّثَ الْإِمَامَةَ وَالْخِلَافَةَ عَقْبَهُ، كَانَ يُسْتَظَلُّ بِظِلِّهِ، وَيُنْفَى بِعَهْدِهِ، وَيَجْبِي الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ، وَيَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ، وَيَعْرِفُ هَدْيَهُ فِي سُبُلِهِ، ثُمَّ لِلْحَكَمِ الْمَاجِدِ الْعَلَمِ، كَانَ لَا تُحْمَدُ نِيْرَانُهُ، وَلَا تُذَمُّ جِفَانُهُ،

(١) انظر: صبح الأعشى (١/٢١٨).

وَلَا تُؤْمِنُ أَضْغَانُهُ، وَلَا يَقْدُرُ شَأْنُهُ، ثُمَّ لِأَبِي الْعَاصِ، الْكَرِيمِ الْمَحَلِّ وَالْعِرَاصِ، كَانَ يُضَدُّ عَنْ رَأْيِهِ، وَيُوثِقُ بِرَأْيِهِ، وَيَعَاشُ بِحِبَابِهِ، وَيُؤْمِنُ بِغَنَائِهِ، وَيَقْتَنَسُ عَلَى بِنَائِهِ. ثُمَّ لِأُمِّيَّةِ الَّذِي وَلِيَ كُلَّ عَلِيَّةٍ، وَلَدَ الْقُرُومَ فَأَنْجَبَ، وَغَالَى بِالْحَمْدِ فَارْزَعَبَ، وَرُزِقَ عَلَيْهِ الْمَجْدُ وَطُيَّبَ، وَأَرْوَى زَنْدَهُ وَأَثَقَبَ، وَبَدَّلَ مَالَهُ فَأَنْهَبَ. ثُمَّ لِعَبْدِ شَمْسِ فَارِجِ كُلِّ لَبْسِ، لِيَأْذِ قُرَيْشٍ إِذَا حُصِّلُوا، وَحَلِيمِهَا إِذَا جَهَلُوا، وَجَبَلِهَا إِذَا زُلْزَلُوا، وَرَزَعِيمِهَا إِذَا اخْتَفَلُوا، وَرَبِيعِهَا إِذَا أُمِحَلُوا. وَأَفْتَحِرُ بَفَتَى الْفَتِيَانِ، يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، كَانَ سَمَحَ السَّمْحَاءِ، وَلَبِيبَ الْأَبْيَاءِ، الَّذِي كَمَلَ الْجُودَ وَالْأَصَالََةَ وَالْبِرَاعَةَ، وَلَدَنَّهُ الْقُرُومُ مِنْ قُضَاعَةَ. ثُمَّ لِقَرِيعِ الْأَنَامِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مِنْ أُمَّنٍ مَنْ فِي الْمَكَارِمِ جَوْهَرُهُ، ثُمَّ غَطَّى الْفَاحِرَ مَفْحَرُهُ، وَبَدَّ أَحْيَارَ النَّاسِ خَيْرُهُ، وَزَهَا بِهِ سَرِيرُهُ، وَمُنْبَرُهُ، طُبِعَتْ عَلَى الْحِلْمِ سَجِيَّتُهُ، وَكَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمُرُوءَتُهُ، وَاسْتَوَتْ عَلَانِيَتُهُ وَسَرِيرَتُهُ، وَرَضِيَتْ بِسِيَاسَتِهِ رَعِيَّتُهُ، وَخَبِرَ الْأَشْرَافَ عَطِيَّتُهُ، مَنْ طَلَبَ فَادْرَكَ بِثَأْرِهِ، وَشَمَّرَ لِلْحَرْبِ بِأَنْصَارِهِ، وَأَخَذَ الْأَمْرَ مِنْ أَقْطَارِهِ، ثُمَّ لِصَخْرٍ مَعْدِنِ الثُّبَلِ وَالْفَخْرِ، مَفْرَعِ قَوْمِهِ إِذَا رَهَبُوا، وَغِيَاثِهِمْ إِذَا أَجْدَبُوا، وَمَذْرَهِهِمْ إِذَا خَطَبُوا، وَفَارِسِهِمْ إِذَا رَكِبُوا، مُبِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ، وَرَبِيبِ كُلِّ كَبِيرٍ، وَبَدْرِ كُلِّ مُبِيرٍ، ثُمَّ لِحَرْبِ مُنْتَسِ كُلِّ كَرْبٍ، قَائِدِ قَوْمِهِ فِي الْحَقَائِقِ، وَعِضْمَتِهِمْ فِي الْوَثَائِقِ، وَحَامِيهِمْ فِي الْمَضَائِقِ، يَغْلُو عَلَى الْمَنَازِعِ فِي حِصَامِهِ، وَتَثْبُتُ قَدَمُهُ فِي مَقَامِهِ، وَتُؤَثِّرُ أَمْثَالُ كَلَامِهِ، وَيَزِدُّهُمْ النَّاسَ عَلَى طَعَامِهِ، وَتَتَحَدَّثُ الْمَوَاسِمُ بِأَيَّامِهِ. فَلَمَّا فَرَّغَ الْوَلِيدُ، قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: تَكَلَّمْ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَا ابْنُ الْبُدُورِ الرَّوَاهِرِ، وَالْبُحُورِ الرَّوَاحِرِ، وَالنُّعُوثِ الْمَوَاطِرِ، وَاللُّيُوثِ الْهُوَاصِرِ، الَّذِينَ بَرَزَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ شَأْوُهُمْ، وَأَنَافَ عَلَى كُلِّ بِنَاءٍ بِنَاؤُهُمْ، وَكَانَ خَيْرَ الْأَبَاءِ آبَاؤُهُمْ، أَنَا ابْنُ الْقُرُوعِ الرُّكِيَّةِ، وَالْمَصَابِيحِ الْمُضِيَّةِ، وَالْأَشْيَاحِ الرُّضِيَّةِ، الْهُدَاةِ الْمَهْدِيَّةِ، ضَرَبُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى الثَّقَى، وَأَقَامُوا لِلنَّاسِ مَعَالِمَ الْهُدَى. وَاسْتَنْقَذُوهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى، وَدَوَّخُوا صَنَادِيدَ الْعِدَا. أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنْ أَكْرَمِ طِينَةٍ، وَاصْطَفَانَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَكْنُونَةِ، وَاخْتَصَّنَا بِالْوَحْيِ وَالذِّئُونَةِ، وَجَعَلَ لَنَا الشَّنَنَ الْمَسْنُونَةَ، يَنْزِلُ وَحْيُ اللَّهِ فِي آيَاتِنَا، وَيُعَلِّمُهُ رَسُولُ

الله ﷺ، عَلَى آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، تَحِلُّ الْمَلَائِكَةُ بِعَقْوَاتِنَا، فَلَنَا كُلُّ فَضْلٍ مَعْدُودٍ، وَسَنَاءٍ مَحْمُودٍ، وَنَحْنُ زَيْنُ كُلِّ مَشْهُودٍ، وَعُرَّةُ كُلِّ طَارِفٍ وَمَثْلُودٍ. مِنَّا خَيْرَةُ اللَّهِ الْمُضْطَفَى، وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى، وَأَمِينُهُ الْمُزْتَصَى، وَالْمُؤْتَرُّ بِسِدْرَةِ الْمُنتَهَى، ﷺ، وَمِنَّا حَمْرَةُ أَسَدِ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ، وَحَامِيَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَفَّةُ الْمُشْرِكِينَ، وَسَيِّدُ شُهَدَاءِ الْعَالَمِينَ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَهِيئًا، وَلِمَالِهِ وَهُوبًا، وَفِي الْإِسْلَامِ سَبَاقًا خَطِيئًا، وَعَلَى الْأَعْدَاءِ أَبَاءً صَلِيئًا. وَمِنَّا عَلِيُّ ذُو السَّوَابِقِ الْبَاسِقَةِ، وَالْمَنَاقِبِ الْفَائِقَةِ، الَّذِي لَيْسَتْ كَسَابِقَتِهِ سَابِقَةً، أَقْدَمَ قُرَيْشٍ سَبْقًا، وَأَعْلَمَهُمْ عِلْمًا، وَأَجُودَهُمْ فَهْمًا، وَأَزْجَحَهُمْ حِلْمًا، وَأَكْرَمَهُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسًا، وَأَفْضَلَهُمْ وَلَدًا وَعُرْسًا، وَخَيْرُهُمْ مَحْتِدًا وَجِنْسًا، أَصْدَقَ الْعَرَبِ بَأْسًا وَأَشَدَّهُمْ مِرَاسًا. وَمِنَّا الْعَبَّاسُ الْمُفْضَلُ بِسَرِيرَتِهِ، الْمُسْتَمِرُّ لِمَرِيرَتِهِ، الْمُتَحَبِّبُ إِلَى عَشِيرَتِهِ، كَهْفُ قُرَيْشٍ إِذَا اسْتَكْهَفُوا، وَرَعُوفُهُمْ إِذَا اسْتَرَأَفُوا، وَعَدْلُهُمْ إِذَا اسْتَنْصَفُوا. وَمِنَّا ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ حَبِيبُ الْأَحْبَارِ، وَبُرُّ الْأَبْرَارِ، الْعَالِمُ بِكُلِّ مُشْكَلَةٍ، وَالْقَائِمُ بِكُلِّ مَعْضَلَةٍ. ثُمَّ أَنَا ابْنُ مُعَاوِيَةَ، وَارِثُ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَمُضْطَنِعُ كُلِّ جَمِيلَةٍ، وَمُفْرَجُ كُلِّ جَلِيلَةٍ، وَمُسْتَيْلُ كُلِّ جَزِيلَةٍ. ثُمَّ لِعَبْدِ اللَّهِ مُشْتَرِي الْحَمْدِ بِنَوَالِهِ، وَالْمُؤْتَرُّ عَلَى نَفْسِهِ بِمَالِهِ، وَالْمُزَوِي الظَّمَاءِ بِسَجَالِهِ. مَنْ أَنْجَدَ ذِكْرَهُ وَعَارَ، وَعَمَرَ جُودَهُ الْبِحَارَ، وَعَمَّ عَطَاؤُهُ الْأَمْصَارَ، سَلَكَ سَبِيلَ الْمُرُوءَةِ، وَأَخَذَ بِأَخْلَاقِ التُّبُوءَةِ، وَتَقَبَّلَ سُنَّةَ الْأَبُوءَةِ. ثُمَّ لِبِجَعْفَرِ الطَّيَّارِ مَعَ الْحِسَانِ، وَالْمُضَارِعِ لِلْأَقْرَانِ، وَالْمُظْهِرِ لِلْبُرْهَانِ، وَالْقَائِمِ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ، أَشْبَهَ النَّاسِ بِبَنِيهِ خَلْقًا وَخُلُقًا، وَأَقْدَمَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ سَبْقًا، وَأَحَقَّهُمْ بِكُلِّ سَنَاءٍ حَقًّا. ثُمَّ لِأَبِي طَالِبٍ مِدْرَهُ قُرَيْشٍ إِذَا حَشَدُوا، وَرَيْسِهِمْ إِذَا عَقَدُوا، وَعَمِيدِهِمْ إِذَا اعْتَمَدُوا، وَفَارِجَ كُرْبِهِمْ إِذَا جَهَدُوا، وَلَدَ الْكِرَامِ وَوَلَدُوهُ، وَأَشْبَهَهُ أَبَاهُ، وَأَشْبَهَهُ بَنُوهُ. ثُمَّ لِعَبْدِ الْمُطَلِّبِ الْوَارِي الرَّنَادِ، الرَّفِيعِ الْعِمَادِ، الْمُزْغَمِ لِلْأَعَادِي، الْقَائِلِ بِالسَّدَادِ، مُحْتَفِرِ زَمْرَمَ خَيْرِ الْحَفَائِرِ، وَسَاقِي الْحَجِيجِ فِيهِ بِالْمَفَاخِرِ، جَمَعَ قُرَيْشًا بَعْدَمَا تَفَرَّقُوا، وَقَادَهُمْ حَتَّى اسْتَوْسَقُوا، وَبَدَّهُمْ حِينَ نَطَقَ وَنَطَقُوا. ثُمَّ لِهَاشِمِ مُطْعِمِ النَّاسِ فِي الشِّتَاءِ وَالْأَضْيَافِ، وَمَحَلِّ الْوُفُودِ وَالْأَضْيَافِ، وَمَلْجَأِ كُلِّ هَارِبٍ وَمَضَافٍ، وَالسَّابِقِ إِلَى غَايَاتِ الْأَشْرَافِ. أَطْعَمَ قُرَيْشًا حِينَ أُسْنِتَتْ، وَجَادَ بِمَالِهِ

حِينَ أَمْسَكَتْ، وَسَاهَمَ الْمُهَمَّةَ لَمَّا أَضْلَعَتْ، وَقَهَرَ بِنَاؤُهُ بِنَاءَهَا لَمَّا ابْتَنَتْ. فَأَنَا خَيْرُ
 الْعَالَمِينَ أَشْيَاخًا، وَأَكْرَمُهُمْ أَرْوَمَةً وَأَسْنَاخًا، وَأَعَزُّهُمْ سَيِّدًا بَدَاخًا، وَأَخْصَبُهُمْ مَحِلَّةً
 وَمُنَاخًا، عَلَيْهِمْ تَنْزِيلُ الْأَنْبَاءِ، وَبِهِمْ وَلَّفَتْ قُرَيْشُ الْأَحْيَاءِ، وَأَقْرَبَتْ بِفَضْلِهَا الْأَمْلَاءِ،
 وَأَدْعَنْتِ الرُّؤَسَاءِ، أَنَا ابْنُ الْأَعْلَامِ لِلْأَعْلَامِ، وَابْنُ سَادَةِ الْإِسْلَامِ، وَمَعْدِنِ النَّبُوءَةِ
 وَالْأَحْكَامِ، وَأَكْرَمِ الْإِسْلَامِ أَسْلَافُنَا، وَأَطْهَرَ الْأَطْرَافِ أَطْرَافُنَا، وَأَعَزَّ الْأَخْلَافِ أَخْلَافُنَا،
 يَضْمَحِلُّ الْفَخْرُ عِنْدَ فَخْرِنَا، وَيُنْسَى كُلُّ ذِكْرٍ مَعَ ذِكْرِنَا، وَيَضْعُرُ كُلُّ قَدْرٍ عِنْدَ قَدْرِنَا. قَالَ:
 فَلَمَّا فَرَعَا مِنْ كَلَامِهِمَا تَفَرَّقَا.

تمت الأخبار الموفقيات

والحمد لله رب العالمين

جزء من المفقود للموفقيات

تصنيف

الإمام المحدث أبي عبد الله الزبير بن بكار القرشي

المتوفى ٢٥٦ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الجزء المفقود من المرفقيات]

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ انْقَطَعَ سَيْفُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عُرْجُونَ نَحْلَةَ فَصَارَ فِي يَدِهِ سَيْفًا، يُقَالُ إِنَّ قَائِمَتَهُ مِنْهُ، وَكَانَ يُسَمَّى الْعُرْجُونَ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَنَاوَلُ حَتَّى بَيَعَ مِنْ بَعَا التُّرْكِيِّ بِمِائَتِي دِينَارٍ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَسَمِعْتُ الْعُثْبِيَّ يُصَحِّفُهُ، فَيَقُولُ: نَفِيلَةُ بِالثُّونِ. مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ فِي قِصَّةِ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ شِعْرٌ فِي الْأَنْصَارِ أَوَّلُهُ:

يَا لِقَوْمِي لِحِفَّةِ الْأَحْلَامِ وَأَنْتِظَارِي لِرِزْلَةِ الْأَقْدَامِ
قَبْلُ كَانُوا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَكَانُوا أَرْمَةَ الْإِسْلَامِ
إِنَّ ذَا الْأَمْرِ دُونَنَا لِقُرَيْشٍ وَقُرَيْشٌ هُمْ ذُوو الْأَحْلَامِ^(٢)

رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ فِي قِصَّةِ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، قَالَ: فَقَامَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ بَنِي مَخْزُومٍ، لَيْسَ أَحَدٌ يُغْدَلُ بِهِ إِلَّا أَهْلُ السَّوَابِقِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ»، مَا أَبْعَدْنَا مِنْهَا الْأَنْصَارَ وَلَكَانُوا لَهَا أَهْلًا، وَلَكِنَّهُ قَوْلٌ لَا شَكَّ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَمْ يَتَّقَ مِنْ قُرَيْشٍ كَلِّهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَصَيَّرَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ فِيهِ. وَلِلْحَارِثِ بْنِ وَهْبٍ قِصَّةٌ مَعَ عُمَرَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَوْبَانَ، عَنْ مِحْرَزِ بْنِ جَعْفَرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: عَزَلَ عُمَرُ أَبَا مُوسَى عَنِ الْبُصْرَةِ، وَقُدَّامَةَ بْنَ مَطْعُونٍ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، وَالْحَارِثَ بْنَ

(١) انظر النص في: الإصابة للحافظ (٢/٢٧٨).

(٢) انظر النص في: الإصابة (١/٢٩١).

وَهَبِ، أَحَدَ بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرٍ، وَشَاطِرَهُمْ أَمْوَالَهُمْ، فَذَكَرَ الْقِصَّةَ، وَفِيهَا قَالَ لِلْحَارِثِ مَا أَعْبُدُ وَقِلاصُ بَعْثَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ بِنَفْقَةٍ مَعِيَ فَتَجَرْتُ فِيهَا. قَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا بَعَثْنَاكَ لِلتَّجَارَةِ فِي أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَهَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا عَمَلْتُ لَكَ عَمَلًا بَعْدَهَا، قَالَ: تَبَدَّلْ حَتَّى أَسْتَعْمَلَكَ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنِ الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ تَاجِرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى فِلَسْطِينَ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ زَيْنَبَ بْنَ رَوْحِ بْنِ سَلَامَةَ الْجُدَامِيَّ يَعْشُرُ مَنْ يَمُرُّ بِهِ لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ، قَالَ: فَعَمَدْنَا إِلَى مَا مَعَنَا مِنَ الذَّهَبِ، فَأَلْقَمْنَاهُ نَاقَةَ لَنَا، حَتَّى إِذَا مَضَيْنَا نَحْرَانَا وَسَلِمَ لَنَا ذَهَبُنَا، فَلَمَّا مَرَرْنَا عَلَى زَيْنَبِ، قَالَ: فَتَشَوْهُمْ، فَفَتَشُونَا، فَلَمْ يَجِدُوا مَعَنَا إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا، فَقَالَ: اعْرِضُوا عَلَيَّ إِبِلَهُمْ، فَمَرَّتْ بِهِ النَّاقَةُ بِعَيْنَيْهَا، فَقَالَ: انْحَرَوْهَا. فَقُلْتُ: لِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا ذَهَبٌ وَإِلَّا فَلَا نَاقَةَ غَيْرَهَا وَكُلُّهَا. قَالَ: فَشَقُّوا بَطْنَهَا فَسَالَ الذَّهَبُ، قَالَ: فَأَعْلَظَ عَلَيْنَا فِي الْعُشْرِ، وَنَالَ مِنْ عُمَرَ. فَقَالَ عُمَرُ فِي ذَلِكَ:

مَتَى أَلَقَ زَيْنَبُ بْنُ رَوْحٍ بِبِلْدَةٍ لِي النِّصْفُ مِنْهُ يَفْرَعُ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَّ حَيُّ ابْنِ غَالِبٍ مُطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَضَارِبَ فِي الْهَيْمِ^(٢)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ عَرَضَ الْخَيْلَ فَمَرَّ بِهِ شَيْبُ بْنُ حَجَلِ بْنِ نَضْلَةَ الْبَاهِلِيِّ عَلَى فَرَسٍ أَعْجَفَ، فَقَالَ: بَالٍ عَلَى بَالٍ. فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَأَنْشَدَ:

رَأَيْتُ الْأَشْعَرِيَّ فَقَالَ بَالٍ عَلَى بَالٍ وَلَمْ يَعْلَمْ بِلَائِي وَمِثْلِكَ قَدْ قَضَيْتُ الرُّمَحَ فِيهِ فَبَاءَ بِدَائِهِ وَشَفَيْتُ دَائِي^(٣)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنِ الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: دَخَلَ صُعْصُعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ الْمُجَاشِعِيِّ جَدُّ الْفَرَزْدَقِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: كَيْفَ عِلْمُكَ

(١) انظر: الإصابة (١/٢٩٤).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب حديث رقم: ١١٤.

(٣) انظر: الإصابة (١/١٦٠).

بِمُضَرٍّ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِهِمْ. تَمِيمٌ هَامَتْهَا وَكَاهَلَهَا الشَّدِيدُ الَّذِي يُوثِقُ بِهِ، وَيُحْمَلُ عَلَيْهِ. وَكَنَانَةٌ وَجْهَهَا الَّذِي فِيهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، وَقَيْسٌ فُرْسَانُهَا وَنُجُومُهَا، وَأَسَدٌ لِسَانُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «صَدَقْتَ»^(١).

- أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ، وَالْبَغَوِيُّ، وَالْهَيْثَمِيُّ بْنُ كَلَيْبٍ، وَالطَّبْرِيُّ، وَابْنُ مَنْدَه، مِنْ طَرِيقِ شَرْقِيِّ بْنِ قَطَامِيٍّ، عَنِ أَبِي طَلِيْقِ الْعَامِدِيِّ، عَنْ شَرَّاحِيلَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتَنَا مِنْ قَرِيبٍ وَنَحْنُ إِذَا حَجَجْنَا، قُلْنَا:

لَبَّيْكَ تَعْظِيمًا إِلَيْكَ عُذْرًا هَدِي زُبَيْدٌ قَدْ أَتَيْتَكَ قَسْرًا

يَقْطَعُنَّ خُبْرًا وَجِبَالًا وَعُغْرًا

الْحَدِيثُ.

وَفِيهِ: كُنَّا نَمْنَعُ النَّاسَ أَنْ يَقْتُومُوا بِعَرَفَةَ، وَنَقِفُ بِبَطْنِ مُحَسَّرٍ يُمْتَنَ عَرَفَةَ فَرَقًا مِنْ أَنْ يَتَخَطَّفُنَا الْجِنَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَجِيزُوا بَطْنَ عَرَفَةَ، فَإِنَّمَا هُمْ إِذْ أَسْلَمُوا إِخْوَانَكُمْ. قَالَ: فَعَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ التَّلِيَةَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ. إِلَى آخِرِهَا^(٢).

قَالَ الرَّبِيعِيُّ بْنُ بَكَّارٍ: وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيُّ فِي كِتَابِ الْوَصَايَا: أَنَّ حِصْنَ بْنَ حُدَيْفَةَ وَصَّى وَلَدَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَكَانُوا عَشْرَةَ، قَالَ: وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنْ كَرَزَ بْنَ عَامِرِ الْعَقِيلِيِّ طَعَنَهُ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ. فَقَالَ لَهُمْ: الْمَوْتُ أَرْوَحُ مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَأَيُّكُمْ يُطِيعُنِي؟ قَالُوا: كُلُّنَا. فَبَدَأَ بِالْأَكْبَرِ. فَقَالَ: خُذْ سَيْفِي هَذَا فَضَعُهُ عَلَى صَدْرِي ثُمَّ اتَّكَيْ عَلَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي. فَقَالَ: يَا أَبْتَاهُ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلُ أَبَاهُ؟ فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا. فَأَبَوْا إِلَّا عُيَيْنَةَ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ أَلَيْسَ لَكَ فِيمَا تَأْمُرُنِي بِهِ رَاحَةٌ وَهَوَى؟ وَلَكِ مِنِّي طَاعَةٌ. قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَمُزِنِي كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: أَلْقِ السَّيْفَ يَا بُنَيَّ، فَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَبْلُوكُمْ فَأَعْرِفَ أَطْوَعَكُمْ لِي فِي حَيَاتِي، فَهُوَ أَطْوَعُ لِي بَعْدَ مَوْتِي، فَادْهَبْ أَنْتَ سَيِّدُ وَلَدِي مِنْ بَعْدِي، وَلَكَ رِيَاسَتِي. فَجَمَعَ بَنِي بَدْرٍ فَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ. فَقَامَ عُيَيْنَةُ بِالرِّيَاسَةِ بَعْدَ أَبِيهِ وَقَتْلِ

(١) انظر: الإصابة (٣/٤٣٠)، والمنمق (ص ٢٥).

(٢) في الإصابة (٢/٣٠٩)، والحديث رواه الطبراني في الكبير (١٧٤١)، وفي الأوسط (٢٣٧٣)، والصغير (١٥٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٥١٨).

كَوْزًا^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَلَقَمَةَ بْنِ حُرِّ السُّلَمِيِّ، قَالَ: جِئْتُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ ابْنَ وَثِيمَةَ النَّضْرِيِّ، وَابْنَ عَارِضِ الْجُشَمِيِّ، فَذَكَرْتُ قِصَّةَ فِيهَا: فَقَالَ ابْنُ عَارِضٍ: كُنْتُ مَعَ أَبِي قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، فَوَجَدْتُ فِي الطَّرِيقِ خِشْفًا فَصِدْنُهُ لِابْنَةِ لِأَبِي كَانَ يُحِبُّهَا. فَخَرَجْتُ مُحْتَضِنَةً حَتَّى وَقَفْنَا عَلَى دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ. وَقَدْ فُتِدَ عَقْلُهُ وَهُوَ عُرْيَانٌ يَكُومُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ الْبَطْحَاءِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى الْخِشْفَ، فَقَالَ:

كَأَنَّهُمَا رَأْسُ حِرْضَيْنِ فِي يَوْمٍ غَمِيمٍ وَدَحْنِ
كَالْخِشْفِ هَذَا الْمُحْتَضِنِ أَحْسَنُ مِنْ شَيْءٍ حَسَنِ
ثُمَّ قَامَ فَسَقَطَ، فَقَالَ:

لَأَتَهَضَّنَّ فِي مِثْلِ زَمَانِي الْأَوَّلِ مُحَدَّبَ السَّاقِ شَدِيدَ الْأَسْفَلِ
يَا أَوْلِي يَا أَوْلِي يَا أَوْلِي^(٢)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَذِنَ عُمَرُ لِلنَّاسِ فَدَخَلَ عُمَرُ بْنُ بَرَّاقَةَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا يَعْرُجُ، فَأَنشَدَ أَيْبَاتًا، يَقُولُ فِيهَا:

مَا إِنْ رَأَيْتُ مِثْلَكَ الْخَطَّابِي أَبْرَرًا بِالْبُدَيْنِ وَبِالْكَتَّابِ

بَعْدَ النَّبِيِّ صَاحِبِ الْكِتَابِ

قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ وَطَعَنَهُ بِالسُّوْطِ: فَمَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: لَا عَلِمَ لِي بِهِ. فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ عَالِمًا بِهِ لَأَوْجَعْتُ ظَهْرَكَ^(٣).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: دَخَلَ قُرَاتُ بْنُ زَيْدِ اللَّيْثِيِّ عَلَى عُمَرَ بْنِ

(١) انظر: الإصابة (٥٥/٣).

(٢) انظر: الإصابة (٨٤/٣).

(٣) انظر: الإصابة (٣٧٤/٢).

الْخَطَابِ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ، وَكَانَ يَبْحُلُّ، وَكَانَ مِنَ الْبَاءِ الْعَرَبِ، وَذَوِي الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ،
فَوَجَدَ عَمْرٌو يُعْطِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، فَقَالَ لَهُ: فُرَاتُ، مَنْ الَّذِي يَقُولُ:

الْفَقْرُ يُزْرِي بِالْفَتَى فِي قَوْمِهِ وَالْعَيْنُ يُغْضِبُ الْكَرِيمَ عَلَى الْقَدَى
وَالْمَالُ يُبْسِطُ لِلْكَيْمِ لِسَانَهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ شَيْءٌ يَرَى
وَالْمَالُ جُدُّ بِفُضُولِهِ وَلِتَعْلَمَنَّ أَنَّ الْبَخِيلَ يَصِيرُ يَوْمًا لِلثَّرَى

قَالَ: لَا أَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، غَيْرَ أَنِّي عَرَفْتُ أَنَّ أَحَا بَنِي ضُبَيْعَةَ أَشْعَرُ النَّاسِ
حَيْثُ، يَقُولُ:

وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ

فَقَالَ عَمْرٌو: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
[الحشر: ٩] أَفْضَلُ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا
إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، قَالَ عَمْرٌو: فَبَيَّنَ ذَلِكَ قَوَامًا، يَا فُرَاتُ، اتَّقِ اللَّهَ، وَإِنَّمَا
لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَنْفَقْتَ. يَا فُرَاتُ، أَطْعِمِ السَّائِلَ، وَكُنْ سَرِيعًا إِلَى دَاعِيِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ
يُحِبُّ الْجُودَ وَأَهْلَهُ، وَإِنَّ الْبُخْلَ بِشَسِّ شِعَارِ الْمُسْلِمِ. يَا فُرَاتُ، أَتَدْرِي مَنْ الَّذِي يَقُولُ:

سَابَدِلُ مَالِي لِلْعُفَاةِ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْغَنَى وَالْفَقْرَ سِيَانِ فِي الْقَبْرِ
يَمُوتُ أَحْوُ الْفَقْرِ الْقَلِيلُ مَتَاعُهُ وَلَا تَتْرُكُ الْأَيَّامَ مَنْ كَانَ ذَا وَفْرِ
وَلَيْسَ الَّذِي جَمَعَتْ عِنْدِي بِنَافِعِ إِذَا حَلَّ بِي يَوْمًا جَلِيلٌ مِنَ الْأَمْرِ

قَالَ: لَا أَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: هَذَا شِعْرُ أَحِيكَ قَسَامَةَ بَنِ زَيْدٍ. قَالَ: مَا
عَلِمْتُهُ. قَالَ: بَلَى هُوَ أَنَشِدْنِيهِ، وَعَنْهُ أَحَدْتُهُ، وَإِنَّ لَكَ فِيهِ لَعِبْرَةٌ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَفَقَّكَ اللَّهُ وَسَدَّدَكَ، أَمَرْتَ بِخَيْرٍ وَحَضَضْتَ عَلَيهِ، وَتَرَكَ فُرَاتٌ كَثِيرًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ ابْنِ
شَهَابٍ: أَنَّ مَالِكََ بْنَ نُوَيْرَةَ كَانَ كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ، فَلَمَّا قُتِلَ أَمَرَ خَالِدُ بَرَأْسِهِ فَتُصِبَ أَنْفِئَةً

(١) انظر: الإصابة (٤٣٣/٢)، والكمال في التاريخ (٢٥٣/٢).

لِقَدْرِ فَتَضَجَ مَا فِيهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُصَ النَّاسُ إِلَى سُتُونِ رَأْسِهِ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ الْأَخْنَسِ هَجَا الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الْمُنْدِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَضْرَبَ رِجْلَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانُ فَغَضِبَ، وَقَامَ خَطِيْبًا فَذَكَرَ قِصَّةً^(٢).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ حَبِيبِ بْنِ زَيْدِ الطَّائِيِّ، أَوْ غَيْرِهِ: مَرَّ الْمِنْهَالُ التَّمِيمِيُّ عَلَى أَشْلَاءِ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ، هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَأَخْرَجَ مِنْ حَرِيطَةٍ لَهُ ثُوبًا فَكَفَّنَتْهُ فِيهِ وَدَفَنَتْهُ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مُتَمِّمٌ: لَقَدْ غَيَّبَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرِ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا^(٣).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَأَدْتَ؟ قَالَ: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ وَأَدَ، فَقَالَ: خَشِيتُ أَنْ يُخَلَّفَ عَلَيْهِنَّ غَيْرُ كُفٍّ. قَالَ: فَصِفْ لَنَا نَفْسَكَ. فَقَالَ: أَمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَا هَمَمْتُ بِمَلَامَةٍ، وَلَا حُمْتُ عَلَى تَهْمَةٍ، وَلَمْ أَرِ إِلَّا فِي خَيْلِ مُغِيرَةَ أَوْ نَادِي عَشِيرَةٍ، أَوْ حَامِي جَرِيرَةٍ. وَأَمَا فِي الْإِسْلَامِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم آية: ٣٢]، فَأَعْجَبَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ^(٤).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، قَالَ: حَجَّ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْعَطَاءِ، فَخَرَجَتْ بَدْرَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا، مِنَ الصَّدَقَةِ، فَأَبَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ قُبُولِهَا، وَقَالُوا: أَفَمَا كَانَ إِعْطَاؤُنَا مِنَ الْفِيءِ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مِثْلُنَا وَمِثْلُكُمْ، إِنَّ أَحْوَيْنَ خَرَجَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُسَافِرَيْنِ، فَتَزَلَا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ تَحْتَ صَفَا، فَلَمَّا دَنَا الرِّوَاخُ، خَرَجَتْ إِلَيْهِمَا مِنْ تَحْتِ الصَّفَا حَيَّةٌ تَحْمِلُ دِينَارًا، فَأَلْقَتْهُ إِلَيْهِمَا، فَقَالَا: إِنَّ هَذَا لِمَنْ كُنَّا، فَأَقَامَا عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، كُلُّ يَوْمٍ تَخْرُجُ إِلَيْهِمَا بِدِينَارٍ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا

(١) انظر: الإصابة (٤٣٣/٢)، والكمال في التاريخ (٢٥٣/٢).

(٢) انظر: الإصابة (٣٣٧/٢).

(٣) انظر: الإصابة (٤٧٨/٢).

(٤) انظر: الإصابة (٢٤٣/٢).

لِصَاحِبِهِ: إِلَى مَتَى نَنْتَظِرُ هَذِهِ الْحَيَّةَ؟ أَلَا نَقْتُلُهَا فَتَحْمُرُ هَذَا الْكَنْزَ فَأَأْخُذُهَا؟ فَهَاهُ أَخُوهُ، وَقَالَ لَهُ: مَا تَدْرِي لَعَلَّكَ تَعْطِبُ وَلَا تُدْرِكُ الْمَالَ. فَأَبَى عَلَيْهِ، فَأَخَذَ فَأَسَأَ مَعَهُ وَرَصَدَ الْحَيَّةَ حَتَّى خَرَجَتْ، فَضْرَبَهَا ضَرْبَةً جَرَحَتْ رَأْسَهَا وَلَمْ يَقْتُلْهَا. فَفَارَتِ الْحَيَّةُ فَقَتَلَتْهُ، وَرَجَعَتْ إِلَى جُحْرِهَا، فَقَامَ أَخُوهُ فَدَفَنَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِ خَرَجَتْ الْحَيَّةُ مَعْصُوبًا رَأْسَهَا، لَيْسَ مَعَهَا شَيْءٌ، فَقَالَ لَهَا: يَا هَذِهِ إِنِّي وَاللَّهِ مَا رَضِيتُ مَا أَصَابَكَ، وَلَقَدْ نَهَيْتُ أُخِي عَنِ ذَلِكَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ نَجْعَلَ اللَّهَ بَيْنَنَا، لَا تَضْرِبَنِي وَلَا أَضْرِكْ، وَتَرْجِعِينَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَتْ الْحَيَّةُ لَا. قَالَ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَكَ لَا تَطِيبُ أَبَدًا، وَأَنْتَ تَرَى قَبْرَ أُخِيكَ، وَنَفْسِي لَا تَطِيبُ لَكَ أَبَدًا، وَأَنَا أَذْكَرُ هَذِهِ الشَّجَّةَ، وَأَنْشُدُهُمْ شِعْرًا لِلنَّابِغَةِ: فَقَالَتْ أَرَى قَبْرًا تَرَاهُ مُقَابِلِي وَضَرْبَةً فَأَيْسَ فَوْقَ رَأْسِي فَاعْرِه فَيَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ، وَلَيْكُمُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَ فِظًا غَلِيظًا مُضَيِّقًا عَلَيْكُمُ، فَسَمِعْتُمْ لَهُ وَأَطَعْتُمْ، ثُمَّ وَلَيْكُمُ عُثْمَانُ، فَكَانَ سَهْلًا لَيْتًا كَرِيمًا، فَعَدَوْتُمْ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُمُوهُ، وَبَعْنَا عَلَيْكُمُ مُسْلِمًا يَوْمَ الْحَرَّةِ فَقَتَلْتُمُوهُ. فَنَحْنُ أَعْلَمُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ أَنْكُمْنَا تُحِبُّونَا أَبَدًا، وَأَنْتُمْ تَذْكُرُونَ يَوْمَ الْحَرَّةِ، وَنَحْنُ لَا نُحِبُّكُمْ أَبَدًا، وَنَحْنُ نَذْكَرُ مَقْتَلَ عُثْمَانَ^(١).

وَرَوَاهُ جَمِيعُ النَّاسِ مِمَّنْ عَنِي بِثَقْلِ الْأَثَارِ وَالسِّيَرِ، عَنِ الْحَسَنِ الْبُصْرِيِّ: أَرْبَعُ خِصَالٍ كُنَّ فِي مُعَاوِيَةَ، لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَكَانَتْ مُوبِقَةً: انْتِزَاؤُهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسُّفْهَاءِ حَتَّى ابْتَزَّهَا أَمْرَهَا بِغَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ، وَفِيهِمْ بَقَايَا الصُّحَابَةِ وَدَوُو الْفُضَيْلَةِ. وَاسْتِخْلَافُهُ بَعْدَهُ ابْنَهُ يَزِيدَ، سَكِيرًا حَمِيمًا، يَلْبَسُ الْحَرِيرَ، وَيَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ. وَادِّعَاؤُهُ زِيَادًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْوَالِدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»^(٢) رَوَاهُ الْمَدَائِنِيُّ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِأَبِي مُوسَى، وَقَوْلُهُ: إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزْتُصُوكَ لِفَضْلِ عِنْدِكَ لَمْ تُشَارِكْ فِيهِ... وَذَكَرَ فِي آخِرِهِ: فَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ قُرَيْشِ:

وَاللَّهِ مَا كَلَّمَ الْأَقْوَامَ مِنْ بَشَرٍ بَعْدَ الْوَصِيِّ عَلِيِّ كَابْنِ عَبَّاسٍ

(١) النص في مروج الذهب (٤٠١/١)، وجمهرة خطب العرب (١٩٦/٢)..

(٢) تقدم تخريجه.

أَوْصَى ابْنُ قَيْسٍ بِأَمْرِ فِيهِ عِصْمَتُهُ لَوْ كَانَ فِيهَا أَبُو مُوسَى مِنَ النَّاسِ
إِلَيَّ أَحَافُ عَلَيْهِ مَكْرَ صَاحِبِهِ أَرْجُو رَجَاءَ مَخُوفَا شَيْبَ بَالِيَّاسِ^(١)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: إِنَّ يَزِيدَ بْنَ حُجَيْبَةَ التَّمِيمِيَّ، شَهِدَ الْجَمَلَ وَصَقِيْنَ وَنَهْرَوَانَ
مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ وُلَاهُ الرَّيَّ وَدَسْتَبِيَّ، فَسَرَقَ مِنْ أَمْوَالِهِمَا وَلَحِقَ بِمُعَاوِيَةَ، وَهَجَا
عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَصْحَابَهُ، وَمَدَحَ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ عَلِيٌّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَرَفَعَ أَصْحَابَهُ أَيْدِيَهُمْ فَأَمَّنُوا، وَكَتَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّهِ كِتَابًا يَقْبَحُ إِلَيْهِ مَا صَنَعَ،
وَكَانَ الْكِتَابُ شِعْرًا. فَكَتَبَ يَزِيدُ بْنُ حُجَيْبَةَ إِلَيْهِ: لَوْ كُنْتُ أَقُولُ شِعْرًا لِأَجْبِتُكَ، وَلَكِنْ قَدْ
كَانَ مِنْكُمْ خِلَالَ ثَلَاثِ لَا تَرَوْنَ مَعَهُنَّ شَيْئًا مِمَّا تُحِبُّونَ: أَمَّا الْأَوْلَى: فَإِنَّكُمْ سِرْتُمْ إِلَيَّ
أَهْلَ الشَّامِ، حَتَّى إِذَا دَخَلْتُمْ بِلَادَهُمْ، وَطَعَنْتُمُوهُمْ بِالرِّمَاحِ، وَأَذَقْتُمُوهُمْ أَلَمَ الْجِرَاحِ،
رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ، فَسَخِرُوا مِنْكُمْ وَرَدُّوكُمْ عَنْهُمْ، فَوَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا دَخَلْتُمُوهَا بِمِثْلِ تِلْكَ
الشُّوْكَةِ، وَالشُّدَّةِ أَبَدًا، وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ الْقَوْمَ بَعَثُوا حَكَمًا، وَبِعَثْتُمْ حَكَمًا، فَأَمَّا حَكَمُهُمْ
فَأَثَبْتُهُمْ، وَأَمَّا حَكَمَكُمْ فَحَلَعْتُمْ، وَرَجَعَ صَاحِبُهُمْ يُدْعَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَجَعْتُمْ
مُضْغَاعِينَ. وَالثَّلَاثَةُ: أَنَّ قُرَاءَكُمْ وَقُفَّهَاءَكُمْ وَقُرْسَانَكُمْ خَالَفُوكُمْ، فَعَدَوْتُمْ عَلَيْهِمْ
فَقَتَلْتُمُوهُمْ. ثُمَّ كَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ بَيِّنَتَيْنِ لِعِفَّانَ بْنِ شُرْحِبِيلِ التَّمِيمِيِّ:

أَحْبَبْتُ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ بَيْنِ الْمَلَا وَبَكَيْتُ مِنْ أَسْفِ عَلَى عُثْمَانَ
أَرْضًا مُقَدَّسَةً وَقَوْمًا مِنْهُمْ أَهْلَ الْيَقِينِ وَتَابِعُوا الْفِرْقَانَ^(٢)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: قَالَ الْمُطَرِّفُ بْنُ الْمُغْبِرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ
مُعَاوِيَةَ، فَكَانَ أَبِي يَأْتِيهِ فَيَتَحَدَّثُ مَعَهُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَيَّ فَيَذْكُرُ مُعَاوِيَةَ وَعَقْلَهُ، وَيُعْجَبُ بِمَا
يَرَى مِنْهُ، إِذْ جَاءَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَمْسَكَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَرَأَيْتُهُ مُغْتَمًّا، فَانْتَظَرْتُهُ سَاعَةً، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ
لَأَمْرِ حَدَثَ فِينَا، فَقُلْتُ: مَا لِي أَرَاكَ مُغْتَمًّا مُنْذُ اللَّيْلَةِ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي جِثُّ مِنْ أَكْفَرِ النَّاسِ
وَأَحْبَبِهِمْ، قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ وَقَدْ خَلَوْتُ بِهِ: إِنَّكَ قَدْ بَلَعْتَ سِنًا يَا أَمِيرَ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٤٥٦/١).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٤٥٦/١).

الْمُؤْمِنِينَ، فَلَوْ أَظْهَرْتَ عَدْلًا، وَبَسَطْتَ خَيْرًا فَإِنَّكَ قَدْ كَبُرْتَ، وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى إِخْوَتِكَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَوَصَلْتَ أَرْحَامَهُمْ، فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ يَوْمَ شَيْءٍ تَخَافُهُ، وَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَنْقِي لَكَ ذِكْرَهُ، وَتَوَابُهُ؟ فَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! أَيُّ ذِكْرٍ أَرْجُو بَقَاءَهُ! مَلِكٌ أَخُو تَيْمٍ فَعَدَلَ وَفَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا عَدَا أَنْ هَلَكَ، حَتَّى هَلَكَ ذِكْرُهُ إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ مَلِكٌ أَخُو عَدِيٍّ، فَاجْتَهَدَ وَشَمَّرَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا عَدَا أَنْ هَلَكَ حَتَّى هَلَكَ ذِكْرُهُ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: عُمَرُ. وَإِنَّ ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ لَيُصَاحُ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَأَيُّ عَمَلٍ يَنْقِي؟ وَأَيُّ ذِكْرٍ يَدُومُ بَعْدَ هَذَا لَا أَبَا لَكَ؟ لَا وَاللَّهِ إِلَّا دَفْنَا دَفْنَا^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: لَمَّا بَايَعَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدِ أَبِي بَكْرٍ، وَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعُوهُ، مَرَّ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَزْبٍ بِالْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَقَفَ وَأَنْشَدَ:

بَنِي هَاشِمٍ لَا تُطْمِعُوا النَّاسَ فِيكُمْ وَلَا سِيِّمًا تَيْمٌ بِنُ مَرَّةٍ أَوْ عَدِي
فَمَا الْأَمْرُ إِلَّا فِيكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا أَبُو حَسَنِ عَلِيٍّ
أَبَا حَسَنِ فَاشْدُدْ بِهَا كَفَّ حَازِمٍ فَإِنَّكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرْتَجَى مَلِي
وَأَيُّ امْرِئٍ يَرْمِي قَصِيًّا وَرَأَيْهَا مَنِيعُ الْحِمَى وَالنَّاسُ مِنْ غَالِبٍ قَصِي

فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي سُفْيَانَ: إِنَّكَ تُرِيدُ أَمْرًا لَسْنَا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ عَاهَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَهْدًا فَأَنَا لَهُ. فَتَرَكَهُ أَبُو سُفْيَانَ، وَعَدَلَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي مَنْزِلِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، أَنْتَ أَحَقُّ بِمِيرَاثِ أَخِيكَ، امْدُدْ يَدَكَ لِأَبَايَعِكَ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ النَّاسُ بَعْدَ بَيْعَتِي إِيَّاكَ. فَضَحِكَ الْعَبَّاسُ، وَقَالَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، يَدْفَعُهَا عَلِيٌّ وَيَطْلُبُهَا الْعَبَّاسُ! فَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ خَائِبًا^(٢).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ الْأَوْسَ تَزَعُمُ أَنَّ أَوْلَ مَنْ بَايَعَ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (١٧٦/٢).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢٧١/٢)، وانظر: تاريخ اليعقوبي (١٥٤/١).

أَبَا بَكْرٍ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، وَتَزْعُمُ الْخَزْرَجُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ (١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: فَلَمَّا بُوِيَحَ أَبُو بَكْرٍ أَقْبَلَتِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي بَايَعَتْهُ تَرْفُهُ زَفَاً إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا كَانَ آخِرَ النَّهَارِ افْتَرَقُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ، فَاجْتَمَعَ قَوْمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقَوْمٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَعَابَتُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ أَوْلِيَّ فَضْلٍ وَنَصْرٍ وَسَابِقَةٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِيكُمْ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ وَلَا عَلِيٍّ وَلَا أَبِي عُبَيْدَةَ. فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ: إِنَّا لَا نُنْكِرُ فَضْلَ مَنْ ذَكَرْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَإِنْ مِثْلَ لَسَيْدِ الْأَنْصَارِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَمَنْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَقْرِئَهُ السَّلَامَ، وَأَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ الْقُرْآنَ أَبِي بَكْرٍ، وَمَنْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامَ الْعُلَمَاءِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَمَنْ أَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ حُرَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِمَّنْ سَمَّيْتَ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ لَوْ طَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يُنَازِعْهُ فِيهِ أَحَدٌ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٢).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ، قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَلِيْتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِذَا أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي. إِنَّ لِي شَيْطَانًا يَغْتَرِبُنِي، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّايَ إِذَا غَضِبْتُ، لَا أُوَثِّرُ فِي أَشْعَارِكُمْ، وَأَبْشَارِكُمْ. الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ مِنْكُمْ قَوِيٌّ حَتَّى أَرُدَّ إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَالْقَوِيُّ ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ. إِنَّهُ لَا يَدْعُ قَوْمَ الْجِهَادِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذَّلِّ، وَلَا تَشِيْعُ فِي قَوْمِ الْفَاحِشَةِ إِلَّا عَمَّهُمُ الْبَلَاءُ. أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ، فَإِذَا غَضِبْتُ اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ. قَالَ ابْنُ أَبِي عَزَّةَ الْقُرَشِيُّ:

شُكْرًا لِمَنْ هُوَ بِالْإِنَاءِ حَقِيقُ
دَهَبَ اللَّجَاجُ وَبُوِيَحَ الصِّدِّيقُ
مِنْ بَعْدِ مَا زَلَّتْ بِسَعْدٍ نَعْلُهُ
وَرَجَا رَجَاءً دُونَهُ الْعَيُّوقُ
حَفَّتْ بِهِ الْأَنْصَارُ عَاصِبَ رَأْسِهِ
فَأَتَاهُمُ الصِّدِّيقُ وَالْفَارُوقُ
وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَالَّذِينَ إِلَيْهِمْ
نَفْسُ الْمُؤْمَلِ لِلِقَاءِ تَتُوقُ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٢).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٢).

كُنَّا نَقُولُ لَهَا عَلِيٌّ وَالرِّضَا عَمْرٌ وَأَوْلَاهُمْ بِذَلِكَ عَتِيقُ
 فَدَعَتْ قَرِيْشَ بِاسْمِهِ فَأَجَابَهَا إِنَّ الْمُنَوَّةَ بِاسْمِهِ الْمَوْتُوقُ
 قُلْ لِلأُلَى طَلَبُوا الخِلَافَةَ زِلَّةً لَمْ يَحْطُ مِثْلَ خُطَاهُمْ مَخْلُوقُ
 إِنَّ الخِلَافَةَ فِي قَرِيْشٍ مَا لَكُمْ فِيهَا وَرَبُّ مُحَمَّدٍ مَعْرُوقُ^(١)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا بُويعَ افْتَحَرَتْ
 تَيْمٌ بِنُ مَرَّةً.

قَالَ: وَكَانَ عَامَّةُ الْمُهَاجِرِينَ وَجُلُّ الأَنْصَارِ لَا يَشْكُونَ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ صَاحِبُ الأَمْرِ
 بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ الفُضْلُ بْنُ العَبَّاسِ: يَا مَعْشَرَ قَرِيْشِ، وَخُصُوصًا يَا بَنِي تَيْمِ،
 إِنَّكُمْ، إِنَّمَا أَخَذْتُمْ الخِلَافَةَ بِالثُّبُوءِ. وَنَحْنُ أَهْلُهَا دُونَكُمْ، وَلَوْ طَلَبْنَا هَذَا الأَمْرَ الَّذِي نَحْنُ
 أَهْلُهُ لَكَانَتْ كَرَاهَةُ النَّاسِ لَنَا أَعْظَمَ مِنْ كَرَاهَتِهِمْ لِغَيْرِنَا، حَسَدًا مِنْهُمْ لَنَا وَحَقْدًا عَلَيْنَا،
 وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَ صَاحِبِنَا عَهْدًا هُوَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ. وَقَالَ بَعْضُ وَلدِ أَبِي لَهَبِ بْنِ
 عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ شِعْرًا:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الأَمْرَ مُنْصَرَفٌ عَنِ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنِ أَبِي حَسَنِ
 أَلَيْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى لِقِبَلَتِكُمْ وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالقُرْآنِ وَالسُّنَنِ
 وَأَقْرَبَ النَّاسِ عَهْدًا بِالنَّبِيِّ وَمَنْ جَبْرِيلُ عَوْنٌ لَهُ فِي الغُسْلِ وَالْكَفَنِ
 مَا فِيهِ مَا فِيهِمْ لَا يَمْتَرُونَ بِهِ وَلَيْسَ فِي القَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الحَسَنِ
 مَاذَا الَّذِي رَدَّهُمْ عَنْهُ فَتَعَلَّمُهُ هَا إِنْ ذَا غَبْنَا مِنْ أَعْظَمَ الغَبَنِ

قَالَ الزُّبَيْرُ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ فَتَنَاهَا وَأَمَرَهُ أَلَّا يُعُودَ، وَقَالَ: سَلَامَةُ الدِّينِ أَحَبُّ إِلَيْنَا
 مِنْ غَيْرِهِ^(٢).

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٣)، وانظر: الاستيعاب (١/٢٩٨)، والاكفاء (٢/٣٥٦)،

الوافي في الوفيات (١/٢٤٢٨٩).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٣)، وانظر: سبل الهدى والرشاد (١٢/٣١٥).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ شَيْعَةً لِأَبِي بَكْرٍ، وَمِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِّي عَلِيٌّ فَقَامَ خَطِيْبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا رُمِينَا فِي بَدْءِ هَذَا الدِّينِ بِأَمْرٍ، ثَقُلَ عَلَيْنَا وَاللَّهِ مَحْمَلُهُ، وَصَعِبَ عَلَيْنَا مُرْتَقَاهُ، وَكُنَّا كَأَنَّا فِيهِ عَلَى أَوْتَارٍ، ثُمَّ وَاللَّهِ مَا لَبِثْنَا أَنْ خَفَّ عَلَيْنَا ثِقْلُهُ، وَذَلَّ لَنَا صَعْبُهُ، وَعَجِبْنَا مِمَّنْ شَكَكَ فِيهِ بَعْدَ عَجَبِنَا مِمَّنْ آمَنَ بِهِ حَتَّى أَمْرْنَا بِمَا كُنَّا نَنْهَى عَنْهُ، وَنَهِينَا عَمَّا كُنَّا نَأْمُرُ بِهِ، وَلَا وَاللَّهِ مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ بِالْعُقُولِ، وَلَكَيْتُهُ التُّوفِيقُ. أَلَا وَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَنْقَطِعْ حَتَّى أَحْكَمَ، وَلَمْ يَذْهَبِ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَسْتَبْدِلَ بَعْدَهُ نَبِيًّا وَلَا بَعْدَ الْوَحْيِ وَحْيًا، وَنَحْنُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ مِنَّا أَمْسٍ، وَنَحْنُ أَمْسُ خَيْرٌ مِنَّا الْيَوْمَ. مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى حَسَبِ عَمَلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ رَدْدَنَاهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا صَاحِبُ الْأَمْرِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ، بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ، وَلَا لِيُخْتَلَفَ فِيهِ، وَلَا الْخَفِيِّ الشَّخْصِ، وَلَا الْمَعْمُورِ الْقَنَاطَةِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ. وَمَدَحَهُ حَزْنُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ الْمَحْزُومِيُّ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَهْلًا وَهُوَ جَدُّ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ الْفَقِيهِ، وَقَالَ:

وَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ كَثِيرَةٌ	فَلَمْ يَكُ مِنْهُمْ فِي الرُّجَالِ كَخَالِدِ
تَرَقَّى فَلَمْ يَزَلْ بِهِ صَدْرُ نَعْلِهِ	وَكَفَّ فَلَمْ يَعْرِضْ لِنَلِكِ الْأَوَابِدِ
فَجَاءَ بِهِ غَرَاءَ كَالْبَدْرِ ضَوْؤُهَا	فَسَمِيَّتْهَا فِي الْحُسْنِ أُمَّ الْقَلَانِدِ
أَخَالِدُ لَا تَعْدِمِ لُؤْيُ بْنُ غَالِبِ	قِيَامَكَ فِيهَا عِنْدَ قَذْفِ الْجَلَامِدِ
كَسَاكَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مَجْدَهُ	وَعَلَّمَكَ الْأَشْيَاخُ ضَرْبَ الْقَمَاحِدِ
تُقَارِعُ فِي الْإِسْلَامِ عَنْ صُلْبِ دِينِهِ	وَفِي الشَّرْكِ عَنِ أَحْسَابِ جَدِّ وَوَالِدِ
وَكُنْتَ لِمَحْزُومِ بْنِ يَقْظَةَ جُنَّةً	يُعِدُّكَ فِيهَا مَاجِدًا وَابْنَ مَاجِدِ
إِذَا مَا سَمَا فِي حَرْبِهَا أَلْفُ فَارِسِ	عُدِلْتَ بِأَلْفِ عِنْدَ تِلْكَ الشَّدَائِدِ
وَمَنْ يَكُ فِي الْحَرْبِ الْمُشِيرَةَ وَاحِدًا	فَمَا أَلْتَ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانَ بِوَاحِدِ
إِذَا نَابَ أَمْرٌ فِي قُرَيْشٍ مُخْلَجِ	تَشِيبُ لَهُ رُءُوسُ الْعُدَارَى التَّوَاهِدِ

تَوَلَّيْتَ مِنْهُ مَا يُخَافُ وَإِنْ تَغِبْ يَقُولُوا جَمِيعًا حَظًّا غَيْرُ شَاهِدٍ^(١)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا بُوِيَحَ أَبُو بَكْرٍ وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ، نَدِمَ قَوْمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى بَيْعَتِهِ، وَلَا مَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَذَكَرُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَهَتَفُوا بِاسْمِهِ، وَإِنَّهُ فِي دَارِهِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، وَجَزَعَ لِذَلِكَ الْمُهَاجِرُونَ، وَكَثُرَ فِي ذَلِكَ الْكَلَامُ، وَكَانَ أَشَدَّ قُرَيْشٍ عَلَى الْأَنْصَارِ نَفْرًا فِيهِمْ، وَهُمْ: سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو أَحَدِ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ الْمُخْزُومِيَّانِ، وَهَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قُرَيْشِ الَّذِينَ حَارَبُوا النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَكُلُّهُمْ مُؤْتَرُونَ قَدْ وَتَرَهُ الْأَنْصَارُ. أَمَّا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو فَأَسْرَهُ مَالِكُ بْنُ الدُّخَشِمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فَضْرَبَهُ غَزْوَةً بِنُ عَمْرِو فَجَرَحَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ فَارٌّ عَنِ أُخِيهِ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَقَتَلَ أَبَاهُ ابْنًا عَفْرَاءَ، وَسَلَبَهُ دِرْعَهُ يَوْمَ بَدْرٍ زِيَادُ بْنُ لَيْدٍ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ. فَلَمَّا اغْتَرَلَتِ الْأَنْصَارُ تَجَمَّعَ هَؤُلَاءِ فَقَامَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ سَمَّاهُمْ اللَّهُ الْأَنْصَارَ، أَتُنِي عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ فَلَهُمْ بِذَلِكَ حَظٌّ عَظِيمٌ وَشَأْنٌ غَالِبٌ، وَقَدْ دَعَوْنَا إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَإِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَلِيٌّ فِي بَيْتِهِ لَوْ شَاءَ لَرَدَّهُمْ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى صَاحِبِكُمْ وَإِلَى تَجْدِيدِ بَيْعَتِهِ، فَإِنْ أَجَابُوكُمْ وَإِلَّا قَاتِلُوهُمْ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَنْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ كَمَا نَصَرْتُمْ بِهِ. ثُمَّ قَامَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ: إِنْ يَكُنِ الْأَنْصَارُ تَبَوَّاتِ الدَّارِ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِ، وَنَقَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى دُورِهِمْ مِنْ دُورِنَا، فَأَوُوا وَنَصَرُوا، ثُمَّ مَا رَضُوا حَتَّى قَاسَمُونَا الْأَمْوَالَ، وَكَفُونَا الْعَمَلَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ لَهَجُوا بِأَمْرِ، إِنْ تَبَتُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِمَّا وَسَمُوا بِهِ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مَعَاتَبَةٌ إِلَّا السَّيْفَ، وَإِنْ نَزَعُوا عَنْهُ فَقَدْ فَعَلُوا الْأَوْلَى بِهِمْ، وَالْمَطْنُونَ مَعَهُمْ. ثُمَّ قَامَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ»^(٢) مَا أَنْكَرْنَا إِمْرَةَ الْأَنْصَارِ،

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٤)، وانظر: الاستيعاب (١/٣٥٠).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٥٧٤٥، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١٢٠٨٠، والحاكم في المستدرک حديث رقم: ٧٠٢٩، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة حديث

وَلَكَانُوا لَهَا أَهْلًا، وَلَكِنَّهُ قَوْلٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا خِيَارَ، وَقَدْ عَجَلَتِ الْأَنْصَارُ عَلَيْنَا، وَاللَّهُ مَا قَبَضَنَا عَلَيْنِهِمُ الْأَمْرَ وَلَا أَخْرَجَنَاهُمْ مِنَ السُّورَى، وَإِنَّ الَّذِي هُمْ فِيهِ مِنْ فَلَاتَاتِ الْأُمُورِ وَنَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمَا لَا يَبْلُغُهُ الْمُنَى وَلَا يَحْمِلُهُ الْأَمْلُ، أَعْدِرُوا إِلَى الْقَوْمِ فَإِنَّ أَبْوًا قَاتِلُوهُمْ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ قُرَيْشٍ كُلُّهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَصَيَّرَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ فِيهِ. قَالَ: وَحَضَرَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ لِلْأَنْصَارِ أَنْ يَتَفَضَّلُوا عَلَى النَّاسِ حَتَّى يُقِرُّوا بِفَضْلِنَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ تَفَضَّلُوا، فَحَسْبُنَا حَيْثُ انْتَهَى بِهَا، وَإِلَّا فَحَسْبُنُهُمْ حَيْثُ انْتَهَى بِهِمْ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَيْسَ بَطَرُوا الْمَعِيشَةَ وَكَفَرُوا بِالنِّعْمَةِ، لَنْضُرِبْنَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ كَمَا ضَرَبُوا عَلَيْهِ، فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَأَهْلٌ وَاللَّهُ أَنْ يَسُودَ عَلَى قُرَيْشٍ وَتَطِيعَهُ الْأَنْصَارُ. فَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارُ قَوْلَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ، قَامَ خَطِيبُهُمْ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّمَا يَكْبُرُ عَلَيْكُمْ هَذَا الْقَوْلُ لَوْ قَالَه أَهْلُ الدِّينِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَا سِيَّمَا مِنْ أَقْوَامٍ كُلُّهُمْ مَوْتُورٌ فَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا الرَّأْيُ وَالْقَوْلُ مَعَ الْأَخْيَارِ الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ تَكَلَّمْتَ رِجَالُ قُرَيْشٍ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْآخِرَةِ مِثْلَ كَلَامِ هَؤُلَاءِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قُولُوا مَا أَحْبَبْتُمْ وَإِلَّا فَأَمْسِكُوا. وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَذْكُرُ ذَلِكَ:

تَنَادَى سُهَيْلٌ وَابْنُ حَرْبٍ وَحَارِثٌ وَعِكْرِمَةُ الشَّانِي لَنَا ابْنُ أَبِي جَهْلٍ
قَتَلْنَا أَبَاهُ وَاتَّزَعْنَا سِلَاحَهُ فَأَصْبَحَ بِالْبَطْحَاءِ أَدْلٌ مِنَ الثُّعْلِ
فَأَمَّا سُهَيْلٌ فَاحْتَوَاهُ ابْنُ دَحْشَمٍ أَسِيرًا ذَلِيلًا لَا يُمِرُّ وَلَا يُحْلِي

رقم: ٤١٥، والبيهقي في السنن الكبرى حديث رقم ٤٨٧٩: وفي معرفة السنن والآثار حديث رقم: ١٤١٨، والطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٢٣٤، والبخاري في البحر الزخار حديث رقم: ١٧٥٥، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٣٥٩٦، والرويات في مسنده حديث رقم: ٧٦٤، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ حديث رقم: ١٥٥٨، والبلاذري في أنساب الأشراف حديث رقم: ٦٨٨، والرزاز في تاريخه حديث رقم: ٣٤٦، والدولابي في الكنى والأسماء حديث رقم: ٧٦٧، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال حديث رقم: ٤١٥، والدارقطني في العلل حديث رقم: ٤٦٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق حديث رقم: ٢٤٢٦١، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين حديث رقم: ٨٢٨، ويوسف المزي في تهذيب الكمال حديث رقم: ١٧٢٩.

وَصَحْرُ بَنٍ حَرْبٍ قَدْ قَلَّتْنَا رِجَالَهُ
 وَرَاكِضْنَا تَحْتَ الْعَبَاجَةِ حَارِثُ
 يُقْبِلُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا يَحُثُّهَا
 أَوْلَيْكَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ تَبَايَعُوا
 وَأَعْجَبَ مِنْهُمْ قَابِلُوا ذَاكَ مِنْهُمْ
 وَكُلُّهُمْ ثَانٍ عَنِ الْحَقِّ عِطْفُهُ
 نَصْرْنَا وَأَوْيْنَا النَّبِيَّ وَلَمْ نَخَفْ
 بَدَلْنَا لَهُمْ أَنْصَافَ مَالِ أَكْفُنَا
 وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ الْمَالِ أَنْصَافَ دُورِنَا
 وَنَحْمِي ذِمَارَ الْحَيِّ فَهَرِ بْنِ مَالِكِ
 فَكَانَ جِزَاءَ الْفَضْلِ مِنَّا عَلَيْهِمْ

فَبَلَغَ شِعْرُ حَسَّانٍ قُرَيْشًا، وَأَمَرُوا ابْنَ أَبِي عَزَّةَ شَاعِرَهُمْ أَنْ يُجِيبَهُمْ، فَقَالَ:

مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ خَافُوا رَبُّكُمْ
 إِنَّنِي أَرْهَبُ حَرْبًا لَاقِحًا
 جَرَّهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ فِتْنَةٌ
 خَلَفَ بُرْهُوتٍ خَفِيًّا شَخْصُهُ
 لَيْسَ مَا قَدَّرَ سَعْدٌ كَائِنًا
 لَيْسَ بِالْقَاطِعِ مِنَّا شَعْرَةٌ
 وَاسْتَجِيرُوا اللَّهَ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ
 يَشْرَقُ الْمُرْضَعُ فِيهَا بِاللَّبَنِ
 لَيْتَ سَعْدَ بَنِ عِبَادَةَ لَمْ يَكُنْ
 بَيْنَ بَصْرَى ذِي رُعَيْنٍ وَجَدَنُ
 مَا جَرَى الْبَحْرُ وَمَا دَامَ حَضَنُ
 كَيْفَ يُرْجَى خَيْرُ أَمْرٍ لَمْ يَحِنْ

لَيْسَ بِالْمُدْرِكِ مِنْهَا أَبَدًا غَيْرَ أَضْعَافِ أَمَانِي الْوَسَنِ^(١)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: لَمَّا اجْتَمَعَ جُمهُورُ النَّاسِ لِأَبِي بَكْرٍ أَكْرَمَتْ قُرَيْشٌ مَعْنَ بْنَ عَدِيٍّ، وَعُوَيْمَ بْنَ سَاعِدَةَ، وَكَانَ لَهُمَا فَضْلٌ قَدِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ. فَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ لَهُمَا فِي مَجْلِسٍ وَدَعَوْهُمَا، فَلَمَّا أَحْضَرَا أَقْبَلَتِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمَا، فَعَيَّرُوهُمَا بِانْطِلَاقِهِمَا إِلَى الْمُهَاجِرِينَ، وَأَكْبَرُوا فِعْلَهُمَا فِي ذَلِكَ. فَتَكَلَّمَ مَعْنٌ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ خَيْرٌ مِمَّا أَرَدْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، وَقَدْ كَانَ مِنْكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ الْبَلَاءِ، وَصَعْرَتُهُ الْعَاقِبَةُ، فَلَوْ كَانَ لَكُمْ عَلَى قُرَيْشٍ مَا لِقُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ ثُمَّ أَرَدْتُمُوهُمْ لِمَا أَرَادُوكُمْ بِهِ، لَمْ آمَنْ عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ مِثْلَ مَا آمَنْ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ، فَإِنْ تَعْرِفُوا الْحَطَأَ فَقَدْ خَرَجْتُمْ مِنْهُ وَإِلَّا فَانْتُمْ فِيهِ. ثُمَّ تَكَلَّمَ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُرِدْ مَا أَرَدْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ وَطَوْلِ الْعَافِيَةِ، وَصَرَفِ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ عَنْكُمْ، وَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَوَّلِ فِتْنَتِكُمْ، وَآخِرِهَا فَوَجَدْتُهَا جَاءَتْ مِنَ الْأَمَانِيِّ، وَالْحَسَدِ، وَاحْذَرُوا التَّعَمُّ، فَوَدِدْتُ أَنْ اللَّهَ صَيَّرَ إِلَيْكُمْ هَذَا الْأَمْرَ بِحَقِّهِ فَكُنَّا نَعِيشُ فِيهِ. فَوَثَّبَتْ عَلَيْهِمَا الْأَنْصَارُ، فَأَغْلَظُوا لَهُمَا وَفَحَّشُوا عَلَيْهِمَا، وَانْبَرَى لَهُمْ فَرَوْهُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: أَنْسَيْتُمَا قَوْلَكُمَا لِقُرَيْشٍ: إِنَّا قَدْ خَلَفْنَا وَرَاءَنَا قَوْمًا قَدْ حَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ بِفِتْنَتِهِمْ، هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يُغْفَرُ وَلَا يُنْسَى، وَقَدْ تُصَرَّفُ الْحَيَّةُ عَلَى وَجْهِهَا وَسُمُّهَا فِي نَابِهَا. فَقَالَ مَعْنٌ فِي ذَلِكَ:

وَقَالَتْ لِي الْأَنْصَارُ إِنَّكَ لَمْ تُصِبْ فَقُلْتُ: أَمَا لِي فِي الْكَلَامِ نَصِيبُ
فَقَالُوا: بَلَى قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ رَاشِدًا فَقُلْتُ: وَمِثْلِي بِالْجَوَابِ طِيبُ
تَرَكْتُكُمْ وَاللَّهِ لَمَّا رَأَيْتُكُمْ تُيُوسًا لَهَا بِالْحَرَّتَيْنِ نَبِيبُ
تُنَادُونَ بِالْأَمْرِ الَّذِي النَّجْمُ دُونَهُ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا سِوَاهُ قَرِيبُ
فَقُلْتُ لَكُمْ قَوْلَ الشُّفِيقِ عَلَيْكُمْ وَلِلْقَلْبِ مِنْ خَوْفِ الْبَلَاءِ وَجِيبُ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٧).

دَعُوا الرِّكْضَ وَائْتُوا مِنْ أَعْتَةِ بَعِيكُمْ
وَحَلُّوا قُرَيْشًا وَالْأُمُورَ وَبَايَعُوا
أَرَاكُمْ أَحَدْتُمْ حَقَّكُمْ بِأَكْفَكُمْ
فَلَمَّا أَيَّتُتُمْ زُلْتُ عَنْكُمْ إِلَيْهِمْ
فَلَا تَبْعَثُوا مِنِّي الْكَلَامَ فَإِنِّي
وَإِنِّي لَحَلُّو تَعْتَرِينِي مَرَارَةً
لِكُلِّ امْرِيٍّ عِنْدِي الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
وَقَالَ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ فِي ذَلِكَ:

وَقَالَتْ لِي الْأَنْصَارُ أضعافُ قَوْلِهِمْ
فَقُلْتُ: دَعُونِي لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ
أَنَا صَاحِبُ الْقَوْلِ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
فَإِنْ تَسَكَّنْتُمْ أَسَكْتُ وَفِي الصُّمْتِ رَاحَةٌ
وَمَا لُمْتُ نَفْسِي فِي الْخِلَافِ عَلَيْكُمْ
أُرِيدُ بِذَلِكَ اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ
وَمَا لِي رِحْمٍ فِي قُرَيْشٍ قَرِيبَةٌ
وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ عَلَيْنَا أئِمَّةٌ
وَكَانَ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ تَقْنَعُوا بِهِ
لَأَنِّي أَحْفُ النَّاسَ فِيمَا يَسُرُّكُمْ

وَقَالَ فَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ مِمَّنْ جَاهَدَ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَادَ فَرَسَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ يَتَّصِدُّ مِنْ نَحْلِهِ بِالْفِ وَنَسِيَ فِي كُلِّ

عَامٍ، وَكَانَ سَيِّدًا، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَمِمَّنْ شَهِدَ مَعَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ، قَالَ: فَذَكَرَ مَعَنَا
وَعُودِيْمًا وَعَاتِبَهُمَا عَلَى قَوْلِهِمَا:

أَلَا قُلْ لِمَعْنٍ إِذَا جُنْتَهُ وَذَاكَ الَّذِي شَيْخُهُ سَاعِدَهُ
بِأَنَّ الْمَقَالَ الَّذِي قُلْتُمَا خَفِيفٌ عَلَيْنَا سِوَى وَاحِدِهِ
مَقَالِكُمْ إِنَّ مَنْ حَلَفْنَا مِرَاضٌ قُلُوبُهُمْ فَاسِدَهُ
حَالَ الدَّمَاءِ عَلَى فِتْنَةٍ فَيَا بَسْمًا رَبَّتِ الْوَالِدَهُ
فَلَمْ تَأْخُذَا قَدْرَ أَثْمَانِهَا وَلَمْ تَسْتَفِيدَا بِهَا فَائِدَهُ
لَقَدْ كَذَبَ اللَّهُ مَا قُلْتُمَا وَقَدْ يَكْذِبُ الرَّائِدُ الْوَاعِدَهُ^(١)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: ثُمَّ إِنَّ الْأَنْصَارَ أَضْلَحُوا بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَبَيْنَ
أَصْحَابَيْهِمَا، ثُمَّ اجْتَمَعَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمًا وَفِيهِمْ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَخْلَاطٌ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ، وَذَلِكَ بَعْدَ انْصِرَافِ الْأَنْصَارِ عَنْ رَأْيِهَا وَسُكُونِ الْفِتْنَةِ. فَاتَّفَقَ ذَلِكَ عِنْدَ قُدُومِ
عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ سَفَرٍ كَانَ فِيهِ، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَأَفَاضُوا فِي ذِكْرِ يَوْمِ السَّقِيفَةِ وَسَعْدِ
وَدَعْوَاهُ الْأَمْرِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعَ اللَّهُ عَنَّا مِنَ الْأَنْصَارِ عَظِيمَةً، وَلَمَّا
دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَعْظَمَ، كَادُوا وَاللَّهِ أَنْ يَجْلُوهَا حَبْلَ الْإِسْلَامِ كَمَا قَاتَلُوا عَلَيْهِ، وَيُخْرِجُوا مِنْهُ
مَنْ أَدْخَلُوا فِيهِ.

وَاللَّهُ لَئِنْ كَانُوا سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ»^(٢). ثُمَّ ادَّعَوْهَا لَقَدْ
هَلَكُوا وَأَهْلَكُوا، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَسْمَعُوهَا فَمَا هُمْ كَالْمُهَاجِرِينَ، وَلَا سَعْدٌ كَأَبِي بَكْرٍ، وَلَا
الْمَدِينَةُ كَمَكَّةَ، وَلَقَدْ قَاتَلْنَا أَمْسٍ فَعَلَبْنَا عَلَى الْبَدءِ، وَلَوْ قَاتَلْنَا هُمُ الْيَوْمَ لَعَلَبْنَا هُمْ عَلَى
الْعَاقِبَةِ. فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَدْ ظَفِرَ، فَقَالَ:

أَلَا قُلْ لِأَوْسٍ إِذَا جُنْتَهَا وَقُلْ مَا إِذَا جِئْتَ لِلْحَزْرَجِ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢٧٧/٢).

(٢) تقدم تخريجه.

تَمَيَّيْتُمْ الْمُلْكَ فِي يَثْرِبٍ فَأَنْزَلْتِ الْقِدْرُ لَمْ تُصْجِحِ
وَأَحْدَجْتُمْ الْأَمْرَ قَبْلَ التَّمَا مَ وَأَعْجَبَ بِذَا الْمُعْجَلِ الْمُحْدَجِ
تُرِيدُونَ نَتِجَ الْحِيَالِ الْعِشَا زَ وَلَمْ تُلْفِحُوهُ فَلَمْ يُتْسِجِ
عَجِبْتُ لِسَعْدٍ وَأَصْحَابِهِ وَلَوْ لَمْ يَهِيْجُوهُ لَمْ يَهْتِجِ
رَجَا الْخَزْرَجِيُّ رَجَاءَ السَّرَابِ وَقَدْ يَخْلِفُ الْمَرْءَ مَا يَرْتَجِي
فَكَانَ كَمَا نَحَى عَلَى كَفِّهِ بِكَفِّ يُقَطِّعُهَا أَهْـوَجِ

فَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ مَقَالَتَهُ وَشَعْرَهُ بَعَثُوا إِلَيْهِ لِسَانَهُمْ وَشَاعِرَهُمُ النَّعْمَانَ بْنَ
الْعُجْلَانَ، وَكَانَ رَجُلًا أَحْمَرَ قَصِيرًا تَزْدَرِيهِ الْعُيُونُ، وَكَانَ سَيِّدًا فَخْمًا، فَأَتَى عَمْرًا وَهُوَ فِي
جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا عَمْرُو مَا كَرِهْتُمْ مِنْ حَزْبِنَا إِلَّا مَا كَرِهْنَا مِنْ حَزْبِكُمْ، وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَنْ أَدْخَلَكُمْ فِيهِ، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: «الْأَيْمَةُ مِنْ
قُرَيْشٍ»^(١) فَقَدْ قَالَ: لَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ
الْأَنْصَارِ، وَاللَّهِ مَا أَخْرَجْنَاكُمْ مِنَ الْأَمْرِ إِذْ قُلْنَا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. وَأَمَّا مَنْ ذَكَرْتَ، فَأَبُو
بَكْرٍ لَعَمْرِي خَيْرٌ مِنْ سَعْدٍ، لَكِنَّ سَعْدًا فِي الْأَنْصَارِ أَطْوَعُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فِي قُرَيْشٍ. فَأَمَّا
الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ أَبَدًا، وَلَكِنَّكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ، وَتَزَّتْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ
بِمَسِيرِكَ إِلَى الْحَبَشَةِ لِقَتْلِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، وَوَزَّتْ بَنِي مَخْرُومٍ بِإِهْلَاكِ عَمَارَةَ بْنِ
الْوَلِيدِ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ، فَقَالَ:

فَقُلْ لِقُرَيْشٍ: نَحْنُ أَصْحَابُ مَكَّةِ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَالْفَوَارِسُ فِي بَدْرِ
وَأَصْحَابُ أَحَدٍ وَالنَّضِيرِ وَخَيْبِرِ وَنَحْنُ رَجَعْنَا مِنْ قُرَيْظَةَ بِالذِّكْرِ
وَيَوْمَ بَارِضِ الشَّامِ أَدْخَلَ جَعْفَرُ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فِي عَلَقِي يَجْرِي
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَكِّرُ الْكَلْبُ أَهْلَهُ نَطَاعِنُ فِيهِ بِالْمُتَّقَةِ السُّمْرِ

(١) تقدم تخريجه.

وَضْرِبُ فِي نَقْعِ الْعَجَاجَةِ أَرْوَسًا
 نَصْرَتَنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ وَلَمْ نَحْفَ
 وَقُلْنَا لِقَوْمٍ هَاجَرُوا قَبْلُ: مَرْحَبًا
 نَقَاسِمُكُمْ أَمْوَالَنَا وَيُؤْتِنَا
 وَتَكْفِيكُمْ الْأَمْرَ الَّذِي تَكْرَهُوهُ
 وَقُلْتُمْ: حَرَامٌ نَصَبُ سَعْدٍ وَنَصْبُكُمْ
 وَأَهْلُ أَبُو بَكْرٍ لَهَا خَيْرٌ قَائِمٍ
 وَكَانَ هَوَانًا فِي عَلِيٍّ وَإِنَّهُ
 فَذَلِكَ بَعَوْنِ اللَّهِ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى
 وَصِيُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ
 وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ يَهْدِي مِنَ الْعَمَى
 نَجِيُّ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْعَارِ وَخُدَّةُ
 فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ لَمْ تَذْهَبُوا بِهَا
 وَلَمْ نَرْضَ إِلَّا بِالرِّضَا وَلَرُبَّمَا

بِيضٍ كَأَمْثَالِ الْبُرُوقِ إِذَا تَسْرِي
 صُرُوفَ اللَّيَالِي وَالْعَظِيمَ مِنَ الْأَمْرِ
 وَأَهْلًا وَسَهْلًا قَدْ أَمِئْتُمْ مِنَ الْفَقْرِ
 كَقِسْمَةِ أَيَّسَارِ الْجَزُورِ عَلَى الشَّطْرِ
 وَكُنَّا أَنَاسًا نُذْهَبُ الْعُسْرَ بِأَيْسَرِ
 عَتِيقُ بْنُ عُثْمَانَ حَلَالٌ أَبَا بَكْرٍ
 وَإِنَّ عَلِيًّا كَانَ أَحْلَقَ بِالْأَمْرِ
 لِأَهْلٍ لَهَا يَا عَمْرُؤُ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
 وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْبَغْيِ وَالثُّكْرِ
 وَقَاتِلُ فُرْسَانَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ
 وَيَفْتَحُ آذَانًا تُقْلِنَ مِنَ الْوَقْرِ
 وَصَاحِبُهُ الصَّدِيقُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
 وَلَكِنَّ هَذَا الْخَيْرَ أَجْمَعُ لِلصَّبْرِ
 ضَرَبْنَا بِأَيْدِينَا إِلَى أَسْفَلِ الْقَدْرِ

فَلَمَّا انْتَهَى شِعْرُ التُّعْمَانِ وَكَلَامُهُ إِلَى فُرَيْشٍ غَضِبَ كَثِيرٌ مِنْهَا، وَأَلْفَى ذَلِكَ قُدُومَ
 خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مِنَ الْيَمَنِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا، وَكَانَ لَهُ
 وَلِأَخِيهِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُمَا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ فُرَيْشٍ، وَلَهُمَا عِبَادَةٌ وَفَضْلٌ.
 فَغَضِبَ لِلْأَنْصَارِ، وَشَتَمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ إِنَّ عَمْرًا دَخَلَ فِي
 الْإِسْلَامِ حِينَ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ، فَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكِيدَهُ بِيَدِهِ كَادَهُ بِلِسَانِهِ،
 وَإِنَّ مِنْ كَيْدِهِ الْإِسْلَامَ تَفْرِيقَهُ وَقَطْعَهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. وَاللَّهُ مَا حَارَبْنَاهُمْ لِلدِّينِ
 وَلَا لِلدُّنْيَا، لَقَدْ بَدَلُوا دِمَاءَهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى فِينَا وَمَا بَدَلْنَا دِمَاءَنَا لِلَّهِ فِيهِمْ، وَقَاسَمُونَا دِيَارَهُمْ

وَأَمْوَالَهُمْ وَمَا فَعَلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ بِهِمْ، وَآثَرُونَا عَلَى الْفَقْرِ، وَحَرَمْنَاهُمْ عَلَى الْغِنَى، وَلَقَدْ
وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمْ، وَعَزَّاهُمْ عَنِ جَفْوَةِ السُّلْطَانِ، فَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ وَإِيَّاكُمْ
الْخَلْفَ الْمُضْتَبِعَ، وَالسُّلْطَانَ الْجَانِي^(١).

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فِي ذَلِكَ:

تَفَوُّهُ عَمَّرُوا بِالَّذِي لَا تُرِيدُهُ وَصَرَاحٌ لِلْأَنْصَارِ عَنِ شَنَاةِ الْبُغْضِ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَنْصَارُ زَلَّتْ فَإِنَّا ثَقِيلٌ وَلَا نَجْزِيهِمُ الْقَرْضَ بِالْقَرْضِ
فَلَا تَقْطَعَنَّ يَا عَمْرُو مَا كَانَ بَيْنَنَا وَلَا تَحْمِلَنَّ يَا عَمْرُو بَعْضًا عَلَى بَعْضِ
أَتَسَى لَهُمْ يَا عَمْرُو مَا كَانَ مِنْهُمْ لِيَالِي جِنَاهُمْ مِنَ الثَّقَلِ وَالْفَرْضِ
وَقِسْمَتَنَا الْأَمْوَالَ كَاللَّحْمِ بِالْمِدَى وَقِسْمَتَنَا الْأَوْطَانَ كُلَّ بِهٍ يَقْضِي
لِيَالِي كُلِّ النَّاسِ بِالْكَفْرِ جَهْرَةً ثَقَالَ عَلَيْنَا مُجْمِعُونَ عَلَى الْبُغْضِ
فَسَاوُوا وَآوُوا وَاتَّهَيْنَا إِلَى الْمُنَى وَقَرَّ قَرَارُنَا مِنَ الْأَمْنِ وَالْحَفْضِ

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: ثُمَّ إِنَّ رِجَالَ مِنْ سَفَهَاءِ قُرَيْشٍ وَمُثِيرِي الْفِتَنِ مِنْهُمْ اجْتَمَعُوا
إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ لِسَانُ قُرَيْشٍ وَرَجُلُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، فَلَا
تَدَعِ الْأَنْصَارَ وَمَا قَالَتْ، وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَرَاخَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَفِيهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ
وَعَبِيدِهِمْ، فَتَكَلَّمُوا، وَقَالَ: إِنَّ الْأَنْصَارَ تَرَى لِنَفْسِهَا مَا لَيْسَ لَهَا، وَإِيْمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ
خَلَّى عَنَّا وَعَنْهُمْ، وَقَضَى فِيهِمْ وَفِينَا بِمَا أَحَبَّ، وَلَنَحْنُ الَّذِينَ أَفْسَدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا،
أَحْرَزْنَاهُمْ عَنْ كُلِّ مَكْرُوهِ، وَقَدَّمْنَاهُمْ إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ، حَتَّى آمَنُوا الْمَخُوفَ، فَلَمَّا جَارَ
لَهُمْ ذَلِكَ صَغَرُوا حَقًّا، وَلَمْ يُرَاعُوا مَا أَعْظَمْنَا مِنْ حُقُوقِهِمْ. ثُمَّ التَفَّتْ فَرَأَى الْفَضْلُ بْنُ
الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَنَدِمَ عَلَى قَوْلِهِ، لِلْحُثُولَةِ الَّتِي بَيْنَ وَوَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ
الْأَنْصَارِ، وَلَئِنَّ الْأَنْصَارَ كَانَتْ تُعْظِمُ عَلَيْهَا، وَتَهْتِفُ بِاسْمِهِ حِينَئِذٍ، فَقَالَ الْفَضْلُ: يَا عَمْرُو،
إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَكْتُمَ مَا سَمِعْنَا مِنْكَ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُجِيبَكَ وَأَبُو الْحَسَنِ شَاهِدٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٨١).

أَنْ يَأْمُرَنَا فَتَفْعَلَ. ثُمَّ رَجَعَ الْفَضْلُ إِلَى عَلِيٍّ فَحَدَّثَهُ، فَعَضِبَ وَشَتَمَ عَمْرًا، وَقَالَ: آذَى اللَّهُ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ قَامَ فَآتَى الْمَسْجِدَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَتَكَلَّمَ مُغَضِبًا، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ حُبَّ الْأَنْصَارِ إِيْمَانٌ وَبُغْضُهُمْ نِفَاقٌ، وَقَدْ قَضَوْا مَا عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ مَا عَلَيْكُمْ. وَادْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ رَغِبَ لِنَبِيِّكُمْ عَنْ مَكَّةَ فَنَقَلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَرَّهَ لَهُ قُرَيْشًا فَنَقَلَهُ إِلَى الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ دَارَهُمْ، فَفَاسَمُونَا الْأَمْوَالَ وَكَفُونَا الْعَمَلَ، فَصِرْنَا مِنْهُمْ بَيْنَ بَذْلِ الْعَنِيِّ وَإِيْتَارِ الْفَقِيرِ، ثُمَّ حَارَبْنَا النَّاسَ فَوَقُونَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، جَمَعَ لَهُمْ فِيهَا بَيْنَ خَمْسَةِ نَعِمٍ، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] أَلَا وَإِنَّ عَمْرًا بِنَ الْعَاصِ قَدْ قَامَ مَقَامًا آذَى فِيهِ الْمَيِّتَ وَالْحَيَّ، سَاءَ بِهِ الْوَاتِرَ، وَسَرَّ بِهِ الْمُؤْتُونَ، فَاسْتَحَقَّ مِنَ الْمُسْتَمِعِ الْجَوَابَ، وَمِنَ الْعَائِبِ الْمُقْتِ، وَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ، فَلْيَكْفُفْ عَمْرًا نَفْسَهُ^(١).

فَمَسَّتْ قُرَيْشٌ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالُوا: أَيُّهَا الرَّجُلُ، أَمَا إِذْ غَضِبَ عَلَيَّ فَاكْفُفْ. وَقَالَ خُرَيْمَةُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ يُخَاطِبُ قُرَيْشًا:

أَيَالِ قُرَيْشٍ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكُمْ قَدْ طَالَ حَبْلُ التَّمَاخِكِ
فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ بَعْدَنَا فَارْقُقُوا بِنَا وَلَا خَيْرَ فِيْنَا بَعْدَ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ
كَلَانَا عَلَى الْأَعْدَاءِ كَفُّ طَوِيلَةٌ إِذَا كَانَ يَوْمٌ فِيهِ جَبُّ الْحَوَارِكِ
فَلَا تَذْكُرُوا مَا كَانَ مِنَّا وَمِنْكُمْ ففِي ذِكْرِ مَا كَانَ مَشْيُ التَّسَاوِكِ^(٢)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَقَالَ عَلِيٌّ لِلْفَضْلِ: يَا فَضْلُ، انْصُرِ الْأَنْصَارَ بِلِسَانِكَ وَيَدِكَ، فَإِنَّهُمْ مِنْكَ وَإِنَّكَ مِنْهُمْ، فَقَالَ الْفَضْلُ:

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٨٢).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٨٣).

قُلْتَ يَا عَمْرُو مَقَالًا فَاحِشًا إِنَّ تَعْدِيَا عَمَرُو وَاللَّهِ فَالِكَ
 إِئِمَّا الْأَنْصَارُ سَيْفٌ قَاطِعٌ مَنْ تُصِبُهُ ظُبَّةُ السَّيْفِ هَلَكٌ
 وَسُيُوفٌ قَاطِعٌ مَضْرِبُهَا وَسِيَّاهُ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْحَلَكِ
 نَصَرُوا السُّدَيْنَ وَأَوُوا أَهْلَهُ مَنْزِلَ رَحْبٍ وَرِزْقٌ مُشْتَرَكٌ
 وَإِذَا الْحَرْبُ تَلَطَّطَتْ نَارَهَا بَرَكُوا فِيهَا إِذَا الْمَوْتُ بَرَكَ

وَدَخَلَ الْفَضْلُ عَلَى عَلِيٍّ فَأَسْمَعَهُ شِعْرَهُ، فَفَرِحَ بِهِ وَقَالَ: وَرَيْتُ بِكَ زِنَادِي يَا فَضْلُ، أَنْتَ شَاعِرٌ قُرَيْشٍ وَفَتَاهَا، فَأَظْهَرُ شِعْرَكَ، وَابْعَثْ بِهِ إِلَى الْأَنْصَارِ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْأَنْصَارَ، قَالَتْ: لَا أَحَدٌ يُجِيبُ إِلَّا حَسَّانَ الْحُسَّامِ. فَبَعَثُوا إِلَى حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، فَعَرَضُوا عَلَيْهِ شِعْرَ الْفَضْلِ، فَقَالَ: كَيْفَ أَضْنَعُ بِجَوَابِهِ! إِنْ لَمْ أَتَحَرَّ قَوَافِيَهُ فَضَحَيْتِي، فَرَوَيْدًا حَتَّى أَقْفُوا أَثْرَهُ فِي الْقَوَافِي. فَقَالَ لَهُ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ: اذْكُرْ عَلَيًّا وَيَكْفِكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ أَبَا حَسَنِ عَنَّا وَمَنْ كَأَبِي حَسَنٍ
 سَبَقَتْ قُرَيْشًا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَصَدْرُكَ مَشْرُوحٌ وَقَلْبُكَ مُمْتَحَنٌ
 تَمَنَّتْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَعِزَّةٌ مَكَانَكَ، هَيْبَاتَ الْهَزَالِ مِنَ السَّمَنِ
 وَأَنْتَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بِمَنْزِلَةِ الدَّلْوِ الْبَطِينِ مِنَ الرَّسَنِ
 غَضِبْتَ لَنَا إِذْ قَامَ عَمْرُو بِحُطْبَةٍ أَمَاتَ بِهَا التَّقْوَى وَأَحْيَا بِهَا الْإِحْنَ
 فَكُنْتَ الْمُرْجَى مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ وَالَّذِي كَانَ لَمْ يَكُنْ
 حَفِظْتَ رَسُولَ اللَّهِ فِيْنَا وَعَهْدَهُ إِلَيْكَ وَمَنْ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ مَنْ وَمَنْ
 أَلَسْتَ أَحَاهُ فِي الْهُدَى وَوَصِيَّهُ وَأَعْلَمَ مِنْهُمْ بِالْكِتَابِ وَبِالسُّنَنِ
 فَحَقُّكَ مَا دَامَتْ بِنَجْدٍ وَشِجَّةٌ عَظِيمٌ عَلَيْنَا ثُمَّ بَعْدُ عَلَى الْيَمَنِ

قَالَ الزُّبَيْرِيُّ: وَبَعَثَتْ الْأَنْصَارُ بِهَذَا الشِّعْرِ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَقَالَ لِمَنْ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْأَنْصَارَ

أَنْصَارًا، فَأَتَيْتُ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ، فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ بَعْدَهُمْ، إِنَّهُ لَا يَزَالُ سَفِيهًا مِنْ سَفَهَاءِ قُرَيْشٍ وَتَرَهُ الْإِسْلَامَ، وَدَفَعَهُ عَنِ الْحَقِّ، وَأَطْفَأَ شَرْفَهُ، وَفَضَّلَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ، يَقُومُ مَقَامًا فَاحِشًا فَيَذْكُرُ الْأَنْصَارَ، فَأَتَقُوا اللَّهَ وَارْعَوْا حَقَّهُمْ، فَوَاللَّهِ لَوْ زَالُوا لَزَلْتُ مَعَهُمْ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَهُمْ: أَرُؤُلْ مَعَكُمْ حَيْثُمَا زُلْتُمْ، فَقَالَ: الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ، قُلْتَ قَوْلًا صَادِقًا^(١).

قَالَ الرَّبِيزُ بْنُ بَكَّارٍ: وَتَرَكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَدِينَةَ وَخَرَجَ مِنْهَا حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ عَلِيٌّ وَالْمُهَاجِرُونَ^(٢).

قَالَ الرَّبِيزُ بْنُ بَكَّارٍ: ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَكَانَ يَبْغِضُ الْأَنْصَارَ، لِأَنَّهُمْ أَسْرَوْا أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَضَرَبُوا عُنُقَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَامَ يَشْتُمُ الْأَنْصَارَ وَذَكَرَهُمْ بِالْهَجْرِ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَنْصَارَ لَتَرَى لَهَا مِنَ الْحَقِّ عَلَيْنَا مَا لَا تَرَاهُ، وَاللَّهِ لَئِنْ كَانُوا آوُوا لَقَدْ عَزَّوْا بِنَا، وَلَئِنْ كَانُوا آسَوْا لَقَدْ مَثُوا عَلَيْنَا، وَاللَّهِ مَا نَسْتَطِيعُ مَوَدَّتَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَزَالُ قَائِلٌ مِنْهُمْ يَذْكُرُ ذُلَّنَا بِمَكَّةَ وَعِزَّنَا بِالْمَدِينَةِ، وَلَا يَنْفَكُونَ يُعَيِّرُونَ مَوْتَانَا وَيَغِيظُونَ أَحِبَّاءَنَا، فَإِنْ أَحْبَبْنَاهُمْ قَالُوا: غَضِبْتَ قُرَيْشَ عَلَى غَارِبِهَا، وَلَكِنْ قَدْ هَوَّنَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ حِرْضُهُمْ عَلَى الدِّينِ أَمْسٍ، وَاعْتِذَارُهُمْ مِنَ الذَّنْبِ الْيَوْمِ، ثُمَّ قَالَ:

تَبَادَحَتِ الْأَنْصَارُ فِي النَّاسِ بِاسْمِهَا	وَنَسَبَتْهَا فِي الْأُرْدِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
وَقَالُوا: لَنَا حَقٌّ عَظِيمٌ وَمِئَةٌ	عَلَى كُلِّ بَادٍ مِنْ مَعَدٍّ وَحَاضِرٍ
فَإِنْ يَكُ لِلْأَنْصَارِ فَضْلٌ فَلَمْ تَنْلُ	بِحُرْمَتِهِ الْأَنْصَارُ فَضْلَ الْمُهَاجِرِ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَنْصَارُ آوَتْ وَقَاسَمَتْ	مَعَايِشَهَا مَنْ جَاءَ قِسْمَةَ جَارِرِ
فَقَدْ أَفْسَدَتْ مَا كَانَ مِنْهَا بِمَنْهَا	وَمَا ذَاكَ فِعْلُ الْأَكْرَمِينَ الْأَكَابِرِ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٨٣)، وانظر: تاريخ يعقوبي (١/١٥٥)، الحماسة المغربية للجراري (ص ١١).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٢/٢٨٤).

إِذَا قَالَ حَسَّانَ وَكَغَبَ قَصِيدَةً
بِشْتَمِ قُرَيْشٍ غُنِيَتْ فِي الْمَعَاشِرِ
وَسَارَ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَأَعْمَلَ فِيهَا كُلَّ حُفٍّ وَحَافِرٍ
فَهَذَا لَنَا مِنْ كُلِّ صَاحِبِ حُطْبَةٍ
يَقُومُ بِهَا مِنْكُمْ وَمَنْ كُلُّ شَاعِرٍ
وَأَهْلٌ بَأْنَ يُهَجَّوْا بِكُلِّ قَصِيدَةٍ
وَأَهْلٌ بَأْنَ يُرْمَوْا بِنَبْلِ فَوَاقِرِ

قَالَ: فَفَشَا شِعْرُهُ فِي النَّاسِ، فَغَضِبَتِ الْأَنْصَارُ وَغَضِبَ لَهَا مِنْ قُرَيْشٍ قَوْمٌ، مِنْهُمْ صِرَارُ بْنُ الْحَطَّابِ الْفَهْرِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ الْحَطَّابِ، وَزَيْدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَبَعَثُوا إِلَى الْوَلِيدِ فَجَاءَ. فَتَكَلَّمَ زَيْدُ بْنُ الْحَطَّابِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ مِنَ الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً، لَأَحْبَبْتُ الْأَنْصَارَ، وَلَكِنَّكَ مِنَ الْجَفَاءِ فِي الْإِسْلَامِ، الْبُطَاءِ عَنْهُ، الَّذِينَ دَخَلُوا فِيهِ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهِونَ. إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّا أَتَيْنَاهُمْ وَنَحْنُ فُقَرَاءُ فَأَعْوَنَّا، ثُمَّ أَصَبْنَا الْغَنَى فَكَفُّوا عَنَّا. وَلَمْ يَزُرْهُنَا شَيْئاً. فَأَمَّا ذِكْرُهُمْ ذَلَّةَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ وَعِزَّهَا بِالْمَدِينَةِ فَكَذَلِكَ كُنَّا. وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦]، فَنَصَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ، وَأَوَّانَا إِلَى مَدِينَتِهِمْ. وَأَمَّا غَضَبُكَ لِقُرَيْشٍ فَإِنَّا لَا نَنْصُرُ كَافِرًا، وَلَا نُوَادُّ مُلْحِداً، وَلَا فَاسِقًا. وَلَقَدْ قُلْتُ وَقَالُوا فَقَطَعَكَ الْحَطِيبُ، وَالْجَمْعُ الشَّاعِرُ. وَأَمَّا ذِكْرُكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ، فَدَعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ فِي الرِّضَا، وَلَا نَحْنُ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِي الْغَضَبِ. وَتَكَلَّمَ زَيْدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عُقْبَةَ، الْأَنْصَارُ أَحَقُّ بِالْغَضَبِ لِقَتْلِي أَحَدٍ، فَكَفَّفْ لِسَانَكَ، فَإِنَّ مَنْ قَتَلَ الْحَقَّ لَا يُغْضَبُ لَهُ. وَتَكَلَّمَ صِرَارُ بْنُ الْحَطَّابِ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ، لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ، لَقُلْنَا: الْأَيْمَةُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَكِنْ جَاءَ أَمْرٌ غَلَبَ الرَّأْيَ، فَأَقِمِ شِرَّتَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ وَلَا تَكُنْ امْرَأً سَوْءًا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِقْ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ اللَّهُ لَا يَفْرِقُ بَيْنَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. وَأَقْبَلَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مُغْضَبًا مِنْ كَلَامِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَشِعْرِهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَفِيهِ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ أَعْظَمَ ذَنْبِنَا إِلَيْكُمْ قَتَلْنَا كُفَّارَكُمْ، وَحَمَايِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا مِثَّةً كَانَتْ بِالْأَمْسِ فَقَدْ كَفَى اللَّهُ شَرَّهَا، فَمَالْنَا وَمَالَكُمْ، وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُنَا مِنْ

فَتَالِكُمْ الْجَبِينُ، وَلَا مِنْ جَوَابِكُمْ الْعِي. إِنَّا لَحَيِّ فِعَالٍ وَمَقَالٍ وَلَكِنَّا قُلْنَا: إِنَّهَا حَزْبٌ، أَوْلَهَا عَارٌ وَأَخْرُهَا دُلٌّ، فَأَعْضِينَا عَلَيْهَا عُيُونَنَا، وَسَحَبْنَا ذُيُولَنَا حَتَّى نَرَى وَتَرَوْا، فَإِنْ قُلْتُمْ قُلْنَا، وَإِنْ سَكْتُمْ سَكْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ سَكَتَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنِ صَاحِبِهِ، وَرَضِيَ الْقَوْمُ أَجْمَعُونَ، وَقَطَعُوا الْخِلَافَ وَالْعَصِيَّةَ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: إِنَّ سَرِيَّةً كَانَتْ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، جَاءَتْ إِلَيْهِ تَشْكُوهُ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَعْدُرُنِي مِنْ أَبِي عَيْسَى؟ قَالَ: وَمَنْ أَبُو عَيْسَى؟ قَالَتْ: ابْنُكَ عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: وَيْحَكَ! وَقَدْ تَكْنَى بِأَبِي عَيْسَى!، ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ: إِيهَا، أَكْتَنَيْتِ بِأَبِي عَيْسَى!، فَحَذِرَ وَفَزِعَ، وَأَخَذَ يَدَهُ فَعَضَّهَا، ثُمَّ ضَرَبَهُ وَقَالَ: وَيْلَكَ! وَهَلْ لِعَيْسَى أَبٌ؟ أَتَدْرِي مَا كُنِيَ الْعَرَبُ؟ أَبُو سَلَمَةَ، أَبُو حَنْظَلَةَ، أَبُو عَرْفُطَةَ، أَبُو مُرَّةَ. وَكَانَ عُمَرُ إِذَا غَضِبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ لَمْ يَسْكُنْ غَضَبَهُ حَتَّى يَعْضُ يَدَهُ عَضًّا شَدِيدًا، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ كَذَلِكَ. وَلِقْوَةٌ هَذَا الْخُلُقِ عِنْدَهُ أَضَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي خِلَافَتِهِ إِنْطَالَ الْقَوْلِ بِالْعَوْلِ، وَأَظْهَرَهُ بَعْدَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلَا قُلْتَ هَذَا فِي أَيَّامِ عُمَرَ فَقَالَ: هَيْبَتُهُ، وَكَانَ أَمِيرًا مَهِيئًا^(٢).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ:.... عَنْ عَمِّهِ، عَنْ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنْ رِجَالِهِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا بَنَى عُثْمَانُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ، أَكْثَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَبَلَغَهُ، فَخَطَبَنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ التَّعَمَّةَ إِذَا حَدَّثَتْ حَدَثَ لَهَا حُسَادًا حَسْبُهَا وَأَعْدَاءَ قَدْرُهَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَدِّثْ لَنَا نَعَمًا لِيُحَدِّثَ لَهَا حُسَادًا عَلَيْهَا، وَمُنَافِسُونَ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ بِنَاءِ مَنْزِلِنَا هَذَا، مَا كَانَ إِرَادَةَ جَمْعِ الْمَالِ فِيهِ، وَصَمَّ الْقَاصِيَةَ، فَأَتَانَا عَنْ أَنَاسٍ مِنْكُمْ يَقُولُونَ: أَخَذَ فَيْئَنَا وَأَنْفَقَ شَيْئَنَا، وَاسْتَأْثَرَ بِأَمْوَالِنَا، يَمْشُونَ خَمْرًا، وَيَنْطِقُونَ سِرًّا كَأَنَّا كَأَنَّ غَيْبَ عَنْهُمْ، وَكَأَنَّهُمْ يَهَابُونَ مُوَاجَهَتَنَا مَعْرِفَةً مِنْهُمْ بِدُخُوضِ حُجَّتِهِمْ، فَإِذَا غَابُوا عَنَّا يَرُوحُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَذْكُرْنَا. وَقَدْ وَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَعْوَانًا مِنْ نُظَرَائِهِمْ وَمُؤَازِرِينَ مِنْ شُبَهَائِهِمْ،

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٤٩٧/٢).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (١٣١/٣).

فَبَعْدًا بَعْدًا وَرُغْمًا رُغْمًا! ثُمَّ أَنْشَدَ بَيَّتِينَ كَأَنَّهُ يُؤَمِّئُ فِيهِمَا إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تَوَقَّدَ بِنَارِ أَيْنَمَا كُنْتَ وَاشْتَعَلَ
فَلَسْتَ تَرَى مِمَّا تُعَالِجُ شَافِيَا
تَشْطُفُ فَيَقْضِي الْأَمْرَ دُونَكَ أَهْلُهُ
وَشِيكًا وَلَا تُدْعَى إِذَا كُنْتَ نَائِيَا

مَالِي وَلَفِيئِكُمْ وَأَخَذَ مَالِكُمْ! أَلَسْتُ مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، وَأَطْهَرَهُمْ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً! أَلَمْ أَكُنْ عَلَى ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَبَعْدَهُ! وَهَبُونِي بَنِيَّتَ مَنْزِلًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، أَلَيْسَ هُوَ لِي وَلَكُمْ!، أَلَمْ أَقِمْ أُمُورَكُمْ وَإِنِّي مِنْ وَرَاءِ حَاجَاتِكُمْ؟ فَمَا تَفْقِدُونَ مِنْ حُقُوقِكُمْ سَنِيًّا، فَلِمَ لَا أَضْنَعُ فِي الْفَضْلِ مَا أَحْبَبْتُ؟ فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا إِذَا؟ أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ، أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكُمْ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: لِنُفَعَلَنَّ بِهِ وَلِنُفَعَلَنَّ. فَمِمَّنْ تَفْعَلُونَ؟ لِلَّهِ أَبَاؤُكُمْ! أَبْتَقِدِ الْبِقَاعِ أَمْ يَفْطَعُ الْقَاعِ؟ أَلَسْتُ أَحْرَاكُمْ إِنْ دَعَا أَنْ يُجَابَ؟ وَأَقَمْنَكُمْ إِنْ أَمَرَ أَنْ يُطَاعَ؟ لَهْفِي عَلَى بَقَائِي فِيكُمْ بَعْدَ أَصْحَابِي، وَحَيَاتِي فِيكُمْ بَعْدَ أَتْرَابِي، يَا لِنَيْتِي تَقَدَّمْتُ قَبْلَ هَذَا، لِكَيْ لَا أَحِبُّ خِلَافَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ لِي عَزَّ وَجَلَّ. إِذَا سِئْتُمْ فَإِنَّ الصَّادِقَ الْمُصَدَّقَ، مُحَمَّدًا ﷺ، قَدْ حَدَّثَنِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ، وَهَذَا بَدْءُ ذَلِكَ وَأَوَّلُهُ، فَكَيْفَ الْهَرَبُ مِمَّا حَتَمَ وَقَدِّرَا! أَمَا إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ بَشَّرَنِي فِي آخِرِ حَدِيثِهِ بِالْجَنَّةِ دُونَكُمْ، إِذَا سِئْتُمْ فَلَا أَفْلَحَ مِنْ نَدَمٍ. قَالَ: ثُمَّ هُمْ بِالتَّزْوِلِ فَبَصُرَ بَعْلِي بِنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَعَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ هَوَاةٍ يَتَنَاجُونَ، فَقَالَ: إِنِّهَا إِنِّهَا! أَسْرَارًا لَا جَهَارًا! أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَحْبَبْتُ عَلَى جِرَّةٍ وَلَا أُوْتِيَتْ مِنْ ضَعْفِ مِرَّةٍ، وَلَوْلَا النَّظَرُ لِي وَلَكُمْ، وَالرِّفْقُ بِي وَبِكُمْ لَعَاجَلْتُكُمْ فَقَدْ اعْتَرَزْتُمْ وَأَقْلَبْتُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ. ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ قَدْ تَعَلَّمْتُ حُبِّي لِلْعَافِيَةِ فَالْبِسْنِيهَا، وَإِيَّارِي لِلسَّلَامَةِ فَاتَيْنِيهَا. قَالَ: فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَامَ عَدِيُّ بْنُ الْخِيَارِ، فَقَالَ: أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ النِّعْمَةَ، وَزَادَكَ فِي الْكِرَامَةِ، وَاللَّهُ لَأَنْ تُحْسَدَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ تُحْسَدَ، وَلَأَنْ تُنَافَسَ أَجْلٌ مِنْ أَنْ تُنَافَسَ، أَنْتَ وَاللَّهُ فِي حَسْبِنَا الصِّمِيمِ وَمَنْصِبِنَا الْكَرِيمِ، إِنْ دَعَوْتَ أُجِبْتَ، وَإِنْ أَمَرْتَ أُطِيعْتَ، فَقُلْ نَفْعَلْ، وَادْعُ تُجِبْ، جُعِلَتْ الْخَيْرَةُ وَالشُّورَى إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيُخْتَارُوا لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ، وَإِنَّهُمْ لَيَرُونَ مَكَانَكَ، وَيَعْرِفُونَ غَيْرَكَ، فَاخْتَارُوكَ مُنِيبِينَ طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، مَا غَيْرْتِ، وَلَا فَارَقْتِ وَلَا بَدَلْتِ، وَلَا خَالَفْتِ، فَعَلَامَ يُقَدِّمُونَ

عَلَيْكَ وَهَذَا رَأَيْهُمْ فِيكَ! أَنْتَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

أَذْهَبَ إِلَيْكَ فَمَا لِلْحَسُو دِ إِلَّا طَلَابِكَ تَحْتَ الْعِشَارِ
حَكَمْتَ فَمَا جُرْتَ فِي حَلَّةٍ فَحُكْمُكَ بِالْحَقِّ بَادِي الْمَنَارِ
فَإِنْ يَسْبِعُوكَ فَسِرًّا وَقَدْ جَهَرْتَ بِسَيْفِكَ كُلَّ الْجَهَارِ

قَالَ: وَنَزَلَ عُثْمَانُ فَآتَى مَنْزِلَهُ، وَآتَاهُ النَّاسُ، وَفِيهِمْ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَلَمَّا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ، أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: مَا لِي وَلَكُمْ يَا بَنِي عَبَّاسٍ! مَا أَعْرَاكُمْ بِي، وَأَوْلَعَكُمْ بِتَعَقُّبِ أَمْرِي! أَنْتَقِمُونَ عَلَيَّ أَمْرَ الْعَامَّةِ؟ أَتَيْتُ مِنْ وَرَاءِ حُقُوقِهِمْ، أَمْ أَمْرُكُمْ، فَقَدْ جَعَلْتُهُمْ يَتَمَتُّونَ مَنْزِلَتَكُمْ! لَا وَاللَّهِ لَكِنَّ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ وَتَثْوِيرَ الشَّرِّ وَإِخْيَاءَ الْفِتَنِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَلْقَى النَّبِيُّ ﷺ إِلَيَّ ذَلِكَ وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَاحِدًا وَاحِدًا! وَاللَّهِ مَا كَذَّبْتُ وَلَا أَنَا بِمَكْذُوبٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلَى رِسْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا عَهَدْتُكَ جَهْرًا بِسِرِّكَ، وَلَا مُظْهِرًا مَا فِي نَفْسِكَ، فَمَا الَّذِي هَيَّجَكَ وَثَوَّرَكَ؟ إِنَّا لَمْ يُولِعْنَا بِكَ أَمْرًا، وَلَمْ نَتَعَقَّبْ أَمْرَكَ بِشَيْءٍ، أَتَيْتَ بِالْكَذِبِ، وَتُسَوِّقُ عَلَيْكَ بِالْبَاطِلِ. وَاللَّهِ مَا نَقَمْنَا عَلَيْكَ لَنَا وَلَا لِلْعَامَّةِ، قَدْ أُوتَيْتَ مِنْ وَرَاءِ حُقُوقِنَا وَحُقُوقِهِمْ، وَقَضَيْتَ مَا يَلْزَمُكَ لَنَا وَلَهُمْ، فَأَمَّا الْحَسَدُ وَالْبَغْيُ وَتَثْوِيرَ الْفِتَنِ وَإِخْيَاءَ الشَّرِّ فَمَتَى رَضِيَتْ بِهِ عِزَّةُ النَّبِيِّ وَأَهْلُ بَيْتِهِ؟ وَكَيْفَ وَهُمْ مِنْهُ وَإِلَيْهِ، عَلَى دِينِ اللَّهِ، يَثْوِرُونَ الشَّرَّ، أَمْ عَلَى اللَّهِ يُخَيِّونَ الْفِتْنَ؟ كَلَّا لَيْسَ الْبَغْيُ وَلَا الْحَسَدُ مِنْ طِبَاعِهِمْ. فَاتَّبَدَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْصُرْ أَمْرَكَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ، فَإِنَّ خَالَتَكَ الْأُولَى خَيْرٌ مِنْ خَالَتِكَ الْأُخْرَى. لَعَمْرِي إِنْ كُنْتُ لِأَثِيرًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنْ كَانَ لِيَفْضِي إِلَيْكَ بِسِرِّهِ مَا يَطُوبُهُ عَنْ غَيْرِكَ، وَلَا كَذَّبْتُ وَلَا أَنْتَ بِمَكْذُوبٍ، اخْسِ الشَّيْطَانَ عَنْكَ لَا يَزُكُّكَ، وَاعْلِبْ غَضَبَكَ وَلَا يَغْلِبِكَ، فَمَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ مِنْكَ؟ قَالَ: دَعَانِي إِلَيْهِ ابْنُ عَمِّكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَعَسَى أَنْ يَكْذِبَ مُبْلَغُكَ. قَالَ عُثْمَانُ: إِنَّهُ ثِقَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ لَيْسَ بِثِقَةٍ مِنْ بَلْغٍ وَأَعْرَى. قَالَ عُثْمَانُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، اللَّهُ إِنَّكَ مَا تَعْلَمُ مِنْ عَلِيٍّ مَا شَكَوْتُ مِنْهُ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا إِلَّا أَنْ يَقُولَ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ، وَيَنْقِمُ كَمَا يَنْقِمُونَ، فَمَنْ أَعْرَاكَ بِهِ، وَأَوْلَعَكَ بِذِكْرِهِ دُونَهُمْ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّمَا آفَيْتِي مِنْ أَعْظَمِ الدَّاءِ الَّذِي يُنْضِبُ نَفْسَهُ لِرَأْسِ الْأَمْرِ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ عَمِّكَ، وَهَذَا وَاللَّهِ كُلُّهُ

مِنْ نَكَدِهِ، وَشُؤْمِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَهْلًا اسْتَنْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قُلْتُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أَنشُدُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسِ الْإِسْلَامَ وَالرَّحِمَ، فَقَدْ وَاللَّهِ غُلِبْتُ وَإِثْلَيْتُ بِكُمْ، وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ صَارَ إِلَيْكُمْ دُونِي، فَحَمَلْتُمُوهُ عَنِّي، وَكُنْتُ أَحَدَ أَعْوَانِكُمْ عَلَيْهِ إِذَا، وَاللَّهُ لَوْ جَدْتُ مُوْنِي لَكُمْ خَيْرًا مِمَّا وَجَدْتُكُمْ لِي، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَكُمْ، وَلَكِنَّ قَوْمَكُمْ دَفَعُوكُمْ عَنْهُ وَاخْتَرَلُوهُ دُونَكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَدْفَعُوهُ عَنْكُمْ أَمْ دَفَعُوكُمْ عَنْهُ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّا نَنْشُدُكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامَ وَالرَّحِمَ، مِثْلَ مَا نَشَدْتَنَا، أَنْ تُطْمَعَ فِيْنَا وَفِيكَ عَدُوًّا، وَتُسَمِّتَ بِنَا وَبِكَ حَسُودًا. إِنْ أَمَرَكَ إِلَيْكَ مَا كَانَ قَوْلًا، فَإِذَا صَارَ فِعْلًا فَلَيْسَ إِلَيْكَ وَلَا فِي يَدَيْكَ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَنُخَالِفَنَّ إِنْ خَوْلَفْنَا، وَلَنُتَارِعَنَّ إِنْ نُوزِعْنَا، وَمَا تَمَنِّيكَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ صَارَ إِلَيْنَا دُونَكَ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ مِنَّا مَا يَقُولُهُ النَّاسُ، وَيَعِيبُ كَمَا عَابُوا! فَأَمَّا صَرْفُ قَوْمِنَا عَنَّا الْأَمْرَ فَعَنْ حَسَدٍ قَدْ وَاللَّهُ عَرَفْتُهُ، وَبَغْيٍ قَدْ وَاللَّهُ عَلِمْتُهُ، فَاللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا! وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي أَدْفَعُوهُ عَنَّا، أَمْ دَفَعُونَا عَنْهُ؟ فَلَعَمْرِي إِنَّكَ لَتَعْرِفُ أَنَّهُ لَوْ صَارَ إِلَيْنَا هَذَا الْأَمْرُ مَا زِدْنَا بِهِ فَضْلًا إِلَى فَضْلِنَا، وَلَا قَدْرًا إِلَى قَدْرِنَا، وَإِنَّا لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَأَهْلِ الْقَدْرِ، وَمَا فَضَّلَ فَاضِلٌ إِلَّا بِفَضْلِنَا، وَلَا سَبَقَ سَابِقٌ إِلَّا بِسِنْفِنَا، وَلَوْ لَا هَدَيْنَا مَا اهْتَدَى أَحَدٌ، وَلَا أَبْصُرُوا مِنْ عَمَى، وَلَا قَصَدُوا مِنْ جَوْرِ. فَقَالَ عُثْمَانُ: حَتَّى مَتَى يَا ابْنَ عَبَّاسٍ يَا بُنَيَّ عَنكُمْ مَا يَا بُنَيَّ؟ هُبُونِي كُنْتُ بَعِيدًا أَمَا كَانَ لِي مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكُمْ أَنْ أُرَاقِبَ وَأَنْ أَنَاظِرَ، بَلَى وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَلَكِنَّ الْفُرْقَةَ سَهَلْتُ لَكُمْ الْقَوْلَ فِيَّ وَتَقَدَّمْتُ بِكُمْ إِلَى الْإِسْرَاعِ إِلَيَّ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَهْلًا حَتَّى أَلْقَى عَلِيًّا، ثُمَّ أَحْمِلَ إِلَيْكَ عَلَى قَدْرِ مَا رَأَى. قَالَ عُثْمَانُ: أَفَعَلْ مَا قَدْ فَعَلْتَ، وَطَالَمَا طَلَبْتُ فَلَا أَطْلُبُ، وَلَا أَجَابَ وَلَا أَعْتَبَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَحَرَجْتُ فَلَقَيْتُ عَلِيًّا، وَإِذَا بِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَالتَّلَطُّيِ أَضْعَافُ مَا بِعُثْمَانَ، فَأَرَدْتُ تَسْكِينَهُ فَاِمْتَنَعَ، فَأَتَيْتُ مَنْزِلِي، وَأَعْلَقْتُ بِبَابِي وَاعْتَرَلْتُهُمَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ، فَأَتَيْتُهُ وَقَدْ هَدَأَ غَضَبُهُ، فَنَظَرَ إِلَيَّ ثُمَّ ضَحِكَ، وَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسِ، مَا أَبْطَأَ بِكَ عَنَّا؟ إِنَّ تَزَكَّ الْعُودَ إِلَيْنَا لَدَلِيلٌ عَلَى مَا رَأَيْتَ عِنْدَ صَاحِبِكَ، وَعَرَفْتَ مِنْ حَالِهِ، فَاللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، خُذْ بِنَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ. قَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ: فَكَانَ عُثْمَانُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا آتَاهُ عَنْ عَلِيٍّ شَيْءٌ فَأَرَدْتُ التَّكْذِيبَ عَنْهُ، يَقُولُ: وَلَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ أَبْطَأْتُ عَنَّا وَتَرَكْتُ الْعَوْدَ إِلَيْنَا؟ فَلَا أَدْرِي كَيْفَ أَرُدُّ عَلَيْهِ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي سَحْرًا أُسَابِقُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَأَطْلُبُ الْفُضِيلَةَ، فَسَمِعْتُ خَلْفِي حَسًّا وَكَلَامًا، فَتَسَمَّعْتُهُ، فَإِذَا حَسُّ عُثْمَانَ، وَهُوَ يَدْعُو وَلَا يَرَى أَنْ أَحَدًا يَسْمَعُهُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ قَدْ تَعَلَّمُ نَيْتِي فَأَعِنِّي عَلَيْهِمْ، وَتَعَلَّمُ الَّذِينَ ابْتَلَيْتُ بِهِمْ مِنْ ذَوِي رَحْمِي وَقَرَابَتِي، فَأُضِلِّحْنِي لَهُمْ، وَأُضِلِّحْهُمْ لِي. قَالَ: فَفَصَّرْتُ مِنْ خُطُوبِي وَأَسْرَعَ فِي مَشِيَّتِي، فَالْتَقَيْتُنَا، فَسَلَّمْتُ، فَوَدَدْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي خَرَجْتُ لَيْلَتَنَا هَذِهِ أَطْلُبُ الْفُضْلَ وَالْمُسَابَقَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ أَخْرَجَنِي مَا أَخْرَجَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ سَابَقْتَ إِلَى الْخَيْرِ، إِنَّكَ لِمَنْ سَابِقِينَ مُبَارَكِينَ، وَإِنِّي لِأَحْبِبُّكُمْ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّكُمْ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا لَنُحِبُّكَ وَنَعْرِفُ سَابِقَتَكَ، وَسِنَّكَ وَقَرَابَتَكَ وَصَهْرَكَ. قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَمَا لِي وَلَا ابْنَ عَمِّكَ وَابْنَ خَالِي! قُلْتُ: أَيُّ بَنِي عُمُومَتِي وَبَنِي أَخْوَالِكَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ. أَسْأَلُ مَسْأَلَةَ الْجَاهِلِ؟ قُلْتُ: إِنَّ بَنِي عُمُومَتِي مِنْ بَنِي خُثُولَتِكَ كَثِيرٌ، فَأَيُّهُمْ تَغْنِي. قَالَ: أَعْنِي عَلِيًّا لَا غَيْرَهُ. فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ إِلَّا حُسْنًا. قَالَ: وَاللَّهِ بِالْحَرِيِّ أَنْ يَسْتَرَّ دُونَكَ، مَا يُظْهِرُهُ لِغَيْرِكَ، وَيَقْبِضُ عَنْكَ مَا يَنْبَسِطُ بِهِ إِلَى سِوَاكَ. قَالَ: وَرُؤْيَا بَعْمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَسَلَّمْتُ، فَوَدَدْتُ عَلَيْهِ سَلَامَهُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ مَعَكَ؟ قُلْتُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ، قَالَ: نَعَمْ، وَسَلَّمْتُ بِكُنْيَتِهِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَوَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ عَمَّارٌ: مَا الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ، فَقَدْ سَمِعْتُ دَرُورًا مِنْهُ؟ قُلْتُ: هُوَ مَا سَمِعْتَ. فَقَالَ عَمَّارٌ: رَبُّ مَظْلُومٍ غَافِلٌ، وَظَالِمٍ مُتَجَاهِلٌ. قَالَ عُثْمَانُ: أَمَا إِنَّكَ مِنْ شُنَائِنَا وَأَتْبَاعِهِمْ، وَإِيَّاهُ اللَّهُ، إِنَّ الْيَدَ عَلَيْكَ لِمُنْبَسِطَةٍ، وَإِنَّ السَّبِيلَ إِلَيْكَ لَسَهْلَةٌ، وَلَوْلَا إِثَارُ الْعَافِيَةِ، وَلَمْ الشَّعْثُ لَرَجَزْتِكَ رَجْرَةً تُكْفِي مَا مَضَى وَتَمْنَعُ مَا بَقِيَ. فَقَالَ عَمَّارٌ: وَاللَّهِ مَا أَعْتَدِرُ مِنْ حُبِّي عَلِيًّا، وَمَا الْيَدُ بِمُنْبَسِطَةٍ وَلَا السَّبِيلُ بِسَهْلَةٍ، إِنِّي لَأَزِمُ حُجَّةً وَمُقِيمٌ عَلَى سُنَّةٍ. وَأَمَا إِثَارُكَ الْعَافِيَةِ وَلَمْ الشَّعْثُ، فَلَا زِمَ ذَلِكَ. وَأَمَا رَجْرِي فَأَمْسِكْ عَنْهُ، فَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَغْلِيْمِي. فَقَالَ عُثْمَانُ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ مَا

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣/١٣٤).

عَلِمْتُ مِنْ أَعْوَانِ الشَّرِّ الْحَاضِرِينَ عَلَيْهِ، الْخَذَلَةَ عِنْدَ الْخَيْرِ الْمُتَّبِعِينَ عَنْهُ. فَقَالَ عَمَّارٌ: مَهْلًا يَا عُثْمَانُ، فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَصِفُنِي بِغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ عُثْمَانُ: وَمَتَى؟ قَالَ: يَوْمَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ مُنْصَرَفَهُ عَنِ الْجُمُعَةِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرُكَ، وَقَدْ أَلْقَى ثِيَابَهُ، وَقَعَدَ فِي فَضْلِهِ، فَقَبَلْتُ صَدْرَهُ وَنَحْرَهُ وَجَبْهَتَهُ، فَقَالَ: يَا عَمَّارُ، إِنَّكَ لَتُحِبُّنَا وَإِنَّا لَنُحِبُّكَ، وَإِنَّكَ لِمِنْ الْأَعْوَانِ عَلَى الْخَيْرِ الْمُتَّبِعِينَ عَنِ الشَّرِّ، فَقَالَ عُثْمَانُ: أَجَلٌ، وَلَكِنَّكَ غَيْرَتْ وَبَدَلَتْ. قَالَ: فَرَفَعَ عَمَّارٌ يَدَهُ يَدْعُو، وَقَالَ: آمِنْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ. اللَّهُمَّ مَنْ غَيَّرَ فَعَيَّرَ بِهِ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ: وَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، فَأَهْوَى عَمَّارٌ إِلَى مُصَلَاهُ، وَمَضَيْتُ مَعَ عُثْمَانَ إِلَى الْقِبْلَةِ، فَدَخَلَ الْمِحْرَابَ، وَقَالَ: تَلَبَّثْ عَلَيَّ إِذَا انْصَرَفْنَا فَلَمَّا رَأَى عَمَّارٌ وَخِدي أَنَابِي، فَقَالَ: أَمَا رَأَيْتَ مَا بَلَغَ بِي أَنْفًا! قُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَضْعَبْتُ بِهِ وَأَضْعَبَ بِكَ، وَإِنَّ لَهُ لِسِنَّهُ وَفَضْلَهُ وَقَرَابَتَهُ. قَالَ: إِنَّهُ لَهُ لِدَلِيكَ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لِمَنْ لَا حَقَّ عَلَيْهِ. وَانْصَرَفَ. وَصَلَّى عُثْمَانُ، وَانْصَرَفْتُ مَعَهُ يَتَوَكَّأُ عَلَيَّ فَقَالَ: هَلْ سَمِعْتَ مَا قَالَ عَمَّارٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَسَرَّنِي ذَلِكَ وَسَاءَنِي، أَمَا مَسَاءَتُهُ إِيَّايَ فَمَا بَلَغَ بِكَ، وَأَمَا مَسْرَتُهُ لِي فَحِلْمُكَ وَاحْتِمَالُكَ. فَقَالَ: إِنَّ عَلِيًّا فَارَقَنِي مِنْذُ أَيَّامٍ عَلَى الْمُفَارَبَةِ، وَإِنَّ عَمَّارًا آتِيَهُ فَقَائِلٌ لَهُ وَقَائِلٌ، فَايْذُرُهُ إِلَيْهِ فَإِنَّكَ أَوْثَقُ عِنْدَهُ مِنْهُ وَأَصْدَقُ قَوْلًا، فَالْتَمِ الْأَمْرَ إِلَيْهِ عَلَى وَجْهِهِ. فَقُلْتُ: نَعَمْ. وَانْصَرَفْتُ أُرِيدُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا هُوَ خَارِجٌ مِنْهُ، فَلَمَّا رَأَى تَفَجَّعَ لِي مِنْ فَوْتِ الصَّلَاةِ، وَقَالَ: مَا أَدْرَكْتَهَا! قُلْتُ: بَلَى، وَلَكِنِّي خَرَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ اقْتَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، إِنَّهُ لَيَقْرَفُ فَرُوحَةً، لَيُحُورُنَّ عَلَيْهَا أَلْمَهَا. فَقُلْتُ: إِنَّ لَهُ سِنَّهُ وَسَابِقَتَهُ وَقَرَابَتَهُ وَصِهْرَهُ، قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَهُ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لِمَنْ لَا حَقَّ عَلَيْهِ. قَالَ: ثُمَّ رَهَقْنَا عَمَّارٌ فَبَسَّ بِهٖ عَلَيَّ وَتَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ وَسَأَلَهُ. فَقَالَ عَمَّارٌ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هَلْ أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ مَا كُنَّا فِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِذَا لَقَدْتُ قُلْتَ بِلِسَانِ عُثْمَانَ، وَنَطَقْتَ بِهَوَاهِ. قُلْتُ: مَا عَدَوْتُ الْحَقَّ جُهْدِي، وَلَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَيُّ الْحَظَّيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَأَيُّ الْحَقَّيْنِ أَوْجَبُ عَلَيَّ. قَالَ: فَظَنَّ عَلَيَّ أَنَّ عِنْدَ عَمَّارٍ غَيْرَ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَتَرَكَ يَدِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مَكَانِي، فَإِذَا رَسُولُ عُثْمَانَ يَدْعُونِي فَاتَيْتُهُ، فَأَجَدُّ بِبَابِهِ مَرْوَانَ وَسَعِيدَ بْنِ الْعَاصِ، فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَأَذِنَ لِي وَالْأَطْفَنِي، وَقَرَّبَنِي وَأَذْنَى مَجْلِسِي، ثُمَّ قَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالْخَبْرِ عَلَى وَجْهِهِ وَمَا قَالَ الرَّجُلُ، وَقُلْتُ لَهُ، وَكَتَمْتُ قَوْلَهُ:

إِنَّهُ لَيَقْرِفُ قَرْحَةً لِيُحَوِرَنَّ عَلَيْهِ أَلْمَهَا، إِبْقَاءَ عَلَيْهِ، وَإِجْلَالَ لَهُ، وَذَكَرْتُ مَجِيءَ عَمَّارٍ، وَبَسَّ عَلَيَّ لَهُ، وَظَنَّ عَلَيَّ أَنْ قَبْلَهُ غَيْرُ مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهِ، وَسُلُوكُهُمَا حَيْثُ سَلَكَ، قَالَ: وَفَعَلَا؟. قُلْتُ: نَعَمْ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَصْلِحْ لِي عَلَيًّا، وَأَصْلِحْ لِي لَهْ! أَمِنْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَأَمُتْتُ. ثُمَّ تَحَدَّثْنَا طَوِيلًا، وَفَارَقْتُهُ وَآتَيْتُ مَنْزِلِي^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ مِنْ أَبِي شَيْئًا قَطُّ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ يُلُومُهُ فِيهِ وَلَا يَغْدُرُهُ، وَلَا سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَخَافَةَ أَنْ أَهْجُمَ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يُوَافِقُهُ. فَإِنَّا عِنْدَهُ لَيْلَةً وَنَحْنُ نَتَعَشَّى، إِذْ قِيلَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بِالْبَابِ، فَقَالَ: ائْتِدُونَا لَهُ. فَدَخَلَ، فَأَوْسَعَ لَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، وَأَصَابَ مِنَ الْعِشَاءِ مَعَهُ، فَلَمَّا رَفَعَ قَامَ مَنْ كَانَ هُنَاكَ، وَثَبْتُ أَنَا، فَحَمِدَ عُثْمَانُ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ، يَا خَالَ، فَإِنِّي قَدْ جِئْتُكَ أَسْتَعْدِرُكَ مِنْ ابْنِ أُحِيكَ عَلَيَّ، وَسَبْنِي، وَسَهَّرَ أَمْرِي، وَقَطَعَ رَحِمِي، وَطَعَنَ فِي دِينِي، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنْ كَانَ لَكُمْ حَقٌّ تَرْغُمُونَ أَنْكُمْ غَلِبْتُمْ عَلَيْهِ، فَقَدْ تَرَكْتُمُوهُ فِي يَدَيَّ مِنْ فَعَلٍ ذَلِكَ بِكُمْ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ رَحِمًا مِنْهُ، وَمَا لُمْتُ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا عَلَيًّا، وَلَقَدْ دُعِيتُ أَنْ أُبْسِطَ عَلَيْهِ، فَتَرَكْتُهُ لِلَّهِ وَالرَّحِمِ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ يَتْرُكَنِي فَلَا أَتْرُكُهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَحَمِدَ أَبِي اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ، يَا ابْنَ أُحِيَّتِي، فَإِنْ كُنْتُ لَا تَحْمَدُ عَلَيًّا لِنَفْسِكَ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُكَ لِعَلَيَّ، وَمَا عَلَيَّ وَحْدَهُ قَالَ فِيكَ، بَلْ غَيْرُهُ، فَلَوْ أَنَّكَ أَتَهَمْتَ نَفْسَكَ لِلنَّاسِ، أَتَهَمَ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ لَكَ، وَلَوْ أَنَّكَ نَزَلْتَ مِمَّا رُقِيتَ وَارْتَقُوا مِمَّا نَزَلُوا، فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَأَخَذُوا مِنْكَ مَا كَانَ بِذَلِكَ بِأَس. قَالَ عُثْمَانُ: فَذَلِكَ إِلَيْكَ يَا خَالَ، وَأَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. قَالَ: أَفَأَذْكَرُ لَهُمْ ذَلِكَ عَنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَانصَرَفَ. فَمَا لَبِثْنَا أَنْ قِيلَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَجَعَ بِالْبَابِ، قَالَ أَبِي: ائْتِدُونَا لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَامَ قَائِمًا وَلَمْ يَجْلِسْ. وَقَالَ: لَا تَعْجَلْ يَا خَالَ حَتَّى أَوْذَنَكَ، فَتَنْظُرْنَا، فَإِذَا مَرْوَانَ بُنَ الْحَكَمِ كَانَ جَالِسًا بِالْبَابِ يَنْتَظِرُهُ حَتَّى خَرَجَ، فَهُوَ الَّذِي ثَنَاهُ عَنْ رَأْيِهِ الْأَوَّلِ. فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبِي، وَقَالَ: يَا بَنِيَّ، مَا إِلَى هَذَا مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِيَّ، أَمَلِكُ عَلَيْكَ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (١٣٦/٣).

لِسَانَكَ حَتَّى تَرَى مَا لَا بَدَّ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْبِقْ بِي مَا لَا خَيْرَ لِي فِي إِدْرَاكِهِ. فَمَا مَرَّتْ جُمُعَةٌ حَتَّى مَاتَ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: أُرْسِلَ إِلَيَّ عُثْمَانُ فِي الْهَاجِرَةِ، فَتَقَنَعْتُ بِثُوبِي وَأَتَيْتُهُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَفِي يَدِهِ قَضِيبٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَالٌ دَثْرٌ: صَبْرَتَانِ مِنْ وَرِقٍ وَذَهَبٍ، فَقَالَ: دُونَكَ خُذْ مِنْ هَذَا حَتَّى تَمْلَأَ بَطْنَكَ فَقَدْ أَحْرَقْتَنِي. فَقُلْتُ: وَصَلَّتْكَ رَحِمًا! إِنْ كَانَ هَذَا الْمَالُ وَرِثَتَهُ أَوْ أَعْطَاكَهُ مُعْطٍ، أَوْ اِكْتَسَبْتَهُ مِنْ تِجَارَةٍ كُنْتُ أَحَدَ رَجُلَيْنِ: إِمَّا أَخُذُ وَأَشْكُرُ، أَوْ أُوقِرُ وَأَجْهَدُ. وَإِنْ كَانَ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَفِيهِ حَقُّ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَتِيمِ وَابْنِ السَّبِيلِ، فَوَاللَّهِ مَا لَكَ أَنْ تُعْطِينِيهِ، وَلَا لِي أَنْ أَخْذَهُ. فَقَالَ: آيَيْتَ وَاللَّهِ إِلَّا مَا آيَيْتَ. ثُمَّ قَامَ إِلَيَّ بِالْقَضِيبِ فَضَرَبَنِي، وَاللَّهُ مَا أَرُدُّ يَدَهُ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ، فَتَقَنَعْتُ بِثُوبِي، وَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، وَقُلْتُ: اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنْ كُنْتُ أَمَرْتُكَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْ مُنْكَرٍ^(٢).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَتَى عُمَرُ بَجَوْهَرَ كِسْرَى، وَوَضَعَ فِي الْمَسْجِدِ، فَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَصَارَ كَالْجَمْرِ، فَقَالَ لِحَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ: وَيْحَكَ! أَرَحِنِي مِنْ هَذَا، وَقَسِمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذَا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ قَسَمْتَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْعَهُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَشْتَرِيهِ لِأَنَّ ثَمَنَهُ عَظِيمٌ، وَلَكِنْ نَدَعُهُ إِلَى قَابِلٍ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيَشْتَرِيَهُ مِنْهُمْ مَنْ يَشْتَرِيهِ. قَالَ: ازْفَعُهُ فَأَدْخِلْهُ بَيْتَ الْمَالِ، وَقُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ بِحَالِهِ، فَأَخَذَهُ عُثْمَانُ لَمَّا وُلِّيَ الْخِلَافَةَ فَحَلَّى بِهِ بَنَاتِهِ. فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: كُلُّ قَدْ أَحْسَنَ، عُمَرُ حِينَ حَرَمَ نَفْسَهُ، وَأَقَارِبَهُ، وَعُثْمَانُ حِينَ وَصَلَ أَقَارِبَهُ^(٣).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَزْبٍ، قَالَ: سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَيَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى عُثْمَانَ،

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣/١٣٦).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣/١٣٨).

(٣) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣/١٣٨).

فَقَالَ: حَمَّالُ الْخَطَايَا! لَا وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا. فَأَيَّسَهُ مِنْهُ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ أَبِي عَسَّانَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ غُبَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَأَكَّبَ النَّاسُ حَوْلَهُ، فَقَالَ: اجْلِسُوا يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ! فَصَاحَ بِهِ طَلْحَةَ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ لَكِنَّهُمْ عِبَادُهُ وَقَدْ قَرَأُوا كِتَابَهُ^(٢).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: شَهِدْتُ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَنْشُدْ كِتَابَ اللَّهِ. فَقَالَ عُثْمَانُ: اجْلِسْ، أَمَا لِكِتَابِ اللَّهِ نَاشِدٌ غَيْرُكَ! فَجَلَسَ، ثُمَّ قَامَ آخَرَ فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَأَبَى أَنْ يَجْلِسَ، فَبَعَثَ إِلَى الشَّرِطِ لِيَجْلِسُوهُ، فَقَامَ النَّاسُ فَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: ثُمَّ تَرَأَفُوا بِالْبَطْحَاءِ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: مَا أَكَاذُ أَرَى أَدِيمَ السَّمَاءِ مِنَ الْبَطْحَاءِ. فَتَزَلَّ عُثْمَانُ، فَدَخَلَ دَارَهُ وَلَمْ يُصَلِّ الْجُمُعَةَ^(٣).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: صَلَّيْتُ الْعَصْرَ يَوْمًا، ثُمَّ خَرَجْتُ فَإِذَا أَنَا بِعُثْمَانَ بْنِ عَمَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ وَحَدَهُ، فَأَتَيْتُهُ إِجْلَالًا وَتَوْقِيرًا لِمَكَانِهِ، فَقَالَ لِي: هَلْ رَأَيْتَ عَلِيًّا؟ قُلْتُ: خَلَفْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنِ الْآنَ فَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ، قَالَ: أَمَا مَنْزِلُهُ فَلَيْسَ فِيهِ، فَابْعَثْ لَنَا فِي الْمَسْجِدِ. فَتَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَإِذَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْرُجُ مِنْهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَذَكَرَ عُثْمَانَ وَتَجَرَّمَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَبَّاسِ إِنَّ مِنْ دَوَائِهِ لَقَطْعَ كَلَامِهِ، وَتَرَكَ لِقَائِهِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، كَيْفَ لَكَ بِهَذَا! فَإِنْ تَرَكْتَهُ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَيْكَ فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ قَالَ: أَعْتَلُّ، وَأَعْتَلُّ، فَمَنْ يَفْسِرُنِي؟ قَالَ: لَا أَحَدٌ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا تَرَأَيْنَا لَهُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، ظَهَرَ مِنْهُ الثَّمَلُ وَالطَّلَبُ لِلانْصِرَافِ مَا اسْتَبَانَ لِعُثْمَانَ، فَتَنَظَّرَ إِلَيَّ عُثْمَانُ، وَقَالَ: يَا بَنَ عَبَّاسِ، أَمَا تَرَى ابْنَ خَالِنَا يَكْرَهُ لِقَاءَنَا، فَقُلْتُ لَهُ: وَلِمَ وَحَقُّكَ الْأَرْزَمُ، وَهُوَ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (١٣٨/٣).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (١٣٩/٣).

(٣) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (١٣٩/٣).

بِالْفَضْلِ أَعْلَمُ؟ فَلَمَّا تَقَارَبَا رَمَاهُ عُثْمَانُ بِالسَّلَامِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنْ تَدْخُلُ فَإِيَّاكَ
أَرَدْنَا، وَإِنْ تَمْضِ فَإِيَّاكَ طَلَبْنَا. فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّبْتَ؟ قَالَ: تَدْخُلُ، فَدَخَلَا وَأَخَذَ
عُثْمَانُ بِيَدِهِ، فَأَهْوَى بِهِ إِلَى الْقَيْلَةِ، فَقَصَّرَ عَنْهَا، وَجَلَسَ قُبَالَتِهَا، فَجَلَسَ عُثْمَانُ إِلَى جَانِبِهِ،
فَنَكَصَتْ عَنْهُمَا، فَدَعَاوَانِي جَمِيعًا، فَأَتَيْتُهُمَا، فَحَمِدَ عُثْمَانُ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَيَّ
رَسُولِهِ، ثُمَّ قَالَ: أُمَّا بَعْدُ يَا ابْنِي خَالِي وَابْنِي عَمِّي، فَإِذَا جَمَعْتُكُمَا فِي الْبَدَاءِ
فَأَسْتَجْمِعُكُمَا فِي الشِّكَايَةِ عَنْ رِضَائِي عَلَيَّ أَحَدِكُمَا، وَوَجِدِي عَلَيَّ الْآخَرَ. إِنِّي
أَسْتَعْذِرُكُمَا مِنْ أَنْفُسِكُمَا، وَأَسْأَلُكُمَا فَيْتُكُمَا، وَأَسْتَوْهَبُكُمَا رَجْعَتُكُمَا، فَوَاللَّهِ لَوْ غَالَبَنِي
النَّاسُ مَا انْتَصَرْتُ إِلَّا بِكُمَا، وَلَوْ تَهَضَّمُونِي مَا تَعَزَّزْتُ إِلَّا بِعِزِّكُمَا. وَلَقَدْ طَالَ هَذَا الْأَمْرُ
بَيْنَنَا حَتَّى تَحَوَّفْتُ أَنْ يَجُوزَ قَدْرُهُ، وَيَعْظُمَ الْخَطَرُ فِيهِ، وَلَقَدْ هَاجَنِي الْعَدُوُّ عَلَيْكُمَا،
وَأَغْرَانِي بِكُمَا، فَمَنْعَنِي اللَّهُ وَالرَّحِمُ مِمَّا أَرَادَ، وَقَدْ خَلَوْنَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى
جَانِبِ قَبْرِهِ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تُظْهِرَا لِي رَأْيَكُمَا فِيَّ، وَمَا تَنْظُرِيَانِ لِي عَلَيْهِ، وَتَضُدَا فَإِنَّ
الصِّدْقَ أَنْجَى وَأَسْلَمَ، وَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاطْرَقَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَأَطْرَفْتُ مَعَهُ طَوِيلًا، أُمَّا أَنَا فَاجْلَيْتُهُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَبْلَهُ، وَأُمَّا هُوَ فَأَرَادَ أَنْ يُجِيبَ عَنِّي وَعَنْهُ،
ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَتَتَكَلَّمُ أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا عَنْكَ؟ قَالَ: بَلْ تَكَلَّمُ عَنِّي وَعَنْكَ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ، وَأَثْنَيْتُ
عَلَيْهِ، وَصَلَيْتُ عَلَيَّ رَسُولِهِ، ثُمَّ قُلْتُ: أُمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ عَمِّنَا وَعَمَّتِنَا، فَقَدْ سَمِعْنَا كَلَامَكَ
لَنَا، وَخَلَطَكَ فِي الشِّكَايَةِ بَيْنَنَا عَلَى رِضَاكَ، زَعَمْتَ، عَنْ أَحَدِنَا، وَوَجِدِكَ عَلَيَّ الْآخَرَ،
وَسَنَفَعَلُ فِي ذَلِكَ، فَتَدُّمُكَ وَنَحْمَدُكَ، اقْتِدَاءً مِنْكَ بِفِعْلِكَ فِينَا، فَإِنَّا نَدُّمُ مِثْلَ تُهْمَتِكَ إِثَانًا
عَلَيَّ مَا أَتَهَمْتَنَا عَلَيْهِ بِلا ثِقَةٍ إِلَّا ظَنًّا، وَنَحْمَدُ مِنْكَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مُحَالَفَتِكَ عَشِيرَتِكَ، ثُمَّ
نَسْتَعْذِرُكَ مِنْ نَفْسِكَ اسْتِعْذَارَكَ إِثَانًا مِنْ أَنْفُسِنَا، وَنَسْتَوْهَبُكَ فَيْتَتِكَ اسْتِيْهَابَكَ إِثَانًا فَيْتَتَنَا،
وَنَسْأَلُكَ رَجْعَتَكَ مَسْأَلَتَكَ إِثَانًا رَجْعَتَنَا، فَإِنَّا مَعَا أَيُّمَا حَمِدْتَ وَذَمَّمْتَ مِنَّا، كَمِثْلِكَ فِي
أَمْرِ نَفْسِكَ، لَيْسَ بَيْنَنَا فَرْقٌ وَلَا اخْتِلَافٌ، بَلْ كِلَانَا شَرِيكَ صَاحِبِهِ فِي رَأْيِهِ وَقَوْلِهِ. فَوَاللَّهِ
مَا تَعْلَمُنَا غَيْرَ مُعْذِرِينَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَلَا تَعْرِفُنَا غَيْرَ قَاتِلِينَ عَلَيْكَ، وَلَا تَجِدُنَا غَيْرَ
رَاجِعِينَ إِلَيْكَ، فَحُحْنُ نَسْأَلُكَ مِنْ نَفْسِكَ مِثْلَ مَا سَأَلْتَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا. وَأُمَّا قَوْلُكَ: لَوْ غَالَبَنِي
النَّاسُ مَا انْتَصَرْتُ إِلَّا بِكُمَا أَوْ تَهَضَّمُونِي مَا تَعَزَّزْتُ إِلَّا بِعِزِّكُمَا، فَأَيْنَ بِنَا وَبِكَ عَنْ ذَلِكَ،
وَنَحْنُ وَأَنْتَ كَمَا قَالَ أَحُو كِنَانَةَ:

بَدَا بُحُورٌ مَا رَامَ نَالَ وَإِنْ يُرَمَ نَحْضُ دُونَهُ غَمْرًا مِنَ الْغَرِّ رَائِمُهُ
لَنَا وَلَهُمْ مِنَّا وَمِنْهُمْ عَلَى الْعِدَى مَرَاتِبُ عِزٍّ مُصْعِدَاتٍ سِلَالِمُهُ

وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي هَيْجِ الْعَدُوِّ إِلَيْكَ عَلَيْنَا، وَإِعْرَازِهِ لَكَ بِنَا، فَوَاللَّهِ مَا أَتَاكَ الْعَدُوُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا بِأَعْظَمِ مِنْهُ، مِمَّا أَرَادَ مَنَعَكَ مِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ وَالرَّحِمِ، وَمَا أَبَقِيَتْ أَنْتَ وَنَحْنُ إِلَّا أَدْيَانَنَا وَأَعْرَاضَنَا وَمُرُوءَاتِنَا، وَلَقَدْ لَعَمْرِي طَالَ بِنَا وَبِكَ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى تَخَوْفُنَا مِنْهُ عَلَى أَنْفُسِنَا، وَرَاقِبْنَا مِنْهُ مَا رَاقَبْتَ. وَأَمَّا مُسَاءَلَتُكَ إِثَانًا فِيكَ، وَمَا نَنْطَوِي عَلَيْهِ لَكَ، فَإِنَّا نُخْبِرُكَ أَنَّ ذَلِكَ إِلَيْ مَا تُحِبُّ، لَا يَعْلَمُ وَاحِدٌ مِنَّا مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا ذَلِكَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكِلَانَا ضَامِنٌ عَلَى صَاحِبِهِ ذَلِكَ وَكَفَيْلٌ بِهِ. وَقَدْ بَرَأَتْ أَحَدَنَا وَرَكْبَتَهُ، وَأَنْطَقَتْ الْآخَرَ وَأَسْكَبَتْهُ، وَلَيْسَ السَّقِيمُ مِنَّا مِمَّا كَرِهْتَ بِأَنْطَقَ مِنَ الْبَرِيِّ فِيمَا ذَكَرْتَ، وَلَا الْبَرِيُّ مِنَّا مِمَّا سَخِطَتْ بِأَظْهَرَ مِنَ السَّقِيمِ فِيمَا وَصَفْتَ. فَإِنَّمَا جَمَعْتَنَا فِي الرِّضَا، وَإِنَّمَا جَمَعْتَنَا فِي السَّخَطِ لِتُجَازِيكَ بِمِثْلِ مَا تَفْعَلُ بِنَا فِي ذَلِكَ مُكَايَلَةَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ، فَقَدْ أَعْلَمْنَاكَ رَأْيَانَا، وَأَظْهَرْنَا لَكَ ذَاتَ أَنْفُسِنَا، وَصَدَقْنَاكَ، وَالصِّدْقُ كَمَا ذَكَرْتَ أَنْجَى وَأَسْلَمَ، فَأَجِبْ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ، وَأَجْلِلْ عَنِ التَّقْضِ وَالْعَدْرِ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَوْضِعَ قَبْرِهِ، وَاصْدُقْ تَنْجِ وَتَسْلَمَ، وَتَسْتَعْفِرُ اللَّهَ لَنَا وَلَكَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَنَظَّرَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَظْرَةً هَيْبِيَّةً، وَقَالَ: دَعُهُ حَتَّى يَبْلُغَ رِضَاهُ فِيمَا هُوَ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَوْ ظَهَرَتْ لَهُ قُلُوبُنَا، وَبَدَتْ لَهُ سَرَائِرُنَا حَتَّى رَأَاهَا بِعَيْنِيهِ، كَمَا يَسْمَعُ الْخَبِيرَ عَنْهُ بِأَذْنِهِ، مَا زَالَ مُتَجَرِّمًا مُنْتَقِمًا، وَاللَّهِ مَا أَنَا مُلْقَى عَلَى وَصْمَةٍ، وَإِنِّي لَمَانِعٌ مَا وَرَاءَ ظَهْرِي، وَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَمُخَالَفَةٌ مِنْهُ وَسُوءٌ عِشْرَةٌ. فَقَالَ عُثْمَانُ: مَهْلًا أَبَا حَسَنِ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَصَفَنِي بِغَيْرِ ذَلِكَ يَوْمَ يَقُولُ وَأَنْتَ عِنْدَهُ: إِنْ مِنْ أَصْحَابِي لَقَوْمًا سَالِمِينَ لَهُمْ، وَإِنَّ عُثْمَانَ لِمِنْهُمْ، إِنَّهُ لَأَحْسَنُهُمْ بِهِمْ ظَنًّا، وَأَنْصَحُهُمْ لَهُمْ حُبًّا، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَصَدَّقَ قَوْلَهُ ﷺ بِفِعْلِكَ، وَخَالَفَ مَا أَنْتَ الْآنَ عَلَيْهِ، فَقَدْ قِيلَ لَكَ مَا سَمِعْتَ وَهُوَ كَافٍ إِنْ قَبِلْتَ. قَالَ عُثْمَانُ: تَتَّبِعُ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَبِعُ وَلَا أَطُنُّكَ فَاعِلًا. قَالَ عُثْمَانُ: قَدْ وَثِقْتُ، وَأَنْتَ مِمَّنْ لَا يَخْفُزُ صَاحِبَهُ، وَلَا يُكْذَبُ لِقَبْلِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَخَذْتُ بِأَيْدِيهِمَا حَتَّى تَصَافِحَا وَتَصَالِحَا وَتَمَازِحَا، وَنَهَضْتُ عَنْهُمَا، فَتَشَاوَرَا وَتَأَمَّرَا وَتَدَاكَّرَا، ثُمَّ افْتَرَقَا، فَوَاللَّهِ مَا مَرَّتْ

ثَالِثَةٌ حَتَّى لَقِينِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَذْكُرُ مِنْ صَاحِبِهِ مَا لَا تَبْرُكُ عَلَيْهِ إِلَّا بِل. فَعَلِمْتُ أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ضَلْحِهِمَا بَعْدَهَا^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: مَرِضَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَعَادَهُ عُثْمَانُ وَمَعَهُ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ، فَجَعَلَ عُثْمَانُ يَسْأَلُ عَلِيًّا عَنْ حَالِهِ، وَعَلِيٌّ سَاكِتٌ لَا يُجِيبُهُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: لَقَدْ أَضْبَحْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ الْعَاقِ لِأَبِيهِ، إِنْ عَاشَ عَقَّهُ، وَإِنْ مَاتَ فَجَعَلَهُ. فَلَوْ جَعَلْتَ لَنَا مِنْ أَمْرِكَ فَرْجًا، إِمَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقًا، وَلَمْ تَجْعَلْنَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ. أَمَا وَاللَّهِ لَا أَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَإِنْ قُتِلْتُ لَا تَجِدُ مِنِّي. فَقَالَ مَرْوَانَ: أَمَا وَاللَّهِ لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَنَا حَتَّى تَتَوَاصَلَ سُيُوفُنَا وَتُقَطَعَ أَرْحَامُنَا. فَالْتَمَعْتُ إِلَيْهِ عُثْمَانُ، وَقَالَ: اسْكُتْ لَا سَكُتٌ، وَمَا يَدْخُلُكَ فِيمَا بَيْنَنَا^(٢).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجْتُ أُرِيدُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَلَقِيْتُهُ رَاكِبًا حِمَارًا، وَقَدْ ارْتَسَنَهُ بِحَبْلِ أَسْوَدٍ، فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مَخْضُوفَتَانِ، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَقَمِيصٌ صَغِيرٌ، وَقَدْ انْكَشَفَتْ مِنْهُ رِجْلَاهُ، إِلَى رُكْبَتَيْهِ، فَمَشَيْتُ إِلَى جَانِبِهِ، وَجَعَلْتُ أَجْدِبُ الْإِزَارَ وَأُسْوِيهِ عَلَيْهِ، كُلَّمَا سَتَرْتُ جَانِبًا انْكَشَفَ جَانِبٌ، فَيَضْحَكُ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُطِيعُكَ، حَتَّى جِئْنَا الْعَالِيَةَ فَصَلَّيْنَا، ثُمَّ قَدَّمَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَيْنَا طَعَامًا مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، وَإِذَا عُمَرُ صَائِمٌ، فَجَعَلَ يَنْبِذُ إِلَيَّ طَيْبَ اللَّحْمِ، وَيَقُولُ: كُلْ لِي وَلكَ، ثُمَّ دَخَلْنَا حَائِطًا، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ، وَقَالَ: اكْفِينِي، وَأَلْقَى قَمِيصَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَجَلَسَ يَغْسِلُهُ، وَأَنَا أَعْسِلُ رِدَاءَهُ، ثُمَّ جَفَّفْنَاهُمَا وَصَلَّيْنَا الْعَصْرَ، فَرَكِبَ وَمَشَيْتُ إِلَى جَانِبِهِ، وَلَا ثَالِثَ لَنَا. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي فِي خِطْبَةٍ فَأَشْرُ عَلَيَّ. قَالَ: وَمَنْ خَطَبْتَ؟ قُلْتُ: فُلَانَةُ ابْنَةُ فُلَانٍ. قَالَ: النَّسَبُ كَمَا تُحِبُّ، وَكَمَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلَكِنْ فِي أَخْلَاقِ أَهْلِهَا دِقَّةٌ لَا تَعْدِمُكَ أَنْ تَجِدَهَا فِي وَلكِكَ. قُلْتُ: فَلَا حَاجَةَ لِي إِذَا فِيهَا. قَالَ: فَلِمَ لَا تَحْطُبُ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ يَعْنِي عَلِيًّا؟ قُلْتُ: أَلَمْ تَسْبِقْنِي إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَلَا أُخْرَى، قُلْتُ: هِيَ لَابْنِ أَخِيهِ. قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّ صَاحِبِكُمْ إِنْ وُلِيَ هَذَا الْأَمْرَ أَحْشَى عُجْبَهُ بِنَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ، فَلَيْتَنِي أَرَاكُمْ

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣/١٣٩).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣/١٤٣).

بَعْدِي. قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ صَاحِبَنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ، إِنَّهُ مَا عَيَّرَ وَلَا بَدَّلَ، وَلَا أَسْحَطَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَيَّامَ صُحْبَتِهِ لَهُ. قَالَ: فَقَطَّعَ عَلَيَّ الْكَلَامَ، فَقَالَ: وَلَا فِي ابْنَةِ أَبِي جَهْلٍ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْطُبَهَا عَلَى فَاطِمَةَ! قُلْتُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وَصَاحِبَنَا لَمْ يَغْرَمْ عَلَى سُحْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّ الْخَوَاطِرَ الَّتِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى دَفْعِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ الْفَقِيهَ فِي دِينِ اللَّهِ، الْعَالِمَ الْعَامِلُ بِأَمْرِ اللَّهِ. فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَرِدُ بِحُورِكُمْ فَيَغْوُصُ فِيهَا مَعَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ قَعْرَهَا فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا. أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ خُذْ فِي غَيْرِهَا. ثُمَّ أَنشَأَ يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْفُتَيَا، وَأُجِيبُهُ فَيَقُولُ: أَصَبْتَ أَصَابَ اللَّهِ بِكَ. أَنْتَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَسْبَعَ^(١).

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَالَ لِي عَمْرُ يَوْمًا: يَا مُغِيرَةُ، هَلْ أَبْصَرْتَ بِهَذِهِ، عَيْنِكَ الْعُورَاءِ مُنْذُ أُصِيبْتُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَيَعُورَنَّ بَنُو أُمَّيَّةَ الْإِسْلَامَ كَمَا أُعُورَتْ عَيْنُكَ هَذِهِ، ثُمَّ لَيُعْمِيَّتَهُ حَتَّى لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ وَلَا أَيْنَ يَجِيءُ، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَوْ مِائَةً وَثَلَاثِينَ وَفَدًّا كَوْفِدَ الْمُمْلُوكِ، طَيِّبَةً رِيحَهُمْ، يُعِيدُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَصْرَهُ وَشَتَاتَهُ. قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: حِجَازِيٌّ وَعِرَاقِيٌّ، وَقَلِيلًا مَا كَانَ، وَقَلِيلًا مَا دَامَ^(٢).

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ بَكَّارٍ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُنْقَرِي: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَأَدْتَ؟ قَالَ: مَخَافَةٌ أَنْ يُخَلَّفَ عَلَيْهِنَّ مِثْلُكَ^(٣).

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ بَكَّارٍ: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا بَعَثَ جَرِيرًا إِلَى مُعَاوِيَةَ، خَرَجَ وَهُوَ لَا يَرَى أَحَدًا قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَقَدِمْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَوَجَدْتُهُ يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُمْ حَوْلَهُ يَبْكُونَ حَوْلَ قَمِيصِ عُثْمَانَ، وَهُوَ مُعَلَّقٌ عَلَى رُمْحٍ مَخْضُوبٍ بِالدَّمِ، وَعَلَيْهِ أَصَابِعُ زَوْجَتِهِ نَائِلَةٌ بِنْتِ الْفَرَاغِصَةِ مَقْطُوعَةً، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ مَعِي فِي الطَّرِيقِ رَجُلٌ يَسِيرُ بِسَيْرِي، وَيَقِيمُ بِمَقَامِي، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَأَنْشَدَهُ:

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣/٧٨٤).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣/٨٠٥).

(٣) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٤/١٩٠).

إِنَّ بَنِي عَمِّكَ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ هُمْ قَتَلُوا شَيْخَكُمْ غَيْرَ كَذِبٍ

وَأَنْتِ أُولَى النَّابِ بِالرُّوْثِ فَشَبِّ

قَالَ: ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابًا مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَهُوَ أَخُو عُثْمَانَ لِأُمِّهِ، كَتَبَهُ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ مِنَ الْكُوفَةِ سِرًّا أَوَّلُهُ:

مُعَاوِيَ إِنَّ الْمُلْكَ قَدْ جُبَّ غَارِبُهُ

قَالَ: فَقَالَ لِي مُعَاوِيَةُ: أَقِمِ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ نَفَرُوا عِنْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ حَتَّى يَسْكُنُوا. فَأَقَمْتُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ جَاءَ كِتَابٌ آخَرَ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ أَوَّلُهُ:

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَإِنَّكَ مِنْ أَخِي ثِقَةَ مُلِيمٍ

قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسُّدْمِ الْمُعْنُ تَهْدَرُ فِي دِمَشْقٍ وَلَا تَرِيمٍ

وَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

فَلَوْ كُنْتَ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لَشَمَّرَ لَا أَلْفَ وَلَا سَعُومُ

قَالَ: فَلَمَّا جَاءَهُ هَذَا الْكِتَابُ وَصَلَ بَيْنَ طُومَارَيْنِ أَبِيضَيْنِ، ثُمَّ طَوَاهُمَا وَكَتَبَ غُنْوَانَهُمَا مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَدَفَعَهُمَا إِلَيْهِ، لَا أَعْلَمُ مَا فِيهِمَا، وَلَا أَظُنُّهُمَا إِلَّا جَوَابًا، وَبَعَثَ مَعِيَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْسٍ لَا أَدْرِي مَا مَعَهُ، فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا إِلَى الْكُوفَةِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا يَشْكُونَ أَنَّهَا بَيْعَةُ أَهْلِ الشَّامِ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكِتَابَ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا، وَقَامَ الْعَبْسِيُّ، فَقَالَ: مَنْ هَهُنَا مِنْ أَحِبَّاءِ قَيْسٍ، وَأَخْضَ مِنْ قَيْسٍ غَطَفَانَ، وَأَخْضَ مِنْ غَطَفَانَ عَبْسًا؟ إِنِّي أَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ تَحْتَ قَمِيصِ عُثْمَانَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ شَيْخٍ خَاصِي لِحَاهُمْ بِدُمُوعِ أَعْيُنِهِمْ، مُتَعَاقِدِينَ مُتَحَالِفِينَ، لِيَقْتُلَنَّ قَتْلَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَإِنِّي أَخْلِفُ بِاللَّهِ لَيَفْتَحَنَّهَا عَلَيْكُمْ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ بِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ خِصْيَانِ الْخَيْلِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بَعْدَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْفُحُولِ. ثُمَّ دَفَعَ إِلَيَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كِتَابًا مِنْ مُعَاوِيَةَ فَفَتَحْتُهُ فَوَجَدَ فِيهِ:

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ غُمَّةٌ وَفِيهِ اجْتِدَاعٌ لِلْأَنْوَفِ أَصِيلُ

مُصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَدَّةٌ تَكَادُ لَهَا صُمُ الْجِبَالُ تَزُولُ^(١)
 قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: رَوِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَجْرَى خَيْلًا، فَسَبَقَهُ عَبَّادُ بْنُ زِيَادٍ،
 فَأَنشَدَ عَبْدَ الْمَلِكِ:

سَبَقَ عَبَّادٌ وَصَلَّتْ لِحَيْتَهُ وَكَانَ حَرَّازًا تَجُودُ قُرْبَتَهُ

فَشَكَا عَبَّادٌ قَوْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا وَاللَّهِ
 لَأَنْصِفَنَّكَ مِنْهُ بِحَيْثُ يَكْرَهُ. فَرَوَّجَهُ أُخْتَهُ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ: يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ مَنَايِحَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ ضَاعَتْ. فَأَخْبَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ خَالِدًا بِمَا كَتَبَ بِهِ
 الْحَجَّاجُ، فَقَالَ خَالِدٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَعْلَمُ امْرَأَةً مَنَّا ضَاعَتْ وَلَا نَزَلَتْ إِلَّا عَاتِكَةَ
 بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّهَا عِنْدَكَ، وَلَمْ يَعْنِ الْحَجَّاجُ غَيْرَكَ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: بَلْ عَنَى
 الدَّعِيُّ ابْنَ الدَّعِيِّ عَبَّادًا، قَالَ خَالِدٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَنْصَفْتَنِي، أَدْعِي رَجُلًا ثُمَّ لَا
 أَرْوِّجُهُ! إِنَّمَا كُنْتُ مَلُومًا لَوْ رَوَّجْتُ دَعِيكَ، فَأَمَّا دَعِيٌّ فَلِمَ لَا أَرْوِّجُهُ!^(٢).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ دَخَلَ عَلَى أَبِيهِ يَوْمًا
 وَهُوَ فِي قَائِلَتِهِ، فَأَيْقَظُهُ، وَقَالَ لَهُ: مَا يُؤَمِّنُكَ أَنْ تُوتَى فِي مَمْلِكٍ، وَقَدْ رُفِعَتْ إِلَيْكَ مَظَالِمُ
 لَمْ تَقْضِ حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ نَفْسِي مَطِيئِي إِنْ لَمْ أَرْفُقْ بِهَا لَمْ تُبَلِّغْنِي، إِنِّي لَوْ
 أَتَعَبْتُ نَفْسِي وَأَعْوَانِي لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَسْقَطُ وَيَسْقُطُوا، وَإِنِّي لَأَحْتَسِبُ فِي
 نَوْمَتِي مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ الَّذِي أَحْتَسِبُ فِي يَقْظَتِي، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لَوْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ الْقُرْآنَ
 جُمْلَةً نَزَلَهُ، وَلَكِنْ أَنْزَلَ الْآيَةَ وَالْآيَاتِ حَتَّى اسْتَكْبَرَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ،
 مِمَّا أَنَا فِيهِ أَمْرٌ هُوَ أَهَمُّ إِلَيَّ أَهْلِ بَيْتِكَ، هُمْ أَهْلُ الْعِدَّةِ وَالْعَدَدِ، وَقَبْلَهُمْ مَا قَبْلَهُمْ، فَلَوْ
 جَمَعْتُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ خَشِيتُ أَنْتَشَارَهُمْ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي أَنْصَفُ مِنَ الرَّجُلِ وَالْإِثْنَيْنِ،
 فَيَبْلُغُ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءَهُمَا، فَيَكُونُ أَنْجَعُ لَهُ، فَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ تَمَامَ هَذَا الْأَمْرِ أَتَمَّهُ، وَإِنْ تَكُنْ
 الْأُخْرَى، فَحَسْبُ عَبْدٍ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مِنْهُ أَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُنْصَفَ جَمِيعَ رَعِيَّتِهِ^(٣).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنِ مِحْجَنِ الْحُرَاعِيِّ، قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ يُفْضِلُ مُرَيَّنَةَ فِي

(١) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٣١٣/٤).

(٢) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (١٩٠/٤).

(٣) انظر النص في: شرح نهج البلاغة (٧١/٥).

الشَّعْرِ، وَيَقُولُ: كَانَ أَشْعَرَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى، وَكَانَ أَشْعَرَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ابْنُهُ كَعْبٌ، وَمَعْنُ بْنُ أَوْسٍ^(١).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنِ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا هَلَكَ حَنْظَلَةُ بْنُ نَهْدِ بْنِ زَيْدٍ، لَمْ يُدْفَنْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَتَاهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَأَتَاهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ وَجُوهُهُمْ، فَقَامَتِ الْحُطَبَاءُ بِالتَّعْرِيزِ، وَقِيلَتْ فِيهِ الْأَشْعَارُ حَتَّى عُدَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ بَعْضِ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ. فَلَمَّا وُورِيَ فِي حُفْرَتِهِ قَامَ جَدِيدَةُ بْنُ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ، فَقَالَتْ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا حَنْظَلَةُ بْنُ نَهْدِ فَكَأَنَّكَ الْأَسِيرِ، وَطَارِدُ الْعَسِيرِ، فَهَلْ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مُجَازٍ بِفِعْلِهِ، أَوْ حَامِلٌ عَنْهُ مِنْ ثِقَلِهِ، كَلَا وَأَجَلٌ، إِنَّ مَعَ كُلِّ جَزَعَةٍ لَكُمْ سَرْقًا، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ لَكُمْ غَصَصًا، لَا تَتَّالُونَ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ مَعَمَّرٌ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا يَهْدِمُ آخَرَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا يَجِدُ لَذَّةَ زِيَادَةِ أَكْلِهِ إِلَّا بِتَفَادٍ مَا قَبْلَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَى لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ أَثَرٌ، إِنَّ فِي هَذَا لَعِبْرًا وَمُزْدَجْرًا لِمَنْ نَظَرَ، لَوْ كَانَ أَصَابَ أَحَدٌ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا، وَوَجَدَ إِلَى الْمَرْحَلِ عَنِ الْفَنَاءِ سَبِيلًا، لَكَانَ ابْنُ دَاوُدَ الْمَقْرُونُ لَهُ التُّبُوَّةُ بِمُلْكِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

وَهَذَا صَاحِبُ الْمُلْكَيْنِ أَضْحَى	تُحْرِقُ فِي مَصَانِعِهِ الْمُنُونُ
فَكَانَ عَلَيْهِ لِلْأَيَّامِ دِينٌ	فَقَدْ قُضِيَتْ عَنِ الْمَرْءِ الدُّيُونُ
وَحَانَتْهُ الْعَصَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ	أَتَى مَيْتًا لَهُ حِينَ فَحِينُ
عَلَى الْكُرْسِيِّ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ	تَحَارُ الشَّمْسُ فِيهِ وَالْعُيُونُ
وَتَضْحَى الْجِنُّ عَاكِفَةً عَلَيْهِ	كَمَا عَكَفَتْ عَلَى الْأَسَدِ الْعَرِينُ
وَسُحَّرَتْ الْعُيُونُ لَهُ جَمِيعًا	عَلَيْهِ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَرِينُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ حَيًّا وَمَيْتًا	عَلَى الْأَيَّامِ كَانَ وَلَا يَكُونُ
فَدَانَ لَهُ الْخَلَائِقُ ثُمَّ هَبُّوا	وَدَانَ فِيهِمَا قَدْ يَدِينُ

(١) انظر: شرح شواهد المغني (ص ١٣٤).

بَنَى صَرْحًا لَهُ ذُونَ الثَّرِيًّا
تَرَاهُ مُتَّقِنًا لَا عَيْبَ فِيهِ
وَقَدْ مَلَكَ الْمُلُوكَ وَكُلَّ شَيْءٍ
فَأَفْنَى مُلْكُهُ مَرَّ اللَّيَالِي
وَكُلَّ أَخِي مَكَائِرِهِ وَعِزٍّ
كَذَاكَ الدَّهْرُ يُفْنِي كُلَّ حَيٍّ

وَأَجْرِي تَحْتَهُ الْمَاءُ الْمَعِينُ
يَحَالُ بِصَرْحِهِ الذَّهْنُ الذَّهِينُ
تَدِينُ لَهُ السُّهُولَةُ وَالْحُزُونُ
وَخَوْنُ الدَّهْرِ فِيمَا قَدْ يَخُونُ
إِلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ مُسْتَكِينُ
وَيَعْقُبُ بَعْدَ قُوْتِهِ الْيَقِينُ

ثُمَّ قَامَ ابْنُ كَثِيرٍ بِنُ عُدْرَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَمِيمٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا حَنْظَلَةُ بْنُ نَهْدٍ مَعْدِنُ الْحُكَمَاءِ، وَعِزُّ الضُّعَفَاءِ، وَمُعْطِي الْيَانِعِ، مُطْعِمُ الْجَائِعِ، فَهَلْ مِنْكُمْ لَهُ مَا نَبِّحُ؟ أَوْ لِمَا حَلَّ بِهِ دَافِعٌ! أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْبَقَاءُ بَعْدَ الْفَنَاءِ، وَقَدْ خُلِفْنَا وَلَمْ نَكُ شَيْئًا، وَسَنَسُوذُ إِلَى ذَلِكَ. إِنَّ الْعَوَارِيَّ الْيَوْمَ وَالْهَبَاتِ غَدًا، وَرَثْنَا مَنْ قَبْلَنَا وَلَنَا وَارِثُونَ، وَلَا بُدَّ مِنْ رَحِيلٍ عَنْ مَحَلِّ نَازِلٍ، أَلَا وَقَدْ تَقَارَبَ سَلْبٌ فَأَحْسِنُ أَوْ أَهْطُ أَجْوَى، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مَنْزِلٍ لَا يُسْتَتَبُ بِهِ سُورٌ بِبِشْرِ إِلَّا تَبَعَهُ حَصِيرٌ عُسْرٍ، وَلَا تَطُولُ فِيهِ حَيَاةٌ مَرْجُوءَةٌ إِلَّا اخْتَرَمَهَا مَوْتُ مُحَوِّفٍ، وَلَا يُوثِقُ فِيهِ بِخَلْفٍ بَاقٍ إِلَّا وَيَسْتَبِغُهُ سَابِقٌ مَاضٍ، فَأَنْتُمْ أَعْوَانٌ لِلْحُتُوفِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَهَا بِكُلِّ سَبَبٍ مِنْكُمْ صَرِيحٌ مُجْتَرَزٌ، وَمُعَارِزٌ مُنْتَظَرٌ، فَهَذِهِ أَنْفُسُكُمْ تَسُوقُكُمْ إِلَى الْفَنَاءِ، فَلِمَ تَطْلُبُونَ الْبَقَاءَ! اطْلُبُوا الْخَيْرَ وَوَلِيَّهِ، وَاحْذَرُوا الشَّرَّ وَوَمَوْلِيَّهِ، اعْلَمُوا أَنَّ خَيْرًا مِنَ الْخَيْرِ مُعْطِيهِ، وَأَنَّ شَرًّا مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا قَلْبُ إِنَّكَ مِنْ أَسْمَاءَ مَعْرُورُ
قَدْ بُحْتَ بِالْحُبِّ مَا تُخْفِيهِ مِنْ أَحَدٍ
تُبْغِي أُمُورًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلَهَا
فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَارْضَيْنِ بِهِ
فَيَنْمَ الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُعْتَبَطٌ
يَبْكِي الْعَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ

فَادْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكَيرُ
حَتَّى جَرَتْ بِكَ إِطْلَاقًا مَحَاضِيرُ
أَذْنَى لِرُشْدِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَيَنْمَ الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
إِذْ صَارَ فِي الرُّمْسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ

حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذْكُرُهُ وَالِدَهُرُ أَيَنَمَا حَالَ دَهَارِيرُ^(١)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ بِأَحَدٍ أَجْرًا وَلَا أَسْرَعَ شِعْرًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، يَوْمَ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ شِعْرًا تَقْتَضِيهِ السَّاعَةُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ. ثُمَّ أَبَدَهُ بَصْرُهُ، فَانْبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، يَقُولُ:

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا إِنْ خَانِنِي بَصْرُ
أَلْتِ النَّبِيَّ وَمَنْ يُحْرَمَ شَفَاعَتَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ فَقَدْ أَرَزَى بِهِ الْقَدْرُ
فَبَتَّ اللَّهُ مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنِ كَالْمُرْسَلِينَ وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَلْتِ فَهَبْتِكَ اللَّهُ»^(٢). قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: فَجَبَّتَهُ اللَّهُ أَحْسَنَ

ثَبَاتٍ، فَقَتِلَ شَهِيدًا، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَدَخَلَهَا^(٣).

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ مُضْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ حَجَّ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: إِنَّهُ سَيَأْتِي بِالْمَدِينَةِ الْحَزِينِ الشَّاعِرِ، وَهُوَ ذَرِبُ اللِّسَانِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَحْتَجِبَ عَنْهُ وَازْصِرْهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَرَأَى جَمَالَهُ، وَفِي يَدِهِ قَضِيبَ خَيْرِزَانَ وَقَفَّ سَاكِنًا، فَأَمَهَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَرَّاحَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: السَّلَامُ رَحِمَكَ اللَّهُ أَوْلَا، فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، وَجَهَ الْأَمِيرِ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ مَدْحُوكًا بِشِعْرِي، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْكَ وَرَأَيْتُ جَمَالَكَ وَبَهَاءَكَ رَهْبْتُكَ، فَأَنْسَيْتُ مَا قُلْتُ، وَقَدْ قُلْتُ فِي مَقَامِي هَذَا بَيِّنِينَ. قَالَ: مَا هُمَا؟ قَالَ:

فِي كَفِّهِ خَيْرَانٌ رِيحَهَا عَبِقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ^(٤)

(١) انظر: شرح شواهد المغني (ص ٢٩٢).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٤)، وعبد الغني المقدسي في أحاديث الشعر (١٧).

(٣) انظر: المنتظم (٣٩٦/١)، أسد الغابة (٦٠٧/١).

(٤) انظر: شرح شواهد المغني (ص ٧٣٤)، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٠٥)، وتاريخ دمشق

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ زُهَيْرٍ بْنِ مَنْظُورِ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: كَانَ رَمَاحُ بْنُ أَبَرْدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مَيَّادَةَ يَتَشَبَّهُ بِأُمِّ جَحْدَرِ بِنْتِ حَسَّانِ الْمُرِّيَّةِ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي جَدِيْمَةَ بْنِ غَيْظٍ، فَحَلَفَ أَبُوهَا لِيُخْرِجَنَّهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَلَا يَزُوجَهَا بِنَجْدٍ. فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسَّامِ، فَزَوَّجَهُ إِثَّاها، فَلَقِيَّ عَلَيْهَا ابْنُ مَيَّادَةَ شِدَّةً، فَرَأَيْتُهُ وَمَا لَقِيَّ عَلَيْهَا، فَلَمَّا خَرَجَ بِهَا زَوْجَهَا نَحْوَ بِلَادِهِ انْدَفَعَ، يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ جَحْدَرٍ سَبِيلٌ فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرًا
وَهَلْ تَأْتِينِي الرِّيحُ تَدْرُجُ مُوهِنًا بَرِيَّاكِ يَعْرُورِي بِهَا دَنْفًا ضَرًّا
أَلَمَّا عَلَى تَيْمَاءَ يَسْأَلُ يَهُودَهَا فَإِنَّ عَلَى تَيْمَاءَ مِنْ رُكْبَتِهَا حُبْرًا
وَبِالْعَمْرِ قَدْ جَازَتْ وَجَارَ مَطِيَّهَا فَأَهْلُكَ رَوْضَاتِ بَيْطِنِ اللُّوَى حُضْرًا^(١)

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا عَلَى الْمِنْبَرِ: أَلَا لَا تَزِيدُوا فِي مَهْوَِرِ النِّسَاءِ عَلَى أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَلَوْ كَانَتْ بِنْتُ ذِي الْعُصَّةِ، يَعْنِي يَزِيدُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَارِثِيُّ، فَمَا زَادَ أَلْقَيْتَ الزِّيَادَةَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ صَفِّ النِّسَاءِ طَوِيلَةً، فَقَالَتْ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَتْ: لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: ﴿زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: امْرَأَةٌ أَصَابَتْ وَرَجُلٌ أَخْطَأَ.

تَزَوَّجَ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ، وَعَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ، فَأَمَهَرَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمًا. فَقَالَ: فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ: أُبْلَغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً مِنْ نَاصِحٍ لَكَ لَا يُرِيدُ خِدَاعًا بَضْعُ الْفَتَاةِ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ وَتَبِيْتُ حُرَّاسَ الثُّغُورِ جِيَاعًا.

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْنٍ، قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ زَوْجِي يَضُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْكُوهُ إِلَيْكَ وَهُوَ يَقُومُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ لَهَا:

(١) انظر: الأغاني (٢/٢٧٠).

جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْ مُثْبِتَةِ عَلَيَّ زَوْجَهَا. فَجَعَلْتَ تُكْرِرُ عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَهُوَ يُكْرِرُ عَلَيْهَا الْجَوَابَ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ سُورٍ الْأَزْدِيُّ حَاضِرًا، فَقَالَ: أَقْضِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا. قَالَ: وَهَلْ فِيمَا ذَكَرْتَ قَضَاءٌ؟! فَقَالَ: إِنَّهَا تَشْكُو مَبَاعَدَةَ زَوْجِهَا عَنْ فِرَاشِهِ وَتَطْلُبُ حَقَّهَا فِي ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاقْضِ بَيْنَهُمَا. فَقَالَ كَعْبُ: عَلَيَّ بِزَوْجِهَا. فَأَحْضَرَ، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتَكَ هَذِهِ تَشْكُوكَ. فَقَالَ: هَلْ قَصَّرْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ نَفَقَتِهَا؟ قَالَ: لَا. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الْحَكِيمُ رُشِدُهُ أَلْهَى خَلِيلِي عَنْ فِرَاشِي مَسْجِدُهُ نَهَارَهُ وَلَيْلَهُ مَا يَزُقُّدُهُ فَلَسْتُ فِي حُكْمِ النِّسَاءِ أَحْمَدُهُ زَهْدُهُ فِي مَضْجَعِي تَعْبُدُهُ فَاقْضِ الْقَضَا يَا كَعْبُ لَا تُرِدِّدُهُ قَالَ: فَقَالَ زَوْجُهَا: زَهْدَنِي فِي فِرَاشِهَا وَفِي الْحَجَلِ أَتَيْ امْرُؤٌ أَذْهَلَنِي مَا قَدْ نَزَلَ فِي سُورَةِ النَّملِ وَفِي السَّبْعِ الطَّوْلِ وَفِي كِتَابِ اللهِ تَحْوِيفٌ جَلَلٌ فَقَالَ كَعْبُ: إِنَّ لَهَا حَقًّا عَلَيْكَ يَا رَجُلُ تُصِيبُهَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقِلَ قَضِيَّةٌ مِنْ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ فَأَعْطَهَا ذَلِكَ وَدَعَّ عَنْكَ الْعِلْلَ إِنَّ خَيْرَ الْقَاضِي مَنْ عَدَلَ وَقَضَى بِالْحَقِّ جَهْرًا وَفَصَلَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَبَاحَ لَكَ مِنَ النِّسَاءِ أَرْبَعًا فَلَكَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلِيَالِيهَا تَعْبُدُ فِيهَا رَبَّكَ وَلَهَا يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ أَمْرِكَ أَعْجَبُ؟ أَمِنْ فَهَمِكَ أَمْرَهُمَا أَمْ مِنْ حُكْمِكَ بَيْنَهُمَا؟ أَذْهَبَ فَقَدْ وَلَيْتُكَ قَضَاءَ الْبُصْرَةِ^(١).

[هذا آخر ما وجد من المفقود من الموفقيات والحمد لله رب العالمين]

(١) انظر: المنتظم (١٠٨/٢)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٤٥٤/٢).

فهرس المحتويات

٣.....	مقدمة التحقيق
٥.....	ترجمة المصنف
٧.....	نماذج من صور المخطوط
١٣.....	مقدمة المصنف
٢٧١	الجزء المفقود من الموفقيات
٣١٧	فهرس المحتويات

**AL-ʿAḤBĀR AL-MUWAFFAQIYYĀT
FĪ AL-ḤAWĀDIT̄ WAL-SIYAR AL-MĀḌIYĀT**

by
Imām al- zubayr ben Bakkār

Edited by
Aḥmad Farīd al - Mizyadī

